

أَجُودُ الْبَيَّانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الْمَجْمُوعُ الثَّانِي

تَأليف

آيَةُ اللَّهِ الْأَسْتَاذِ الشَّيْخِ هَادِي النَّجْفِيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ

الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾

كان الأنبياء السابقون وأكثرهم من بني إسرائيل «يصلون إلى بيت المقدس، وقد صلى النبي ﷺ إليه بأمر الله أمدًا غير قصير، ولكنه ٩ كان يتمني لو يُحول الله القبلة إلى الكعبة، وحقق الله تعالى أمنيته، كما يأتي قريبًا»^١.

(سَيَقُولُ) حرف استقبال وفعل مضارع.

(السُّفَهَاءُ) فاعل، جمع سفيه من السفه وهو الخفة والضعف والرداءة والمراد بهم هنا المنافقون واليهود والمشركون.

(مِنَ النَّاسِ) إنكارية، حرف جر بياني ومجروره متعلق بمحذوف حال من (السُّفَهَاءُ) يعني أئمة غير المسلمين.

١. التفسير الكاشف ١/ ٢٢١.

(مَا) استفهامية، مبتدأ.

(وَلَهُمْ) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به الضمير المفعولي عائد إلى النبي والمسلمين، خبر، أي صرفهم عنه.

(عَنْ قِبَلِهِمْ) حرف جر ومجروره ومضاف إليه. القبلة: الجهة التي تستقبل في الصلاة. وقبلة المسلمين الكعبة.

(أَلَتِي) اسم موصول، نعت لـ (قِبَلِهِمْ). (كَأَنُوهَا) فعل ماض ناقص واسمه.

(عَلَيْهَا) جار ومجرور، خبر (كَأَنُوهَا). والضمير عائد إلى «القبلة».

(قُلْ) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول الأعظم ﷺ. بداية جواب السفهاء ودليل تحويل القبلة وتبديلها من بيت المقدس إلى الكعبة المقدسة.

(لِلَّهِ) جار ومجرور، خبر مقدم. (الْمَشْرِقُ) مبتدأ مؤخر.

(وَالْمَغْرِبُ) معطوف على (الْمَشْرِقُ) يعني أنّ الجهات كلها (لِلَّهِ) والكعبة وبيت

المقدس إليه سواء.

(يَهْدِي) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى «الله».

(مَنْ) اسم موصول، مفعول به.

(يَشَاءُ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى «الله».

(إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) جار ومجرور ونعت، متعلق بـ (يَهْدِي). أي «يهدّهم إلى

الدين المستقيم إلى الجنة»^١.

الروايات

قال علي بن إبراهيم القمي: قوله (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ أَلَتِي كَانُوا عَلَيْهَا) قال هذه الآية متقدمة على قوله (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ

فَلَنُؤَلِّينَاكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا^١ ثم نزل (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ) وذلك أن اليهود كانوا يعيرون برسول الله ويقولون أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا فاغتم من ذلك رسول الله ﷺ غمًا شديدًا وخرج في جوف الليل ينظر في آفاق السماء ينتظر بأمر الله تبارك وتعالى في ذلك، فلما أصبح وحضرت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى بهم الظهر ركعتين، فنزل جبرئيل 7 فاخذ بعضديه فحوله إلى الكعبة، فأنزل الله عليه (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَلِّينَاكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا^٢ قَوْلَ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^٣) فصلى ركعتين إلى الكعبة فقالت اليهود والسفهاء (مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ) وتحولت القبلة إلى الكعبة بعد ما صلى رسول الله ﷺ بمكة ثلاثة عشر سنة إلى البيت المقدس وبعد مهاجرته إلى المدينة صلى إلى البيت المقدس سبعة [عشر] أشهر، ثم حول الله ﷻ القبلة إلى البيت الحرام ثم قال الله ﷻ (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِغَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ^٤) يعني ولا الذين ظلموا منهم و «إلا» في موضع «ولا» وليست هي استثناء.^٥

روا نحوها الطبرسي^٥ عن علي بن إبراهيم بإسناده عن الصادق 7. وهكذا رواها الكاشاني في منهج الصادقين^٦.

خبر أبي بصير عن أحدهما 7 في قوله تعالى (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

١. سورة البقرة / ١٤٤.

٢. سورة البقرة / ١٤٤.

٣. سورة البقرة / ١٥٠.

٤. تفسير القمي ١ / ٦٢.

٥. مجمع البيان ٣ / ١٩٩ (١ / ٢٢٣).

٦. منهج الصادقين ١ / ٣٣٥.

فقلت له الله أمره أن يصلي إلى البيت المقدس قال نعم ألا ترى أن الله تعالى يقول (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ) ١ قال: إن بني عبد الأشهل أتوهم وهم في الصلاة وقد صلوا ركعتين إلى بيت المقدس فقليل لهم إن نبيكم قد صرف إلى الكعبة فتحول النساء مكان الرجال مكان النساء وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة فصلوا صلاة واحدة إلى قبلتين فلذلك سمي مسجدهم مسجد القبلتين. ٢

قال الطوسي: قال ابن عباس و البراء بن عازب: أنه كانت الصلاة إلى بيت المقدس إلى بعد مقدم النبي ﷺ بسبعة عشر شهراً، وقال أنس بن مالك: إنما كان ذلك تسعة أشهر أو عشرة أشهر. وقال معاذ بن جبل كان ثلاثة عشر شهراً. وقال قتادة: صلّت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي ﷺ وصلّى النبي ﷺ بعد قدومه المدينة ستة عشر شهراً ثم وجهه الله إلى الكعبة. ٣ ونحوها في المجمع ٤ والمنهج ٥.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧ : قال ٧ وذلك أن رسول الله لما كان بمكة أمره الله تعالى أن يتوجه نحو بيت المقدس في صلاته، ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن، وإذا لم يتمكن استقبال بيت المقدس كيف كان. وكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاث عشرة سنة. فلما كان بالمدينة، وكان متعبداً باستقبال

١. سورة البقرة / ١٤٣.

٢. التهذيب ٢/ ٤٣، ح ١٣٨.

٣. التبيان ٢/ ٤.

٤. مجمع البيان ٣/ ١٩٨ (١/ ٢٢٣).

٥. منهج الصادقين ١/ ٣٣٥.

بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهرا، وجعل قوم من مردة اليهود يقولون والله ما درى محمد كيف صلى حتى صار يتوجه إلى قبلتنا، ويأخذ في صلاته بهدينا ونسكننا. فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ لما اتصل به عنهم، وكره قبلتهم واحب الكعبة فجاءه جبرئيل 7 فقال له رسول الله ﷺ يا جبرئيل لوددت لو صرفني الله عن بيت المقدس إلى الكعبة، فقد تأذيت بما يتصل بي من قبل اليهود من قبلتهم. فقال جبرئيل 7 فأسأل ربك أن يحولك إليها فإنه لا يردك عن طلبتك، ولا يخيبك عن بغيتك. فلما استتم دعاءه صعد جبرئيل 7 ثم عاد من ساعته فقال اقرأ يا محمد (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) ١ الآيات. فقالت اليهود عند ذلك (مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا) فأجابهم الله أحسن جواب فقال (قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) وهو يملكهما وتكليفه التحول إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وهو مصلحتهم، وتوديعهم طاعتهم إلى جنات النعيم. [قال أبو محمد 7]: وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها أربع عشرة سنة ثم تركتها الآن أفتحقا كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل، فإن ما يخالف الحق فهو باطل. أو باطلا كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدة، فما يؤمننا أن تكون [إلى] الآن على باطل فقال رسول الله ﷺ بل ذلك كان حقا، وهذا حق، يقول الله (قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد في استقبال المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به فلا تنكروا تدبير الله تعالى في عباده وقصده إلى مصالحكم. ثم قال لهم

رسول الله ﷺ لقد تركتم العمل يوم السبت، ثم عملتم بعده من سائر الأيام، ثم تركتموه في السبت، ثم عملتم بعده، أفرركم الحق إلى الباطل أو الباطل إلى الحق؟ أو الباطل أو الحق إلى الحق؟ قولوا: كيف شئتم فهو قول محمد وجوابه بكم.

قالوا: بل ترك العمل في السبت حق والعمل بعده حق.

فقال رسول الله ﷺ: فكذلك قبلة بيت المقدس في وقتها حق ثم قبلة الكعبة في وقتها حق الحديث^١.

ورواها الطبرسي في الاحتجاج^٢ والمشهدى في كنز الدقائق^٣ ثم جمع بينها وبين غيرها من الروايات.

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَنِ الْيَمَنِكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ)



إعلان استقلال الشريعة المحمدية عن الشرائع السابقة وأمتها عن الأمم السالفة بعد تغيير القبلة.

(وَ) استثنائية. (كَذَلِكَ) كاف التشبيه واسم الإشارة بمعنى مثل، مبتدأ.

(جَعَلْنَاكُمْ) فعل ماض وفاعله ومفعول به أول. خبر.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧ / ٤٩٢.

٢. الاحتجاج ١ / ٤٠.

٣. كنز الدقائق ١ / ٣٥٧.

- (أُمَّةٌ) مفعول به ثان. الأمة: الجماعة.
- (وَسَطًا) نعت لـ (أُمَّةٌ). يعني «كما سنحول القبلة لكم لنهديكم (إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)»^١.
- الوسط: هو المتوسط بين جانبي الإفراط والتفريط المذمومين وهو العدل والاعتدال في العقيدة والأحكام الشرعية والأخلاق.
- (إِ) حرف جر للتعليل، علة جعلهم (وَسَطًا).
- (تَكُونُوا) فعل مضارع ناقص منصوب بـ «أن» مضمرة بعد اللام واسمه.
- (شُهَدَاءَ) خبر (تَكُونُوا). بمعنى الشاهد والحجة.
- (عَلَى النَّاسِ) جار ومجرور متعلق بـ (شُهَدَاءَ).
- (وَ) عاطفة. (يَكُونُ) معطوف على (تَكُونُوا).
- (الرَّسُولُ) اسم (يَكُونُ) والمراد به الرسول الأعظم ٩.
- (عَلَيْكُمْ) جار ومجرور متعلق بـ (شُهَدَاءَ).
- (شُهَدَاءَ) خبر (يَكُونُ). (وَ) عاطفة. (مَا) نافية.
- (جَعَلْنَا) فعل ماض وفاعله. والمراد به الجعل التشريعي.
- (الْقِبْلَةَ) مفعول به أول. (الَّتِي) مفعول به ثان.
- (كُنْتَ) فعل ماض واسمه.
- (عَلَيْهَا) جار ومجرور متعلق بخبر (كُنْتَ)، أي (كُنْتَ) تصلي باتجاهها.
- (إِلَّا) أداة الحصر. (إِ) حرف جر للتعليل.
- (نَعْلَمُ) فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة وفاعله ضمير مستتر «نحن».
- الجار والمجرور متعلق بـ (جَعَلْنَا). (لِنَعْلَمَ): لِنُظْهِرَ.

- (مَنْ) اسم موصول، مفعول به (تَعْلَمَ).
- (يَتَّبِعُ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». (الرَّسُولَ) مفعول به.
- (مِمَّنْ) مكونة مِنْ «مِنْ» حرف جر بياني و «مَنْ» اسم موصول، جار ومجرور متعلق بحال محذوفة (مَنْ) في (مَنْ يَتَّبِعُ) تقديره: حال كونه (مِمَّنْ).
- (يَنْقَلِبُ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». الانقلاب: الرجوع إلى المكان الذي جاء منه والمراد به هنا الإعراض.
- (عَلَى عَقْبَيْهِ) جار ومجرور ومضاف إليه.
- (وَ) عاطفة. (إِنْ) مخففة من الثقيلة لا عمل بها.
- (كَانَتْ) فعل ماض ناقص واسمه «هي» مقدرة.
- (لِ) فارقة بين (إِنْ) المخففة وبين «إِنْ» النافية.
- (كَبِيرَةً) خبر (كَانَتْ). أي: الشديدة المخرجة للنفوس.
- (إِلَّا) أداة حصر. (عَلَى الَّذِينَ) جار ومجرور متعلق بـ (كَبِيرَةً).
- (هَدَى اللَّهُ) فعل ماض وفاعله.
- (وَ) حالية من الضمير الفاعلي في (تَعْلَمَ). (مَا) نافية.
- (كَانَ) فعل ماض ناقص. (اللَّهُ) اسم (كَانَ).
- (لِ) الجحد، تأكيد للنفي.
- (يُضِيعُ) فعل مضارع منصوب بـ «أَنْ» مضمرة بعد (لِ) وفاعله ضمير مستتر «هو»، خبر (كَانَ). الطاعة: اتلاف الشيء وابطال آثاره.
- (إِيْمَنْتُكُمْ) مفعول به ومضاف إليه. (إِنْ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد.
- (اللَّهُ) اسم (إِنْ). (بِالنَّاسِ) جار ومجرور متعلق بـ (رُءُوفٌ).
- (لِ) المزحقة، تأكيد.
- (رُءُوفٌ) خبر (إِنْ). الرأفة: الرحمة التي يختص بالمبتلى المفتاق.

(رَجِيمٌ) خبر ثان (إِنَّ). الرحمة العامة.

الروايات

خبر بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله 7 عن قول الله ﷻ (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) قال نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه قلت قول الله ﷻ (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) قال إيانا عنى خاصة (هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) في الكتب التي مضت (وَفِي هَذَا) القرآن (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ) ١ فرسول الله 9 الشهيد علينا بما بلغنا عن الله ﷻ ونحن الشهداء على الناس فمن صدق صدقناه يوم القيامة ومن كذب كذبنا يوم القيامة. ٢

صحيحة بريد العجلي قال: قلت لأبي جعفر 7 قول الله تبارك وتعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) قال: نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه وحججه في أرضه قلت قوله تعالى (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ٣ هُوَ الْخَيْرُ أَجْتَبَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) قال: إيانا عنى ونحن المجتوبون ولم يجعل الله تبارك وتعالى في الدين (مِنْ حَرَجٍ) فالخرج اشد من الضيق (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) إيانا عنى خاصة و (سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ) الله سمانا المسلمين (مِنْ قَبْلُ) في الكتب التي مضت (وَفِي هَذَا) القرآن (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) ٣ فرسول الله 9 الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالى ونحن الشهداء على الناس فمن صدق يوم القيامة

١. سورة الحج / ٧٨.

٢. الكافي / ١، ١٩٠، ح ٢.

٣. سورة الحج / ٧٧ و ٧٨.

صدقناه ومن كذب كذبناه.^١

وروا الصفار صدرها بسند صحيح في بصائر الدرجات.^٢

صحيحة بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر 7 قول الله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) قال: نحن الأئمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه.^٣

ورواها العياشي وفيات الكوفي في تفسيرهما^٤. وابن شهر آشوب في مناقبه.^٥

صحيحة أبي بصير عن أبي عبدالله 7 (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) قال: نحن الأئمة الوسط ونحن شهداؤه على خلقه وحجته في أرضه.^٦

خبر أبي بصير عن أبي عبدالله 7 في قول الله تبارك وتعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) قال: نحن الشهداء على الناس بما عندهم من الحلال والحرام وما ضيعوا منه.^٧

ورواها العياشي في تفسيره.^٨

صحيحة أبي بصير عن أبي عبدالله 7 في قول الله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) بما عندهم من الحلال والحرام وبما ضيعوا منه.^٩

١. الكافي ١/ ١٩١، ح ٤.

٢. بصائر الدرجات / ٦٣، ح ١١.

٣. بصائر الدرجات / ٨٢، ح ٣.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٦٠، ح ١١٤؛ وتفسير فرائد / ٦٢، ح ٢٦.

٥. المناقب ٤/ ١٧٩.

٦. بصائر الدرجات / ٨٣، ح ٥.

٧. بصائر الدرجات / ٨٢، ح ١.

٨. تفسير العياشي ١/ ١٦١، ح ١١٧.

٩. بصائر الدرجات / ٥١٦، ح ٤٥.

خبر عمر بن حنظلة قال: قلت: لأبي عبد الله 7 (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) قال: هم الأئمة. ١

ورواها العياشي في تفسيره. ٢

خبر ميمون البان عن أبي جعفر 7 في قوله تبارك وتعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) قال عدلا (لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) قال: الأئمة (وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) قال: على الأئمة. ٣

خبر ميمون البان مولى بني هشام عن أبي جعفر 7 في قول الله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) قال أبو جعفر منا شهيد على كل زمان علي بن أبي طالب في زمانه والحسن في زمانه والحسين في زمانه وكل من يدعو منا إلى أمر الله تعالى. ٤

مرفوعه أبي بصير قال سمعت أبا جعفر 7 يقول نحن نمط الحجاز فقلت وما نمط الحجاز قال أوسط الأنباط إن الله يقول (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) قال: ثم قال: إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصّر. ٥

مرفوعه أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله 7 قال: قال الله (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) فَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّ اللَّهَ عَنَى بِهَذِهِ الْآيَةِ جَمِيعَ أَهْلِ الْقَبْلَةِ مِنَ الْمُوحِدِينَ أَفْتَرَى أَنَّ مَنْ لَا يَجُوزُ شَهَادَتُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى صَاعٍ مِنْ تَمَرٍ يَطْلُبُ اللَّهُ شَهَادَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَقْبَلُهَا مِنْهُ بِحُضْرَةِ جَمِيعِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ

١. بصائر الدرجات / ٨٢، ح ٢.

٢. تفسير العياشي ١ / ١٦٠، ح ١١٦.

٣. بصائر الدرجات / ٨٢، ح ٤.

٤. تفسير فرات الكوفي ٦٢، ح ٢٧.

٥. تفسير العياشي ١ / ١٦٠، ح ١١٥.

كلا لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) ^١ وهم الأمة الوسطى وهم خير أمة أخرجت للناس. ^٢

مرفوعة ابن عمرو الزبيري عن أبي عبد الله ^٧ قال: قلت له ألا تخبرني عن الإيمان أقول هو وعمل أم قول بلا عمل فقال الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل، مفروض من الله مبين في كتابه واضح نوره، ثابتة حجته يشهد له بها الكتاب ويدعو إليه ولما أنَّ أصرف نبيه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبي أ رأيت صلاتنا التي كنا نُصلي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها، وما حال من مضى من أمواتنا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ) فسمى الصلاة إيمانا فمن اتقى الله حافظا لجوارحه موفيا كل جارحة بما فرض الله عليه، لقي الله مستكملا لإيمانه من أهل الجنة ومن خان في شيء منها أو تعدى ما أمر الله فيها لقي الله ناقص الإيمان. ^٣

رواها الكليني في الكافي ^٤ وعلي بن إبراهيم القمي في تفسيره ^٥ والقاضي نعمان المصري في دعائم الإسلام. ^٦

خبر المفضل بن عمر عن أبي عبد الله ^٧ قال في حديث: ومن كان في المسجد الحرام صلى إلى الكعبة إلى أي جوانبها شاء وأفضل ذلك أن يقف بين العمودين على البلاطة الحمراء ويستقبل الركن الذي فيه الحجر الأسود ومن كان فوق الكعبة

١. سورة آل عمران / ١١٠.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٦١، ح ١١٨.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٦١، ح ١١٩.

٤. الكافي ٢/ ٣٦.

٥. تفسير القمي ١/ ٣١.

٦. دعائم الإسلام ٨/ ١.

وحضرت الصلاة اضطجع وأو ما برأسه إلى البيت المعمور ومن كان فوق أبي قبيس استقبل الكعبة وصلى فان الكعبة قبله ما فوقها إلى السماء وصلى رسول الله ﷺ إلى البيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشرة سنة بمكة وتسعة عشر شهرا بالمدينة ثم عبرته اليهود فقالوا له إِنَّكَ تابع لقبلتنا فاغتم لذلك غما شديدا فلما كان في بعض الليل خرج ﷺ يقلب وجهه في آفاق السماء فلما أصبح صلى الغداة فلما صلى من الظهر ركعتين جاءه جبرئيل 7 فقال له (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) ١ الآية ثم أخذ بيد النبي ﷺ فحول وجهه إلى الكعبة وحول من خلفه وجوههم حتي قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال فكان أول صلاته إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة وبلغ الخبر مسجدا بالمدينة وقد صلى أهله من العصر ركعتين فحولوا نحو الكعبة فكانت أول صلاتهم إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة فسمي ذلك المسجد مسجدا القبليين فقال المسلمون صلاتنا إلى بيت المقدس تضيع يا رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) يعني صلاتكم إلى بيت المقدس. قال الصدوق عليه السلام: وقد أخرج الخبر في ذلك على وجهه في كتاب النبوة. ٢

ورواها القمي في تفسيره. ٣

صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله 7 قال: سألته عن قوله تعالى (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ) أمره به قال نعم إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يقلب وجهه في السماء فعلم الله ﷻ ما في نفسه فقال (قَدْ نَرَى

١. سورة البقرة / ١٤٤.

٢. الفقيه ١ / ٢٧٤، ح ٨٤٥.

٣. تفسير القمي ١ / ٦٢.

تَقْلَبُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلْتُؤَلِّبِنَّكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا ٢.١

الطوسي رفعه عن النبي ﷺ انه قال: (أُمَّةٌ وَسَطًا) عدلاً. ٣.

ورواها الرازي في روض الجنان ٤.

في رواية حمران عن أبيه أعيين عنه ٧ إنما أنزل الله (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) يعني عدلاً (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) قال: ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسول فأما الأمة فإنه غير جائز أن يستشهدها الله تعالى على الناس وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل. ٥.

ورواها القاضي نعمان المصري في دعائم الإسلام ٦.

مرفوعة أبي الورد عن أبي جعفر ٧ (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) قال: نحن

هم. ٧.

وروا نحوها عن عبد الله بن الحسين عن زين العابدين ٧ في المناقب ٨.

قال الطبرسي: روا أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا - وهو أعلم - فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم، وهو ﷺ يزكيهم. ٩.

١. سورة البقرة / ١٤٤.

٢. التهذيب ٢/ ٤٣، ح ٥.

٣. التبيان ٢/ ٦.

٤. روض الجنان ٢/ ١٩٧.

٥. المناقب ٤/ ١٧٩.

٦. دعائم الإسلام ١/ ٣٥.

٧. المناقب ٤/ ١٧٩.

٨. المناقب ٤/ ١٢٩.

٩. جوامع الجامع ١/ ٨٦.

رواها الزمخشري في الكشف^١ والفخر الرازي في تفسيره^٢ واستشكل فيها من وجوه ثلاثة والبيضاوي في تفسيره^٣ ومنا الميرزا محمد المشهدي في كنز الدقائق^٤ الرازي رفعه عن رسول الله ﷺ انه قال: الدين النصيحة.^٥ ثم قال الرازي: لعظم موقعها من الدين.

تفسير سعد بن عبدالله، برواية ابن قولويه عنه بإسناده إلى الصادق ٧ قال: قال أمير المؤمنين ٧: إن رسول الله لما بعث كانت القبلة إلى بيت المقدس على سنة بني إسرائيل وذلك أن الله تبارك وتعالى أخبرنا في القرآن أنه أمر موسى بن عمران ٧ أن يجعل بيته قبلة في قوله (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً)^٦ وكان رسول الله ﷺ على هذا يصلي إلى بيت المقدس مدة مقامه بمكة وبعد الهجرة أشهراً حتى عبرته اليهود وقالوا أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا وبيوت نبينا فاغتم رسول الله ﷺ لذلك وأحب أن يحول الله قبلته إلى الكعبة وكان ينظر في آفاق السماء ينتظر أمر الله فأنزل الله عليه (قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ)^٧ إلى قوله (لَعَلَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ)^٨ يعني اليهود ثم أخبر لأي علة لم يحول قبلته في أول النبوة فقال (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا) الآية فقالوا يا رسول الله فصلاتنا التي صليناها إلى بيت المقدس ما حالها فأنزل الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ

١. الكشف ١/ ١٩٩.

٢. التفسير الكبير ٤/ ١٠٠.

٣. تفسير البيضاوي ٤٣/ من طبع الحجري.

٤. كنز الدقائق ١/ ٣٦١.

٥. روض الجنان ٢/ ٢٠٧.

٦. سورة يونس / ٨٧.

٧. سورة البقرة / ١٤٤.

٨. سورة البقرة / ١٥٠.

رَحِيمٌ) وقال في موضع آخر فيما فرض الله على الجوارح من الطهور والصلاة وذلك ان الله تبارك وتعالى لما صرف نبيه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبي يا رسول الله أرأيت صلاتنا التي كنا نصلي إلى بيت المقدس ما حالها وحالنا فيها وحال من مضى من أمواتنا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله ﷻ (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) فسمى الله الصلاة إيمانا.^١

خبر الشعبي قال: قدمنا على الحجاج بن يوسف البصرة وكان الحسن آخر من دخل، ثم جعل الحجاج يذاكرنا وينتقص علينا وينال منه، فنلنا مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على إبهامه، فقال له الحجاج يا [أ]با سعيد ما لي أراك ساكتا فقال الحسن ما عسيت أن أقول قال الحجاج أخبرني برأيك في أبي تراب. فقال: الحسن سمعت الله يقول (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) فعلي ممن هدا [ه] الله ومن أهل الإيوان، وعلي ابن عم رسول الله وختنه على إبنته أحب الناس إليه، وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله، لا تستطيع أنت ردها ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه. وذكر الحديث.^٢

رواها ابن شهر آشوب في المناقب.^٣

خبر عبدالله بن عمرو الهدادي [كذا] قال: قال الحجاج للحسن ما تقول في أبي تراب قال ومن أبو تراب قال علي بن أبي طالب. قال: ان الله جعله من المهتدين. قال: هات على ما تقول برهاننا. قال: قال الله تعالى في كتابه (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ

١. بحار الأنوار ٨١/ ٧١ و ٦٦/ ٥١.

٢. شواهد التنزيل ١/ ١٢٠، ح ١٣١.

٣. المناقب ٣/ ٨٣.

عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ) . فكان علي أول من هداه الله مع النبي ٩ . قال: الحجاج ترابي عراقي . قال: الحسن هو ما أقول لك . فأمر بإخراجه قال: الحسن فلما سلمني الله تعالى منه وخرجت ذكرت عفو الله عن العباد. ١

وروا نحوها الزمخشري في الكشف. ٢

خبر سليم بن قيس الهلالي عن علي ٧ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِيَانَا عَنِي بِقَوْلِهِ (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) فرسول الله ٩ شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه . ونحن الذين قال الله جل اسمه فيهم (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) ٣ .

رواها ابن شهر آشوب في المناقب ٤ والطبرسي في مجمع البيان ٥ وجوامع الجامع ٦ .

(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۚ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) ﴿١٤٤﴾

«قال المفسرون: كانت الكعبة أحبَّ القبلتين إلى رسول الله ٩ ، فقال

١ . شواهد التنزيل ١/ ١٢١، ح ١٣٢ .

٢ . الكشف ١/ ٢٠١ .

٣ . شواهد التنزيل ١/ ١١٩ .

٤ . المناقب ٣/ ٨٧ .

٥ . مجمع البيان ١/ ٢٢٤ .

٦ . جوامع الجامع ١/ ٨٦ .

لجبريل 7 : «وددت أن الله صر فني عن قبلة اليهود إلى غيرها»، فقال له جبريل 7 :
إنما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك، فادع ربك وسله، ثم ارتفع جبريل 7
وجعل رسول الله 9 يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل ربه؛
فأنزل الله تعالى هذه الآية^١.

(قَدْ) «قد إذا دخلت على المضارع أفادت التقليل في كلام المخلوق، وهي دائماً
تفيد التحقق والثبوت إذا وردت في كلام الخالق»^٢.

(نَرَى) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». الرؤية: إدراك الشيء
بالبصر ثم تستعمل بمعنى العلم.

(تَقَلُّبٌ) مفعول به، التقلب: التحول من حال إلى حال.

(وَجْهَكَ) مضاف إليه ومضاف إليه ثان. والضمير الخطاب عائد إلى الرسول
الأعظم 9 وجهه المبارك (فِي السَّمَاءِ) من جهة إلى أخرى تطلُّعاً للوحي^٣.
(فِي السَّمَاءِ) جار ومجرور متعلق بـ(تَقَلُّبٌ).

(فَ) للتعقيب ولتأكيد الوعد بالصراحة بعد التمهيد لها بالكناية.

(لَ) تأكيد آخر.

(نُؤَيِّنُكَ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» ونون التأكيد الثقيلة
ومفعول به أول. أي لنوجهنك.
(قَبْلَهُ) مفعول به ثان.

(تَرَضَّيْنَهَا) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به.

١. مجمع البيان ٣/٢١٧، طبعة آل البيت.

٢. التفسير الكاشف ١/٢٢٨.

٣. مواهب الرحمن ٢/١٢٩.

الضمير الفاعلي عائد إلى الرسول الأعظم ﷺ والمفعولي إلى (قِبْلَةٍ).
(تَرْضَاهَا): تحبها.

(فَ) تفرعية. (وَلِ) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت».

(وَجْهَكَ) مفعول به ومضاف إليه.

(شَطْرَ) ظرف مكان متعلق بـ(وَلِ)، (شَطْرَ): نحو وتلقاء والجهة والناحية

والقسم من الشيء.

(الْمَسْجِدِ) مضاف إليه. (الْحَرَامِ) نعت لـ(الْمَسْجِدِ).

(وَ) عاطفة. (حَيْثُ) اسم شرط جازم، ظرف مكان متعلق بالجواب.

(مَا) زائدة، و (حَيْثُ) لا تجزم الا مع (مَا).

(كُنْتُمُ) فعل ماض ناقص واسمه في محل جزم فعل الشرط.

(فَ) واقعة في جواب الشرط.

(وَلَوْ) فعل أمر وفاعله في محل جزم جواب الشرط.

(وَجُوهَكُمْ) مفعول به ومضاف إليه.

(شَطْرَهُ) ظرف مكان متعلق بـ(وَلَوْ) ومضاف إليه. والضمير عائد إلى

(الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ).

(وَ) استئنافية. (إِنَّ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

(أَوْتُوا) فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله. (الَّذِينَ) اسم (إِنَّ).

(الْكُتُبَ) مفعول به، وهم اليهود والنصارى. (لِ) المزحقة، تأكيد.

(يَعْلَمُونَ) فعل مضارع وفاعله، خبر (إِنَّ).

(أَنَّهُ) حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد، والضمير عائد إلى (الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ) والبيت الذي فيه.

(الْحَقُّ) خبر (أَنَّهُ). أي أن إبراهيم هو الذي رفع قواعد البيت. وأن الكعبة

كانت قبلته.

(مِنْ رَبِّهِمْ) جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بحال محذوفة من (الْحَقُّ) أو في محل رفع خبرًا ثانيًا لـ (أَنَّهُ).

(و) استئنافية. (مَا) نافية. (اللَّهُ) اسم (مَا).

(ب) حرف جر زائد، تأكيد. (غَفِلَ) خبر (مَا).

(عَمَّا) مركبة من «عن» حرف جر و (مَا) موصولة، جار ومجرور متعلق بـ (غَفِلَ).

(يَعْمَلُونَ) فعل مضارع وفاعله.

الروايات

صحيحة زرارة عن أبي جعفر 7 قال: إذا استقبلت القبلة بوجهك فلا تقلب وجهك عن القبلة فتفسد صلاتك فإن الله ﷻ قال لنبيه 9 في الفريضة (فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) واخشع ببصرك ولا ترفعه إلى السماء وليكن حذاء وجهك في موضع سجودك.^١

ورواها الصدوق في الفقيه^٢ والطوسي في التهذيب^٣ والاستبصار^٤ ورواها العياشي في تفسيره^٥ والقاضي نعمان المصري في دعائم الإسلام^٦.

خبر اسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله 7 عن أمير المؤمنين 7 قال: إن رسول الله 6 لما بعث كانت الصلاة إلى بيت المقدس فكان في أول مبعثه يصلي إلى

١. الكافي ٣/٣٠٠، ح ٣.

٢. من لا يحضره الفقيه ١/٢٧٨، ح ٨٥٦.

٣. التهذيب ٢/١٩٩ و ٢٨٦.

٤. الاستبصار ١/٤٠٥.

٥. تفسير العياشي ١/١٦٢، ح ١٢٠.

٦. دعائم الإسلام ١/١٥٧.

بيت المقدس جميع أيام مقامه بمكة وبعد هجرته إلى المدينة بأشهر فغيرته اليهود وقالوا أنت تابع لقبلتنا فأنف رسول الله ﷺ ذلك منهم فأنزل الله تعالى عليه وهو يقلب وجهه في السماء وينتظر الأمر (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ) إلى قوله (لَعَلَّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ)^١ يعني اليهود في هذا الموضع ثم أخبرنا الله ﷻ العلة التي من أجلها لم يحول قبلته من أول مبعثه فقال تبارك وتعالى (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا) إلى قوله (لِرُءُوفٍ رَحِيمٍ)^٢ فسمى سبحانه الصلاة هاهنا إيماناً.^٣

النعمانى بإسناده عن الصادق عن آبائه : في قوله تعالى (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) قال: معنى شطره نحوه إن كان مرثياً وبالدلالات والأعلام إن كان محجوباً فلو علمت القبلة لوجب استقبالها والتولي والتوجه إليها ولو لم يكن الدليل عليها موجوداً حتى تستوي الجهات كلها فله حينئذ أن يصلي باجتهاده حيث أحب واختار حتى يكون على يقين من الدلالات المنصوبة والعلامات المثبوتة فإن مال عن هذا التوجه مع ما ذكرناه حتى يجعل الشرق غرباً والغرب شرقاً زال معنى اجتهاده وفسد حال اعتقاده قال وقد جاء عن النبي ﷺ خبر منصوص مجمع عليه أن الأدلة المنصوبة إلى بيت الله الحرام لا تذهب بكليتها حادثة من الحوادث من الله تعالى على عباده في إقامة ما افترض عليهم.^٤

علي بن إبراهيم القمي (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) ٥ فإنها

١. سورة البقرة / ١٥٠.

٢. سورة البقرة / ١٤٣.

٣. تفسير النعماني ونقل عنه علم الهدى الشريف المرتضى في رسالة المحكم والمتشابه كما في بحار الأنوار ٨١/٦٦، ح ٢١ و ٨/٩٠؛ ووسائل الشيعة ٤/٣٠٠؛ ومستدرک الوسائل ٣/١٧٢، ح ٦.

٤. تفسير النعماني ونقل عنه الشريف المرتضى في رسالة المحكم والمتشابه كما في بحار الأنوار ٩٠/٩٥؛ ووسائل الشيعة ٤/٣٠٨.

٥. سورة البقرة / ١١٥.

نزلت في صلاة النافلة فصلها حيث توجهت إذا كنت في سفر وأما الفرائض فقوله (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) يعني الفرائض لا يصلحها إلا إلى القبلة.^١
قال الطوسي: وقوله: (حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) روى عن أبي جعفر ٧ أن ذلك في الفرض وقوله: (فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) ٢ في النافلة.^٣
ونحوها في مجمع البيان^٤ وكنز الدقائق^٥.

الطوسي قال: وروي عن ابن عباس وأبي جعفر محمد بن علي ٧: أنه لما حوّل إلى الكعبة أتى رجل من عبد الأشهل من الأنصار وهم قيام يصلون الظهر وقد صلوا ركعتين نحو بيت المقدس فقال: إن الله قد صرف رسوله نحو البيت الحرام فصرفوا وجوههم نحو البيت الحرام في بقية صلاتهم.^٦
رواها الكاشاني في منهج الصادقين^٧.

خبر أبي عبيد الله بن علي قال: هذا كتاب جدي عبيد الله فقرأت فيه: أخبرني أبي عن علي بن موسى عن أبيه عن جده جعفر بن محمد عن آبائه عن علي بن أبي طالب : قال: لما صُرفت القبلة أتى رجل قومًا في الصلاة فقال: إن القبلة قد صُرفت فتحولوا وهم ركوع.^٨

المفيد قال: في النصف من رجب سنة اثنتين من الهجرة حوّلت القبلة من البيت

١. تفسير القمي ١/ ٥٩.

٢. سورة البقرة / ١١٥.

٣. التبيان ٢/ ١٦.

٤. مجمع البيان ١/ ٢٢٨.

٥. كنز الدقائق ١/ ٣٦٦.

٦. التبيان ٢/ ١٦.

٧. منهج الصادقين ١/ ٣٤٣.

٨. أمالي الطوسي، المجلس الثاني عشر، ح ٢٨/ ٣٣٨، رقم ٦٨٨.

المقدس إلى الكعبة وكان الناس في صلاة العصر فتحولوا فيها إلى البيت الحرام.^١
 خبر أبي البخري عن جعفر ٧ عن أبيه ٧ قال: إن رسول الله ﷺ استقبل
 بيت المقدس سبعة عشر شهراً، ثم صرف إلى الكعبة وهو في صلاة العصر.^٢
 أي: سبعة عشر شهراً في المدينة.

قال الطبرسي: «قيل: كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر
 شهرين ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة
 الظهر فتحول في الصلاة وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي
 المسجد مسجد القبلتين.^٣

وهكذا نقلها الزمخشري في الكشاف^٤ والثعلبي في تفسيره^٥ والبيضاوي في تفسيره^٦.
 وقال الكاشاني: «كان ذلك في يوم الاثنين منتصف رجب عام الإثنين بعد
 الهجرة».^٧

١. مسار الشيعة / ٣٥؛ ونقل عنه في وسائل الشيعة ٤/ ٣٠٢، ح ١٦.

٢. قرب الإسناد / ١٤٨، ح ٥٣٥؛ ونقل عنه في وسائل الشيعة ٤/ ٣٠٣، ح ١٧.

٣. جوامع الجامع ١/ ٨٧.

٤. الكشاف ١/ ٢٠٢.

٥. تفسير الثعلبي ٢/ ١٢.

٦. تفسير البيضاوي / ٤٤ من طبع الحجري.

٧. منهج الصادقين ١/ ٣٤١.

(وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ
وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ
الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) ﴿١٤٥﴾

تقريع لأهل الكتاب «بالعناد واللجاج، وأنَّ إياهم عن القبول ليس لخفاء الحق
عليهم، وعدم تبينه لهم، فإنهم عالمون بأنه حق علماً لا يخالطه شك، بل الباعث لهم على
بث الاعتراض وإثارة الفتنة عنادهم في الدين وجحودهم للحق، فلا ينفعهم حجة،
ولا يقطع إنكارهم آية»^١.

(و) عاطفة، عطف على قوله تعالى: (وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّهِمْ)^٢.

(ل) للقسم، و (مَا تَبِعُوا) جواب القسم.

(يَنْ) شرطية، وجوابه محذوف دلّ عليه جواب القسم.

(أَتَيْتَ) فعل ماض وفاعله، والخطاب للرسول الأعظم ٦.

(الَّذِينَ) اسم موصول، مفعول به.

(أُوتُوا) فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله.

(الْكِتَابَ) مفعول به، والمراد به (الْكِتَابَ) السماوي وبهم اليهود والنصارى.

(بِكُلِّ) جار ومجروره. (آيَةٍ) مضاف إليه، ودليل وبرهان واضح.

(مَا) نافية واقعة في جواب القسم. (تَبِعُوا) فعل ماض وفاعله.

١. الميزان ١/ ٣٢٦.

٢. سورة البقرة / ١٤٤.

(قَبَّلَتْكَ) مفعول به ومضاف إليه. لغلبة العناد واللجاج عليهم لإرتكاب السيئات.

(وَ) عاطفة. (مَا) نافية. (أَنْتَ) مبتدأ. خطاباً لرسول الله ٦.

(بِتَابِعِ) جار ومجرور، خبر.

(قَبَّلَهُمْ) مفعول به اسم فاعل (تَابِعِ) ومضاف إليه. والضمير عائد إلى (الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ)، «لأنك على بينة من ربك»^١.

(وَ) عاطفة. (مَا) نافية.

(بَعْضُهُمْ) مبتدأ ومضاف إليه، والضمير عائد إلى اليهود والنصارى وهم (الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ).

(بِتَابِعِ) خبر. (قَبَّلَهُ) مفعول به. (بَعْضِ) مضاف إليه.

(وَ) عاطفة. (لَيْنِ) معطوفة على (لَيْنِ) في أول الآية.

(اتَّبَعَتْ) فعل ماضٍ وفاعله. (أَهْوَاءَهُمْ) مفعول به ومضاف إليه.

(مَنْ بَعْدِ) جار ومجرور متعلق بـ (اتَّبَعَتْ). (مَا) موصولة، مضاف إليه.

(جَاءَكَ) فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. «تهديد

للنبي ٦ والمعنى متوجه إلى أمته»^٢. من باب إياك أعني واسمعي يا جاره.

(مَنْ أَلْعَلِمَ) «من» بياني ومجروره متعلق بحال محذوفة من (مَا) موصولة

تقديره: حال كونه (مَنْ أَلْعَلِمَ).

(إِنَّكَ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد واسمه.

(إِذَا) حرف جواب وجزاء ومكافاة. (لَ) لام المزحلقة، تأكيد.

١. الميزان ١/٣٢٦.

٢. الميزان ١/٣٢٦.

(مِنْ) حرف جر. (الظَّالِمِينَ) مجروره. جار ومجرور خبر (إِنَّكَ).
 (إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) جواب القسم المقدر وحذف جواب الشرط لأنَّ
 جواب القسم دَلٌّ عليه أو يكون جواب القسم قد سدَّ مسدَّ الجوابين.
 والجملة الأخيرة: «قضية عقلية برهانها معها، أي أنه إذا ثبت أنك على حق
 - كما هو الواقع - وكلَّ مَنْ خالف الحقَّ بعد ثبوته هو ظالم، فإنَّك لو خالفته لكنت من
 الظالمين، وقد ثبت في محله أنَّ صدق القضية الشرطية بصدق النسبة بين الطرفين، لا
 بتحقيق موضوعها في الخارج»^١.

روايتان

خبر أبي الجارود عن أبي جعفر 7 في قوله تعالى (وَقَالَتْ طَافَةُ مِّنْ أَهْلِ الْكَتَبِ
 ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)^٢ إنَّ
 رسول الله 6 لما قدم المدينة وهو يصلي نحو البيت المقدس أعجب اليهود من ذلك
 فلما صرفه الله عن بيت المقدس إلى بيت الحرام وجدت^٣ [اليهود من ذلك] وكان
 صرف القبلة صلاة الظهر فقالوا صلى محمد 6 الغداة واستقبل قبلتنا فـ(ءَامِنُوا
 بِالَّذِي أُنْزِلَ) على محمد (وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ) يعنون القبلة حين استقبل
 رسول الله 6 المسجد الحرام (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إلى قبلتنا.^٤
 صحيحة عبدالله بن سنان عن الصادق 7 أنه قال: إنَّ الله حُرِّمَات ثلاث ليس
 مثلهنَّ شيءٌ: كتابه وهو حكمته ونوره، وبيته الذي جعله قبلة للناس لا يقبل من أحد

١. مواهب الرحمن ٢/ ١٣٣.

٢. سورة آل عمران / ٧٢.

٣. وجدت: أي حزنت.

٤. تفسير القمي ١/ ١٠٥.

تَوَجَّهًا إِلَى غَيْرِهِ وَعَتَرَةً نَّبِيِّكُمْ ١.٦
ورواها في الخصال^٢ بسند معتبر آخر.

(الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ^ط
وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ﴿١٤٦﴾

«أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب أنهم يعرفون النبي ٦ كما يعرفون أبناءهم
وأن جماعة منهم يكتُمون الحق مع علمهم بأنه الحق»^٣.
(الَّذِينَ) اسم موصول، مبتدأ.
(ءَاتَيْنَهُمُ) فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به أول. أي أعطيناهم.
(الْكُتِبَ) مفعول به ثان.
(يَعْرِفُونَهُ) فعل مضارع وفاعله ومفعول به. خبر والضمير المفعولي راجع إلى
رسول الله ٦. «المعرفة: هي التي يتبين بها الشيء من غيره على جهة التفصيل»^٤.
(ك) حرف جر للتشبيه أو اسم بمعنى «مثل». (مَا) مصدرية.
(يَعْرِفُونَ) فعل مضارع وفاعله. (أَبْنَاءَهُمْ) مفعول به ومضاف إليه.
(وَ) استئنافية. (إِنَّ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد. (فَرِيقًا) اسمه.
(مِّنْهُمْ) «من» بياني، جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من (فَرِيقًا)، والضمير

١. أمالي الصدوق، المجلس الثاني والأربعون، ح ١٣/٣٦٦، ح ١٣؛ معاني الأخبار / ١١٧.

٢. الخصال / ١٤٦، ح ١٧٤.

٣. التبيان ٢ / ٢١.

٤. التبيان ٢ / ٢١.

عائد إلى (الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ).

(ر) لام المرحلة، تأكيد. (يَكْتُمُونَ) فعل مضارع وفاعله.

(الْحَقُّ) مفعول به والمراد به نبوة خاتم الأنبياء وشخصه 6.

(و) حالة. (هُمْ) مبتدأ.

(يَعْلَمُونَ) فعل مضارع وفاعله. خبر. «والعلم والمعرفة واحد. وحده ما اقتضى

سكون النفس، وهو الاعتقاد للشيء على ما هو به مع سكون النفس»^١.

الروايات

خبر الأصبع بن نباتة قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين 7 . فقال: يا أمير المؤمنين إن ناساً زعموا أن العبد لا يزني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن ولا يأكل الربا وهو مؤمن ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن فقد ثقل علي هذا وخرج منه صدري حين أزعم أن هذا العبد يصلي صلاتي ويدعو دعائي ويناكحني وأناكحه ويوارثني وأوارثه وقد خرج من الإيمان من أجل ذنب يسير أصابه. فقال أمير المؤمنين 7 صدقت سمعت رسول الله 6 يقول والدليل عليه كتاب الله.

خلق الله ﷻ الناس على ثلاث طبقات وأنزلهم ثلاث منازل وذلك قول الله ﷻ في الكتاب أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون فأما ما ذكر من أمر السابقين فإنهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين جعل الله فيهم خمسة أرواح روح القدس وروح الإيمان وروح القوة وروح الشهوة وروح البدن فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين وبها علموا الأشياء وبروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً وبروح

القوة جاهدوا عدوهم وعالجوا معاشهم وبروح الشهوة أصابوا لذيق الطعام ونكحوا الحلال من شباب النساء وبروح البدن دبوا ودرجوا فهو لاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم. ثم قال قال الله ﷻ (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) ^١ ثم قال في جماعتهم (وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ) ^٢ يقول أكرمهم بها ففضلهم على من سواهم فهو لاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم.

ثم ذكر أصحاب الميمنة وهم المؤمنون حقا بأعيانهم جعل الله فيهم أربعة أرواح روح الإيمان وروح القوة وروح الشهوة وروح البدن فلا يزال العبد يستكمل هذه الأرواح الأربعة حتى تأتي عليه حالات فقال الرجل يا أمير المؤمنين ما هذه الحالات فقال أما أولاهن فهو كما قال الله ﷻ (وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) ^٣ فهذا ينتقص منه جميع الأرواح وليس بالذي يخرج من دين الله لأن الفاعل به رده إلى أرذل عمره فهو لا يعرف للصلاة وقتا ولا يستطيع التهجد بالليل ولا بالنهار ولا القيام في الصف مع الناس فهذا نقصان من روح الإيمان وليس الفاعل به رده إلى أرذل يضره شيئا ومنهم من ينتقص منه روح القوة فلا يستطيع جهاد عدوه ولا يستطيع طلب المعيشة ومنهم من ينتقص منه روح الشهوة فلو مرت به أصبحا بنات آدم لم يحن إليها ولم يقم وتبقى روح البدن فيه فهو يدب ويدرج حتي يأتيه ملك الموت فهذا الحال خير لأن الله ﷻ هو الفاعل به وقد تأتي عليه حالات في قوته وشبابه فيهم بالخطيئة فيشجعه روح القوة ويزين له روح الشهوة ويقوده روح البدن حتي توقعه في

١. سورة البقرة / ٢٥٣.

٢. سورة المجادلة / ٢٢.

٣. سورة النحل / ٧٠.

الخطيئة فإذا لامسها نقص من الإيمان وتفصى منه فليس يعود فيه حتى يتوب فإذا تاب تاب الله عليه وإن عاد أدخله الله نار جهنم.

فأما أصحاب المشأمة فهم اليهود والنصارى يقول الله ﷻ (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ) يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) يعرفون محمداً والولاية في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم في منازلهم (وَأَنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) ١ إنك الرسول إليهم (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) ٢ فلما جحدوا ما عرفوا إبتلاهم الله بذلك فسلبهم روح الإيمان وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح روح القوة وروح الشهوة وروح البدن ثم أضافهم إلى الأنعام فقال (إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ) ٣ لأن الدابة إنما تحمل بروح القوة وتعتلف بروح الشهوة وتسير بروح البدن فقال له السائل أحييت قلبي بإذن الله يا أمير المؤمنين. ٤

رواها الصفار في بصائر الدرجات ٥ وابن شعبة الحراني في تحف العقول ٦.

صحيحة حريز عن أبي عبد الله ٧ قال: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى يقول الله تبارك وتعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ) يعني التوراة والإنجيل (يَعْرِفُونَهُ) يعني رسول الله ٦ (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) لأن الله ﷻ قد أنزل عليهم في التوراة والزبور والإنجيل صفة محمد ٦ وصفة أصحابه ومبعثه وهجرته وهو قوله (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ

١. سورة البقرة / (١٤٧-١٤٦).

٢. سورة البقرة / ١٤٧.

٣. سورة الفرقان / ٤٤.

٤. الكافي ٢/ ٢٨١، ح ١٦.

٥. بصائر الدرجات / ٤٤٩، ح ٦.

٦. تحف العقول / ١٨٨.

اللَّهُ وَرَضُونَا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۖ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ۖ هَٰذِهِ صِفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ۚ وَأَصْحَابِهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ عَرَفَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ كَمَا قَالَ جَل جلاله (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ) ٢ فكانت اليهود يقولون للعرب قبل مجيء النبي أيها العرب هذا أوان نبي يخرج بمكة ويكون هجرته بالمدينة وهو آخر الأنبياء وأفضلهم في عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة يلبس الشملة ويحتزي بالكسرة والتميرات ويركب الحمار العري ٣ وهو الضحوك القتال يضع سيفه على عاتقه ولا يبالي بمن لاقى يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر وليقتلنكم الله به يا معشر العرب قتل عاد، فلما بعث الله نبيه بهذه الصفة حسدوه وكفروا به كما قال الله (وَكَاثِبُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ) ٤، الحديث. ٥

القمي قال: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) الآية، فإن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام: هل تعرفون محمداً في كتابكم؟ قال: نعم والله نعرفه بالنعته الذي نعته الله لنا إذا رأيناه فيكم، كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه مع الغلمان، والذي يحلف به ابن سلام لأننا بمحمد هذا أشد معرفة مني بابني قال الله: (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ٦. ٧

١. سورة الفتح / ٢٩.

٢. سورة البقرة / ٨٩.

٣. أي بلا سرج.

٤. سورة البقرة / ٨٩.

٥. تفسير القمي ١/ ٣٣ (١/ ٥٩، ح ٣).

٦. سورة الأنعام / ١٢.

٧. تفسير القمي ١/ ٢٠٣ ونقل عنه في بحار الأنوار ١٥/ ١٨٠، ح ٢.

روا نظيرها الثعلبي في تفسيره^١ والزخشي في الكشف^٢ والبيضاوي في تفسيره^٣ والفخر الرازي في تفسيره^٤ والسيوطي في الدر المنثور^٥ والرازي في روض الجنان^٦ والكاشاني في منهج الصادقين^٧.

خبر جابر قال سألت أبا جعفر^٧ عن الروح قال يا جابر إن الله خلق الخلق على ثلاث طبقات وأنزلهم ثلاث منازل ويين ذلك في كتابه حيث قال (فَأَصْحَبُ أَلَمِيمَةً مَا أَصْحَبُ أَلَمِيمَةً * وَأَصْحَبُ أَلَمِيمَةً * وَالسَّيْقُونَ أَلَمِيمُونَ)^٨ فأما ما ذكر من السابقين فهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين جعل الله فيهم خمسة أرواح روح القدس وروح الإيمان وروح القوة وروح الشهوة وروح البدن وبين ذلك في كتابه حيث قال: (تِلْكَ أَلُورُسلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)^٩ ثم قال في جميعهم (وَأَيَّدْنَاهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ)^{١٠} فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين وبروح القدس علموا جميع الأشياء وبروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً وبروح القوة جاهدوا عدوهم وعالجوا معاشهم وبروح الشهوة أصابوا لذة الطعام ونكحوا الحلال من النساء وبروح البدن يدب ويدرج وأما ما ذكرت من أصحاب الميمنة فهم المؤمنون

١. الكشف والبيان ١٣/٢.

٢. الكشف ١/٢٠٤.

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل / ٤٤ من طبع الحجري.

٤. تفسير فخر الرازي ٤/١٢٨.

٥. الدر المنثور ١/١٤٧.

٦. روض الجنان ١٥/١٨٠، ح ٢.

٧. منهج الصادقين ١/٣٤٦.

٨. سورة الواقعة (١٠-٨).

٩. سورة البقرة / ٢٥٣.

١٠. سورة المجادلة / ٢٢.

حقا جعل فيهم أربعة أرواح روح الإيمان وروح القوة وروح الشهوة وروح البدن ولا يزال العبد مستعملا بهذه الأرواح الأربعة حتى يهيم بالخطيئة فإذا هم بالخطيئة زين له روح الشهوة وشجعه روح القوة وقاده روح البدن حتى يوقعه في تلك الخطيئة فإذا لامس الخطيئة انتقص من الإيمان وانتقص الإيمان منه فإن تاب تاب الله عليه وقد يأتي على العبد تارات ينقص منه بعض هذه الأربعة وذلك قول الله تعالى (وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمرِ لِكَيَّ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) ^١ فتنتقص روح القوة ولا يستطيع مجاهدة العدو ولا معالج المعيشة وينتقص منه روح الشهوة فلو مرت به أحسن بنات آدم لم يحن إليها وتبقى فيه روح الإيمان وروح البدن فبروح الإيمان يعبد الله وبروح البدن يدب ويدرج حتى تأتيه ملك الموت وأما ما ذكرت أصحاب المشئمة فمنهم أهل الكتاب قال الله تبارك وتعالى (الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ^٢ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ^٣ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) ^٢ عرفوا رسول الله ﷺ والوصي من بعده وكنتموا وما عرفوا من الحق بغيا وحسدا فيسلبهم روح الإيمان وجعل لهم ثلاثة أرواح روح القوة وروح الشهوة وروح البدن ثم أضافهم إلى الأنعام فقال: (إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ^٤ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) ^٣ لأن الدابة إنما تحمل بروح القوة وتعتلف بروح الشهوة ويسير بروح البدن. ^٤

ذكر الشيخ أبو الفتوح الرازي في روض الجنان ^٥ و الملا فتح الله الكاشاني في تفسيره منهج الصادقين ^٦ حديثين في إقرار أهل الكتاب بنبو نبينا ﷺ، وراجع إن شئت في هذا المبحث إلى

١. سورة النحل / ٧٠.

٢. سورة البقرة / (١٤٧-١٤٦).


٣. سورة الفرقان / ٤٤.

٤. بصائر الدرجات / ٤٤٧، ح ٥.

٥. روض الجنان ٢ / ٢١٦.

٦. منهج الصادقين ١ / ٣٤٧.

بحار الأنوار^١.

(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) 

تأكيد للآية السابقة وتشديد في النهي عن الشك والإرتياب في نبوة خاتم الأنبياء ٦.

(الْحَقُّ) خبر مبتدأ محذوف وتقديره محمد رسول الله ٦ (الْحَقُّ).
(مِنْ رَبِّكَ) جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بالحال المحذوف والضمير
الخطاب عائد إلى الرسول الأعظم ٦ والتفات من الغياب في الآية السابقة إلى
الخطاب في هذه الآية.
(فَ) حرف تسييب.

(لَا تَكُونَنَّ) فعل نهي ناقص ونون التأكيد الثقيلة واسمه ضمير مستتر «أنت».
«ظاهر الخطاب لرسول الله ٦ ومعناه للأمة»^٢.
(مِنْ الْمُمْتَرِينَ) جار ومجرور خبر فعل نهي ناقص. الامتراء: الشك.

الروايات

قال الثعلبي: قرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) نصباً على
الأغراء^٣.

قال الزمخشري: قرأ علي ٢: (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) على الإبدال من الأول، أي

١. بحار الأنوار ١٥/ ١٧٤ (٧/ ١١٢).

٢. الميزان ١/ ٣٢٧.

٣. الكشف والبيان ٢/ ١٣.

يكتُمون الحقَّ، الحقَّ من ربك. ١

قال الفخر الرازي: قرأ علي 2 (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) على الإبدال من الأوّل أي

يكتُمون الحقَّ من ربك. ٢

قد مضت الروايات الواردة في ذيلها في الآية السابقة فراجعها.

(وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِنَّ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ﴿١٤٨﴾

يظهر من الآية الشريفة «أنّ كل قوم فلهم قبلة مشرعة على حسب ما يقتضيه مصالحهم وليس حكمًا تكوينيًا ذاتيًا لا يقبل التغير والتحويل، فلا يهمّ لكم البحث والمشاجرة فيه، فاتركوا ذلك واستبقوا الخيرات وسارعوا إليها بالإستباق، فإنّ الله سيجمعكم إلى يوم لا ريب فيه» ٣.

(وَ) عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: (الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) ٤.

(لِكُلِّ) جار ومجرور خبر مقدم. أي (لِكُلِّ) إنسان أو فريق بحذف مضاف إليه.

(وَجْهَةٌ) مبتدأ مؤخر. أي: ما يتوجه إليه كالقبلة والأمر الخارجية التكوينية

١. الكشف ١/ ٢٠٤.

٢. التفسير الكبير ٤/ ١٣٠.

٣. الميزان ١/ ٣٢٧.

٤. سورة البقرة / ١٤٦.

والعلائق الشخصية والاتجاهات الاجتماعية.

(هُوَ) مبتدأ، عائد إلى مضاف إليه (كُلِّ) المحذوف.

(مُؤَلِّيًا) خبر ومضاف إليه. الضمير عائد إلى (وَجْهَةٌ) وجملة (هُوَ مُؤَلِّيًا)

نعت لـ (وَجْهَةٌ). (مُؤَلِّيًا): مقبلٌ عليها وملازم لها.

(فَ) تفرعية، على تعدد وجهات النظر والمقاصد.

(اسْتَبَقُوا) فعل أمر وفاعله. إفتعال من السبق: التقدم.

(الْخَيْرَاتِ) منصوب بنزع الخافض تقديره: إلى (الْخَيْرَاتِ). و (الْخَيْرَاتِ) جمع

خير وهو أعم من العمل الصالح والبر.

(أَيْنَ) اسم شرط جازم في محل نصب ظرف مكان يدل على العموم متعلق

بجوابه والجملة في مقام تعليل الأمر بالاستباق.

(مَا) زائدة.

(تَكُونُوا) فعل مضارع تام مجزوم وفاعله. فعل الشرط، أي في أي موضع

توجدون من مواقع الخير والشر.

(يَأْتِ) فعل مضارع مجزوم، جواب الشرط، الإتيان بالشيء: جلبه.

(بِكُمْ) جار ومجرور متعلق بـ (يَأْتِ).

(اللَّهُ) فاعل (يَأْتِ). أي في يوم القيامة يجمعكم مع أعمالكم.

(جَمِيعًا) حال من ضمير (بِكُمْ). (إِنَّ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

(اللَّهُ) اسم (إِنَّ). (عَلَى كُلِّ) جار ومجرور متعلق بـ (قَدِيرٌ).

(شَيْءٍ) مضاف إليه.

(قَدِيرٌ) خبر (إِنَّ). أي (إِنَّ اللَّهَ) قادر على الإتيان بالخلق وبعثهم بعد الموت.

الروايات

صحيحة أبي خالد عن أبي جعفر 7 في قول الله ﷻ (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا

تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا) قال الخيرات الولاية وقوله تبارك وتعالى (أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا) يعني أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلا قال وهم والله الأمة المحدودة قال يجتمعون والله في ساعة واحدة قزع كقزع الخريف.^١

صحیحة أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر 7 في حديث يذكر فيه خروج القائم 7 قال: ثم ينتهي إلى المقام فيصلي ركعتين وينشد الله حقه. ثم قال أبو جعفر 7: هو والله المضطر في قوله (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ)^٢ فيكون أول من يبايعه جبرئيل، ثم الثلاث مائة والثلاثة عشر رجلاً، فمن كان ابتلي بالمسير وافاه ومن لم يُبْتَلْ بالمسير فُقد عن فراشه وهو قول أمير المؤمنين 7: هم المفقودون عن فُرُشهم، وذلك قول الله (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ^٣ أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا): قال: الخيرات: الولاية.^٣

العياشي رفعه عن أبي سميئة عن مولى لأبي الحسن قال: سألت أبا الحسن 7 عن قوله (أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا) قال وذلك والله أن لو قد قام قائمنا يجمع الله إليه شيعتنا من جميع البلدان.^٤

العياشي رفعه عن جابر الجعفي عن أبي جعفر 7 يقول الزم الأرض لا تحركن يدك ولا رجلك أبداً حتى ترى علامات أذكرها لك في سنة، وترى مناديا ينادي بدمشق، وخسف بقرية من قرآها، ويسقط طائفة من مسجدها، فإذا رأيت الترك جازوها فأقبلت الترك حتى نزلت الجزيرة وأقبلت الروم حتى نزلت الرملة، وهي سنة اختلاف في كل أرض من أرض العرب، وأن أهل الشام يختلفون عند ذلك على

١. الكافي ٨/٣١٣، ح ٤٨٧.

٢. سورة النمل / ٦٢.

٣. تفسير القمي ٢/٢٠٥.

٤. تفسير العياشي ١/١٦٦، ح ١٢٢.

ثلاث رايات الأصهب والأبقع والسفياي، مع بني ذنب الحمار مضر، ومع السفياي أخواله من كلب فيظهر السفياي ومن معه على بني ذنب الحمار حتى يقتلوا قتلا، لم يقتله شيء قط ويحضر رجل بدمشق فيقتل هو ومن معه قتلا لم يقتله شيء قط وهو من بني ذنب الحمار، وهي الآية التي يقول الله تبارك وتعالى (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ)^١ ويظهر السفياي ومن معه حتى لا يكون همه إلا آل محمد ﷺ وشيعتهم، فيبعث بعثا إلى الكوفة، فيصاب بأناس من شيعة آل محمد بالكوفة قتلا وصلبا وتقبل رآية من خراسان حتى تنزل ساحل الدجلة يخرج رجل من الموالي ضعيف ومن تبعه، فيصاب بظهر الكوفة، ويبعث بعثا إلى المدينة فيقتل بها رجلا ويهرب المهدي والمنصور منها، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم لا يترك منهم أحد إلا حبس ويخرج الجيش في طلب الرجلين ويخرج المهدي منها على سنة موسى خائفا يترقب حتى يقدم مكة وتقبل الجيش حتى إذا نزلوا البيداء وهو جيش الهملات خسف بهم فلا يفلت منهم إلا مخبر فيقوم القائم بين الركن والمقام فيصلي وينصرف ومعه وزيره، فيقول يا أيها الناس إنا نستنصر الله على من ظلمنا وسلب حقنا من يحاجنا في الله فإننا أولى بالله ومن يحاجنا في آدم فانا أولى الناس بآدم، ومن حاجنا في نوح فإننا أولى الناس بنوح، ومن حاجنا في إبراهيم فإننا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجنا بمحمد ﷺ فإننا أولى الناس بمحمد ﷺ، ومن حاجنا في النبيين فنحن أولى الناس بالنبيين ومن حاجنا في كتاب الله فنحن أولى الناس بكتاب الله، أنا نشهد وكل مسلم اليوم أننا قد ظلمنا وطردنا وبغي علينا وأخرجنا من ديارنا وأموالنا وأهاليينا وقهرنا، إلا أننا نستنصر الله اليوم وكل مسلم ويحيي، والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فيهم خمسون امرأة يجتمعون بمكة على غير ميعاد قزعا كقزع الخريف يتبع بعضهم بعضا

وهي الآية التي قال الله (أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فيقول رجل من آل محمد 6 وهي القرية الظالمة أهلها ثم يخرج من مكة هو ومن معه الثلاثمائة وبضعة عشر يبائعونه بين الركن والمقام، ومعه عهد نبي الله ورأيته وسلاحه ووزيره معه، فينادي المنادي بمكة باسمه وأمره من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كلهم اسمه اسم نبي، ما أشكل عليكم فلم يشكل عليكم عهد نبي الله 6 ورأيته وسلاحه والنفس الزكية من ولد الحسين، فإن أشكل عليكم هذا فلا يشكل عليكم الصوت من السماء باسمه وأمره وإياك وشذاذ من آل محمد، فإن لآل محمد وعلي رأية ولغيرهم رايات، فالزم الأرض ولا تتبع منهم رجلاً أبداً حتى ترى رجلاً من ولد الحسين، معه عهد نبي الله ورأيته وسلاحه فإن عهد نبي الله صار عند علي بن الحسين، ثم صار عند محمد بن علي ويفعل الله ما يشاء فالزم هؤلاء أبداً وإياك ومن ذكرت لك فإذا خرج رجل منهم معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ومعه رأية رسول الله 6 عامداً إلى المدينة حتى يمرّ بالبيداء حتى يقول: هنا مكان القوم الذين يُحَسِّفُ بهم وهي الآية التي قال الله: (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) ١.

فإذا قدم المدينة أخرج محمد بن الشجري على سنة يوسف 7 ثم يأتي الكوفة فيطيل بها المكث ما شاء الله أن يمكث حتى يظهر عليها ثم يسير حتى يأتي العذراء ٢ هو ومن معه وقد ألحق به ناس كثير والسفياي يومئذٍ بوادي الرملة حتى إذا التقوا - وهو يوم الإبدال - يخرج أناس كانوا مع السفياي من شيعة آل محمد إلى آل محمد : ويخرج ناس كانوا مع آل محمد إلى السفياي فهم من شيعة حتى يلحقوا بهم ويخرج كل

١. سورة النحل / ٤٥ و ٤٦.

٢. العذراء: وهي قرية بغوطة دمشق من اقليم خولان. (معجم البلدان ٤/ ١٠٣).

ناس إلى رايتهم وهو يوم الإبدال: قال أمير المؤمنين 7 : وَيُقْتَلُ يَوْمَئِذٍ السَّيْفَانِي وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى لَا يَتْرَكَ مِنْهُمْ مَخْبَرٌ وَالْخَائِبُ يَوْمَئِذٍ مَنْ خَابَ مِنْ غَنِيمَةِ كَلْبٍ، ثُمَّ يَقْبَلُ إِلَى الْكَوْفَةِ فَيَكُونُ مَنْزِلُهُ بِهَا، فَلَا يَتْرَكَ عَبْدًا مُسْلِمًا إِلَّا اشْتَرَاهُ وَأَعْتَقَهُ وَلَا غَارِمًا إِلَّا قَضَى دَيْنَهُ وَلَا مَظْلَمَةً لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا رَدَّهَا، وَلَا يَقْتُلُ مِنْهُمْ عَبْدٌ إِلَّا أَدَّى ثَمَنَهُ، دِيَّةً مُسَلَّمَةً إِلَى إِهْلَاهَا وَلَا يَقْتُلُ قَتِيلًا إِلَّا قَضَى عَنْهُ دَيْنَهُ وَأَلْحَقَ عِيَالَهُ فِي الْعَطَاءِ حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجورًا وعدوانًا.

ويسكن هو وأهل بيته الرُّحْبَةُ والرُّحْبَةُ إِنَّمَا كَانَتْ مَسْكَنُ نوح 7 وهي أرض طيبة ولا يسكن رجل من آل محمد : وَلَا يُقْتَلُ إِلَّا بِأَرْضٍ طَيِّبَةٍ زَاكِيَةٍ فَهُمْ الْأَوْصِيَاءُ الطَّيِّبُونَ.^١

خبر المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله 7 : إِذَا أُذِنَ لِلْإِمَامِ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعِبْرَانِي فَأُتِيَتْ لَهُ صَحَابَتُهُ الثَّلَاثُمِائَةِ وَثَلَاثَةُ عَشَرَ قَرْعَ كَقَرْعِ الْخَرِيفِ فَهُمْ أَصْحَابُ الْأُلُويَةِ مِنْهُمْ مَنْ يَفْقِدُ مِنْ فَرَاشِهِ لَيْلًا فَيَصْبِحُ بِمَكَّةَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى يَسِيرَ فِي السَّحَابِ نَهَارًا يَعْرِفُ بِاسْمِهِ وَاسْمَ أَبِيهِ وَحَلِيتِهِ وَنَسَبِهِ قُلْتُ: جَعَلْتَ فِدَاكَ أَيُّهُمْ أَكْبَرُ إِيْمَانًا؟ قَالَ: الَّذِي يَسِيرُ فِي السَّحَابِ نَهَارًا وَهُمْ الْمَفْقُودُونَ وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (أَيَّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ اللَّهُ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا).^٢

خبر أبي بصير عن أبي عبد الله 7 في قوله (فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا) قال نزلت في القائم وأصحابه يجتمعون على غير ميعاد.^٣

خبر أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين أو عن محمد بن علي 8 أنه قال الفقهاء قوم يفقدون من فرشهم فيصبحون بمكة وهو قول الله ﷻ (أَيَّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ

١. تفسير العياشي ١/ ١٦٢، ح ١٢١.

٢. الغيبة للنعماني ٣/ ٣١٢، ح ٣.

٣. الغيبة للنعماني ٢/ ٢٤١، ح ٣٧.

بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا) وهو أصحاب القائم ٧. ١

خبر محمد بن مسلم عن أبي جعفر ٧ في قوله تعالى (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)^٢ قال: نزلت في القائم ٧ وكان جبرئيل ٧ على الميزاب في صورة طير أبيض فيكون أول خلق الله مبايعة له أعني جبرئيل ويبايعه الناس الثلاثمائة وثلاثة عشر فمن كان ابتلي بالمسير وافى في تلك الساعة ومن لم يبتل بالمسير فُقد من فراشه وهو قول أمير المؤمنين علي ٧ المفقودون من فرشهم وهو قول الله ﷻ (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) قال الخيرات الولاية لنا أهل البيت.^٣

خبر عبدالعظيم بن عبدالله الحسني قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى ٧ إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً فقال ٧ يا أبا القاسم ما منا إلا وهو قائم بأمر الله ﷻ وهاد إلى دين الله ولكن القائم الذي يطهر الله ﷻ به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملؤها عدلاً وقسطاً هو الذي تخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ويحرم عليهم تسميته وهو سمي رسول الله ﷺ وكنيته وهو الذي تطوى له الأرض ويذل له كل صعب ويجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض وذلك قول الله ﷻ (أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله ﷻ فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضي الله ﷻ قال عبدالعظيم فقلت له يا سيدي وكيف يعلم أن الله ﷻ قد رضي قال يلقي في قلبه الرحمة

١. الغيبة للنعماني / ٣١٣، ح ٤.

٢. سورة النمل / ٦٢.

٣. الغيبة للنعماني / ٣١٤، ح ٦.

فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما.^١

روا نحوها أبو منصور الطبرسي في الاحتجاج.^٢

خبر المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله 7 لقد نزلت هذه الآية في المفتقين من أصحاب القائم 7 قوله ﷺ (أَيَّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا) إِيَّاهُمْ ليفتقدون عن فرشهم ليلا فيصبحون بمكة وبعضهم يسير في السحاب يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه، قال: قلت: جعلت فداك أيهم أعظم إيمانًا؟ قال: الذي يسير في السحاب نهارة.^٣

خبر أبي خالد الكابلي عن سيّد العابدين علي بن الحسين 7 قال: المفقودون عن فرشهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا عدة أهل بدر فيصبحون بمكة وهو قول الله ﷻ (أَيَّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا) وهم أصحاب القائم 7.^٤

المفيد رفعه عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر الجعفي عن أبي جعفر 7 في حديث طويل قول: والقائم ﷺ يومئذ بمكة قد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيرًا به ينادي: «يا أيها الناس إننا نستنصر الله ومن أجابنا من الناس، فإننا أهل بيت نبيكم ونحن أولى الناس بالله وبمحمد 6، فمن حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم 7 ومن حاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح ومن حاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم 7 ومن حاجني في محمد 6 فأنا أولى الناس بمحمد 6 ومن حاجني في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين. أليس الله يقول في محكم كتابه: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ

١. كمال الدين وتمام النعمة / ٣٧٧، ح ٢.

٢. الاحتجاج ٢/ ٤٤٩.

٣. كمال الدين وتمام النعمة / ٦٧٢، ح ٢٤.

٤. كمال الدين وتمام النعمة / ٦٥٤، ح ٢١.

وَتُوحَاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^١
فأنا بقية من آدم و [ذ]خيرة من نوح ومصطفى من إبراهيم وصفوة من محمد 6،
ألا ومن حاجني في كتاب الله فأنا أولى بكتاب الله، ألا ومن حاجني في سنة
رسول الله 6 وسيرته فأنا أولى الناس بسنة رسول الله وسيرته، فأنشد الله من سمع
كلامي اليوم لما أبلغه الشاهد منكم الغائب وأسألكم بحق الله وحق رسوله وحقي فإن
لي عليكم حق القريبى برسول الله لما أعتتمونا ومنعتمونا ممن يظلمنا فقد أخفنا وظلمنا
وطردنا من ديارنا وأبناءنا وبغي علينا ودفعنا عن حقنا وأثر علينا أهل الباطل. فالله الله
فيما لا نتخذلونا وانصرونا ينصركم الله»، فيجمع الله له أصحابه ثلاث مائة وثلاثة عشر
رجلاً فيجمعهم الله له على غير ميعاد قزعا كقزع الخريف وهي يا جابر الآية التي
ذكرها الله (إِنَّ مَا تَكُونُوا يَأْتِي بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فيبايعونه بين
الركن والمقام ومعه عهد من رسول الله 6 قد توارثه الأنبياء عن الآباء، والقائم يا
جابر رجل من ولد الحسين بن علي صلى الله عليهما يصلح الله له أمره في ليلة، فما أشكل
على الناس من ذلك يا جابر ولا يشكلن عليهم ولادته من رسول الله 6 وورائته
العلماء عالماً بعد عالم، فإن أشكل عليهم هذا كله فإن الصوت من السماء لا يشكل
عليهم إذا نودي باسمه واسم أبيه واسم أمه^٢.

قد مرّ منا من العياشي نظيرها وروا آخرها المشهدي في كنز الدقائق^٣ عن الشيخ المفيد في كتاب
الغيبة مسنداً.

خبر أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله 7 يقول كان أمير المؤمنين 7 يقول لا
يزال الناس ينقصون حتى لا يقال الله فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه

١. سورة آل عمران / ٣٣ و ٣٤.

٢. الاختصاص / ٢٥٦.

٣. كنز الدقائق / ١ / ٣٧٢.

فبيعت الله قوما من أطرافها ويحيئون قرعا كقزع الخريف والله إنّي لأعرفهم وأعرف أسماءهم وقبائلهم واسم أميرهم ومناخ ركا بهم وهم قوم يحملهم الله كيف شاء من القبيلة الرجل والرجلين حتى بلغ تسعة فيتوافون من الآفاق ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا عدة أهل بدر وهو قول الله (أَيَّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) حتى أنّ الرجل ليحتبي فلا يحل حبوته حتى يبلغه الله ذلك.^١

قال الطوسي: قرأ ابن عامر و ابوبكر عن عاصم (مولاها) وروي ذلك عن ابن عباس ومحمد بن علي 7 فجعلوا الفعل واقعا عليه. والمعنى واحد. كذا قال الغراء.^٢

ونحوها في مجمع البيان.^٣

الطبرسي الإمامي بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله أنّه قال في حديث طويل: وإنّ أصحاب القائم يلقي بعضهم بعضا كأنّهم يقولون وإنّ افترقوا عشاء والتقوا غدوة وذلك تأويل هذه الآية (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ^٤ أَيَّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) قال أبو بصير قلت جعلت فداك ليس على الأرض يومئذ مؤمن غيرهم قال بلى ولكن هذا لتي يخرج الله فيها القائم وهم النجباء والقضاة والحكام والفقهاء في الدين يمسح الله بطونهم وظهورهم فلا يشتبه عليهم حكم.^٥

قال الطبرسي: روى في أخبار أهل البيت : أنّ المراد به أصحاب المهدي في آخر الزمان، قال الرضا 7: وذلك والله أن لو قام قائمنا يجمع الله إليه جميع شيعتنا من جميع البلدان (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أي هو قادر على جمعكم وحشركم وعلى كل

١. الغيبة للطوسي / ٢٨٤.

٢. التبيان ٢/ ٢٣.

٣. مجمع البيان ١/ ٢٣٠.

٤. دلائل الإمامة / ٥٦٢، ح ١٣٠.

شيء^١.

وذكر صدر هذه الكلام في جوامع الجامع^٢ وروا نحو ما في المجمع، والكاشاني في منهج الصادقين^٣.

الفيض الكاشاني قال: وفي أخبار أهل البيت : أن المراد به أصحاب المهدي^{عليه السلام} في آخر الزمان^٤.

وقال الفيض: ورد أنها نزلت في أصحاب القائم وإثم المفتقدون من فرشهم ليلاً فيصبحون بمكة وبعضهم يسير في السحاب نهراً، نعرف اسمه واسم أبيه وحليته ونسبه^٥.

ابن محبوب رفعه إلى أبي جعفر ٧ قال: إذا خسف بجيش السفيناني إلى أن قال والقائم يومئذ بمكة عند الكعبة مستجيراً بها يقول أنا ولي الله أنا أولى بالله وبمحمد ٦ فمن حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم ومن حاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح ومن حاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم ومن حاجني في محمد فأنا أولى الناس بمحمد ومن حاجني في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين إن الله تعالى يقول (إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ٦ فأنا بقية آدم وخيرة نوح ومصطفى إبراهيم وصفوة محمد إلا ومن حاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله ألا ومن حاجني في سنة رسول الله فأنا

١. مجمع البيان ١/ ٢٣١.

٢. جوامع الجامع ١/ ٨٩.

٣. منهج الصادقين ١/ ٣٤٩.

٤. الصافي ٥٣، طبع الحجري.

٥. الأصفى ٥٨.

٦. سورة آل عمران ٣٣ و ٣٤.

أولى الناس بسنة رسول الله وسيرته وأنشد الله من سمع كلامي لما يبلغ الشاهد الغائب فيجمع الله له أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فيجمعهم الله على غير ميعاد قرع كقزع الخريف ثم تلا هذه الآية (أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) فيبايعونه بين الركن والمقام ومعه عهد رسول الله ﷺ قد تواترت عليه الآباء فإن أشكل عليهم من ذلك شيء فإن الصوت من السماء لا يشكل عليهم إذا نودي باسمه واسم أبيه.^١

الفخر الرازي قال: روي عن علي بن أبي طالب ² عن النبي ﷺ أنه قال: يا علي ثلاث لا تؤخرها: الصلاة إذا أتت والجنابة إذا حضرت والأيم إذا وجدت لها كفواً.^٢

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ



لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

ورد الأمر باستقبال المسجد الحرام مرتان في الآية ١٤٤ ومرة في هذه الآية ومرتان في الآية الآتية ويصير المجموع خمس مرات من دون فصل طويل للإهتمام به والتأكيد والتثبيت لأمر القبلة الحديثة وحيث نُسخَت القبلة السابقة يصير من مواضع التأكيد حتى يكون المكلف على يقين من أمره.

(و) عاطفة، عطفت مابعد على قوله: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)^٣.

(مِنْ) حرف جر.

١. بحار الأنوار ٥٢/٣٠٥، ح ٧٨ (٢١/٤٨٥).

٢. التفسير الكبير ٤/١٣٤.

٣. سورة البقرة / ١٤٤.

(حَيْثُ) اسم مبني على الضم في محل جر، الجار والمجرور متعلق بـ(وَلِ). أي: من كل مكان.

(خَرَجَتْ) فعل ماضٍ وفاعله. والخطاب للرسول الأعظم ٦ (خَرَجَتْ) مسافراً، يمكن أن يبين حكم القبلة في السفر والآية ١٤٤ حكمها في الحضر.

(فَ) تفرعية. (وَلِ) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت».

(وَجْهَكَ) مفعول به ومضاف إليه. (شَطْرَ) ظرف مكان متعلق بـ(وَلِ).

(الْمَسْجِدِ) مضاف إليه. (الْحَرَامِ) نعت لـ (الْمَسْجِدِ). (وَ) عاطفة.

(إِنَّهُ) حرف مشبه بالفعل واسمه، والضمير عائد إلى حكم تحويل القبلة.

(لَلْحَقِّ) لام المزحلقة وخبر (إِنَّهُ). أي ثابت ونازل.

(مِنْ رَبِّكَ) جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ(لَلْحَقِّ). (وَ) استئنافية.

(مَا) نافية تعمل عمل «ليس»، أو (مَا) نافية عند بني تميم لا عمل لها.

(اللَّهُ) اسم (مَا)، وعلى الثاني مبتدأ.

(بِ) حرف جر زائد تأكيد للنفي.

(عَنْفِلٍ) مجرور بحرف جر، منصوب محلاً خبر (مَا) وعلى الثاني خبر مرفوع محلاً.

(عَمَّا) مركبة من «عن» حرف جر و «ما» موصولة أو مصدرية، جار ومجرور متعلق بـ(عَنْفِلٍ).

(تَعْمَلُونَ) فعل مضارع وفاعله. وعلى مصدرية (مَا)، (مَا) وبعدها بتأويل مصدر في محل جر بـ«عن». تقديره: عن عملكم.

«والمعنى: أن استقبال البيت [الحرام] حكم ثابت لك في مكة وغيرها من البلاد

والبقاء»^١.

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا
تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ﴿١٥٠﴾

تتمة الآية السابقة في أمر تحويل القبلة وبيان لفوائد ثلاث هذا الحكم.
(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ) مرّ في الآية السابقة.
(فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) مرّ في الآية السابقة والآية ١٤٤.
(وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) مرّ في الآية ١٤٤ كما مرّ وتأكيده وتثبيت
لما مرّ من أمر تحويل القبلة.
(لِ) لام التعليل، بيان عله الأمر بـ (وَلُّوا).
(كَلَّا) مركبة من «أن» حرف مصدرية ناصبة و «لا» النافية.
(يَكُونُ) فعل مضارع ناقص منصوب بـ «أن».
(لِلنَّاسِ) جار ومجرور متعلّق بخبر مقدم (يَكُونُ). والمراد بهم اليهود.
(عَلَيْكُمْ) جار ومجرور متعلّق بحال مقدمة من (حُجَّةٌ) والضمير عائد إلى
المسلمين.

(حُجَّةٌ) اسم (يَكُونُ). إلى هنا الفائدة الأولى وهي: «أنّ اليهود كانوا يعلمون
من كتبهم أنّ النبيّ الموعود تكون قبلته الكعبة دون بيت المقدس، كما قال تعالى: (وَإِنَّ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ^١ الآية، وفي ترك هذا الحكم الحجة لليهود على المسلمين بأن النبي ليس هو النبي الموعود لكن التزام هذا الحكم والعمل به يقطع حجتهم^٢.

(إِلَّا) أداة استثناء. (الَّذِينَ) اسم موصول استثناء منقطع.

(ظَلَمُوا) فعل ماضٍ وفاعله.

(مِنْهُمْ) حرف جر بياني ومجروره متعلق بحال محذوفة من (الَّذِينَ) أي حال كونهم (مِنْهُمْ). يعني لكن (الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) باتباع الأهواء لا ينقطعون بذلك. (فَ) تفرعية.

(لَا تَخْشَوْهُمْ) فعل نهي وفاعله ومفعول به. «لأنهم ظالمون باتباع الأهواء (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^٣»^٤.

(وَ) عاطفة.

(أَخْشَوْنِي) فعل أمر وفاعله ونون الوقاية ومفعول به. والضمير الفاعلي عائد إلى المسلمين والمفعولي إلى الله ﷻ.

(وَ) عاطفة.

(إِ) حرف جر، لام التعليل، بيان للفائدة الثانية وهي تمام النعمة على المسلمين وتمام النعمة كمال الدين.

(أَتَمَّ) فعل مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة بعد اللام وفاعله ضمير مستتر «أنا».

١. سورة البقرة / ١٤٤.

٢. الميزان ١/ ٣٢٨.

٣. سورتا: الصف / ٧ والجمعة / ٥.

٤. الميزان ١/ ٣٢٨.

(نَعَمْتِي) مفعول به ومضاف إليه. (عَلَيْكُمْ) جار ومجرور متعلق بـ(أَتَمَّ).
(وَ) عاطفة.

(لَعَلَّكُمْ) حرف مشبه بالفعل واسمه. بمعنى «كي».

(تَهْتَدُونَ) فعل مضارع وفاعله، خبر (لَعَلَّكُمْ). وهذه الفائدة الثالثة وهي:
رجاء الإهداء إلى الصراط المستقيم.

الروايات

قال علي بن إبراهيم القمي: قوله (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ
الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا)^١ فان هذه الآية متقدمة^٢ على قوله (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ
فَلَنُؤَلِّينَكَ قِبَلَةً تَرْضَاهَا)^٣ لأنه نزل أولا (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ) ثم نزل
(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا) وذلك أن اليهود كانوا
يعيرون برسول الله ويقولون أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا فاغتم من ذلك
رسول الله ﷺ غما شديدا وخرج في جوف الليل ينظر في آفاق السماء ينتظر بأمر الله
تبارك وتعالى في ذلك، فلما أصبح وحضرت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد
صلى بهم الظهر ركعتين، فنزل جبرئيل^٧ فأخذ بعضديه فحوله إلى الكعبة، فأنزل الله
عليه (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَلِّينَكَ قِبَلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ) فصلى ركعتين إلى الكعبة فقالت اليهود والسفهاء (مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّتِي
كَانُوا عَلَيْهَا)^٤، وتحولت القبلة إلى الكعبة بعد ما صلى رسول الله ﷺ بمكة ثلاثة

١. سورة البقرة / ١٤٢.

٢. يعني متقدمة في المصحف الشريف ولكن متأخرة في النزول.

٣. سورة البقرة / ١٤٤.

٤. سورة البقرة / ١٤٢.

عشر سنة إلى البيت المقدس وبعد مهاجرته إلى المدينة صلى إلى البيت المقدس سبعة أشهر، ثم حول الله ﷻ القبلة إلى البيت الحرام ثم قال الله ﷻ (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) يعني ولا (الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) و «إلا» في موضع «ولا» وليست هي استثناء.^١

الطبرسي رفعه عن علي 7 انه قال: النعم ستة: الإسلام والقرآن ومحمد 6 والستر والعافية والغنى عما في أيدي الناس.^٢

رواها الرازي في روض الجنان^٣ والكاشاني في منهج الصادقين^٤ والثعلبي في الكشف والبيان.^٥

الطبرسي قال: وفي الحديث: تمام النعمة دخول الجنة.^٦

رواها الكاشاني في منهج الصادقين^٧ والبيضاوي في تفسيره^٨ والزنجيري في الكشف^٩ والفخر الرازي في تفسيره^{١٠}.

الرازي رفعه عن أمير المؤمنين 7 أنه قال: تمام النعمة الموت على الإسلام.^{١١}

١. تفسير القمي ١/ ٦٢.

٢. مجمع البيان ٣/ ٢٤١ (١/ ٢٣٣).

٣. روض الجنان ٢/ ٢٢٤.

٤. منهج الصادقين ١/ ٣٥١.

٥. الكشف والبيان ٢/ ١٧.

٦. جوامع الجامع ١/ ٩٠.

٧. منهج الصادقين ١/ ٣٥١.

٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل / ٤٥ من الطبع الحجري.

٩. الكشف ١/ ٢٠٦.

١٠. التفسير الكبير ٤/ ١٤١.

١١. روض الجنان ٢/ ٢٢٤.

رواها الكاشاني في منهج الصادقين^١ والثعلبي في الكشف والبيان^٢ والزخشي في الكشف^٣ والبيضاوي في تفسيره^٤ والفخر الرازي في تفسيره^٥.

قال الرازي ما معربه: ومن تمام نعم الله ﷻ على المكلفين ولاية أمير المؤمنين 7 لقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) ٧.٦

قال الفخر الرازي: فإن قيل: إنه تعالى أنزل عند قرب وفاة رسول الله 6 (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)^٨ فيبين أن تمام النعمة إنما حصل ذلك اليوم، فكيف قال قبل ذلك اليوم بسنين كثيرة في هذه الآية (وَلَا أُتِمُّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ). قلنا: تمام النعمة اللائقة في كل وقت هو الذي خصه به^٩.

أقول: ولعل هذا إقرار منه بأن تمام النعمة بولايه أمير المؤمنين 7 في يوم الغدير كما مرّ منّا آنفاً من الشيخ أبي الفتوح الرازي قدس سره القدوسي.

وراجع في بحث النعمة إلى عنوانها في كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت ١٠:.

١. منهج الصادقين ١ / ٣٥١.

٢. الكشف والبيان ٢ / ١٧.

٣. الكشف ١ / ٢٠٦.

٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل / ٤٥ من الطبع الحجري.

٥. التفسير الكبير ٤ / ١٤١.

٦. سورة المائدة / ٣.

٧. روض الجنان ٢ / ٢٢٥.

٨. سورة المائدة / ٣.

٩. التفسير الكبير ٤ / ١٤١.

١٠. موسوعة أحاديث أهل البيت : ١١ / ٣٨٩.

(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) ﴿١٥١﴾

بيان نعم الله على الأمة الإسلامية وامتنانٌ عليهم بإرسال الرسول الأعظم 6 .
«وهذه الآية على اختصارها تحتوي على أصول التربية والتعليم بالترتيب الذي
أرادَه القرآن العظيم، ابتداءً بالتلاوة والتذكُّر بآيات الله تعالى، ثم تزكية النفس من
الرزائل وتحليلتها بالفضائل، لتستعدَّ لإفاضة العلوم عليها، ثم التعليم، ثم معرفة
الأشياء بحقائقها، والعمل بما عرفه، كل ذلك من طريق الشرع المبين»^١.
(كَ) حرف جر للتشبيه، تشبيه للعلتين (لَأُتِمَّ) و (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). ويمكن أن
تكون إشارة إلى دعوة إبراهيم في قوله: (رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ)^٢.
(مَّا) مصدرية أو كافة.
(أَرْسَلْنَا) فعل ماضٍ وفاعله. (مَّا أَرْسَلْنَا) بتأويل مصدر في محل جر بـ(كَ)
متعلِّق بمحذوف صفة للرسول الأعظم 6 .
(فِيكُمْ) جار ومجرور متعلِّق بـ(أَرْسَلْنَا)، الضمير عائد للمسلمين.
(رَسُولًا) مفعول به.
(مِّنْكُمْ) جار ومجرور متعلِّق بصفة محذوفة من (رَسُولًا). والمعنى إلى هنا:
«كما جعلنا القبلة نعمة لكم وأتممناها عليكم كذلك (أَرْسَلْنَا) (رَسُولًا مِّنْكُمْ)
تعرفونه فإنَّه نعمة عظيمة لكم»^٣ وتحريض على الإيمان به.

١. مواهب الرحمن ٢/ ١٩٠.

٢. سورة البقرة / ١٢٩.

٣. مواهب الرحمن ٢/ ١٨٧.

(يَتْلُوا) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى (رَسُولًا).
 تلو: المتابعة والتلاوة: ذكر الكلمة بعد الكلمة على وجه متسق منظم، وهي
 تختص بكتاب الله وهي أخص من القراءة.
 (عَلَيْكُمْ) جار ومجرور متعلق بـ(يَتْلُوا).
 (ءَايَاتِنَا) مفعول به ومضاف إليه. «ظاهرة آيات القرآن لمكان قوله: (يَتْلُوا)»^١.
 (و) عاطفة.
 (يُزَكِّكُمْ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. التزكية:
 التطهير من الإعتقادات الفاسدة والأخلاق الرذيلة والأعمال القبيحة والجملة نعت
 لـ(رَسُولًا).
 (و) عاطفة.
 (يُعَلِّمُكُمْ) معطوف على (يُزَكِّكُمْ) ونعت أخرى لـ(رَسُولًا). و«بالتعليم
 يرتقي الإنسان من أدنى درجات البهيمة إلى أقصى درجات الإنسانية، فقد كان
 الرسول ك المعلم الهادي لأُمته، يبين لهم ما انطوت عليه شريعته، وما اشتمل عليه
 كتابه الكريم من الأسرار والمعارف الربوبية»^٢.
 (أَلِكْتَبَ) مفعول به ثان، يعني القرآن الكريم. (و) عاطفة.
 (أَلْحِكْمَةَ) معطوف على (أَلِكْتَبَ). وهي معرفة الحقيقة كما هي والواقع كما
 هو.

(و) عاطفة. (يُعَلِّمُكُمْ) معطوف على (يُعَلِّمُكُمْ) السابق.
 (مَا) موصولة. (لَمْ) حرف نفي وجزم وقلب.

١. الميزان ١/ ٣٣٠.

٢. مواهب الرحمن ٢/ ١٩٠.

(تَكُونُوا) فعل مضارع ناقص مجزوم بـ (لَمْ) واسمه.
 (تَعْلَمُونَ) فعل مضارع وفاعله، خبر (تَكُونُوا)، من «أسرار الكتاب العظيم،
 وأخبار الأمم الماضين، والعلوم التي همّكم وتزيد في علوكم، وتكون سبباً في تهذيب
 نفوسكم، ممّا لم تكونوا تعلمونه سابقاً»^١.

الروايات

خبر سماعة عن أبي عبدالله ٧ أنّه قال في حديث جنود العقل: ... الحكمة
 وضدها الهواء الحديث.^٢

وروا نحوها ابن شعبة الحراني في تحف العقول.^٣

رفعه عن هاشم بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر ٧ في
 حديث طويل: يا هشام إنّ العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ولم يرض
 بالدون من الحكمة مع الدنيا فلذلك ربح تجارتهم الحديث.^٤

رواها ابن شعبة الحراني في تحف العقول.^٥

ابن شعبة الحراني رفعه عن موسى بن جعفر ٧ في وصيته الطويلة لهشام: يا
 هشام إنّ كل الناس يُبَصَّرُ بالنجوم ولكن لا يتهدي بها إلّا مَنْ يعرف مجاريها ومنازلها
 وكذلك أنتم تدرسون الحكمة ولكن لا يتهدي بها منكم إلّا من عمل بها.
 يا هشام إنّ المسيح ٧ قال للحواريين: ... بحق أقول لكم: لو وجدتم سراجاً
 يتوقّد بالقَطْرانِ في ليلة مظلمة لاستضاءتم به ولم يمنعكم منه ريح ننته، كذلك ينبغي

١. مواهب الرحمن ٢/ ١٩٠.

٢. الكافي ١/ ٢٢، ح ١٤.

٣. تحف العقول / ٤٠٢.

٤. الكافي ١/ ٢٢، ح ١٢.

٥. تحف العقول / ٣٨٧.

لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموهم معه ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها... بحق أقول لكم: إنَّ الناس في الحكمة رجлан: فرجل أتقنها بقوله وصدّقها بفعله ورجل أتقنها بقوله وضيعها بسوء فعله فشتان بينهما فطوبى للعلماء بالفعل وويل للعلماء بالقول.

يا هشام قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة والمؤمن قليل الكلام كثير العمل والمنافق كثير الكلام قليل العمل.

... وإياك أن تغلب الحكمة وتضعها في أهل الجهالة، قال هشام: فقلت له. فإن وجدت رجلاً طالباً له غير أن عقله لا يتسع لضبط ما ألقى إليه؟ قال 7: فتَلَطَّفْ له في النصيحة فإن ضاق قلبه فلا تعرضنَّ نفسك للفتنة واحذر ردّ المتكبرين فإنّ العلم يُدِلُّ على أن يُملَى على مَنْ يُفَيِّقُ^١، قلت: فإن لم أجد من يفعل السؤال عنها؟ قال 7: فاغتنم جهله عن السؤال حتّى تسلم من فتنة القول وعظيم فتنة الرد...^٢.

الكراجكي رفعه عن أمير المؤمنين 7 أنّه قال: الكلمة من الحكمة يسمع بها الرجل فيقول أو يعمل بها خير من عبادة سنة.^٣

الكراجكي رفعه عن أمير المؤمنين 7 أنّه قال: مَنْ عُرِفَ بالحكمة لحظته العيون بالوقار.^٤

١. وفي بعض النسخ: «فإن العلم يذل على أن يحمل على من لا يفيق» وفي بعضها: «يجلي».

٢. تحف العقول / ٣٩٢ و ٣٩٧ و ٣٩٨.

٣. كنز الفوائد ١٠٨ / ٢.

٤. كنز الفوائد ٣١٩ / ١.

(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)

تنمة الآية السابقة.

(فَ) تفرعية.

(أَذْكُرُونِي) فعل أمر وفاعله ونون الوقاية ومفعول به. والضمير المفعولي عائد إلى الله تعالى. «الذكر: حضور المعنى للنفس»^١. وللذكر أقسام من اللفظي والعملي والقلبي.

(أَذْكُرْكُمْ) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب - الأمر - وفاعله ضمير مستتر «أنا» ومفعول به. ترتب (أَذْكُرْكُمْ) على (أَذْكُرُونِي) من باب ترتب المعلول على العلة التامة.

(وَ) عاطفة.

(أَشْكُرُوا) فعل أمر وفاعله، مادة شكر تأتي بمعنى الإظهار وهو يكون بالاعتقاد والقول والعمل.

(لِي) جار ومجرور متعلق بـ (أَشْكُرُوا). أي: أظهروا نعمائي. (وَ) عاطفة. (لَا تَكْفُرُونِ) فعل نهي وفاعله ونون الوقاية والضمير المفعولي «ي» المحذوف والكسرة على النون دالة عليه. أي: «لا تكفروا نعمتي لأن الكفر هو ستر النعمة وجحدها [هنا] لأسر المنعم»^٢.

١. التبيان ٢/ ٣١.

٢. التبيان ٢/ ٣٢.

الروايات

صحيحة أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر 7 قال: مكتوب في التوراة التي لم تغير أن موسى 7 سأل ربه فقال: يا رب أقريب أنت مني فأناجيك أم بعيد فأناديك. فأوحى الله ﷻ إليه: يا موسى أنا جليس من ذكرني، فقال موسى: فمن في سترك يوم لا ستر إلا سترك؟ فقال: الذين يذكرونني فأذكرهم ويتحابون في فأحبهم فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم.^١

الكليني بإسناده إلى رسالة أبي عبدالله 7 إلى جماعة الشيعة وفيها: ... فأكثروا ذكر الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار فإن الله أمر بكثرة الذكر له والله ذاكر لمن ذكره من المؤمنين، واعلموا أن الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلا ذكره بخير الحديث.^٢

أبي عمرو الزيري عن أبي عبدالله 7 قال الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه فمنها كفر النعم، وذلك قول الله يحكي قول سليمان (هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنَ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ) الآية وقال الله (لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ٤ وقال (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ).^٥

رواها الكليني في الكافي.^٦

محمد بن مسلم عن أبي جعفر 7 قال: تسبيح فاطمة 3 من ذكر الله الكثير

١. الكافي ٤/ ٣٦٠، ح ٤ (٤٩٦/٢).

٢. الكافي ٨/ ٧، ح ١.

٣. سورة النمل / ٤٠.

٤. سورة إبراهيم / ٧.

٥. تفسير العياشي ١/ ١٦٧، ح ١٢٦.

٦. الكافي ١/ ٣٨٩، ح ١.

الذي قال (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) ١.

رواها الصدوق مسندًا في معاني الأخبار ٢.

سماعة بن مهران عن أبي عبدالله ٧ قال: قلت له: للشكر حدٌ إذا فعله الرجل كان شاكرًا؟ قال: نعم، قلت: ما هو؟ قال: الحمد لله على كل نعمة أنعمها عليّ، وإن كان لكم فيما أنعم عليه حقُّ أذاه، قال: ومنه قول الله تعالى الحمد لله (الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا) ٣ حتى عدّ آيات. ٤

علي بن إبراهيم القمي قال: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ٧ في قوله ولذكر الله أكبر يقول ذكر الله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم إياه ألا ترى أنّه يقول (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) ٥.

صحيحة جابر بن عبدالله عن أبي جعفر الباقر ٧ قال: قال رسول الله ٦ ان الملك ينزل بصحيفة أول النهار وأول الليل فيكتب فيها عمل ابن آدم فأملوا في أولها خيرا وفي آخرها خيرا فإن الله ﷻ يغفر لكم فيما بين ذلك إن شاء الله وإن الله ﷻ يقول (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) ويقول جل جلاله (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) ٦. ٧

المрад بعمر بن عثمان في السند هو الثقفى الخزاز ورواها في ثواب الأعمال^٨ والعياشي مرسلاً في تفسيره^٩ إلى الآية الأولى.

١. تفسير العياشي ١/ ١٦٨، ح ١٢٧.

٢. معاني الأخبار / ١٩٣، ح ٥.

٣. سورة الزخرف / ١٣.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٦٧، ح ١٢٥.

٥. تفسير القمي ٢/ ١٥٠.

٦. سورة العنكبوت / ٤٥.

٧. أمالي الصدوق، المجلس الخامس والثمانون ح ١٥/ ٦٧٥، رقم ٩١٣.

٨. ثواب الأعمال / ١٦٧.

٩. تفسير العياشي ١/ ١٦٧، ح ١٢٤.

الصدوق بإسناده عن أمير المؤمنين 7 في حديث طويل: وشكر كل نعمة الورع عما حرم الله تعالى.^١

ابن فهد الحلي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه خرج على أصحابه فقال ارتعوا في رياض الجنة قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال مجالس الذكر اغدوا وروحوا واذكروا ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل العبد الله من نفسه واعلموا أن خير أعمالكم عند مليكمم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالى فإنه تعالى أخبر عن نفسه فقال أنا جليس من ذكرني وقال سبحانه (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) يعني اذكروني بالطاعة والعبادة أذكركم بالنعم والإحسان والرحمة والرضوان.^٢

نجل الطبرسي رفعه إلى رسول الله ﷺ في وصيته الطويلة لابن مسعود: يا ابن مسعود إصبر مع الذين يذكرون الله ويسبحونه ويهللونه ويحمدونه ويعملون بطاعته ويدعونه بكرة وعشيا فإن الله تعالى يقول (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ^٣ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ^٤) ويقول (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) ويقول (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ^٥ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ^٦) ويقول (أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)^٧

الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت

١. الخصال ١/١٤، ح ٥٠.

٢. عدة الداعي / ٢٣٨.

٣. سورة الكهف / ٢٨.

٤. سورة البقرة / ١٨٦.

٥. سورة غافر / ٦٠.

٦. مكارم الأخلاق / ٤٥٦.

صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ومن عصي الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن.^١

الرازي رفعه إلى المعصوم 7 أنه قال: أفضل الذكر الدعاء.^٢

الرازي رفعه إلى المعصوم 7 أنه قال: تفكر ساعة خير من عبادة سنة.^٣

الرازي قال: جاء في الخبر: من ذكره فقد شكره ومن كتبه فقد كفره.^٤

النوري ناقلاً عن مجموعة الشهيد^٥، قال: قال جبرئيل للنبي 6 إن الله تعالى يقول أعطيت أمتك ما لم أعطه أمة من الأمم فقال وما ذاك يا جبرئيل قال قوله تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) ولم يقل هذه لأحد من الأمم.^٥

روا نحوها مع زيادة السيد هاشم البحراني في البرهان.^٦

الروايات الواردة حول الذكر كثيرة فإن شئت راجع كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت^٧: وهكذا الروايات الواردة حول الشكر فراجع فيه الموسوعة.^٨

(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) ﴿١٥٣﴾

الآية الشريفة تمهيد للآيات الواردة في القتال والجهاد وأنه لابد من الصبر عليه وإقامة الصلاة للتسكين الروحي.

١. روض الجنان ٢/ ٢٢٩.

٢. روض الجنان ٢/ ٢٣٣.

٣. روض الجنان ٢/ ٢٣٢.

٤. روض الجنان ٢/ ٢٣٥.

٥. مستدرک الوسائل ٥/ ٢٨٦، ح ١١.

٦. البرهان في تفسير القرآن ١/ ٣٥٧، ح ٦.

٧. موسوعة أحاديث أهل البيت : ٩/ ٤.

٨. موسوعة أحاديث أهل البيت : ٤١٧/ ٥.

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) الخطاب يختص بالمؤمنين لأن غيرهم لم يدخل من باب الجهاد والقتال غالباً.

(أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) قد مرّ في الآية ٤٥ من هذه السورة. «الصبر: من أعظم الملكات والأحوال التي يمدحها القرآن، ويكرر الأمر به حتى بلغ قريباً من سبعين موضعاً من القرآن حتى قيل فيه: (إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) ١، وقيل: (وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) ٢، وقيل: (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ٣.

والصلوة: من أعظم العبادات التي يحث عليها في القرآن حتى قيل فيها: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ٤، وما أوصى الله في كتابه بوصايا إلا كانت الصلوة رأسها وأولها» ٥.

(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) «وهذه المعية غير المعية التي يدل عليه قوله تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) ٦، فإنها معية الإحاطة والقيمومة، بخلاف المعية مع الصابرين، فإنها معية إعانة فالصبر مفتاح الفرج» ٧.

الروايات

خبر سليمان عمّن ذكره عن أبي عبد الله 7 في قول الله ﷻ: (وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ) ٨

١. سورة لقمان / ١٧.

٢. سورة فصلت / ٣٥.

٣. سورة الزمر / ١٠.

٤. سورة العنكبوت / ٤٥.

٥. الميزان ١ / ٣٤٤.

٦. سورة الحديد / ٤.

٧. الميزان ١ / ٣٤٤.

٨. سورة البقرة / ٤٥.

قال: الصبر: الصيام. وقال: إذا نزلت بالرجل النازلة والشديدة فليصم فإن الله ﷻ يقول: (وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ) يعني: الصيام.^١

الفضيل عن أبي جعفر 7 قال: قال لي يا فضيل بلغ من لقيت من موالينا عنا السلام وقل لهم إنني أقول إنني لا أغني عنكم من الله شيئاً إلا بورع فاحفظوا ألسنتكم وكفوا أيديكم وعليكم (بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ).^٢
رواها القاضي نعمان المصري في دعائم الإسلام.^٣

وروا نحوها مع زيادة الآية الشريفة ابن إدريس الحلي في مستطرفات سرائره^٤ فيما استطرفه من كتاب حريز بن عبدالله السجستاني.

عبدالله بن طلحة قال: أبو عبدالله 7: الصبر هو الصوم.^٥
ابن شهر آشوب عن صحيفة الإمام الرضا 7: ليس في القرآن آية (يَنَاقُهَا الَّذِينَ آمَنُوا) إلا في حقنا.^٦

أمير المؤمنين 7 أنه قال: الصبر صبران: صبر على ما تكره وصبر عما تحب.^٧
رواها الشريف الرضي في نهج البلاغة^٨ والكاشاني في منهج الصادقين^٩.
والروايات الواردة حول الصبر كثيرة فإن شئت راجع كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت ١٠:.

-
١. الكافي ٤/ ٦٣، ح ٧.
 ٢. تفسير العياشي ١/ ١٦٨، ح ١٢٨.
 ٣. دعائم الإسلام ١/ ١٣٣.
 ٤. سرائر ٣/ ٥٨٧.
 ٥. تفسير العياشي ١/ ١٦٨، ح ١٢٩.
 ٦. المناقب ٣/ ٥٣.
 ٧. مجمع البيان ٣/ ٢٥٠ (١/ ٢٣٥).
 ٨. نهج البلاغة، الحكمة، رقم ٥٥.
 ٩. منهج الصادقين ١/ ٣٦٢.
 ١٠. موسوعة أحاديث أهل البيت ١٢/ ٦.

خبر ابن عباس أنه قال: ما في القرآن آية فيها (الَّذِينَ آمَنُوا) إِلَّا وَعَلَى رَأْسِهَا وقائدها وشريفها وأميرها.^١

قاله ابن حنبل في فضائل الصحابة^٢ و رواها غيره من أعلام العامة نحو: الخوارزمي في مناقبه^٣ وابن سليمان في مناقبه^٤ والهندي في كنز العمال^٥ وابن عساكر في ترجمة الإمام علي^٦ وغيرهم.

(وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) ﴿١٥٤﴾

نهي من الله تعالى بالنسبة إلى المقتولين في سبيل الله بأنهم ليسوا بأموات بل أحياء وهم لا يفنون بل يبقون ببقاء الدهر ويرزقون عند ربهم.
(و) عاطفة.

(لَا تَقُولُوا) فعل نهي معطوف على أمر (أَسْتَعِينُوا) والخطاب للمؤمنين كآلية السابقة.

(ل) حرف جر.

(مَنْ) اسم موصول، مجروره. الجار والمجرور متعلق بـ (لَا تَقُولُوا).
(يُقْتَلُ) فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

١. كشف الغطاء ١/ ٨٢.

٢. فضائل الصحابة ٢/ ٦٥٤، ح ١١١٤.

٣. مناقب الخوارزمي / ٢٦٦، ح ٢٤٩.

٤. مناقب ابن سليمان ١/ ١٤٦، ح ٨١ بتفاوت.

٥. كنز العمال ١١/ ٦٠٤، ح ٣٢٩٢٠.

٦. ترجمة الإمام علي ٧ / ٤٣٠، ح ٩٣٨.

(فِي سَبِيلِ اللَّهِ) جار ومجروره ومضاف إليه، متعلق بـ(يُقْتَلُ). والمقتول (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) هو الشهيد عندنا.

(أَمْوَاتٌ) خبر لمبتدأ محذوف وتقديره: هم (أَمْوَاتٌ). لأن عامة الناس يرون الموت فناءً وهلاكًا.

(بَلْ) حرف إضراب، للإبطال.

(أَحْيَاءٌ) خبر لمبتدأ محذوف وتقديره: هم (أَحْيَاءٌ). والمراد بالحياة هي الحياة الحقيقية الواقعية لـ(إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)^١.

(وَأَسْتَنْافِيَّةٌ أَوْ حَالِيَّةٌ. (لَكِنْ) حرف استدراك. (لَا) نافية.

(تَشْعُرُونَ) فعل مضارع وفاعله، أنتم (لَا تَشْعُرُونَ). أي لا تعلمون ولا تحسون.

ويأتي نظير هذه الآية في قوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)^٢.

كما تدلان على الحياة البرزخية للإنسان.

الروايات

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله ٧ قال: قال رسول الله ٦: فوق كل ذي برٍّ برٌّ حتى يقتل المرء في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ.^٣
معتبرة أبي بصير قال: قال أبو عبد الله ٧: مَنْ قُتل في سبيل الله لم يعرفه الله شيئاً من سيئاته.^٤

١. سورة العنكبوت / ٦٤.

٢. سورة آل عمران / ١٦٩.

٣. الكافي ٩/ ٤٧٦، ح ٢ (٥٣/ ٥).

٤. الكافي ٩/ ٤٧٩، ح ٦ (٥٤/ ٥).

حسنة أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر 7 يقول: إنَّ علي بن الحسين 7 كان يقول: قال رسول الله 6: ما من قطرة أحبَّ إلى الله ﷻ من قطرة دمٍ في سبيل الله. ١ معتبرة السكوني عن أبي عبد الله 7 قال: قيل للنبي 6: ما بال الشهيد لا يفتن في قبره؟ فقال [النبي] 6: كفى بالبارقة فوق رأسه فتنة. ٢ موثقة أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله 7: أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهريق دمه في سبيل الله. ٣ صحيحة أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله 7: إنَّا نتحدَّث عن أرواح المؤمنين أنَّها في حواصل طيور خضر تَرعى في الجنة إلى قناديل تحت العرش؟ فقال: لا إذا ما هي في حواصل طير، قلت: فأين هي؟ قال: في روضة كهيئة الأجساد في الجنة. ٤ ونحوها صحيحة أبي ولاد الحنات المروية في الكافي الشريف. ٥ خبر يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله 7 جالسًا فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ قلت: يقولون تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش، فقال أبو عبد الله 7: سبحان الله، المؤمن أكرم على الله من ذلك أن يجعل روحه في حصوله طائر أخضر، يا يونس المؤمن إذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا. ٦

١. الكافي ٩/٤٧٧، ح ٣ (٥٣/٥).

٢. الكافي ٩/٤٧٩، ح ٥ (٥٤/٥).

٣. الكافي ٩/٤٧٩، ح ٧ (٥٤/٥).

٤. الكافي ٥/٦٠٤، ح ٧ (٣/٢٤٥).

٥. الكافي ٥/٦٠١، ح ١ (٣/٢٤٤).

٦. التهذيب ١/٤٦٦، ح ١٧١.

رواها الكليني مع زيادة في الكافي^١ نقلت مقالة القوم في الروايات العامة رواها الثعلبي في تفسيره^٢ والسيوطي في الدر المنثور^٣.

صحيحة أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله^٧ عن أرواح المؤمنين فقال: في الجنة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان^٤.

خبر جابر عن أبي جعفر^٧ قال: جاء الناس إلى الحسن بن علي^٧، فقالوا: أرنا من عجائب أبيك التي كان يريها، فقال: أو تومنون بذلك؟ قالوا: نعم نؤمن بذلك، قال: ألستم تعرفون أبي؟ قالوا جميعاً: بلى نعرفه، فرفع لهم جانب الستر فإذا أمير المؤمنين^٧ قاعد، فقالوا جميعاً: هذا أمير المؤمنين نشهد أنك أنت ولي الله حقاً والإمام من بعده ولقد أريتنا أمير المؤمنين بعد موته كما أرى أبوك أبا بكر رسول الله جدك في مسجد قبا بعد موته، فقال الحسن: ويحكم أما سمعتم قول الله ﷻ: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) فإذا كان هذا فيمن قُتل في سبيل الله فما تقولون فينا؟ قالوا: أنتم أفضل يا ابن رسول الله^٥.

الرازي رفعه عن النبي^٦ أنه قال: يعطي الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه يكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويؤمن من الفرع الأكبر ومن عذاب القبر ويحلى بحلية الإيمان^٦.

رواها الثعلبي تفسيره^٧.

١. الكافي ٥/٦٠٣، ح ٦ (٢٤٥/٣).

٢. الكشف والبيان ٢/٢٢.

٣. الدر المنثور ١/١٥٥.

٤. التهذيب ١/٤٦٦، ح ١٧٢.

٥. فرج المهموم ٢٢٤ ونقل عنه في بحار الأنوار ٤٣/٣٢٨، ح ٨ (٢٣٥/١٨).

٦. روض الجنان ٢/٢٣٨.

٧. الكشف والبيان ٢/٢٢.

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ

وَالْأَنْفُسِ وَالْثَّمَرَاتِ ۖ وَدَشِّرِ الصَّابِرِينَ) ﴿١٥٥﴾

أخبار بأن المؤمنين «سيبتلون بما لا يتمهد لهم المعالي ولا يصفو لهم الأمر في الحياة الشريفة، والدين الحنيف إلا به، وهو الحرب والقتال، لا يدور رحى النصر والظفر على مرادهم إلا أن يتحصنوا بهذين الحصنين ويتأيدوا بهاتين القوتين، وهما الصبر والظفر، ويضيفوا إلى ذلك ثالثاً وهو خصلة ما حفظها قوم إلا ظفروا بأقصى مرادهم وحازوا الغاية القصوى من كمالهم، واشتد بأسهم وطابت نفسهم، وهو الإيمان بأن القتل منهم غير ميت ولا فقيد، وأن سعيهم بالمال والنفس غير ضائع ولا باطل، فإن قتلوا عدوهم فهم على الحياة، وقد أبادوا عدوهم وما كان يريد من حكومة الجور والباطل عليهم - وإن قتلهم عدوهم فهم على الحياة - ولم يتحكم الجور والباطل عليهم، فلهم إحدى الحسنيين على أي حال»^١.

(و) عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: (أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)^٢.

(ل) واقفة في جواب قسم محذوف، تأكيد.

(نَبْلُوَنَّكُمْ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن» ونون التأكيد الثقيلة ومفعول به. الإبتلاء: الإختبار والإمتحان.

(بِشَيْءٍ) جار ومجرور متعلق بـ(نَبْلُوَنَّكُمْ)، جيء بكلمة (شَيْءٍ) تهويناً للخبر المنفجع.

(مِّنَ الْخَوْفِ) جار ومجرور متعلق بمحذوف صفه لـ(شَيْءٍ) (الْخَوْفِ): «انزعاج

١. الميزان ١/ ٣٥٢.

٢. سورة البقرة / ١٥٣.

النفس لما يتوقع من الضرر»^١.

(وَالْجُوعِ) معطوف على (الْخَوْفِ)، الجوع: ضد الشبع «(وَالْجُوعِ) كان لفقرهم وتشاغلهم بالجهاد في سبيل الله عن المعاش»^٢.

(وَنَقْصِ) معطوف على (بِشْيءٍ)، النقص: نقيض الزيادة، وهو الخسران في الحظ.

(مِنَ الْأَمْوَالِ) جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من (نَقْصِ) والمال معروف وأموال العرب حين نزول الآية أنعامهم.

(وَالْأَنْفُسِ) معطوف على (الْأَمْوَالِ)، وتأثير القتال في قلة النسل بموت الرجال والشبان ظاهر.

(وَالثَّمَرَاتِ) معطوف على (الْأَمْوَالِ). «الثمرة: أفضل ما تحمله الشجرة»^٣. وأكثر أشجار العرب حين نزول الآية النخل وثمرتها التمر، واستظهر صاحب الميزان رحمه الله «أنها الأولاد»^٤.

(و) عاطفة.

(بَشِيرٍ) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، خطاباً للرسول الأعظم 6 لأنه هو القائد للمجتمع المسلمين.

(الصَّبِيرِينَ) مفعول به. «أعاد ذكر (الصَّبِيرِينَ) ليبشرهم أولاً، ويبيّن كيفية الصبر بتعليم ما هو الصبر الجميل ثانياً، ويظهر به حق الأمر الذي يقضي بوجوب الصبر - وهو ملكه تعالى للإنسان - ثالثاً، ويبيّن جزائه العام - وهو الصلوة والرحمة

١. التبيان ٢/ ٣٧.

٢. التبيان ٢/ ٣٧.

٣. التبيان ٢/ ٣٧.

٤. الميزان ١/ ٣٥٣.

والإهداء - رابعًا.

فأمر تعالى نبيه أولاً بتبشيرهم، ولم يذكر متعلق البشارة لتفخيم أمره فإنها من الله سبحانه فلا تكون إلا خيرًا وجميلًا، وقد ضمنها رب العزة^١.

الروايات

عن الثمالي قال سألت أبا جعفر ٧ عن قول الله (لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ) قال ذلك جوع خاص وجوع عام، فأما بالشام فإنه عام وأما الخاص بالكوفة يخص ولا يعم، ولكنه يخص بالكوفة أعداء آل محمد عليه الصلاة والسلام فيهلكهم الله بالجوع، وأما الخوف فإنه عام بالشام وذاك الخوف إذا قام القائم ٧، وأما الجوع فقبل قيام القائم ٧، وذلك قوله (لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ)^٢.
خبر جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي ٧ عن قول الله تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ) الآية فقال يا جابر ذلك خاص وعام فأما الخاص من الجوع فبالكوفة ويخص الله به أعداء آل محمد فيهلكهم وأما العام فبالشام يصيبهم خوف وجوع ما أصابهم مثله قط وأما الجوع فقبل قيام القائم ٧ وأما الخوف فبعد قيام القائم ٧.^٣

خبر أبي بصير قال: قال أبو عبد الله ٧ لا بد أن يكون قدام القائم سنة يجوع فيها الناس ويصيبهم خوف شديد من القتل ونقص من الأموال والأنفس والثمرات فإن ذلك في كتاب الله لبيان ثم تلا هذه الآية (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَشِيرِ الصَّيْرِينَ)^٤.

١. الميزان ١/ ٣٥٣.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٦٨، ح ١٣٠.

٣. الغيبة ٢٥١، ح ٧.

٤. الغيبة ٢٥٠، ح ٦.

خبر محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قدام القائم علامات تكون من الله عليه السلام للمؤمنين، قلت: وما هي جعلني الله فداك؟ قال: ذلك قول الله عليه السلام (وَلْيَبْلُوكُمْ) يعني المؤمنين قبل خروج القائم عليه السلام (بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ) قال: يبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم والجوع بغلاء أسعارهم (وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ) قال: كساد التجارات وقلة الفضل. ونقص من الأنفس، قال: موت ذريع^١ ونقص من الثمرات، قال: قلة ريع ما يزرع. (وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ) عند ذلك بتعجيل خروج القائم عليه السلام ٧. ثم قال لي: يا محمد هذا تأويله إن الله تعالى يقول: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) ٣.٢

رواها مع اختلاف في الفاظه: والد الصدوق في الإمامة والتبصرة^٤ والمفيد في الإرشاد^٥ والنعماني في الغيبة^٦ والطبري في دلائل الإمامة^٧ والاريلي في كشف الغمة^٨ والطبرسي في أعلام الوري^٩ والقطب الراوندي في الخرائج والجرائح^{١٠}.

القاضي نعمان المصري رفعه عن رسول الله عليه السلام ٦: أنه قال: إن الله عليه السلام أعطى عباده الدنيا قرضاً فمن أخذ منه شيئاً منها قسراً فصبر عوضه الله منه ثلاثاً لو عوض

١. الذريع: السريع.

٢. سورة آل عمران / ٧.

٣. كمال الدين وتمام النعمة / ٦٤٩، ح ٣.

٤. الإمامة والتبصرة / ١٣٩، ح ١٣٢.

٥. الإرشاد / ٣٧٧ / ٢.

٦. الغيبة / ٢٥٠، ح ٥.

٧. دلائل الإمامة / ٤٨٣، ح ٨٢.

٨. كشف الغمة / ٤٦٢ / ٢.

٩. أعلام الوري / ٢ / ٢٨٠.

١٠. الخرائج والجرائح / ١١٥٣ / ٣، ح ٦٠.

واحدة منها ملائكته رضوا الصلاة والرحمة والهداية قال ﷺ (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) ٢.١

نجل الطبرسي رفعه إلى رسول الله ﷺ في موعظته لابن مسعود: عبد الله بن مسعود قال: دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابنا يوماً على رسول الله ﷺ وقد أصابتنا مجاعة شديدة ولم يكن رزقنا منذ أربعة أشهر إلا الماء واللبن وورق الشجر، فقلنا: يا رسول الله إلى متى نحن على هذه المجاعة الشديدة، فقال رسول الله ﷺ: لا تزالون فيها ما عشتُم فأحدثوا الله شكراً فإني قرأتُ كتاب الله الذي أنزل علي وعلى من كان قبلي فما وجدت من يدخلون الجنة إلا الصابرون يا ابن مسعود قال الله تعالى: (إِنَّمَا يُؤَقِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ٣ (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا) ٤ (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) ٥ يا ابن مسعود قول الله تعالى: (وَجَزَلْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرٍ) ٦ (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) ٧ يقول الله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ) ٨ (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) ٩ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (قلنا يا رسول الله فمن الصابرون؟ قال ﷺ: الذين يصبرون على طاعة

١. سورة البقرة / ١٥٧-١٥٥.

٢. دعائم الإسلام / ١ / ٢٢٣.

٣. سورة الزمر / ١٠.

٤. سورة الفرقان / ٧٥.

٥. سورة المؤمنون / ١١١.

٦. سورة الإنسان / ١٢.

٧. سورة القصص / ٥٤.

٨. سورة البقرة / ٢١٤.

الله واجتنبوا معصيته الذين كسبوا طيباً واتفقوا قصدًا وقدموا فضلاً فافلحوا وأصلحوا يا ابن مسعود عليهم الخشوع والوقار والسكينة والتفكر واللين والعدل والتعليم والإعتبار والتدبير والتقوى والإحسان والتخرج والحب في الله والبغض في الله وأداء الأمانة والعدل في الحكمة وإقامة الشهادة ومعاونة أهل الحق على المسيء والعفو عمّن ظلم يا ابن مسعود إذا ابتلوا صبروا وإذا أعطوا شكروا وإذا حكموا عدلوا وإذا قالوا صدقوا وإذا عاهدوا وفوا وإذا أساءوا استغفروا وإذا أحسنوا استبشروا (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) ١ (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا) ٢ (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا) ٣ ويقولون (لِلنَّاسِ حُسْنًا) ٤. يا ابن مسعود والذي بعثني بالحق إن هؤلاء هم الفائرون. ٥

(الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ﴿١٥٦﴾

ثم وصف الله في هذه الآية (الصَّابِرِينَ).
 (الَّذِينَ) اسم موصول، نعت لـ (الصَّابِرِينَ) في الآخر الآية السابقة.
 (إِذَا) ظرف زمان.
 (أَصَابَتْهُمْ) فعل ماضٍ ومفعول به. الإصابة: كل ما يصيب الإنسان من الخير والشر.

١. سورة الفرقان / ٦٣.

٢. سورة الفرقان / ٧٢.

٣. سورة الفرقان / ٦٤.

٤. سورة البقرة / ٨٣.

٥. مكارم الأخلاق / ٤٤٦.

(مُصِيبَةً) فاعل. وهي النازلة المكروهة التي تصيب الإنسان.

(قَالُوا) جواب شرط (إِذَا). «ومن المعلوم أن ليس المراد بالقول مجرد التلفظ بالجملة من غير حضور معناها بالبال، ولا مجرد الإخطار من غير تحقق بحقيقة معناها، وهي أن الإنسان مملوك لله بحقيقة الملك، وأنّ مرجعه إلى الله سبحانه وبه يتحقق أحسن الصبر الذي يقطع منابت الجزع والأسف، ويغسل رين الغفلة»^١.

(إِنَّا) حرف مشبه بالفعل، تأكيد، واسمه. أصله «اننا».

(لِلَّهِ) جار ومجرور متعلّق بخبر (إِنَّا). اقرار بالملك والعبودية. (وَ) عاطفة.

(إِنَّا) معطوف على (إِنَّا) الأول. (إِلَيْهِ) جار ومجرور متعلّق بخبر (إِنَّا).

(رَاجِعُونَ) خبر (إِنَّا). «إقرار بالبعث والنشور وأنّ مآل الأمر يصير إليه»^٢.

«وقد أخبر سبحانه: أن الأشياء سيعود إلى حالها قبل الإذن ولا يبقى ملك إلا لله وحده، قال تعالى: (لَمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)^٣، وفيه رجوع الإنسان بجميع ما له ومعه إلى الله سبحانه»^٤.

الروايات

صحيحة معروف بن خربوذ عن أبي جعفر ٧ قال: ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترّجع عند ذكره المصيبة ويصبر حين تفجّاه إلا غفرا الله له ما تقدّم من ذنبه وكلّمه ذكر مصيبتّه فاسترجع عند ذكر المصيبة غفر الله له كل ذنب إكتسب فيها بينهما.^٥

١. الميزان ١/ ٣٥٣.

٢. التبيان ٢/ ٤٠.

٣. سورة المؤمن / ١٦.

٤. الميزان ١/ ٣٥٤.

٥. الكافي ٣/ ٢٢٤، ح ٥.

خبر صالح بن أبي حماد رفعه قال جاء أمير المؤمنين 7 إلى الأشعث بن قيس يعزبه بأخ له يقال له عبد الرحمن فقال له أمير المؤمنين إن جزعت فحق الرحم أتيت وإن صبرت فحق الله أذيت على أنك إن صبرت جرى عليك القضاء وأنت ممدوح وإن جزعت جرى عليك القضاء وأنت مذموم فقال له الأشعث (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) فقال أمير المؤمنين 7 أتدري ما تأويلها فقال له الأشعث أنت غاية العلم ومنتهاه فقال أما قولك (إِنَّا لِلَّهِ) فإقرار منك بالملك وأما قولك (وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) فإقرار منك بالهلاك.^١

صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله 7 قال: قال رسول الله 6: قال الله ﷻ: إِنِّي جَعَلْتُ الدُّنْيَا بَيْنَ عِبَادِي قَرْضًا فَمَنْ أَقْرَضَنِي مِنْهَا قَرْضًا أُعْطِيَتْهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ وَمَا شِئْتُ مِنْ ذَلِكَ وَمَنْ لَمْ يَقْرَضْنِي مِنْهَا قَرْضًا فَأَخَذَتْ مِنْهُ شَيْئًا قَسْرًا فَصَبَرَ أُعْطِيَتْهُ ثَلَاثُ خِصَالٍ لَوْ أُعْطِيَتْ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ مَلَائِكَتِي لَرْضَوْا بِهَا مِنِّي قَالَ ثُمَّ تَلَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ 7 قَوْلَ اللَّهِ ﷻ (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ (فهذه واحدة من ثلاث خصال (وَرَحْمَةٌ) اثنتان (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)^٢ ثلاث ثم قال أبو عبد الله 7 هذا لمن أخذ الله منه شيئًا قسرًا.^٣

روا نحوها العياشي في تفسيره^٤ والصدوق في الخصال^٥ وسبط الطبرسي في مشكاة الأنوار^٦

١. الكافي ٣/ ٢٦١، ح ٤٠.

٢. سورة البقرة / ١٥٧.

٣. الكافي ٢/ ٩٢، ح ٢١.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٦٨، ح ١٣١.

٥. الخصال ١/ ١٣٠، ح ١٣٥.

٦. مشكاة الأنوار / ٢٧٩.

وثاني الشهيدين في مسكن الفؤاد^١.

معتبرة بل صحيحة داود بن زرري [رزين] عن أبي عبد الله 7 قال: من ذكر مصيبة ولو بعد حين فقال (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) والحمد لله رب العالمين اللهم أجرني على مصيبي واخلف عليّ أفضل منها كان له من الأجر مثل ما كان عند أول صدمة^٢.

خبر هارون بن الفضل قال: رأيت أبا الحسن علي بن محمد في اليوم الذي توفي فيه أبو جعفر 7 فقال: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) مضى أبو جعفر 7 فقيل له: وكيف عرفت؟ قال: لأنّه تدخلني ذلّة الله لم أكن أعرفها^٣.

خبر الحسن بن الحسين الأفسس أنّهم حضروا يوم توفي محمد بن علي بن محمد دار أبي الحسن 7 وقد بسط له في صحن داره والناس جلوس حوله فقالوا قدرنا أن يكون حوله من آل أبي طالب وبني العباس وقريش مائة وخمسون رجلا سوى مواليه وسائر الناس إذ نظر إلى الحسن بن علي وقد جاء مشقوق الجيب حتّى قام عن يمينه ونحن لا نعرفه فنظر إليه أبو الحسن 7 بعد ساعة من قيامه ثمّ قال يا بني أحدث الله شكرا فقد أحدث فيك أمراً فبكى الفتى واسترجع وقال الحمد لله رب العالمين وأنا أسأل الله تمام نعمة لنا فيك و (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) فسألنا عنه فقيل. هذا الحسن ابنه وقدّرنا له في ذلك الوقت عشرين سنة أو أرجح فيؤمّئذ عرفناه وعلمنا أنّه قد أشار إليه بالإمامة وإقامه مقامه^٤.

١. مسكن الفؤاد / ٤٧.

٢. الكافي ٣/ ٢٢٤، ح ٦.

٣. الكافي ١/ ٣٨١، ح ٥.

٤. الكافي ١/ ٣٢٦، ح ٨.

رواها المفيد في الإرشاد^١ وابن شهر آشوب في المناقب^٢ والطبرسي في أعلام الوري^٣
والمجلسي في بحار الأنوار^٤.

عبدالله بن صالح الخثعمي عن أبي عبدالله ٧ قال: قال رسول الله ٦: قال
الله تعالى: عبدي المؤمن، إن خولته وأعطيته ورزقته واستقرضته، فإن أقرضتي عفوًا
أعطيته مكان الواحد مائة ألف فما زاد، وإن لا يفعل أخذته قسرًا في ماله، فإن يصبر
أعطيته ثلاث خصال، إن أختبر الواحدة منهم ملائكتي اختاروها ثم تلا هذه الآية
(الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)^٥.

أقول: قد مرّ منا نظيرها في الرواية الأولى حول هذه الآية الشريفة وقد قال إسحاق بن عمار
قال: أبو عبدالله ٧: هذا إن أخذ الله منه شيئًا فصبر واسترجع^٦.

إسماعيل بن زياد السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه : قال: قال
رسول الله ٦ أربع من كن فيه كتبه الله من أهل الجنة من كانت عصمته شهادة أن
لا إله إلا الله، ومن إذا أنعم الله عليه النعمة قال: الحمد لله، ومن إذا أصاب ذنبا قال
استغفر الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)^٨.

أبي علي المهلب عن أبي عبدالله ٧ قال: قال رسول الله ٦ أربع من كن فيه
كان في نور الله الأعظم من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا

١. الإرشاد ٢/ ٣١٧.

٢. المناقب ٤/ ٤٢٣.

٣. أعلام الوري ٢/ ١٣٥.

٤. بحار الأنوار ٥٠/ ٢٤٥، ح ١٨.

٥. سورة البقرة / ١٥٧.

٦. تفسير العياشي ١/ ١٧٠، ح ١٣٤.

٧. تفسير العياشي ١/ ١٧٠، ح ١٣٥.

٨. تفسير العياشي ١/ ١٦٩، ح ١٣٢.

رسول الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، ومن إذا أصاب خيرا قال الحمد لله ومن إذا أصاب خطيئة قال أستغفر الله وأتوب إليه.^١

صحيحة أبي المقدام عن أبي عبد الله عن أبيه : قال: قال رسول الله ﷺ: أربع من كن فيه كان في نور الله الأعظم: من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، ومن إذا أصاب خيرا قال الحمد لله رب العالمين، ومن إذا أصاب خطيئة قال: أستغفر الله وأتوب
خبر علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن آبائه صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله ﷺ: أربع من كن فيه كتبه الله من أهل الجنة: من كان عصمته شهادة أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله ومن إذا أنعم الله عليه بنعمة قال الحمد لله ومن إذا أصاب ذنبا قال أستغفر الله ومن إذا أصابته مصيبة قال (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ).^٣

رواها الطبرسي في مجمع البيان.^٤

الرضي رفعه عن أمير المؤمنين ٧ أنه وسمع رجلا يقول (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) فقال: إن قولنا (إِنَّا لِلَّهِ) إقرار على أنفسنا بالملك وقولنا (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) إقرار على أنفسنا بالهلك.^٥

رواها الطبرسي في جوامع الجامع^٦ والكاشاني في منهج الصادقين^٧.

مرفوعة أم سلمة قال رسول الله ﷺ: من أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله

١. تفسير العياشي ١/ ١٦٩، ح ١٣٣.

٢. الخصال ١/ ٢٢٢، ح ٤٩.

٣. أمالي المفيد/ ٧٦، المجلس التاسع، ح ١.

٤. مجمع البيان ١/ ٢٣٨.

٥. نهج البلاغة، الحكمة ٩٩؛ وخصائص الأئمة / ٩٥.

٦. جوامع الجامع ١/ ٩٢.

٧. منهج الصادقين ١/ ٣٦٧.

(إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) اللهم أجرني من مصيبي وأعقبني خيراً منه فعل الله ذلك به، قالت: فلما توفي أبو سلمة قلته، ثم قلت: ومن مثل أبي سلمة؟! فأعقبني الله برسوله ٦ فتزوّجني.^١

رواها الرازي في روض الجنان^٢ والكاشاني في منهج الصادقين.^٣
الطبرسي قال: في الحديث: من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه.^٤

رواها الثعلبي في تفسيره^٥ والهندي في كنز العمال^٦ والمجلسي في بحار الأنوار^٧.
الطبرسي رفعه عن رسول الله ٦ أنه قال: من أصيب بمصيبة فأحدث استرجاعاً وإن تقادم عهدا كتب الله له من الأجر مثل يوم أُصيب.^٨
رواها الثعلبي في تفسيره^٩ عن فاطمة بنت الحسين عن أمها عن رسول الله ٦.
والهندي في كنز العمال^{١٠} والمجلسي في بحار الأنوار^{١١}.
عن رسول الله ٦ أنه قال: كل شيء يؤذي المؤمن فهو مصيبة.^{١٢}
أحمد بن موسى بن مردويه الإصفهاني بإسناده عن ابن عباس قال: إنَّ

١. الدعوات / ٢٨٥، ح ١١ ونقل عنه في بحار الأنوار ٧٩ / ١٣٢.

٢. روض الجنان ٢ / ٢٤٢.

٣. منهج الصادقين ١ / ٣٦٧.

٤. مجمع البيان ١ / ٢٣٨.

٥. الكشف والبيان ٢ / ٢٣.

٦. كنز العمال ٣ / ٢٩٨، ح ٦٦٣٩.

٧. بحار الأنوار ٧٩ / ١٢٦.

٨. مجمع البيان ١ / ٢٣٨.

٩. الكشف والبيان ٢ / ٢٣.

١٠. كنز العمال ٣ / ٢٦٤، ح ٦٤٧١.

١١. بحار الأنوار ٧٩ / ١٢٦.

١٢. منهج الصادقين ١ / ٣٦٦.

أمير المؤمنين 7 لما وصل إليه ذكر قتل عمه حمزة عليه السلام قال: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) فنزلت هذه الآية (وَنَشِيرُ الصَّيْرِتَ...) ١ الآية وهو القائل عند تلاوتها: (إِنَّا لِلَّهِ) إقرار بالملك (وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) إقرار بالهلاك. ٢

رواها البرسي في مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين 37 وابن شهر آشوب في المناقب ٤ والعلامة الحلي في نهج الحق ٥ والسيد شرف الدين علي الأسترآبادي في تأويل الآيات الطاهرة ٦ والمشهدى في كنز الدقائق ٧ والمجلسي في بحار الأنوار ٨ والبحراني في البرهان ٩.

عن النبي 6 أنه قال: من قال هذه الكلمات في كل يوم عشرين غفر الله تعالى له أربعة آلاف كبيرة ووقاه من شر الموت وضغطة القبر والنشور والحساب والأهوال كلها وهو مائة هول أهونها الموت ووقي من شر إبليس وجنوده وقضي دينه وكشف همه وغمه وفرج كربيه وهي هذه أعددت لكل هول لا إله إلا الله ولكل هم وغم ما شاء الله ولكل نعمة الحمد لله ولكل رخاء الشكر لله ولكل أعجوبة سبحان الله ولكل ذنب أستغفر الله ولكل مصيبة (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ولكل ضيق حسبي الله ولكل قضاء وقدر توكلت على الله ولكل عدو إعتصمت بالله ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة بالله العلي العظيم. ١٠

١. سورة البقرة / ١٥٥.

٢. منازل من القرآن في علي 7 / ٢٢٣، طبع دار الحديث، عام ١٤٢٢.

٣. مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين علي 7 / ١٧٥.

٤. المناقب 2 / ١٢٠.

٥. نهج الحق / ٢٠٩.

٦. تأويل الآيات الطاهرة ١ / ٨٢.

٧. كنز الدقائق ١ / ٣٨٣.

٨. بحار الأنوار ٣٦ / ١٩١ و ٤١ / ٣.

٩. البرهان ١ / ٣٦٠، ح ٨.

١٠. بحار الأنوار ٨٤ / ٥، ح ٨ (٤٩٧ / ٣٤).

رواها الكفعمي في مصباحه.^١

(أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) ﴿١٥٧﴾

تتمة الآية السابقة.

(أُولَئِكَ) مبتدأ، إشارة إلى (الصَّابِرِينَ) * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^٢.

(عَلَيْهِمْ) جار ومجرور متعلق بخبر مقدم.

(صَلَوَاتٌ) مبتدأ مؤخر، (عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ) خبر مبتدأ (أُولَئِكَ) «الصلوة من الله التكريم وعلو المنزلة»^٣ وهي كالمقدمة إلى الرحمة وهي غير الرحمة والشاهد على ذلك (صَلَوَاتٌ) جمع و (رَحْمَةٌ) مفرد.

(مِّن رَّبِّهِمْ) جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من (صَلَوَاتٌ). (و) عاطفة.

(رَحْمَةٌ) معطوف على (صَلَوَاتٌ). «رحمته تعالى لعبيده الرفق بهم والهداية إلى

خيرهم والإنعام عليهم»^٤.

(و) عاطفة. (أُولَئِكَ) مبتدأ، على (أُولَئِكَ) الأول. (هُمْ) مبتدأ.

(الْمُهْتَدُونَ) خبر وجملة (هُمْ الْمُهْتَدُونَ) خبر مبتدأ (أُولَئِكَ).

الإهداء: الإصابة لطريق الحق وهو الإصابة للطريق المؤدي إلى النعمة.

١. المصباح / ٨٢ و ٨٣.

٢. سورة البقرة / ١٥٥ و ١٥٦.

٣. التفسير الكاشف / ١ / ٢٤٣.

٤. التفسير الكاشف / ١ / ٢٤٣.

«الإتيان بالجملة الإسمية في قوله: (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)، والابتداء باسم الإشارة الدالّ على البعيد، وضمير الفصل ثانيًا وتعريف الخبر بلام الموصول في قوله: (الْمُهْتَدُونَ) كل ذلك لتعظيم أمرهم وتفخيمه»^١.

الروايات

خبر أبي بصير عن أبي عبد الله جعفر بن محمد 7 قال: قال أبي جابر بن عبد الله الأنصاري إنّ لي إليك حاجة فمتى يخفّ عليك أن أخلو بك فيها فأسالك عنها قال جابر في أيّ الأوقات أحببت فخلا به أبي يومًا فقال له يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته بيد فاطمة بنت رسول الله 6 وعما أخبرتك أمي فاطمة به مما في ذلك اللوح مكتوب فقال جابر أشهد الله لا شريك له أنّي دخلت على أمك فاطمة 3 في حياة رسول الله 6 فهنيئتها بولادة الحسين 7 ورأيت في يدها لوحًا أخضر ظننت أنّه من زمرد ورأيت فيه كتابة بيضاء شبيهة بنور الشمس فقلت لها بأبي أنت وأمي ما هذا اللوح فقالت هذا لوح أهداه الله ﷺ إلى رسوله 6 فيه اسم أبي واسم بعلي واسم وَلَدَيَّ واسم الأوصياء من وُلدي أعطانيه أبي ليشرّني بذلك قال جابر فدفعته إلى أمك فاطمة 3 فقرأته ونسخته فقال له أبي 6 يا جابر فهل لك أن تعرضه عليّ قال نعم فمشى معه أبي إلى منزله فأخرج أبي صحيفة من رَقٍّ فقال يا جابر انظر في كتابك حتّى اقرأ أنا عليك فقرأه أبي عليه فما خالف حرف حرفًا فقال جابر فأشهد الله أنّي هكذا رأيته في اللوح مكتوبًا (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وحجابه وسفيره ودليله نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين يا محمد عظم أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي إني أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين ومديل المظلومين وديان يوم الدين وإني أنا الله لا إله إلا أنا فمن رجا غير

فضلي أو خاف غير عدلي عذّبه عذاباً لا أُعذّبه أحداً من العالمين إياي فاعبد وعلّي فتوكّل إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وأنقضت مدته إلّا جعلت له وصياً وإني فضّلتك على الأنبياء وفَضَّلْتُ وصيّك على الأوصياء وأكرمتك بِشِبْلِكَ وَسِبْطِكَ الحسن والحسين فجعلت الحسن معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه وجعلت حسينا معدن وحيي فأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة فهو أفضل من استشهد في وأرفع الشهداء درجة عندي جعلت كلمتي التامة معه وحجتي البالغة عنده بعترته أثيب وأعاقب أولهم علّي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين وابنه سَميّ جدّه المحمود محمد الباقر لعلمي والمعدن لحكمتي سيهلك المرتابون في جعفر الراد عليه كالرّاد علّي حقّ القول منّي لأكرم منّ مثوى جعفر ولأُسَرِّنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه أُتِيحت بعده فتنة عمياء حندس لأنّ خيط فرضي لا ينقطع وحجتي لا تخفى وإنّ أوليائي بالكأس الأوفى يسقون أبدال الأرض ألا ومن جحد واحدا منهم فقد جحدني نعمتي ومن غيّر آية من كتابي فقد افترى علّي ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة عبدي موسى وحيبي وخيرقي إنّ المكذّب به كالمكذّب بكُلّ أوليائي وهو وليي وناصري ومن أضعّ عليه أعباء النّبوه وأمتحنه بالاضطلاع بها وبعده خليفتي علي بن موسى الرضا يقتله عفريت مستكبر يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح ذو القرنين خير خلقي يدفن إلى جنب شرّ خلقي حق القول مني لأُقَرِّنَ عينه بابنه محمد وخليفته من بعده ووارث علمه وهو معدن علمي وموضع سري وحجتي على خلقي جعلت الجنة مثواه وشفعته في سبعين ألفاً من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي أُخْرِجُ منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن ثمّ أكمل ذلك بابنه رحمة للعالمين عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب تستذل أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين وجلين مرعوبين تصبغ الأرض من دمائهم ويفشو الويل والرّثة في نسائهم أولئك أوليائي حقّاً وحقّ علّي أن أرفع عنهم

كل عمياء حندس وبهم اكشف الزلازل وأرفع عنهم الآصار والأغلال (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) قال أبو بصير لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث الواحد لكفاك فضنه إلا عن أهله.^١

عن رسول الله ﷺ أنه قال: إِنَّ اللَّهَ ﷻ أعطى عباده الدنيا قرضا فمن أخذ منه شيئا منها قصرا فصبر عوضه الله منه ثلاثا لو عوض واحدة منها ملائكته رضوا الصلاة والرحمة والهداية قال ﷻ (وَنَشِيرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ).^٢

خبر زرارة بن أعين قال: ثَقُلَ ابن جعفر بن محمد الصادق 7 في حياة أبي جعفر وكان جعفر جالسا في ناحية البيت والغلام في النزع فكلما دنا منه إنسان قال لا تمسه لأنه يزداد ضعفا لأنَّ أضعف ما يكون المريض إذا كان في هذه الحالة فكل من مسه فقد أعان عليه فلما قبض الغلام أمر به فاغمض ثم قال لنا إنما الجزع والكآبة والحزن ما لم ينزل أمر الله فإذا نزل أمر الله فليس إلا التسليم والرضا ثم دعا بدهن فادّهن واكتحل ودعا بطعام فأكل هو ومن معه ثم قال هذا هو الصبر الجميل الذي وعدنا الفضل عليه قال الله تعالى (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) ثم أمر به فغسل ولبس أحسن ثيابه وخرج فصلّى عليه.^٣

أقول: قد مرّ منا في الآية السابقة ما يفيد في المقام.

١. الغيبة للنعماني / ٦٢، ح ٥.

٢. دعائم الإسلام / ١ / ٢٢٣.

٣. طب الأئمة / ٨٠.

(﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾)

«العبادة على أقسام شكلاً وتوقيتاً، وبالنظر إلى التوقيت منها ما يجب في كل يوم، وهي الصلاة، ومنها في كل سنة، وهو صوم رمضان، ومنها في العمر مرة، وهو الحج للمستطيع، والحج أحد الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام»^١.
(إِنَّ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد.
(الصَّفَا) اسم (إِنَّ)، في اللغة: الحجر الصُّلب الأملس وهو جبل بل ربوة بمكة قريب من الكعبة وهو بداية السعي في أعمال الحج والعمرة.
(وَ) عاطفة.

(الْمَرْوَةَ) معطوف على (الصَّفَا). في اللغة: الحجارة الصلبة اللينة وهي في مقابل الصفاء ويعدّ نهاية السعي وبينهما مسافة سبعمائة وسبعين ذراعاً.
(مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) حرف جر ومجروره ومضاف إليه، متعلّق بخبر (إِنَّ).
(شَعَائِرٍ) جمع شعيرة وهي العلامة، مأخوذة من الإشعار بمعنى الإعلام. «الشعائر: المعالم للأعمال، فـ(شَعَائِرِ اللَّهِ): معالم الله التي جعلها مواطن للعبادة وهي أعلام متعبداته من موقف أو مسعى أو منحدر...»^٢.

(فَ) تفرعية. (مَنْ) اسم شرط جازم، مبتدأ.
(حَجَّ) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو»، في محل جزم فعل الشرط الحج:

١. التفسير الكاشف ١/ ٢٤٤.

٢. التبيان ٢/ ٤٢.

في اللغة القصد وفي مصطلح التشريع: قصد البيت بالعمل المشروع الخاص.
 (أَلْبَيْتَ) مفعول به، بيت الله الحرام، الكعبة المقدسة وهي قبلة المسلمين.
 (أَوْ) حرف عطف للتخيير.
 (أَعْتَمَرَ) معطوف على (حَجَّ أَلْبَيْتَ)، فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو»،
 العمرة في اللغة الزيارة وهي هنا زيارة البيت الله الحرام بالعمل المشروع الخاص.
 (فَ) واقعة في جواب الشرط. (لَا) نافية للجنس.
 (جُنَاحَ) اسم (لَا)، وهو الميل عن الحق والعدل والمراد به الإثم، نفى الجناح
 والإثم «كان ذلك في عمرة القضاء ولم يكن فتح مكة بعد وكانت الأصنام على حالها
 حول الكعبة»^١ كما هو المروي عن الصادقين ٨.
 (عَلَيْهِ) جار ومجرور متعلق بخبر (لَا). (أَنْ) حرف مصدرية ناصبة.
 (يَطُوفُ) فعل مضارع منصوب بـ«أَنْ» وفاعله ضمير مستتر «هو»، والمصدر
 المنسبك من (أَنْ يَطُوفُ) وهو طوافاً أو تطوّفاً مجرور بـ«في» المحذوفة والمجرور
 متعلق بمحذوف خبر (لَا). الطواف: الدور وهنا: السعي بين الصفا والمروة.
 (بِهِمَا) جار ومجرور متعلق بـ(يَطُوفُ). (و) عاطفة.
 (مَنْ) معطوف على (مَنْ) السابق.
 (تَطَوَّعَ) فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو»، فعل الشرط، من الطَوْع: وهو
 الإنقياد والطاعة. أي بالحج والعمرة بعد الفريضة، أو بعد الفرائض.
 (خَيْرًا) صفة لمفعول مطلق محذوف تقديره: تطوعاً (خَيْرًا). أو منصوب بنزع
 الخافض تقديره: (تَطَوَّعَ) بـ«خير».
 (فَ) واقعة في جواب الشرط.

(إِنَّ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد. (اللَّهُ) اسم (إِنَّ).
(شَاكِرٌ عَلِيمٌ) خبرا (إِنَّ). أي (شَاكِرٌ) بالثواب و (عَلِيمٌ) بالأعمال.

الروايات

خبر الحسن بن الصيرفي عن بعض أصحابنا قال سئل أبو عبدالله 7 عن السعي بين الصفا والمروة فريضة أم سنة؟ فقال فريضة قلت: أو ليس قال الله ﷻ (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) قال كان ذلك في عمرة القضاء إِنَّ رسول الله 6 شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة فتشاغل رجل وترك السعي حتّى انقضت الأيام وأُعِيدَت الأصنام فجاءوا إليه فقالوا يا رسول الله إِنَّ فلانا لم يسع بين الصفا والمروة وقد أُعِيدَت الأصنام فأنزل الله ﷻ (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) أي وعليهما الأصنام.^١

رواها العياشي في تفسيره^٢ والطوسي في التهذيب^٣.

صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبدالله 7 قال: إِنَّ رسول الله 6 أقام بالمدينة عشر سنين لم يحجّ ثم أنزل الله ﷻ عليه وأُذِّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالا وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق فأمر المؤذنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم بأنّ رسول الله 6 يحجّ في عامه هذا فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراف واجتمعوا لحج رسول الله 6 وإنما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون ويتبعونه أو يصنع شيئا فيصنعونه فخرج رسول الله 6 في أربع بقين من ذي القعدة فلما انتهى إلى ذي الحليفة زالت الشمس فاغتسل ثم خرج حتّى أتى المسجد الذي عند الشجرة

١. الكافي ٤/ ٤٣٥، ح ٨.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٧١، ح ١٣٨.

٣. التهذيب ٥/ ١٤٩.

فصلى فيه الظهر وعزم بالحج مفردا وخرج حتى انتهى إلى البداء عند الميل الأول فصَفَّ له سباطان فلبى بالحج مفردا وساق الهدى ستاً وستين أو أربعاً وستين حتى انتهى إلى مكة في سلخ أربع من ذي الحجة فطاف بالبيت سبعة أشواط ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم 7 ثم عاد إلى الحجر فاستلمه وقد كان استلمه في أول طوافه ثم قال (إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) فأبدأ بما بدأ الله تعالى به وإن المسلمين كانوا يظنون أنَّ السعي بين الصفا والمروة شيء صنعته المشركون فأنزل الله ﷻ (إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) ثم أتى الصفا فصعد عليه واستقبل الركن اليماني فحمد الله وأثنى عليه ودعا مقدار ما يقرأ سورة البقرة مترسلاً ثم انحدر إلى المروة فوقف عليها كما وقف على الصفا ثم انحدر وعاد إلى الصفا فوقف عليها ثم انحدر إلى المروة حتى فرغ من سعيه فلما فرغ من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن هذا جبرئيل وأوماً بيده إلى خلفه يأمرني أن أمر من لم يسق هدياً أن يحلّ ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لَصَنَعْتُ مثل ما أمرتكم ولكني سَقت الهدى ولا ينبغي لسائق الهدى أن يحل (حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ) ١ قال: فقال له رجل من القوم لَنُخْرِجَنَّ حُجَّاجَنَا ورؤوسنا وشُعورنا تقطر فقال له رسول الله ﷺ 6 أما أنك لن تؤمن بهذا أبداً فقال له سراقه بن مالك بن جعشم الكناني يا رسول الله علّمنا ديننا كأنّا خلّقنا اليوم فهذا الذي أمرتنا به لعامنا هذا أم لما يستقبل فقال له رسول الله ﷺ 6 بل هو للأبد إلى يوم القيامة ثم شبّك أصابعه وقال دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة قال: وقدم عليّ 7 من اليمن على رسول الله ﷺ وهو بمكة فدخل على فاطمة سلام الله عَلَيْهَا وهي قد أحلّت فوجد ريحاً طيبةً ووجد عليها ثياباً مسبوغةً فقال ما هذا يا فاطمة؟

فقلت: أمرنا بهذا رسول الله 6 فخرج علي 7 إلى رسول الله 6 مستقيماً فقال يا رسول الله إني رأيت فاطمة قد أحلّت وعليها ثياب مصبوعة فقال رسول الله 6 أنا أمرت الناس بذلك فأنت يا علي بما أهلت قال يا رسول الله إهلاً لكاهلال النبي فقال له رسول الله 6 قرّ على إحرامك مثلي وأنت شريكي في هديي قال ونزل رسول الله 6 بمكة بالبطحاء هو وأصحابه ولم ينزل الدور فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا ويهلّوا بالحجّ، الحديث.^١

ورواها الشيخ الطوسي في التهذيب^٢.

صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله 7 إنّ رسول الله 6 حين فرغ من طوافه وركعتيه قال أبدا بما بدا الله 6 به من إتيان الصفا إنّ الله 6 يقول (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) قال أبو عبد الله 7 ثمّ اخرج إلى الصفا من الباب الذي خرج منه رسول الله 6 وهو الباب الذي يقابل الحجر الأسود حتّى تقطع الوادي وعليك السكينة والوقار فاصعد على الصفا حتّى تنظر إلى البيت وتستقبل الركن الذي فيه الحجر الأسود واحمد الله وأثن عليه ثمّ اذكر من الآئه وبلائه وحسن ما صنع إليك ما قدرت على ذكره ثمّ كبر الله سبعا واحمده سبعا وهلل سبعا وقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت وهو على كل شيء قدير ثلاث مرات ثمّ صل على النبي 6 وقل الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا والحمد لله الحي القيوم والحمد لله الحي الدائم ثلاث مرات وقل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون ثلاث مرات اللهم اني أسألك العفو والعافية واليقين في الدنيا والآخرة

١. الكافي ٤/ ٢٤٥، ح ٤.

٢. التهذيب ٥/ ٤٥٤.

ثلاث مرات اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ثلاث مرات
ثم كبر الله مائة مرة وهلل مائة مرة واحمد مائة مرة وسبح مائة مرة وتقول لا إله إلا الله
وحده أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فله الملك وله الحمد وحده
وحده اللهم بارك لي في الموت وفي ما بعد الموت اللهم إني أعوذ بك من ظلمة القبر
ووحشته اللهم أظلني في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك وأكثر من إن تستودع ربك
دينك ونفسك وأهلك ثم تقول أستودع الله الرحمن الرحيم الذي لا يضيع ودائعه
نفسي وديني وأهلي اللهم استعملني على كتابك وسنة نبيك وتوفني على ملته وأعذني
من الفتنة ثم تكبر ثلاثا ثم تعيدها مرتين ثم تكبر واحدة ثم تعيدها فإن لم تستطع هذا
فبعضه وقال أبو عبدالله 7 إن رسول الله 6 كان يقف على الصفا بقدر ما يقرأ
سورة البقرة مترتلاً^١.

رواها الشيخ في التهذيب^٢.

خبر أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله 7 يقول: ما من بقعة أحب إلى الله من
المسعى لأنه يذل فيها كل جبار. وروى أنه سئل لم جعل السعى؟ فقال مذلة
للجبارين^٣.

حماد بن عثمان قال: قال أبو عبدالله 7: أنه كان على الصفا والمروة أصنام فلما
أن حج الناس لم يدروا كيف يصنعون فأنزل الله هذه الآية (إِنَّ الْأَصْنَامَ وَالْمُرُوءَ مِنْ شَعَائِرِ
اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) فكان الناس يسعون
والأصنام عليها فلما حج النبي 6 رمى بها^٤.

١. الكافي ٤/ ٤٣١، ح ١.

٢. التهذيب ٥/ ١٤٥.

٣. الكافي ٤/ ٤٣٤، ح ٣.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٧١، ح ١٤٠.

عاصم بن حميد عن أبي عبد الله 7 (إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) يقول لا حرج عليه أن يطوف بهما فنزلت هذه الآية، فقلت هي خاصة أو عامة قال: هي بمنزلة قوله (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) ١ فمن دخل فيهم من الناس كان بمنزلتهم يقول الله (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) ٣.٢

رواها عاصم بن حميد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر في كتابه. ٤

أبي بصير عن أبي جعفر 7 في قول الله (إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا) أي لا حرج عليه ان يطوف بهما. ٥

صحيحة زرارة ومحمد بن مسلم أنها قالوا قلنا لأبي جعفر 7 ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي وكم هي؟ فقال إن الله ﷻ يقول: (وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ) ٦ فصار التقصير في السفر واجبا كوجوب التمام في الحضر قالوا قلنا إنما قال الله ﷻ (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) ولم يقل إفعلوا فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر؟ فقال 7: أو ليس قد قال الله ﷻ في الصفا والمروة (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا) ألا ترون أن الطواف بهما واجب مفروض لأن الله ﷻ ذكره في كتابه وصنعه نبيه 7 وكذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبي 6 وذكره الله تعالى ذكره في كتابه.

١. سورة فاطر / ٣٢.

٢. سورة النساء / ٦٩.

٣. تفسير العياشي ١ / ١٧٠، ح ١٣٧.

٤. راجع الأصول الستة عشر / ٣٠.

٥. تفسير العياشي ١ / ١٧٠، ح ١٣٦.

٦. سورة النساء / ١٠١.

قالا: قلنا له فمن صلى في السفر أربعاً أيعيد أم لا؟ قال: إن كان قد قرئت عليه آية التقصير وفسرت له فصلّى أربعاً أعاد وإن لم يكن قرئت عليه ولم يعلمها فلا إعادة عليه والصلوات كلها في السفر الفريضة ركعتان كل صلاة إلا المغرب فإنها ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول الله ﷺ في السفر والحضر ثلاث ركعات.

وقد سافر رسول الله ﷺ إلى ذي خشب وهي مسيرة يوم من المدينة يكون إليها بریدان أربعة وعشرون ميلاً فقصر وأفطر فصارت سنة قد سمى رسول الله ﷺ قوما صاموا حين أفطر العصاة قال ٧ فهم العصاة إلى يوم القيامة وأنا لنعرف أبناءهم وأبناء أبنائهم إلى يومنا هذا.^١

رواها العياشي في تفسيره^٢ ومختصراً في دعائم الإسلام^٣ ورواها ذيلها [وقد سمى رسول الله ﷺ الكليني في الكافي^٤ بسند صحيح].

الطبرسي رفعه عن الصادق ٧ انه قال: كان المسلمون يرون أن الصفا والمروة مما ابتدع أهل الجاهلية فأنزل الله هذه الآية.^٥

الطبرسي رفعه عن رسول الله ﷺ أنه قال: كتب عليكم السعي فاسعوا.^٦

رواها الرازي في روض الجنان^٧ مع زيادة «يا أيها الناس» في أولها. ورواها مع هذه الزيادة الثعلبي في تفسيره.^٨

١. الفقيه ١/٤٣٤، ح ١٢٦٥.

٢. تفسير العياشي ١/٤٣٦، ح ٢٥٦.

٣. دعائم الإسلام ١/١٩٥.

٤. الكافي ٤/١٢٧، ح ٦.

٥. مجمع البيان ١/٢٤٠.

٦. مجمع البيان ١/٢٤٠.

٧. روض الجنان ٢/٢٥٥.

٨. الكشف والبيان ٢/٢٨.

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي

الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ) ﴿١٥٩﴾

عود إلى بيان نوع آخر من عناد أهل الكتاب في إنكار الحق وهو كتمان الحق من رأسه أو بتحريفه عن مواضعه وفي الآية إطلاق يشمل غيرهم.

(إِنَّ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد. (الَّذِينَ) اسم (إِنَّ).

(يَكْتُمُونَ) فعل مضارع وفاعله. الكتمان: الإخفاء مع وجود الداعي إلى الإظهار وهو «أعم من كتمان أصل الآية وعدم إظهاره للناس أو كتمان دلالته بالتأويل أو صرف الدلالة بالتوجيه...»^١.

(مَا) موصولة، مفعول به. (أَنزَلْنَا) فعل ماضٍ وفاعله.

(مِّنَ الْبَيِّنَاتِ) حرف جر بياني ومجروره متعلق بحال محذوف من (مَا) أي: حال كونه (مِّنَ الْبَيِّنَاتِ). (الْبَيِّنَاتِ): جمع البينة والمراد بها: «الآيات والحجج التي هي بينات وأدلة وشواهد على الحق الذي هو الهدى»^٢.
(و) عاطفة.

(أَهْدَىٰ) معطوف على (الْبَيِّنَاتِ)، وهو «ما تضمنته الدين الإلهي من المعارف والأحكام الذي يهدي تابعيه إلى السعادة»^٣.

(مِّنْ بَعْدِ) جار ومجروره متعلق بـ (يَكْتُمُونَ).

(مَا) موصولة، مضاف إليه. (بَيَّنَّاهُ) فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به.

١. الميزان ١/ ٣٨٨.

٢. الميزان ١/ ٣٨٨.

٣. الميزان ١/ ٣٨٨.

(لِلنَّاسِ) لام التعليل و «ال» الإستغراق، يدلّ على «أنّ كتبناهم إنّما هو بعد البيان والتبيين للناس، لا لهم فقط»^١.

(فِي الْكِتَابِ) جار ومجرور متعلّق بـ(بَيَّنَّه). والمراد به التوراة في صورة اختصاص الآية باليهود وكل كتاب أنزله الله في صورة إطلاق الآية وهو الظاهر. (أُولَئِكَ) اسم اشارة، مبتدأ. اشارة إلى (الَّذِينَ يَكْفُرُونَ...).

(يَلْعَنُهُمْ) فعل مضارع ومفعول به مقدم. اللعن: الإبعاد على وجه الطرد من رحمة الله بإيجاب العقوبة مع إذلال وغضب، ولعنه الله دعاءً بمعنى أبعد الله من رحمته.

(اللَّهُ) فاعله. (و) عاطفة. (يَلْعَنُهُمْ) معطوف على (يَلْعَنُهُم) الأوّل. (الْلَّعْنُونَ) فاعله.

«لعن الغير محرّم، ومن الكبائر، لأنه إثم وعدوان، تمامًا كالتعدي على الأموال، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّعْنَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ [فِي] صَاحِبِهَا تَرَدَّدَتْ [فِيهَا] بَيْنَهُمَا، فَانْ وَجَدَتْ مَسَاعًا، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَى صَاحِبِهَا...»^٢ وقد خرج عن هذا المبدأ أصناف أجازت الشريعة لعنهم، وهم:

١- الكافر، والآيات كثيرة في ذلك، ومنها قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)^٣، أمّا الأحاديث فقد تجاوزت حدّ التواتر، منها ما جاء في كتاب أحكام القرآن للقاضي أبي بكر المعافري، فقد ذكر عند تفسير الآية ١٦١ من سورة البقرة أنّ النبي ﷺ قال: اللهم إنّ عمرو بن العاص

١. الميزان ١/ ٣٨٨.

٢. الكافي ٤/ ٩١، ح ٧ (٢/ ٣٦٠).

٣. سورة البقرة / ١٦٩١.

هجانى، وقد علم أنى لست بشاعر، فلعنه.

٢- الظالم، مسلماً كان، أو غير مسلم، لقوله تعالى: (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) ١.

٣- من كذب على الله ورسوله، قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) ٢... ومن الكذب على الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل.

٤- من يسعى في الأرض فسادًا.

٥- من يفتن بين الناس، ويثير النعرات والحزازات.

أما لعن غير هؤلاء فمحَلُّ إشكال ونظر... أجل، من تجاهر بمعصية غير مكترث تجوز غيبته فيما تجاهر به خاصة... وبدية أن جواز الغيبة شيء، وجواز اللعن شيء آخر... أما ما يستعمله العوام من لعن الحيوان، وما إليه فهو من اللغو الذي يجمل تركه» ٣.

الروايات

ابن أبي عمير عن ذكره عن أبي عبد الله ٧ (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَآهَدُوا فِي عَمَلِهِمْ) ٤. ٧

حمران عن أبي جعفر ٧ في قول الله (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَآهَدُوا مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) يعني بذلك نحن والله المستعان. ٥
بعض أصحابنا عن أبي عبد الله ٧ قال قلت له أخبرني عن قول الله (إِنَّ الَّذِينَ

١. سورة الأعراف / ٤٤.

٢. سورة هود / ١٨.

٣. التفسير الكاشف ١ / ٢٤٩.

٤. تفسير العياشي ١ / ١٧٢، ح ١٤١.

٥. تفسير العياشي ١ / ١٧٢، ح ١٤٢.

يَكْتُمُونَ مَا أُنزِلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) قال نحن يعني بها والله المستعان، ان الرجل منا إذا صارت إليه لم يكن له أو لم يسعه إلا ان يبين للناس من يكون بعده.^١

عبدالله بن بكير عمن حدثه عن أبي عبدالله 7 في قوله (أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ) قال نحن هم وقد قالوا: هو أم الأرض.^٢

زيد الشحام قال سئل أبو عبدالله 7 عن عذاب القبر قال: أبا جعفر 7 حدثنا أن رجلاً أتى سلمان الفارسي فقال: حدثني فسكت عنه ثم عاد فسكت فأدبر الرجل وهو يقول ويتلو هذه الآية (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنزِلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) فقال له أقبل أنا لو وجدنا أميناً لحدّثناه ولكن أعد لمنكر ونكير إذا أتياك في القبر فسألاك عن رسول الله 6 فإن شككت أو التويت^٣ ضرباك على رأسك بمطرقة معها تصير منه رماداً فقلت ثم مه قال: تعود ثم تعذب، قلت: وما منكر ونكير؟ قال: هما قعيدا القبر، قلت: أملكنا يعذبان الناس في قبورهم؟ فقال: نعم.^٤

وقال: محمد بن مسلم قال: هم أهل الكتاب.^٥

خبر الشعبي قال لما نزلت [الآية] (فَقُلْ نَعَالُوا نَدْعُ أَتْبَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) أخذ رسول الله 6 يتكأ على علي والحسن [ببكاء الحسن كساء فالقاه على علي والحسن] والحسين [وعلي] تبعته فاطمة قال فقال هذه [هؤلاء]

١. تفسير العياشي ١/١٧٣، ح ١٤٤.

٢. تفسير العياشي ١/١٧٣، ح ١٤٦.

٣. التوى: ما طل وأعرض.

٤. تفسير العياشي ١/١٧٢، ح ١٤٣.

٥. تفسير العياشي ١/١٧٣، ح ١٤٥.

أبناءنا وهذه نساءنا وهذه [وهذا] أنفسنا [ع] فقال رجل لشريك يا أبا عبد الله (إنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَهُدًى) إلى آخر الآية قال يلعنهم كل شيء حتى الخنافس في جحرها ثم غضب شريك واستشاط فقال يا معافا فقال له رجل يقال له ابن المقعد يا أبا عبد الله إنه لم يعنك [يفنك] فقال أنت [له] أيقع [أنفع] إنما أراذني تركت ذكر علي [بن أبي طالب 7].^١

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: قال الإمام 7 قوله ﷺ (إنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَهُدًى) من صفة محمد وصفة علي وحليته (وَأَهْدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) [قال]: والذي أنزلناه من [بعد] الهدى، هو ما أظهرناه من الآيات على فضلهم ومحلمهم كالغمامة التي كانت تُظَلُّ رسول الله 6 في أسفاره، والمياه الأجاجة التي كانت تعذب في الآبار والموارد بِبُصَاقِهِ والأشجار التي كانت تتهدل ثمارها بنزوله تحتها والعاهات التي كانت تزول عن يده عليه أو ينفث بِبُصَاقِهِ فيها. وكالآيات التي ظهرت على علي 7 من تسليم الجبال والصخور والأشجار قائلة «يا ولي الله»، ويا خليفة رسول الله 6 والسموم القائلة التي تناولها مَنْ سَمِيَ باسمه عليها ولم يصبه بلاؤها، والأفعال العظيمة من التلال والجبال التي قلعتها ورمى بها كالحصاة الصغيرة، وكالعاهات التي زالت بدعائه، والآفات والبلايا التي حلت بالأصحاء بدعائه، وسائرهما مما خصَّه الله تعالى به من فضائله. فهذا من الهدى الذي بيَّنه الله للناس في كتابه، ثم قال: أولئك [أي أولئك] الكاتمون لهذه الصفات من محمد 6 ومن علي 7 المخفون لها عن طليبيها الذين يلزمهم إبدائها لهم عند زوال التقية (يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ) يلعن الكاتمين (وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ). فيه وجوه منها (يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ) أنه ليس أحد محققا كان أو مبطلا إلا وهو يقول: لعن الله الظالمين

١. تفسير فرائد الكوفي / ٨٧، ح ٣٨.

الكاتمين للحق، إنّ الظالم الكاتم للحق ذلك يقول أيضًا لعن الله الظالمين الكاتمين، فهم على هذا المعنى في لعن كل اللاعنين، وفي لعن أنفسهم. ومنها أنّ الإثنيين إذا ضجروا بعضهما على بعض وتلاعنا إرتفعت اللعتان، فاستأذنتا ربهما في الوقوع لمن بُعثتا عليه. فقال الله ﷻ للملائكة: انظروا، فإن كان اللاعن أهلاً للعن وليس المقصود به أهلاً فأنزلوهما جميعاً باللاعن. وإن كان المشار إليه أهلاً، وليس اللاعن أهلاً فوجَّهوهما إليه. وإن كانا جميعاً لها أهلاً، فوجَّهوا لعن هذا إلى ذلك، ووجَّهوا لعن ذلك إلى هذا، وإن لم يكن واحد منهما لها أهلاً لإيمانها، وإنّ الضجر أحوجهما إلى ذلك، فوجَّهوا اللعتين إلى اليهود الكاتمين نعت محمد وصفته 6 وذكر علي 7 وحليته، وإلى النواصب الكاتمين لفضل علي، والدافعين لفضله. ثم قال الله ﷻ إلّا الذين تابوا من كتمانهم وأصلحوا أعمالهم، وأصلحوا ما كانوا أفسدوه بسوء التأويل فجحدوا به فضل الفاضل واستحقاق المحق وبيّنوا ما ذكره الله تعالى من نعت محمد 6 وصفته ومن ذكر علي 7 وحليته، وما ذكره رسول الله 6 (فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ) أقبل توبتهم و (أَنَا أَلْتَوَّابُ الرَّحِيمُ) ٢٠١

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: قيل لأمر المؤمنين 7: من خير خلق الله بعد أئمة الهدى ومصابيح الدجى قال: العلماء إذا صلحوا. قيل: فمن شر خلق الله بعد إبليس وفرعون ونمرود، وبعد المتسمين بأسمائكم والمتلقين بألقابكم، والأخذين لأمكنيتكم، والمتأمرين في ممالككم قال: العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للباطيل، الكاتمون للحقائق، وفيهم قال الله ﷻ (أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ) * إلّا الذين تابوا ٣ الآية، ثم قال الله ﷻ (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا

١. سورة البقرة / ١٦٠.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٥٦٩.

٣. سورة البقرة / ١٥٩ و ١٦٠.

مَنْ عِنْدَ اللَّهِ لِيَسْتَرُوْا بِهِمْ ثَمَنًا قَلِيْلًا^١ الآية. ٢

الطوسي رفعه عن النبي ﷺ أنه قال: مَنْ سُلَّ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ، فَكُتِبَ لَهُ الْجَمُّ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ.^٣

رواه الطبرسي في مجمع البيان^٤ والرازي في روض الجنان^٥ والمشهدي في كنز الدقائق^٦
والبحراني في البرهان في تفسير القرآن^٧.

وقد ذكرت بعض الروايات الواردة حول اللعن في موسوعي^٨ فراجعها إن شئت.

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ^٩

وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)

إِسْتَنْىَ اللَّهُ مِنَ الْآيَةِ السَّابِقَةِ مِنْ جُمْلَةِ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ اللَّعْنَ مَنْ تَابَ وَأَصْلَحَ
وَبَيَّنَّ.

(إِلَّا) أداة استثناء. (الَّذِينَ) اسم موصول، مستثنى بـ (إِلَّا).

(تَابُوا) فعل ماضٍ وفاعله. أي ندموا ورجعوا عن كتمان ما أنزل الله.

(وَ) عاطفة.

١. سورة البقرة / ٧٩.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٣٠٢ / ٧.

٣. التبيان ٤٦ / ٢.

٤. مجمع البيان ٢٤١ / ١.

٥. روض الجنان ٢٦٠ / ٢.

٦. كنز الدقائق ٣٩٠ / ١.

٧. البرهان في تفسير القرآن ٣٦٦ / ١، ح ٨.

٨. موسوعة أحاديث أهل البيت : ٥٣ / ١٠.

- (أَصْلَحُوا) معطوف على (تَابُوا)، (أَصْلَحُوا) كتمانهم بإظهار ما أنزل الله.
(وَ) عاطفة.
(بَيَّنُّوا) معطوف على (أَصْلَحُوا)، (بَيَّنُّوا) ما كتموه للناس.
(فَ) استثنائية. (أُولَئِكَ) اسم إشارة، مبتدأ.
(أَتُوبُ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا»، مبتدأ.
(عَلَيْهِمْ) جار ومجرور متعلق بـ(أَتُوبُ). (وَ) عاطفة. (أَنَا) مبتدأ.
(الَّتَوَّابُ الرَّحِيمُ) خبر ان، (الَّتَوَّابُ) صيغة مبالغة لكثرة قبوله التوبة و
(الرَّحِيمُ) يدل على اسقاط العذاب بعد التوبة.

الروايات

معتبرة بكير عن أبي عبدالله 7 أو عن أبي جعفر 7 قال: إنَّ آدم 7 قال: يا ربَّ سلَّطت عليَّ الشيطان وأجرته مني مجري الدم فاجعل لي شيئاً فقال: يا آدم جعلت لك أنَّ مَنْ هَمَّ مِنْ ذرَّيتك بسيئة لم تكتب عليه فإن عملها كتب عليه سيئة، ومن هَمَّ منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة فإن هو عملها كتبت له عشرًا، قال: يا ربَّ زدني، قال: جعلت لك أنَّ مَنْ عمل منهم سيئة ثمَّ استغفر غفرت له، قال: يا ربَّ زدني، قال: جعلت لهم التوبة أو قال - بسطت لهم التوبة - حتَّى تبلغ النفس هذه، قال: يا ربَّ حسبي.^١

حتَّى تبلغ النفس هذه، إشارة إلى حلقه.

صحيحة أبي عبيدة الحذاء قال: سمعت أبا جعفر 7 يقول: إنَّ الله تعالى أشدَّ فرحًا بتوبة عبده من رجل أضلَّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله أشدَّ فرحًا

١. الكافي ٢/ ٤٤٠، ح ١.

بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها.^١

أبي عبيدة الخذاء عن أبي جعفر ٧ قال: سمعته يقول: وجدنا في بعض كتب أمير المؤمنين ٧ قال: حدثني رسول الله ٦ أن جبرئيل ٧ حدثه - في حديث طويل - فأوحى الله إلى إسماعيل ٧: أن أهبط إلى قوم يونس فإيتهم قد عجزوا إليّ بالكاء والتضرع وتابوا إليّ واستغفروني فرحمتهم وتبّت عليهم وأنا الله التواب الرحيم، أسرع إلى قبول توبة عبدي التائب من الذنوب الحديث.^٢

خبر أبي بصير عن أبي عبد الله ٧ قال: سمعته يقول: أوحى الله ﷻ إلى داود النبي ٦: يا داود إنّ عبدي المؤمن إذا أذنب ذنباً ثمّ رجع وتاب من ذلك الذنب واستحيا منّي عند ذكره غفرت له وأنسيته الحفظة وأبدلته الحسنة ولا أبالي وأنا أرحم الراحمين.^٣

خبر السيّد فضل الله الراوندي بإسناده عن موسى بن جعفر ٧ عن آبائه : عن رسول الله ٦ انه قال: أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة وأبى الله لصاحب الخلق السيئ بالتوبة. فقل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: أمّا صاحب البدعة فقد أشرب قلبه [حبّها] وأمّا صاحب الخلق السيئ فإنه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم من الذنب الذي تاب منه.^٤

والروايات في باب التوبة كثيرة وقد ذكرت بعضها في كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت :^٥ فراجعها إن شئت.

١. الكافي ٢/ ٤٣٥، ح ٨.

٢. تفسير العياشي ٢/ ٢٩١، ح ٤٤ من سورة يونس.

٣. ثواب الأعمال / ١٥٨.

٤. النوادر / ١٣١، ح ١٦٥.

٥. موسوعة أحاديث أهل البيت: ٢/ (٢٨٤-٢٥٧).

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ

وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ﴿١٦١﴾

بيان حال الكافرين الذين كتموا الحق، في الدنيا وفي الآخرة إذا أصرّوا على كفرهم وعنادهم وكتماهم وجحودهم فهم العلماء الكاتمون لعلمهم.
(إِنَّ) تأكيد. (الَّذِينَ) اسم (إِنَّ).
(كَفَرُوا) فعل ماضٍ وفاعله. وهم المكذّبون المعاندون الكاتمون لما أنزل الله.
(وَ) عاطفة.
(مَاتُوا) معطوف على (كَفَرُوا)، أي (مَاتُوا) على كفرهم وعنادهم وكتماهم.
(وَ) حالية.
(هُمْ كُفَّارٌ) مبتدأ وخبر، حال من الضمير الفاعلي في (مَاتُوا).
(أُولَئِكَ) اسم إشارة يعود إليهم، مبتدأ.
(عَلَيْهِمْ) جار ومجرور خبر مقدم، (أُولَئِكَ) خبر (إِنَّ) الواردة في أول الآية.
(لَعْنَةُ) مبتدأ مؤخر، (عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ...) خبر (أُولَئِكَ). (اللَّهُ) مضاف إليه.
(وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ) معطوفان على الله بالواو العاطفة. (أَجْمَعِينَ) تأكيد.

الروايات

معتبرة سدير عن أبي جعفر 7 قال: قلت له: ما كان ولد يعقوب أنبياء؟ قال: لا ولكنهم كانوا أسباط أولاد الأنبياء ولم يكن يفارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكروا

ما صنعوا وإنَّ الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ما صنعنا بأمر المؤمنين 7
فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.^١

معتبرة سدير قال: سألت أبا جعفر 7 عنها، فقال يا أبا الفضل ما تسألني
عنها فو الله ما مات منا ميت قطّ إلا ساخطاً عليها، وما منا اليوم إلا ساخطاً عليها
يوصي بذلك الكبير منا الصغير، انهما ظلمانا حقنا، ومنعانا فيئنا، وكانا أول من ركب
أعناقنا، وبثقا علينا بثقا في الإسلام لا يُسكر أبداً حتى يقوم قائمنا أو يتكلم متكلمنا.
ثم قال أما والله لو قد قام قائمنا وتكلم متكلمنا لأبدى من أمورهما ما كان يُكتم،
ولكتم من أمورهما ما كان يظهر، والله ما أسست من بلية ولا قضية تجري علينا أهل
البيت إلا هما أسسا أولها، فعليهما (لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ).^٢

خبر جمهور العمي يرفعه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا ظهرت البدع في أمتي
فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله.^٣

خبر ابن نباتة قال: كنت جالسا عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب 7 في
مسجد الكوفة فأتاه رجل من بَجيلة يكنى أبا خديجة ومعه ستون رجلاً من بَجيلة
فسلم وسلموا ثم جلس وجلسوا ثم إنَّ أبا خديجة قال: يا أمير المؤمنين أَعَدَّكَ سِرٌّ من
أَسْرار رسول الله ﷺ تحدثنا به قال: نعم يا قنبر اتنني بالكتابة ففضَّها فإذا هي
أَسفلها سليفة مثل ذنب الفأرة مكتوبة فيها بسم الله الرحمن الرحيم إنَّ لعنة الله
وملائكته والناس أجمعين على من انتمى إلى غير مواليه و (لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ) على من أحدث في الإسلام حدثاً أو آوى مُحدثاً و (لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ

١. الكافي ١٥ / ٥٦٠، ح ٣٤٣ (٢٤٦ / ٨).

٢. الكافي ١٥ / ٥٥٧، ح ١٠ (٢٤٥ / ٨).

٣. الكافي ١ / ٥٤، ح ٢.

أَجْمَعِينَ) على من ظلم أجيرًا أجره ولعنة الله على من سرق شبرًا من الأرض وحدودها يكلف يوم القيامة أن يجيء بذلك من سبع سماوات وسبع أرضين ثم التفت إلى الناس فقال والله لو كلفت هذا دواب الأرض ما أطاقتة فقال له يا أبا خديجة أنا أهل البيت موالي كل مسلم فمن تولى غيرنا فعليه مثل ذلك [قال: ليس حيث ذهبت] يا أبا خديجة و [الأجير] ليس بالدينار ولا بالدينارين ولا بالدرهم ولا بالدرهمين بل من ظلم رسول الله ﷺ أجره في قرابته قال الله تعالى (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ١ فمن ظلم رسول الله ﷺ أجره في قرابته فعليه (لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ٢.

خبر ابن علوان عن الصادق عن أبيه ٧ قال: وُجد في غمد سيف رسول الله ﷺ صحيفة مختومة ففتحوها فوجدوا فيها ان أعتى الناس على الله القاتل غير قاتله والضارب غير ضاربه ومن أحدث حدثًا أو آوى محدثًا فعليه (لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) لا يقبل الله منه صرًا ولا عدلاً ومن تولى إلى غير مواليه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ٣.٦

وروا نحوها الصدوق في عيون أخبار الرضا ٤.٧

الصدوق بإسناده عن الرضا ٧ بأسناده عن علي ٧ قال: قال النبي ﷺ: من تولى غير مواليه فعليه (لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ٥. خبر أبي الحسين الأسدي قال: قال ورد عليّ توقيع من الشيخ أبي جعفر محمد بن

١. سورة الشورى / ٢٣.

٢. تفسير فرات الكوفي / ٣٩٤، ح ١٠.

٣. قرب الإسناد / ١٠٣، ح ٣٤٨.

٤. عيون أخبار الرضا ٧ / ٢، ح ٤٠، ١٢٢.

٥. عيون أخبار الرضا ٧ / ٢، ح ٦٣، ٢٧٠.

عثمان العُمري... ابتداء لم يتقدمه سؤال بسم الله الرحمن الرحيم (لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) على من استحل من أموالنا درهمًا قال أبو الحسين الأسدي رحمته الله فوقع في نفسي أن ذلك فيمن استحل من مال الناحية درهمًا دون من أكل منه غير مستحل له وقلت في نفسي إن ذلك في جميع من استحل محرّمًا فأبي فضل في ذلك للحجة 7 على غيره قال فو الذي بعث محمدًا بالحق بشيرًا لقد نظرت بعد ذلك في التوقيع فوجدته قد انقلب إلى ما كان في نفسي بسم الله الرحمن الرحيم (لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) على من أكل من مالنا درهمًا حرامًا قال أبو جعفر محمد بن محمد الخزاعي رحمته الله أخرج إلينا أبو علي بن أبي الحسين الأسدي هذا التوقيع حتى نظرنا فيه وقرأناه^١.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: قال الإمام 7 قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله في ردّهم نبوة محمد 6، وولاية علي بن أبي طالب 7 (وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) على كفرهم (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ) يوجب الله تعالى لهم البعد من الرحمة، والسحق من الثواب (وَالْمَلَائِكَةِ) وعليهم لعنة الملائكة يلعنونهم (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ولعنة الناس أجمعين كل يلعنهم لأن كل المأمورين المنهيين يلعنون الكافرين، والكافرون أيضًا يقولون لعن الله الكافرين، فهم في لعن أنفسهم أيضًا (خَالِدِينَ فِيهَا) في اللعنة، في نار جهنم (لَا تَخَفْ عَنْهُمْ الْعَذَابُ) يومًا ولا ساعة (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ)^٢ لا يؤخّرون ساعة، ولا يُخلّ بهم العذاب^٣.

روا صدرها الكاشاني في منهج الصادقين^٤ عن تفسير أهل البيت .:

خبر الأصغ بن نباتة السعدي في وصية أمير المؤمنين 7 لما ضربه ابن ملجم

١. كمال الدين وتمام النعمة / ٥٢٢، ح ٥١.

٢. سورة البقرة / ١٦٢.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٥٧٢، ح ٣٣٤.

٤. منهج الصادقين / ١ / ٣٧٦.

لعنة الله عليه: قال أمير المؤمنين 7: نعم يا أصبغ دعاني رسول الله 6 يوماً فقال لي: يا علي، إنطلق حتى تأتي مسجدي ثم تصعد منبري ثم تدعوا الناس إليك فتحمد الله تعالى وتثني عليه وتُصلي عليّ صلاة كثيرة ثم تقول: أيها الناس إنّي رسول رسول الله 6 إليكم وهو يقول لكم: إنّ لعنة الله ولعنة ملائكته المقرّين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه أو ادّعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره.

فأتيت مسجده 6 وصعدت منبره فلما رأنتي قريش ومن كان في المسجد أقبلوا نحوي فحمدت الله وأثنت عليه وصلّيت على رسول الله 6 صلاة كثيرة، ثم قلت: أيها الناس إنّي رسول رسول الله 6 إليكم وهو يقول لكم: ألا إنّ لعنة الله ولعنة ملائكته المقرّين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه أو ادّعى إلى غير مواليه أو ظلم أجيراً أجره.

قال: فلم يتكلّم أحدٌ من القوم إلّا عمر بن الخطاب فإنّه قال: قد أبلغت يا أبا الحسن ولكنك جئت بكلام غير مفسّر.

فقلت: أبلغ ذلك رسول الله 6 فرجعت إلى النبي 6 فأخبرته الخبر فقال: إرجع إلى مسجدي حتى تصعد منبري فاحمد الله واثن عليه وصلّ عليّ ثم قال: يا أيها الناس، ما كنّا لنجيئكم بشيء إلّا وعندنا تأويله وتفسيره، ألا وإنّي أبوكم، ألا وإنّي أنا مولاكم، ألا وإنّي أنا أجيركم.^١

خبر زيد بن ثابت قال: قال رسول الله 6: معاشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جدّاً وجدّة قلنا: بلى يا رسول الله. قال الحسن والحسين أنا جدّهما سيد المرسلين وجدّتهما خديجة سيدة نساء أهل الجنة إلّا أدلكم على خير الناس أباً وأمّاً قلنا بلى يا

رسول الله قال الحسن والحسين أبوهما علي بن أبي طالب وأمّهما فاطمة سيدة نساء العالمين ألا أدلكم على خير الناس عمّا وعمّة قلنا بلى يا رسول الله قال الحسن والحسين عمّهما جعفر الطيار بن أبي طالب وعمّتهما أمّ هاني بنت أبي طالب أيها الناس ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة قلنا بلى يا رسول الله قال الحسن والحسين خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله فقال علي قاتلها (لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وإنّه ليخرج من صلب الحسين أئمة ابرار أمناء معصومون قوامون بالقسط ومنا مهدي هذه الأمة الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه قلنا من هو يا رسول الله قال: هو التاسع من صلب الحسين أئمة ابرار والتاسع مهديهم يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً^١.

نقلت ذيلها كما نقلها العلامة المجلسي 1 لا كما في المتن المطبوع والمعنى واحد. والله العالم.

(خَالِدِينَ فِيهَا لَا تُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) ﴿١٦٢﴾

تتمة الآية السابقة.

(خَالِدِينَ) حال من الملعونين في الآية السابقة.

(فِيهَا) جار ومجرور متعلق بـ(خَالِدِينَ)، والضمير عائد إلى (لَعْنَةُ اللَّهِ)^٢ ومعنى

الخلود في اللعنة الخلود في أثرها وهو النار والعذاب.

(لَا تُخَفَّفُ) فعل مضارع منفي مبني للمجهول.

١. كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر / ٩٨ ونقل عنه في بحار الأنوار ٣٦ / ٣١٩، ح ١٧٠ (٤٨٧ / ١٥).

٢. سورة البقرة / ١٦١.

(عَنْهُمْ) جار ومجرور متعلق بـ (لَا تُخَفَّفُ).
 (الْعَذَابُ) نائب فاعل. وجملة (لَا تُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ) حال ثانية للملعونين.
 لأن من كانوا في الإبعاد عن رحمة الله فـ (لَا تُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ).
 (وَ) حالية. (لَا) نافية. (هُمْ) مبتدأ.
 (يُنْظَرُونَ) فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله خبره. الإنظار:
 الإمهال. يعني: «إذا استمهلوا لا يُمهلون وإذا استغاثوا لا يغاثون»^١.

الروايات

خبر أبي هاشم قال: قال أبو عبد الله 7: إِنَّمَا خَلَّدَ أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ لِأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ خَلَّدُوا فِيهَا أَنْ يَعْصُوا اللَّهَ أَبَدًا، وَإِنَّمَا خَلَّدَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ لِأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ بَقُوا فِيهَا أَنْ يَطِيعُوا اللَّهَ أَبَدًا، فَبِالنِّيَّاتِ خَلَّدَ هَؤُلَاءِ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) ٢. قال: على نيَّته ٣.
 رواها البرقي في المحاسن ٤ والصدوق في علل الشرائع ٥ بإسنادهما.
 صحيحة أبي بصير عن أبي جعفر 7 قال: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ جِيءَ بِالْمَوْتِ فَيَذْبَحُ كَالْكَبْشِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: خُلِدَ فَلَا مَوْتَ أَبَدًا ٦.
 الشيخ جعفر بن أحمد القمي رفعه عن أبي جعفر 7 أَنَّهُ قَالَ: أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ
 إنكار ما أنزل الله فينا ٧.

١. التفسير الكاشف ١/ ٢٤٩.

٢. سورة الإسراء / ٨٤.

٣. الكافي ٢/ ٨٥، ح ٥.

٤. المحاسن ٢/ ٥٦، ح ٩٤.

٥. علل الشرائع ٢/ ٥٢٣.

٦. تفسير القمي ٢/ ١٩٦.

٧. الغايات / ٢٠٨ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت : ٩/ ٢٧٤، ح ١٩.

الشيخ جعفر بن أحمد القمي رفعه عن أبي جعفر 7 انه قال: إن أكبر الكبائر صاحب القول الذي يقول: «أنا أبرأ ممن يبرأ من أبي بكر وعمر من دون العرش». فقال: سبحان الله تبرأ من فاطمة 3!؟

قال المشهدي: في الآية دلالة على كفر مَنْ كتم ما أنزل في عليّ 7 بناءً على ما سبق من الخبر.^٢

أقول: مراده 1 من الخبر الروايات الواردة الماضيات ذيل الآية الشريفة ١٥٩ من سورة البقرة.

وأما الروايات الواردة في الخلود متعددة فإن شئت راجع بحار الأنوار^٣.

(وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)

تذكر بالتوحيد وهو أساس المعارف الدينية الإلهية.
(وَ) عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا...) ٤.
(إِلَهُكُمْ) مبتدأ ومضاف إليه. والضمير عائد إلى (النَّاسِ) ٥ المؤمنين. الإله: المعبود.

(إِلَهُ) خبر.

(وَاحِدٌ) صفة لـ (إِلَهُ). وهذا هو التوحيد. والوحدة من المفاهيم البدئية.

١. الغايات / ٢٠٩ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت : ٢٧٤ / ٩، ح ٢٠.

٢. كنز الدقائق / ١ / ٣٩١.

٣. بحار الأنوار / ٨ / ٣٤١ (٣ / ٦٠٣).

٤. سورة البقرة / ١٦١.

٥. سورة البقرة / ١٦١.

(لَا) نافية للجنس.

(إِلَهُ) اسم (لَا) وخبرها محذوف وتقديره: (لَا إِلَهَ) موجود أو كائن.

(إِلَّا) أداة حصر واستثناء.

(هُوَ) مستثنى من الإله المنفي أي جنس الإله منفي إلا هذا الفرد.

وجملة (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) خبر ثانٍ لمبتدأ (إِلَهُكُمْ) أو بدل من خبر (إِلَهُ وَاحِدٌ).

(الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) خبر ثالث لـ (إِلَهُكُمْ) أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو

(الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ).

وقد مرّ توضيح الكلمات في الآيات السابقة فلا نعيد.

الروايات

مرفوعة هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر 7: يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: (فَبَشِّرْ عِبَادَ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ) ١ يا هشام إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول ونصر النبيين بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال (وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ * لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ٢ يا هشام قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأنهم مدبراً فقال (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ

١. سورة الزمر / ١٧ و ١٨.

٢. سورة البقرة / ١٦٣ و ١٦٤.

وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهٖ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ^١، الحديث^٢.
 صحيحة أبي هاشم الجعفري قال: سألت أبا جعفر الثاني^٧ ما معنى الواحد؟
 فقال: إجماع الألسن عليه بالوحدانية كقوله تعالى: (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِهِمْ لَيَقُولُنَّ
 اللَّهُ^٣)^٤.

ورواها الصدوق بسنده الصحيح في معاني الأخبار^٥ والتوحيد^٦ وبسند نظير السند الأول
 للكليني في التوحيد^٧.

خبر شريح بن هاني قال: إن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين^٧ فقال: يا
 أمير المؤمنين أتقول: إن الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه، قالوا: يا أعرابي أما ترى ما
 فيه أمير المؤمنين من تَقْسُم القلب، فقال أمير المؤمنين^٧: دعوه، فإن الذي يريده
 الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال: يا أعرابي إن القول في أن الله واحد على
 أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله ﷻ ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا
 يجوزان عليه، فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأن ما لا
 ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال: ثالث ثلاثة، وقول القائل:
 هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه وجل
 ربنا عن ذلك وتعالى، وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له
 في الأشياء شبهة، كذلك ربنا، وقول القائل: إنه ﷻ أَحَدِي المعنى، يعني به أنه لا ينقسم

١. سورة النحل / ١٢.

٢. الكافي / ١، ١٣، ح ١٢.

٣. سورة الزخرف / ٨٧.

٤. الكافي / ١، ١١٨، ح ١٢.

٥. معاني الأخبار / ٥، ح ١.

٦. التوحيد / ٨٢، ح ١.

٧. التوحيد / ٨٣، ح ٢.

في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا ﷻ^١.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧، قال الإمام ٧ (وَالنُّهْجُ) الذي أكرم محمداً ٦ وعلياً ٧ بالفضيلة وأكرم آلها الطيبين بالخلافة، وأكرم شيعتهم بالروح والريحان والكرامة والرضوان (إِلَهُ وَحْدٌ) لا شريك له ولا نظير ولا عدیل (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) الخالق، الباري، المصور، الرازق، الباسط، المغني، المفقر، المعز، المذل (الرَّحْمَنُ) يرزق مؤمنهم وكافرهم، وصالحهم وطالحهم، لا يقطع عنهم مواد فضله ورزقه، وإن انقطعوا هم عن طاعته. (الرَّحِيمُ) بعباده المؤمنين من شيعة آل محمد ٦ وسّع لهم في التقية يجاهرون بإظهار موالاته أولياء الله ومعاداة أعدائه إذا قدرُوا، ويسترونها إذا عجزُوا.^٢

الطبرسي رفعه عن ابن عباس قال: إن كفر قريش قالوا: يا محمد صف لنا وانسب لنا ربك، فأنزل الله هذه الآية وسورة الإخلاص.^٣

نقل الثعلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله.^٤

أبو الفتح الرازي رفعه عن رسول الله ٦ أنه قال: مفتاح الجنة لا إله إلا الله.^٥

رواها الكاشاني في منهج الصالحين.^٦

قال العلامة المجلسي: ومن الروايات في اسم الله الأعظم ما ذكرته في اغاثة الداعي ونحن نذكره هاهنا حيث قد ذكرنا كثيراً مما قيل في الاسم الأعظم فنقول

١. التوحيد / ٨٣، ح ٣؛ معاني الأخبار / ٥، ح ٢.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧ / ٥٧٣.

٣. مجمع البيان / ١ / ٢٤٤.

٤. الكشف والبيان / ٢ / ٣١.

٥. روض الجنان / ٢ / ٢٦٧.

٦. منهج الصالحين / ١ / ٣٧٧.

وجدت في كتاب عتيق ما هذا لفظه الدعاء الذي فيه الاسم الأعظم عن علي بن عيسى العلوي قال سمعت أحمد بن عيسى العلوي يقول حدثني أبي عيسى بن زيد عن أبيه زيد عن جده علي بن الحسين 7 قال: دعوت الله عشرين سنة أن يعلمني اسمه الأعظم فبينما أنا ذات ليلة قائم أصلي فرقدت عينايا إذا أنا برسول الله 6 قد أقبل عليّ ثم دنا منّي وقبل ما بين عيني قال لي أي شيء سألت الله قال: قلت: يا جدّاه سألت الله تعالى أن يعلمني اسمه الأعظم فقال يا بني اكتب قلت وعلى أي شيء أكتب قال أكتب بإصبعك على راحتك وهو «يا الله يا الله يا الله وحدك لا شريك لك أنت المثلان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام وذو الأسماء العظام وذو العز الذي لا يرام (وَالنُّهْكَمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) وصلّى الله على محمّد وآله أجمعين» ثم ادع بما شئت، قال علي بن الحسين: فوالذي بعث محمّداً 6 بالحق نبياً لقد جربته فكان كما قال 6: قال زيد بن علي فجربته فكان كما وصف أبي علي بن الحسين 7 قال عيسى بن زيد فجربته فكان كما وصف زيد أبي قال أحمد فجربته فكان كما ذكروا رضي الله عنهم أجمعين.^١

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)

تعليل وبرهان للآية السابقة.

(إِنَّ) تأكيد.

(فِي خَلْقٍ) جار ومجرور، خبر مقدم (إِنَّ). الخلق: هي إبداع الشيء من غير مثال نحو البديع والخاطر في قوله تعالى: (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ١ و (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ٢.

(السَّمَوَاتِ) مضاف إليه. (السَّمَوَاتِ): «هي الأفلاك العلوية بجميع أجرامها وكواكبها المختلفة ومنظوماتها المتعددة» ٣.

(وَالْأَرْضِ) معطوفة على (السَّمَوَاتِ). (الْأَرْضِ): معروف لا يحتاج إلى توضيح. «وجه الدلالة من الآية (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يدل على أن لها خالق، لا يشبهها ولا تشبهه، لأنه لا يقدر على خلق الأجسام إلا القديم القادر لنفسه الذي ليس يجسم، ولا عرض، إذ جميع ذلك محدث ولا بد له من محدث ليس بمحدث، لاستحالة التسلسل» ٤.

(وَأَخْتَلَفَ) معطوف على (خَلَقَ). (الَّيْلِ) مضاف إليه.

(وَالنَّهَارِ) معطوف على (الَّيْلِ). «وأما (الَّيْلِ وَالنَّهَارِ)، فيدلان على عالم مدبر من جهة أنه فعل محكم، متقن، واقع على نظام واحد، وترتيب واحد، لا يدخل شيئاً من ذلك تفاوت، ولا اختلاف» ٥.

(وَالْفَلَكَ) معطوفة على (الَّيْلِ). (الْفَلَكَ): السفينة يطلق على الواحد والجمع. (الَّتِي) نعت لـ (الْفَلَكَ).

١. سورة البقرة / ١١٧.

٢. سورة فاطر / ١.

٣. مواهب الرحمن ٢ / ٢٩١.

٤. التبيان ٢ / ٥٥.

٥. التبيان ٢ / ٥٥.

(تَجْرِي) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هي».

(فِي الْبَحْرِ) جار ومجرور متعلق بـ(تَجْرِي).

(بِمَا) حرف جر و «ما» موصولة مجرورة، جار ومجرور متعلق بـ(تَجْرِي).

(يَنْفَعُ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».

(النَّاسِ) مفعول به المراد (بِمَا يَنْفَعُ النَّاسِ) المتاع والرزق تنقلها من ساحل إلى ساحل ومن قطر من أقطار الأرض إلى قطر آخر^١، وجملة: (وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسِ) «فتدلّ على منعم دبر ذلك لمنافع خلقه، ليس من جنس البشر، ولا من قبيل الأجسام، لان الأجسام يتعذر عليها فعل ذلك»^٢.

(وَمَا) حرف عطف و «ما» موصولة، معطوف على (خَلَقَ السَّمَوَاتِ).

(أَنْزَلَ اللَّهُ) فعل ماض وفاعله.

(مِنَ السَّمَاءِ) حرف جر بياني ومجروره متعلق بحال محذوفة من (مَا).

(مِنْ مَاءٍ) جار ومجرور كسابقه. (فَ) حرف عطف للتسبيب.

(أَحْيَا) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو». إحياء الأرض: إخراج النبات منها وأنواع الثمار.

(بِهِ) جار ومجرور متعلق بـ(أَحْيَا) والضمير عائد إلى (مَاءٍ).

(الْأَرْضِ) مفعول به. (بَعْدَ) ظرف زمان متعلق بـ(أَحْيَا).

(مَوْتَهَا) مضاف إليه ومضاف إليه ثان والضمير عائد إلى (الْأَرْضِ).

(وَبَشَّ) معطوف على (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ). (بَشَّ) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو». البش: النشر ولكن نشر ما كان خفياً.

١. الميزان ١/ ٣٩٩.

٢. التبيان ٢/ ٥٥.

- (فِيَّ) جار ومجرور متعلق بـ (بَتْ) والضمير عائد إلى (الْأَرْضِ) .
- (مِنْ كُلِّ دَائِيَّةٍ) جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بمفعول (بَتْ) المحذوف.
- (مِنْ) حرف جر للتبعية أو البيان وتنكير (دَائِيَّةٍ) للتنويع والتكثير.
- (وَتَصْرِيفٍ) معطوف على (خَلَقَ السَّمَوَاتِ) .
- (الرَّيْحِ) مضاف إليه. (تَصْرِيفِ الرَّيْحِ): توجيها من جانب إلى جانب.
- (وَالسَّحَابِ) معطوفة على (الرَّيْحِ) .
- (الْمُسَخَّرِ) نعت لـ (السَّحَابِ) ، التسخير: قهر الشيء وتذليله في عمله.
- (بَيْنَ) ظرف مكان متعلق بـ (الْمُسَخَّرِ) . (السَّمَاءِ) مضاف إليه.
- (وَالْأَرْضِ) معطوفة على (السَّمَاءِ) . (لِ) المرحلة، تأكيد.
- (أَيْتِ) اسم (إِنَّ) المؤخر. (أَيْتِ) على توحيد الله وخالق الكون ومدبر العالم ورب العالمين.
- (لِقَوْمٍ) جار ومجرور. (يَعْقِلُونَ) فعل مضارع وفاعله. نعت لـ (قَوْمٍ) .

الروايات

خبر محمد بن عطية قال جاء إلى أبي جعفر 7 رجل من أهل الشام من علمائهم فقال يا أبا جعفر جئت أسألك عن مسألة قد أعيت علي أن أجد أحدا يفسرها وقد سألت عنها ثلاثة اصناف من الناس فقال كل صنف منهم شيئا غير الذي قال الصنف الآخر فقال له أبو جعفر 7 ما ذاك قال فإني أسألك عن أول ما خلق الله من خلقه فإن بعض من سأله قال القدر وقال بعضهم القلم وقال بعضهم الروح فقال أبو جعفر ما قالوا شيئا أخبرك أن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره وكان عزيزا ولا أحد كان

قبل عزّه وذلك قوله (سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) ^١ وكان الخالق قبل المخلوق ولو كان أوّل ما خلق من خلقه الشيء من الشيء إذا لم يكن له انقطاع أبداً ولم يزل الله إذا ومعه شيء ليس هو يتقدّمه ولكنه كان إذا لا شيء غيره وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء الذي خلق الأشياء منه فجعل نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه وخلق الريح من الماء ثمّ سلط الريح على الماء فشَقَّقَتِ الريح متنّ الماء حتّى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ليس فيها صدع ولا ثقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة ثمّ طواها فوضعها فوق الماء ثمّ خلق الله النار من الماء فشَقَّقَتِ النار متنّ الماء حتّى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولا ثقب وذلك قوله (أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) ^٢ قال ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحب ثمّ طواها فوضعها فوق الأرض ثمّ نسب الخليقتين فرفع السماء قبل الأرض فذلك قوله عز ذكره (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) ^٣ يقول بسطها قال فقال له الشامي يا أبا جعفر قول الله ﷻ (أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) ^٤ فقال له أبو جعفر ٧ فلعلك تزعم أنهما كانتا رَتْقًا ملتزقتين ملتصقتين ففتقت إحداهما من الأخرى فقال نعم فقال أبو جعفر ٧ استغفر ربك فإنّ قول الله ﷻ (كَانَتَا رَتْقًا) ^٥ يقول كانت السماء رَتْقًا لا تنزل المطر وكانت الأرض رَتْقًا لا تنبت الحب فلما خلق الله

١. سورة الصافات / ١٨٠.

٢. سورة النازعات / (٢٩-٢٧).

٣. سورة النازعات / ٣٠.

٤. سورة الأنبياء / ٣٠.

٥. سورة الأنبياء / ٣٠.

تبارك وتعالى الخلق (وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَآئِبَةٍ) ففتق السماء بالمطر والأرض بنبات الحب فقال الشامي أشهد أنك من ولد الأنبياء وأن علمك علمهم.^١

خبر محمد بن عبدالله الخراساني خادم الرضا 7 قال: دخل رجل من الزنادقة على الرضا 7 وعنده جماعة في حديث: قال الرجل: فما الدليل عليه؟ قال أبو الحسن 7: إني لما نظرت إلى جسدي فلم يمكني زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجرّ المنفعة إليه، علمت أن لهذا البنيان بانيًا فاقررت به مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته وإنشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر النجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات، علمت أن لهذا مقدارًا ومنشاء الحديث.^٢

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: قال الإمام 7 لما توعد رسول الله 6 اليهود والنواصب في جحد النبوة والخلافة، قال مرده اليهود وعتاة النواصب من هذا الذي ينصر محمدًا وعليًا على أعدائهما فأنزل الله ﷻ (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) لا عمد من تحتها تمنعها من السقوط، ولا علاقة من فوقها تحبسها من الوقوع عليكم، وأنتم يا أيها العباد والإماء أسرائي في قبضتي، الأرض من تحتكم لا منجى لكم منها أين هربتم، والسماء من فوقكم لا محيص لكم عنها أين ذهبتم، فإن [شئت أهلككم بهذه، وإن] شئت أهلككم بتلك. ثم في السموات من الشمس المنيرة في نهاركم لتتسروا في معاشكم، ومن القمر المضيء لكم في ليالكم لتبصروا في ظلماته، وأجئوكم بالاستراحة بالظلمة إلى ترك مواصلة الكد الذي ينهك أبدانكم. (وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ) المتتابعين الكادّين عليكم بالعجائب التي يحدثها ربكم في عالمه

١. الكافي ٨/ ٩٤، ح ٦٧ ونقل عنه في بحار الأنوار ٥٤/ ٩٦، ح ٨١.

٢. عيون أخبار الرضا 7 ١/ ١٣١، ح ٢٨.

من إسعاد وإشقاء، وإعزاز وإذلال وإغناء وإفقار، وصيف وشتاء، وخريف وربيع،
 وخصب وقحط، وخوف وأمن. (وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ) التي
 جعلها الله مطاياكم لا تهدأ ليلاً ولا نهاراً، ولا تقضيكم علفاً ولا ماء، وكفاكم بالرياح
 مئونة تسييرها بقواكم التي كانت لا تقوم لها لو ركدت عنها الرياح لتمام مصالحكم
 ومنافعكم وبلوغكم الحوائج لأنفسكم. (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ) وأبلاً وهطلاً
 وزذاً لا ينزل عليكم دفعةً واحدةً فيغرقكم ويهلك معاشكم، لكنه ينزل متفرقاً من
 علا حتى يعم الأوهاد والتلال والقلاع. (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) فيخرج نباتها
 وحبوبها وثمارها. (وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) منها ما هو لأكلكم ومعاشكم، ومنها
 سباع ضارية حافظة عليكم ولأنعامكم، لئلا تشد عليكم خوفاً من افتراسها.
 (وَتَضْرِبُ الرِّيحُ) المربية لحبوبكم، المبلغة لثماركم، النافية لركد الهواء والأفتار عنكم
 (وَالسَّحَابُ) الواقف (الْمُسَخَّرُ) المذل (بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) يحمل أمطارها، ويجري
 بإذن الله ويصبها حين يؤمر. (لَأَيِّتٍ) دلائل واضحات (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتفكرون
 بعقولهم أن من هذه العجائب من آثار قدرته، قادر على نصره محمد وعلي وآلهما :
 على من تأذاهما وجعل العاقبة الحميدة لمن يواليه، فإن المجازاة ليست على الدنيا، وإنما
 هي [على] الآخرة التي يدوم نعيمها ولا يبید عذابها.^١

قال الطبرسي: قال ابن عباس: الرياح للرحمة والريح للعذاب، وروي عن
 النبي ﷺ كان إذا هبت ريح قال: اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً.^٢
 رواها الثعلبي في تفسيره.^٣

وقال الطبرسي: وفي الحديث: نصرت بالصبا وأهلكك عاد بالدبور.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧ / ٥٧٥ ونقل عنه في بحار الأنوار ٣ / ٥٤.

٢. مجمع البيان ١ / ٢٤٥.

٣. الكشف والبيان ٢ / ٣٣.

ثم قال: فهذا يدل أنها واحدة.^١

أبو الفتوح الرازي رفعه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ويل لمن قرأ هذه الآية فمسخ بها.^٢

أي: لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها. ورواها الثعلبي في تفسيره^٣ والكاشاني في منهج الصادقين^٤.
خبر الفضل بن عمر الجعفي في حديث المشتهر بالأهليجة: ثم نظرت العين إلى العظيم من الآيات من السحاب المسخر بين السماء والأرض بمنزلة الدخان لا جسد له يلمس بشيء من الأرض والجبال، يتخلل الشجرة فلا يحرك منها شيئاً ولا يهصر منها غصناً ولا يعلق منها شيء يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته ويحتمل من ثقل الماء وكثرته ما لا يقدر على صفته مع ما فيه من الصواعق الصاعدة والبروق اللامعة والرعد والثلج والبرد والجليد ما لا تبلغ الأوهام صفته ولا تهتدى القلوب إلى كنه عجائبه، فيخرج مستقلاً في الهواء مجتمع بعد تفرقة ويلتحم بعد تزايله تفرقه الرياح من الجهات كلها إلى حيث تسوقه بإذن الله ربها، يسفل مرةً ويعلو أخرى متمسك بما فيه من الماء الكثير الذي إذا ازجاء صارت منه البحور يمر على الأراضي الكثيرة والبلدان المتناهي لا تنقص منه نقطة حتى ينتهي إلى ما لا يحصى من الفراسخ فيرسل ما فيه قطرة بعد قطرة وسيلاً بعد سيل، متتابع على رسله حتى ينقع البرك وتمتلئ الفجاج وتعتلي الأودية بالسيول كأمثال الجبال غاصة بسيولها، الحديث.^٥

١. مجمع البيان ١/ ٢٤٥.

٢. روض الجنان ٢/ ٢٧٥.

٣. الكشف والبيان ٢/ ٣٣.

٤. منهج الصادقين ١/ ٣٧٩.

٥. بحار الأنوار ٣/ ١٦٤ (١/ ٥٢٥).

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ^ط
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ
أَنَّهُ الْقُوَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) ﴿١٦٥﴾

«بعد أن ذكر سبحانه جملة من مصنوعاته، التي في كل واحدة منها آيات دالة على توحيد الخالق، وقدرته، ورحمته، وعلمه، وحكمته التامة البالغة، ورغب الناس إلى التفكير والتأمل فيها، عقبها بهذه الآيات [الثلاثة الأخيرة] للإشارة إلى أنه مع وجود هذا الإله القادر المحيط الحكيم، وبعد تلك الآيات الباهرات، لا موضوع لالتخاذ الند من دونه، ومن فعل ذلك فليس إلا من نهاية غفلته، وسيأتي يوم يتبرأ أحدهم من الآخر، ويستحقون الخلود في النار»^١.

(و) عاطفة. عطف على أول الآية الشريفة السابقة.

(مِنَ النَّاسِ) جار ومجرور، خبر مقدم. ظاهر في التعجب من شأنهم.

(مَن) اسم موصول، مبتدأ مؤخر، يصدق على فريق لا فرد هنا.

(يَتَّخِذُ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». الاتحاد: الاختيار والانتخاب.

(مِن) حرف جر.

(دُونِ) مجرور (مِن). ظرف مكان. «يستعمل لفظ (دُونِ) بمعنى رديء،

وبمعنى غير مجازاً، وهذا هو المراد من قوله تعالى: (مِن دُونِ اللَّهِ)، أي (مِن) غير (اللَّهِ)».

١. مواهب الرحمن ٢/ ٣١٠.

(اللَّهُ) مضاف إليه.

(أَنذَادًا) مفعول به. جمع نَذ: مثل ونظير. يشمل كل مطاع من دون الله من غير أن يأذن الله في إطااعته.

(تُحِبُّوهُمْ) فعل مضارع وفاعله ومفعول به. بدل اشتغال من (يَتَخَذُ) أو نعت لـ (أَنذَادًا). والضمير المفعولي عائد إلى (أَنذَادًا).

(كَ) حرف جر للتشبيه. (حُبٌّ) مجروره.

(اللَّهُ) مضاف إليه، وظهر من هذه الإضافة أن الحب يتعلّق بالله تعالى حقيقة وليس المراد به الإطاعة مجازًا.

(وَ) استئنافية. (الَّذِينَ) مبتدأ. (ءَامَنُوا) فعل ماض وفاعله.

(أَشَدُّ) خبر. (حُبًّا) تمييز.

(لِلَّهِ) حرف جر للتبيين ومجروره متعلّق بـ (حُبًّا). في الآية دلالة «على أن حبه تعالى يقبل الإشتداد وهو في المؤمنين (أَشَدُّ) منه في المتخذين (لِلَّهِ) (أَنذَادًا)»^١.
(وَ) استئنافية.

(لَوْ) حرف شرط غير جازم، وجود به محذوف لقصد التفخيم وتهويل الأمر وهو: لعلموا أن الله لا شريك له ولا ند.

(يَرَى) فعل مضارع. (الَّذِينَ) فاعل. (ظَلَمُوا) فعل ماض وفاعله.

(إِذْ) ظرف زمان متعلّق بـ (يَرَى). (يَرَوْنَ) فعل مضارع وفاعله.

(الْعَذَابِ) مفعول به. (أَنَّ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

(الْقُوَّةَ) اسم (أَنَّ). (لِلَّهِ) حرف جر مجروره، خبر (أَنَّ).

(جَمِيعًا) حال. (وَ) عاطفة. (أَنَّ) تأكيد.

(اللَّهُ) اسم (أَنَّ). (شَدِيدُ) خبر (أَنَّ). (الْعَذَابِ) مضاف إليه.

الروايات

صحيحة جابر قال سألت أبا جعفر 7 عن قول الله ﷻ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) قال هم والله أولياء فلان وفلان اتخذوهم أئمة دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً فلذلك قال (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرَأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) ١ ثم قال أبو جعفر 7: هم والله يا جابر أئمة الظلمه وأشياءهم. ٢

رواها العياشي في تفسيره ٣ والنعماني في الغيبة ٤ والمفيد في الاختصاص ٥ ومختصرًا في مجمع البيان ٦ وجوامع الجامع ٧.

خبر محمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله 8 قوله: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ). قالوا: هم آل محمد ٨.6

١. سورة البقرة / (١٦٥-١٦٧).

٢. الكافي / ١/ ٣٧٤، ح ١١.

٣. تفسير العياشي / ١/ ١٧٣، ح ١٤٧.

٤. الغيبة النعماني / ١٣١.

٥. الاختصاص / ٣٣٤.

٦. مجمع البيان / ١/ ٢٤٩.

٧. جوامع الجامع / ١/ ٩٥.

٨. تفسير العياشي / ١/ ١٧٤، ح ١٤٨.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 : قال الإمام 7 قال الله ﷻ لما آمن المؤمنون، وقبل ولاية محمد وعلي 8 العاقلون، وصد عنها المعاندون (وَمِنَ النَّاسِ) يا محمد (مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا) أعداء يجعلونهم لله أمثالاً (تُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) يحبون تلك الأنداد من الأصنام كحبهم لله (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) من هؤلاء المتخذين الأنداد مع الله، لأن المؤمنين يرون الربوبية لله وحده لا يشركون [به]. ثم قال يا محمد (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) يعلمون أن القوة لله يعذب من يشاء، ويكرم من يشاء، لا قوة للكفار يمتنعون بها من عذابه (وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) ويعلمون أن الله شديد العقاب لمن اتخذ الأنداد مع الله.

ثم قال (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا)^١ لو رأى هؤلاء الكفار الذين اتخذوا الأنداد حين تبرأ الذين اتبعوا الرؤساء من الذين اتبعوا الرعايا والأتباع (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)^٢ فنيث حيلهم، ولا يقدرّون على النجاة من عذاب الله بشيء (وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا)^٣ الاتباع (لَوْ أَنَّا لَنَا كَرَّةٌ)^٤ يتمنون لو كان لهم كرة رجعة إلى الدنيا فتتبرأ منهم هناك (كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا)^٥ ها هنا. قال الله ﷻ (كَذَلِكَ)^٦ [كما] تبرأ بعضهم من بعض (يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ)^٧ وذلك أنهم عملوا في الدنيا لغير الله، فيرون أعمال غيرهم التي كانت لله قد عظم الله ثواب أهلها، و رأوا أعمال أنفسهم لا ثواب لها إذ كانت

١. سورة البقرة / ١٦٦.

٢. سورة البقرة / ١٦٦.

٣. سورة البقرة / ١٦٧.

٤. سورة البقرة / ١٦٧.

٥. سورة البقرة / ١٦٧.

٦. سورة البقرة / ١٦٧.

٧. سورة البقرة / ١٦٧.

لغير الله، أو كانت على غير الوجه الذي أمر الله به. قال الله تعالى (وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) ^١ وما هم بخارجين من النار كان عذابهم سرمدًا دائمًا، وكانت ذنوبهم كفرًا، لا تلحقهم شفاعة نبي ولا وصي ولا خير من خيار شيعتهم ^٢.

قال السيد شرف الدين الأسترآبادي: بيان معنى هذا التأويل أن قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا) يعني توليا لفلان وفلان (مِن دُونِ اللَّهِ) أي من دون ولي الله وحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (أندادًا) مثله وهما فلان وفلان والند هو المثل والنظير (تُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) أي أن أولياءهم يحبون فلانا وفلانا كما يحبون الله ويتقربون بحبهم إليه مكان محبتهم له (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا) بالله ورسوله وبالإمام من الله (أَشَدُّ حُبًّا) لولي الله الإمام ^٧ من أولياء فلان وفلان (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) آل محمد حقهم (إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ) عيانًا (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) وليس لهم قوة (وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ^٣ وهم فلان وفلان ورؤساء الضلال (مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا) ^٤ وهو أولياؤهم وأتباعهم (وَرَأَوْا الْعَذَابَ) ^٥ عين اليقين (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) ^٦ التي كانت بينهم في الدنيا واتصل بهم سوء العقاب ^٧.

١. سورة البقرة / ١٦٧.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧ / ٥٧٨.

٣. سورة البقرة / ١٦٥ و ١٦٦.

٤. سورة البقرة / ١٦٦.

٥. سورة البقرة / ١٦٦.

٦. سورة البقرة / ١٦٦.

٧. تأويل الآيات الطاهرة ١ / ٨٤.

(إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ

وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)

بيان تبري الرؤساء والمتبوعين عن المرؤوسين والتابعين في يوم القيامة.
(إِذْ) ظرف وقع بدل اشتغال من ظرف (إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ)^١ أو عطف بيان
والعامل فيهما (وَلَوْ يَرَى)^٢.
(تَبَرَّأَ) فعل ماضٍ، التبري: «هو الابتعاد عما يكره مجاورة سواء كان في الدنيا
أم في الآخرة أم فيهما معاً»^٣ «التبرء: التباعد للعدواة»^٤ جيء بالفعل الماضي تنبيهاً على
وقوعه القطعي والجزمي.
(الَّذِينَ) فاعله.
(اتَّبَعُوا) فعل ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله، وهم رؤساء الضلالة.
(مِنَ الَّذِينَ) جار ومجرور متعلق بـ (تَبَرَّأَ).
(اتَّبَعُوا) فعل ماضٍ وفاعله. أي (مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا) هم، وهم تابعيهم
ومرؤوسيهم.
(وَ) حالية.
(رَأَوْا) فعل ماضٍ وفاعله والضمير الفاعلي مبهم عائد إلى الفريقين المتبوعين
والتابعين.

١. سورة البقرة / ١٦٥.

٢. سورة البقرة / ١٦٥.

٣. مواهب الرحمن ٢ / ٣١٧.

٤. التبيان ٢ / ٦٥.

(الْعَذَابُ) مفعول به. (و) عاطفة.
 (تَقَطَّعَتْ) معطوف على (تَبَرَّأَ) أي و (إِذْ) (تَقَطَّعَتْ).
 (بِهِمْ) جار ومجرور متعلق بـ (تَقَطَّعَتْ)، والباء للملابسة.
 (الْأَسْبَابُ) فاعل. «فلم يبق تأثير لشيء دون الله»^١.

رواية

صحيحة أبان بن عثمان عن أبي عبد الله جعفر بن محمد 7 قال إذا كان يوم
 القيامة نادى مناد من بطنان العرش أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم داود النبي 7
 فيأتي النداء من عند الله ﷻ لسنا إياك أردنا وإن كنت لله تعالى خليفة، ثم ينادي ثانية أين
 خليفة الله في أرضه؟ فيقوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب 7 فيأتي النداء من قبل
 الله ﷻ: يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب خليفة الله في أرضه وحجته على عباده
 فمن تعلق بحبله في دار الدنيا فليتعلق بحبله في هذا اليوم ليستضيء بنوره وليتبعه إلى
 الدرجات العلى من الجنان، قال: فيقوم أناس قد تعلقوا بحبله في دار الدنيا فيتبعونه إلى
 الجنة ثم يأتي النداء من عند الله جل جلاله ألا من التمس بإمام في دار الدنيا فليتبعه إلى حيث
 يذهب به فحينئذ يتبرا (الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ
 اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعُوا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ
 وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) ٣.٢

ورواها الطوسي عن المفيد بهذا السند الصحيح مرتين في أماليه.^٤

١. الميزان ١/ ٤٠٨.

٢. سورة البقرة / ١٦٦ و ١٦٧.

٣. أمالي المفيد، المجلس الرابع والثلاثون، ح ٣/ ٢٨٥.

٤. أمالي الطوسي، المجلس الثالث، ح ١/ ٦٣، رقم ٩٢ والمجلس الرابع، ح ٧/ ٩٩، رقم ١٥٣.

١٣٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثاني

(وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرَّةً فَتَنَّبَرَأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) ﴿١٦٧﴾

تتمة الآية السابقة وعلى عكسها وهي تبري المرؤوسين والتابعين عن الرؤساء والمتبوعين.

(و) عاطفة.

(قَالَ الَّذِينَ) فعل ماض وفاعله. وقد مرّ دلالة فعل الماضي على حتمية وقوع القطعية في المستقبل.

(اتَّبَعُوا) فعل ماض وفاعله. (لَوْ) مستعملة في التمني.

(أَنَّنَا) تأكيد. (لَنَا) جار ومجرور، خبر (أَنَّنَا) مقدم.

(كَرَّةً) اسم (أَنَّنَا) المؤخر. «يعني رجعة إلى دار الدنيا»^١.

(فَ) واقعة في جواب التمني.

(تَنَّبَرَأَ) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء وفاعله ضمير مستتر

«نحن».

(مِنْهُمْ) جار ومجرور متعلق بـ (تَنَّبَرَأَ). (كَ) حرف جر للتشبيه.

(مَا) مصدرية، (كَمَا) جار ومجرور متعلق بمصدر - مفعول مطلق - محذوف.

(تَبَرَّءُوا) فعل ماض وفاعله. (مِنَّا) جار ومجرور متعلق بـ (تَبَرَّءُوا).

(كَذَلِكَ) اسم بمعنى «مثل» واسم إشارة.

(يُرِيهِمُ) فعل مضارع ومفعول به أول. (اللَّهُ) فاعل.

(أَعْمَلَهُمْ) مفعول به ثان ومضاف إليه.
 (حَسَرَتْ) حال، جمع الحسرة وهي أشد من الندامة.
 (عَلَيْهِمْ) جار ومجرور متعلق بـ(حَسَرَتْ). وهي جبههم واتباعهم لهم في الدنيا
 حال كونها (حَسَرَتْ عَلَيْهِمْ).
 (و) حالية أو استئنافية. (مَا) نافية. (هُمْ) اسم (مَا).
 (بِخَرَجِينَ) حرف جر زائد ومجروره، خبر (مَا).
 (مِنَ النَّارِ) جار ومجرور متعلق بـ(بِخَرَجِينَ). دال على عدم انقطاع العذاب.

الروايات

خبر عثمان بن عيسى عن حدثه عن أبي عبد الله 7 في قول الله ﷻ (كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ) قال هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله بُخْلًا ثُمَّ يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو في معصية الله فإن عمل به في طاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرة وقد كان المال له وإن كان عمل به في معصية الله قواه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله ﷻ^١.

رواها الصدوق في الفقيه^٢ والعياشي في تفسيره^٣.

خبر منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله 7: (وَمَا هُمْ بِخَرَجِينَ مِنَ النَّارِ)؟ قال: أعداء علي 7 هم المخلدون في النار أبد الأبدن ودهر الدهرين^٤.
 صحيحة القاسم بن عروة عن رجل عن أحدهما 7 في معنى قوله جل وعز

١. الكافي ٤/٤٢، ح ٢.

٢. من لا يحضره الفقيه ٢/٦٢، ح ١٧١٣.

٣. تفسير العياشي ١/١٧٤، ح ١٤٩.

٤. تفسير العياشي ١/١٧٤، ح ١٥٠.

(كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ) قال: الرجل يكسب مالاً فيُحرم أن يعمل فيه خيراً فيموت، فيرثه غيره فيعمل فيه عملاً صالحاً فيرى الرجل ما كسب حسرات في ميزان غيره.^١

الطوسي قال: روى عن أبي جعفر 7 انه قال: هو الرجل يكتسب المال ولا يعمل فيه خيراً، فيرثه من يعمل فيه عملاً صالحاً، فيرى الأول ما كسبه حسرة في ميزان غيره.^٢

رواها الطبرسي في مجمع البيان.^٣

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين 7 انه قال: إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة الله، فورثه رجل فأنفق في طاعة الله سبحانه فدخل به الجنة ودخل الأول به النار.^٤

ابن شهر آشوب السروي رفعه عن الباقر 7 في قوله (كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ) إذا عاينوا عند الموت ما أعد لهم من العذاب الأليم وهو أصحاب الصحيفة الذين كتبوا على مخالفة على (وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ).^٥

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: قال علي بن الحسين 7 قال رسول الله 6 ما من عبد ولا أمة زال عن ولايتنا، وخالف طريقتنا، وسمى غيرنا بأسمائنا وأسماء خيار أهلنا الذي اختاره الله للقيام بدينه ودينه، ولقبه بألقابنا وهو لذلك يلقبه معتقداً، لا يحمله على ذلك تقية خوف، ولا تدبير مصلحة دين، إلا بعثه

١. أمالي المفيد، المجلس الثالث والعشرون، ح ٣٥ / ٢٠٥.

٢. التبيان ٢ / ٦٩.

٣. مجمع البيان ١ / ٢٥١.


٤. نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٩.

٥. المناقب ٣ / ٢١٢.

الله يوم القيامة ومن كان قد اتخذ من دون الله ولياً، وحشر إليه الشياطين الذين كانوا يغوونه. فقال [له] يا عبدي أربباً معي، هؤلاء كنت تعبد وإياهم كنت تطلب فمنهم فاطلب ثواب ما كنت تعمل، لك معهم عقاب أجرائك. ثم يأمر الله تعالى أن يحشر الشيعة الموالون لمحمد وعلي وآلهما : ممن كان في تقية لا يظهر ما يعتقد، ومن لم يكن عليه تقية، وكان يظهر ما يعتقد. فيقول الله تعالى انظروا حسنات شيعة محمد وعلي فضاعفوها. قال فيضاعفون حسناتهم أضعافاً مضاعفة. ثم يقول الله تعالى انظروا ذنوب شيعة محمد وعلي. فينظرون فمنهم من قلّت ذنوبه فكانت مغمورة في طاعاته، فهؤلاء السعداء مع الأولياء والأصفياء. ومنهم من كثرت ذنوبه وعظمت، فيقول الله تعالى قدموا الذين كانوا لا تقية عليهم من أولياء محمد وعلي، فيقدمون. فيقول الله تعالى انظروا حسنات عبادي هؤلاء النصاب الذين اتخذوا الأنداد من دون محمد وعلي ومن دون خلفائهم، فاجعلوها لهؤلاء المؤمنين، لما كان من اغتيالهم لهم بوقيعتهم فيهم، وقصدهم إلى أذاهم فيفعلون ذلك، فتصير حسنات النواصب لشيعتنا الذين لم يكن عليهم تقية، ثم يقول انظروا إلى سيئات شيعة محمد وعلي، فان بقيت لهم على هؤلاء النصاب بوقيعتهم فيهم زيادات، فاحملوا على أولئك النصاب بقدرها من الذنوب التي لهؤلاء الشيعة. فيفعل ذلك. ثم يقول الله ﷻ اتتوا بالشيعة المتقين لخوف الأعداء، فافعلوا في حسناتهم وسيئاتهم، وحسنات هؤلاء النصاب وسيئاتهم ما فعلتهم بالأولين. فيقول النواصب يا ربنا هؤلاء كانوا معنا في مشاهدنا حاضرين، وبقاويلنا قائلين، ولمذاهبنا معتقدين فيقال كلا والله يا أيها النصاب ما كانوا لمذاهبكم معتقدين، بل كانوا بقلوبهم لكم إلى الله مخالفين، وإن كانوا بأقوالكم قائلين، وبأعمالكم عاملين للتقية منكم معاشر الكافرين، قد اعتدنا لهم بأقوايلهم وأفاعيلهم اعتدنا بأقوايل المطيعين وأفاعيل المحسنين، إذ كانوا بأمرنا عاملين قال رسول الله ﷺ فعند ذلك تعظم حسرات النصاب إذا رأوا حسناتهم في موازين

شيعتنا أهل البيت، ورأوا سيئات شيعتنا على ظهور معاشر النصاب، وذلك قوله ﷺ
(كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ) ١.

(يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) 

نهي عن اتباع الشيطان وتنبيه على أنه (عَدُوٌّ مُّبِينٌ).

(يَتَأْتِيهَا النَّاسُ) خطاب لجميع الناس لأنَّ الحكم الذي بيَّنه ممَّا يتبلي به الجميع
«أَمَّا الْمُشْرِكُونَ: فقد كان عندهم أمور مما حرموه على أنفسهم افتراء على الله كما روي
أن ثقيفاً وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدلج كانوا قد حرموا على أنفسهم
أشياء من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة، هذا في العرب، وفي غيرهم
أيضاً يوجد أشياء كثيرة من هذا القبيل، وأما المؤمنون: فربما كان يبقى بعد الإسلام
بينهم أمور خرافية طبق ناموس توارث الأخلاق والآداب القومية والسنن
المنسوخة» ٢.

(كُلُّوْا) فعل أمر وفاعله، يفيد الإباحة لأنَّه في مقام توهّم الحظر، الأكل: «البلع
عن مضغ» ٣.

(مِمَّا) مركبة من «من» حرف جر للتبويض و «ما» موصولة في محلّ جر.
متعلّق بـ(كُلُّوْا).

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧ / ٥٧٩.

٢. الميزان ١ / ٤١٧.

٣. التبيان ٢ / ٧٠.

(فِي الْأَرْضِ) جار ومجرور متعلق بصلة الموصول المحذوفة تقديره: (مِمَّا) وجد (فِي الْأَرْضِ).

(حَلَلًا) حال مِنْ (مَّا) الموصولة. الحلال: هو الجائز والمباح من أفعال العباد «مأخوذ من أنه طلق لم يعقد بحظر»^١.

(طَيِّبًا) نعت لـ (حَلَلًا). الطيب خلاف الخبيث وهو ما يلائم النفس. الطيب: الحَسَن والمستلذذ إما في العاجل أو الآجل.

(و) عاطفة. (لَا تَتَّبِعُوا) فعل نهي وفاعله.

(خُطُوتٍ) مفعول به، جمع الخطوة: «بُعد ما بين قدمي الماشي»^٢.

(الشَّيْطَانِ) مضاف إليه. يعني: آثاره والإقتداء به. (خُطُوتِ الشَّيْطَانِ): «هي الأمور التي نسبته إلى غرض الشيطان - وهو الإغواء بالشرك - نسبة خطوات الماشي إلى مقصده وغرضه، فهي الأمور التي هي مقدمات للشرك والبعد من الله سبحانه»^٣.

(إِنَّهُ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد، واسمه، الضمير عائد إلى (الشَّيْطَانِ).

(لَكُمْ) جار ومجرور متعلق بـ (عَدُوٌّ)، الضمير عائد إلى (النَّاسِ).

(عَدُوٌّ) خبر (إِنَّ).

(مُبِينٌ) نعت لـ (عَدُوٌّ). يعني: (الشَّيْطَانِ) «مظهر العدو بما يدعوا إليه من

خلاف الطاعة لله التي فيها النجاة من الهلاك والفوز بالجنة»^٤.

«فَالْآيَةُ تَدَلُّ أَوَّلًا: على عموم الحلية في جميع التصرفات إلّا ما أخرج الدليل

فان لله سبحانه المنع فيما له الإذن فيه.

١. التبيان ٢/ ٧٠.

٢. التبيان ٢/ ٧١.

٣. الميزان ١/ ٤١٧.

٤. التبيان ٢/ ٧٢.

وثانيًا: على أن الامتناع مما أحله الله من غير دليل عقمي تشريع محرم.
وثالثًا: على أن المراد من إتباع خطوات الشيطان التعبد لله بما لم يأذن في التعبد بذلك فانه لم ينه عن المشي والسلوك لكن عن المشي الذي يضع فيه الإنسان قدمه موضع قدم الشيطان فينطبق مشيته على مشيته فيكون متبعًا لخطواته، ومن هنا يعلم أن عموم التعليل، وهو قوله إنما يأمركم «الخ» وإن اقتضى المنع عن الإقتحام في فعل بغير علم كما يقتضي المنع عن الإمتناع بغير علم لكنه ليس بمراد في الخطاب فإنه ليس من إتباع خطوات الشيطان وإن كان اتباعًا للشيطان»^١.

الروايات

صحیحة محمد بن مسلم أنّ امرأة من آل المختار حلفت على أختها أو ذات قرابة لها فقالت: أدنى يا فلانة فكلي معي، فقال^٢: لا، فحلفت وجعلت عليه المشي إلى بيت الله وعنت ما تملك وألا يظللها وإياها سقف بيت ولا تأكل معها على خوان أبدًا، فقالت الأخرى مثل ذلك، فحمل عمر بن حنظلة إلى أبي جعفر ٧ مقاتلها فقال ٧: «أنا قاض في ذا، قل لها: فلتأكل وليظللها وإياها سقف بيت ولا تمشي ولا تعتق ولتتق الله ربها ولا تعد إلى ذلك فإنّ هذا من خطوات الشيطان»^٣.

رواها العياشي في تفسيره.^٤

صحیحة الحلبي عن أبي عبد الله ٧ انه قال: في رجل حلف بيمين أن لا يتكلم ذا قربة له قال: ليس بشيء فليكلم الذي حلف عليه وقال: كل يمين لإيراد بها وجه

١. الميزان ١/ ٤١٨.

٢. الصحيح: فقالت، كما في العياشي.

٣. الكافي ٧/ ٤٤٠، ح ٨.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٧٥، ح ١٥٢.

الله ﷻ فليس بشيء في طلاق أو عتق، قال: وسألته عن امرأة جعلت مالها هدياً لبيت الله إن أعارت متاعها لفلانة وفلانة، فأعار بعض أهلها بغير أمرها، قال: ليس عليها هدي، إنما الهدى ما جعل الله هدياً للكعبة فذلك الذي يوفى به إذا جعل الله، وما كان من أشباه هذا فليس بشيء ولا هدى لا يذكر فيه الله ﷻ، وسئل عن الرجل يقول: علي ألف بدنة - وهو محرم - بألف حجة، قال: ذلك من خطوات الشيطان، وعن الرجل يقول وهو محرم بحجة، قال: ليس بشيء أو يقول: أنا أهدي هذا الطعام، قال: ليس بشيء إن الطعام لا يهدى، أو يقول: الجزور بعد ما نحرته يهدى بها لبيت الله، قال: إنما تهدى البدن وهن أحياء وليس تهدى حين صارت لحماً.^١

صحيحة عبدالرحمن بن أبي عبدالله عن أبي عبدالله 7 قال: إذا حلف الرجل على شيء والذي حلف عليه إتيانه خير من تركه فليأت الذي هو خير ولا كفارة عليه وإنما ذلك من خطوات الشيطان.^٢

إن ذهبنا إلى وثاقة معلّى بن محمد كما في معجم رجال الحديث^٣ وإن ذهبنا إلى أنه من المعاريف ولم يرد فيه قبح كما عليه بعض أساتذتنا مدّله فصارت الرواية به معتبرة الإسناد. ورواها الشيخ في التهذيب.^٤

أبي خالد الكوفي رفعه إلى أبي جعفر 7 قال: قال رسول الله 7: العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال.^٥
رواها الشيخ في التهذيب.^٦

١. الكافي ٧/٤٤١، ح ١٢.

٢. الكافي ٧/٤٤٣، ح ٣.

٣. معجم رجال الحديث ١٨/٢٥٨.

٤. التهذيب ٨/٢٨٤، ح ٣٥ و ٨/٢٩٢، ح ٧١.

٥. الكافي ٥/٧٨، ح ٦.

٦. التهذيب ٦/٣٢٤، ح ١٢.

صحيحة محمد بن مسلم عن أحدهما 8 أنه سئل عن امرأة جعلت مالها هدياً وكل مملوك لها حراً إن كلمت أختها أبداً، قال: تكلمها وليس هذا بشيء، إنما هذا وشبهه من خطوات الشيطان.^١

محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر 7 يقول: (لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ) قال: كل يمين بغير الله فهي من خطوات الشيطان.^٢

صحيحة منصور بن حازم قال: قال لي أبو عبد الله 7: أما سمعت بطارق؟ إن طارفاً كان نخاساً بالمدينة فأتى أبا جعفر 7 فقال: يا أبا جعفر إنني هالك، إنني هالك، إنني حلفت بالطلاق والعناق والندور فقال له: يا طارق إن هذه من خطوات الشيطان.^٣

رواها العياشي في تفسيره.^٤

صحيحة عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: سألت أبا عبد الله 7 عن رجل حلف أن ينحر ولده، قال: ذلك من خطوات الشيطان.^٥

رواها العياشي في تفسيره.^٦

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: قال الإمام 7 قال الله ﷻ (يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ) من أنواع ثمارها وأطعمتها (حَلَلًا طَيِّبًا) لكم إذا أطعتم ربكم في تعظيم من عظمه، والاستخفاف بمن أهانه وصغره (وَلَا تَتَّبِعُوا

١. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٣٦٠، ح ٤٢٧٤.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٧٦، ح ١٥٥.

٣. التهذيب ٨/ ٢٨٧، ح ٥٠.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٧٥، ح ١٥٣.

٥. التهذيب ٨/ ٢٨٨، ح ٥٥.

٦. تفسير العياشي ١/ ١٧٦، ح ١٥٤.

خُطُوتِ الشَّيْطَانِ) ما يخطو بكم إليه، ويغركم به من مخالفة من جعله الله رسولا أفضل المرسلين، وأمره بنصب من جعله الله أفضل الوصيين، وسائر من جعل خلفاءه وأولياءه. (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) يبين لكم العداوة، ويأمركم إلى مخالفة أفضل النبيين ومعاينة أشرف الوصيين (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ) ١ الشيطان (بِالسُّوءِ) ٢ بسوء المذهب والإعتقاد في خير خلق الله [محمد رسول الله] وجحود ولاية أفضل أولياء الله بعد محمد رسول الله 6 وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون بإمامة من لم يجعل الله له في الإمامة حظا، ومن جعل من أراذل أعدائه وأعظمهم كفرا [به]. ٣

الطبرسي رفعه عن أبي جعفر وأبي عبد الله 8 إتيها قالا: إن من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق والنذور في المعاصي وكل يمين بغير الله تعالى. ٤

(إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ﴿١٦٩﴾

تتمة الآية السابقة.

(إِنَّمَا) كافة مكفوفة.

(يَأْمُرُكُمْ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى (الشَّيْطَانِ) ٥

ومفعول به. «الأمر من الشيطان هو دعاؤه إلى الفعل» ٦.

١. سورة البقرة / ١٦٩.

٢. سورة البقرة / ١٦٩.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٥٨٠.

٤. مجمع البيان ١ / ٢٥٢.

٥. سورة البقرة / ٢ / ١٦٨.

٦. التبيان ٢ / ٧٢.

(بِالسُّوءِ) جار ومجرور متعلق بـ(يَأْمُرُكُمْ). «السوء: كل فعل قبيح يزجر عنه العقل أو الشرع»^١.

(وَالْفَحْشَاءِ) معطوفة على (السُّوءِ). وهي: «ما يستعظم قبحه من الأفعال والأقوال وهو أعظم من السوء فإنَّ كلَّ فحشٍ سوءٌ ولا عكس»^٢.

(و) عاطفة. (أَنْ) مصدرية ناصبة.

(تَقُولُوا) فعل مضارع منصوب وفاعله.

(عَلَى اللَّهِ) جار ومجروره متعلق بـ(تَقُولُوا). (مَا) موصولة، مفعول به.

(لَا تَعْلَمُونَ) فعل مضارع منفي. وهو القول بغير علم في المعارف والأحكام الشرعية الإلهية.

الروايات

معتبرة سدير عن أبي جعفر ٧ قال: إِنَّ الصَّدَقَةَ لتدفع سبعين بلية من بلايا الدنيا مع مِيتَةِ السَّوءِ، إِنَّ صاحبنا لا يموت مِيتَةَ السَّوءِ أَبَدًا مع ما يدَّخر لصاحبها في الآخرة. ٣

معتبرة السكوني عن جعفر ٧ عن آبائه : قال: قال رسول الله ٦: إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ليدفع بالصدقة الداء والديله والحرق والفرق والهدم والجنون وعدَّ ٦ سبعين بابًا من السَّوءِ. ٤

صحيحة أبي حمزة عن أبي جعفر ٧ قال: وجدنا في كتاب رسول الله ٦:

١. التبيان ٢/ ٧٢.

٢. مواهب الرحمن ٢/ ٣٣٣.

٣. الكافي ٤/ ٦، ح ٦.

٤. الكافي ٤/ ٥، ح ٢.

إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة، الحديث.^١

خبر صفوان بن يحيى قال: حدثني بعض أصحابنا قال: قال أبو عبد الله 7: إذا فشا أربعة ظهرت أربعة: إذا فشا الزنا ظهرت الزلزلة وإذا فشا الجور في الحكم احتبس القطر وإذا خُفِرَت الذمة أُدِيلَ لأهل الشرك من أهل الإسلام وإذا منعت الزكاة ظهرت الحاجة.^٢

معتبرة الفضيل عن أبي جعفر 7 قال: قال النبي 6: في الزنا خمس خصال: يذهب بماء الوجه ويورث الفقر وينقص العمر ويسخط الرحمن ويخلد في النار نعوذ بالله من النار.^٣

خبر علي بن سالم قال: قال أبو إبراهيم 7: إتق الزنا فإنه يمحَق الرزق ويبطل الدين.^٤

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي عبد الله 7 قال: ثلاثة لا يكَلِّمهم الله ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم، منهم: المرأة تؤطى فراش زوجها.^٥
الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين 7 أنه قال: ... ومن دخل مداخل السوء اتَّهم...^٦

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين 7 أنه قال: ما قال الناس لشيء طوبى له إلا وقد خبأ له الدهر يوم سوء.^٧

١. الكافي ٢/ ٣٧٤، ح ٢.

٢. الكافي ٢/ ٤٤٨، ح ٣.

٣. الكافي ٥/ ٥٤٢، ح ٩.

٤. الكافي ٥/ ٥٤١، ح ٢.

٥. الكافي ٥/ ٥٤٣، ح ١.

٦. نهج البلاغة، الحكمة ٣٤٩.

٧. نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٦.

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين 7 انه قال: البخل جامع لمساويء العيوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء.^١

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ

كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) ﴿١٧٠﴾

ذم كل من قلّد الغير بلا حجة ودليل وترك قول الله والرسول 6 بقول الآباء والمريين والكبراء والسادة.

(و) عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)^٢.

(إِذَا) ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط، خافض لشرطه ومنصوب بجوابه في محل نصب.

(قِيلَ) فعل ماض مبني للمجهول في محل جر مضاف إليه، لوقوعها بعد الظرف.

(لَهُمْ) جار ومجرور متعلّق بـ (قِيلَ). والضمير عائد إلى المقلدين المذكور.

(اتَّبِعُوا) فعل أمر وفاعله. في محل رفع نائب فاعل (قِيلَ).

«الاتباع: طلب الإتياف في المقال أو الفاعل. أما في المقال، فإذا دعا إلى شيء

استجيب له. وأما في الفاعل، فإذا فعل شيئاً، فعلت مثله»^٣.

(مَا) موصولة، مفعول به.

١. نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٨.

٢. سورة البقرة / ١٦٨.

٣. التبيان ٧٧ / ٢.

(أَنْزَلَ اللَّهُ) فعل ماض وفاعله. والمراد به كل ما قامت عليه الدلائل والبراهين في الشريعة المقدسة وآمنت به العقول السليمة.

(قَالُوا) جواب الشرط والجملة بعده مقول القول.

(بَلْ) إضراب إبطال وإعراض بدون حجة، أي اضربوا عن قول الرسول: (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ).

(نَتَّبِعْ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».

(مَا) موصولة، مفعول به.

(أَلْفَيْتَا) فعل ماض وفاعله. أي وجدنا. الإلقاء: الوجدان.

(عَلَيْهِ) جار ومجرور متعلق بـ(أَلْفَيْتَا).

(ءَابَاءَنَا) مفعول به ومضاف إليه، قد مرَّ أنَّ المراد بهم: «الأعم من السادة والكبراء والآباء والمرَّين»^١ يعني: «(نَتَّبِعْ) (ءَابَاءَنَا) على أي حال وعلى أي وصف كانوا، حتَّى لو لم يعلموا شيئاً ولم يهتدوا ونقول ما فعلوه حق، وهذا هو القول بغير علم، ويؤدي إلى القول بما لا يقول به عاقل لو تنبه له»^٢.

(أ) همزة استفهام مستعملة في الإنكار بمعنى الرد والتخطئة، والتعجب إيماءً.

(وَ) عاطفة أو حالية.

(لَوْ) حرف مصدري أو حرف شرط غير جازم وجوابها محذوف.

(كَانَ) فعل ماض ناقص. (ءَابَاؤُهُمْ) اسم (كَانَ) ومضاف إليه.

(لَا يَعْقِلُونَ) فعل مضارع منفي وفاعله، خبر (كَانَ).

(شَيْئًا) مفعول به. (وَ) عاطفة.

١. مواهب الرحمن ٢/ ٣٣٤.

٢. الميزان ١/ ٤١٩.

(لَا يَهْتَدُونَ) معطوف على (لَا يَعْقِلُونَ). «الاهتداء: الإصابة لطريق الحق بالعلم»^١.

«وفيها دلالة على فساد التقليد، لأن الله تعالى ذمهم على تقليد آبائهم، ووبّخهم على ذلك. ولو جاز التقليد لم يتوجّه إليهم توبيخ، ولا لوم، والأمر بخلافه»^٢.
أمّا «لو كانوا اتبعوا آبائهم فيما علموه واهتدوا فيه وهم يعلمون: إنهم علموا واهتدوا فيه لم يكن من قبيل الإهتداء بغير علم»^٣.

روايتان

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: قال الإمام 7 وصف الله هؤلاء المتبعين لخطوات الشيطان فقال (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) تعالوا إلى ما أنزل الله في كتابه من وصف محمد 7، وحلية علي 7، ووصف فضائله، وذكر مناقبه وإلى الرسول، وتعالوا إلى الرسول لتقبلوا منه ما يأمركم به قالوا «حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا من الدين والمذهب» فاقتدوا بآبائهم في مخالفة رسول الله 6 ومنازعة علي ولي الله، قال الله ﷻ (أُولَئِكَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) إلى شيء من الصواب.^٤
الطبرسي رفعه عن ابن عباس قال: دعا النبي 6 اليهود إلى الإسلام، فقالوا: (بَلْ نَتَّبِعُ) ما وجدنا (عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا) فهم كانوا أعلم منا، فنزلت هذه الآية.^٥
ونحوها في مجمع البيان.^٦

١. التبيان ٢/ ٧٧.

٢. التبيان ٢/ ٧٧.

٣. الميزان ١/ ٤١٩.

٤. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٥٨٢.

٥. التبيان ٢/ ٧٦.

٦. مجمع البيان ١/ ٢٥٤.

(وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً

صُمُّكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَْعْقِلُونَ) ﴿١٧١﴾

«قد بين [الله] سبحانه وتعالى أن مثل الكفار في عدم التعقل والتدبر في ما يرتبط بشؤون دينهم وآخرتهم، وعدم تأملهم في ما أتى به الأنبياء لأجل سعادتهم ونجاتهم من المفسد والمهالك، مثل الحيوانات التي لا تفهم من الخطاب إلا مجرد الأصوات التي يصدرها الإنسان لدعوتها إلى شيء أو زجرها عن شيء آخر، فهي لا تعقل شيئاً مما يقول، ولا تفهم منها معنى، كذلك شأن الكفار في الجهل وعدم التمييز بمداليل الألفاظ وعدم درك المعاني»^١.

(و) عاطفة، عطف على أول الآية السابقة.

(مَثَلُ) مبتدأ. المثل: هو الكلام السائر والشبه وفي الآية حذف وتقديره: انّ

(مَثَلُ) الذي يدعوهم إلى الهدى لا مثل الكافرين المدعويين. ففي الآية قلب.

(الَّذِينَ) اسم موصول، مضاف إليه.

(كَفَرُوا) فعل ماض وفاعله. واتبعوا آباءهم في الكفر.

(كَ) حرف جر للتشبيه. (مَثَلُ) مجروره. جار ومجروره (كَمَثَلِ) خبر.

(الَّذِي) اسم موصول، مضاف إليه.

(يَنْعِقُ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». نعق الراعي بالغنم ينعق

نعيقاً إذا صاح بها زجراً، والنعيق: صياح الراعي بالغنم وزجرها، والناعق: هو الراعي والمنعوق به الغنم والبقر والإبل والبهائم.

- (بِمَا) جار ومجروره (مَا) موصولة، متعلق بـ(يَنْعُقُ).
- (لَا يَسْمَعُ) فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «هو».
- (إِلَّا) حرف استثناء، فعل النفي و (إِلَّا) يدلان على الحصر.
- (دُعَاءٌ) مفعول به (لَا يَسْمَعُ). الدعاء للقريب. (و) عاطفة.
- (نِدَاءٌ) معطوف على (دُعَاءٌ). النداء للبعيد.
- (صُمٌّ) خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم (صُمٌّ)، وهو الذي في آله سمعه آفة تمنعه من السمع.
- (بُكْمٌ) خبر آخر، وهو الذي في لسانه آفة تمنعه من الكلام. «وقيل: إنه يولد كذلك والخرس قد يكون لعرض يتجدد»^١.
- (عُمَى) خبر ثالث، وهو الذي في بصره آفة تمنعه من الرؤية.
- (فَ) تفريع كمجيء النتيجة بعد البرهان والاستنتاج عقيب الاستدلال.
- (هُمْ) مبتدأ. (لَا يَعْقِلُونَ) فعل مضارع منفي وفاعله، خبر.

الروايات

معتبرة إسماعيل بن جابر عن أبي عبدالله 7 أنه كتب بهذه الرسالة إلى أصحابه، وأمرهم بمدارستها والنظر فيها، وتعاهدها والعمل بها، فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها:

قال: وحدثني الحسين بن محمد، عن جعفر بن محمد بن مالك الكوفي، عن القاسم بن الربيع الصحاف، عن إسماعيل بن مخلد السراج، عن أبي عبدالله 7، قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبدالله 7 إلى أصحابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فاسألوا ربكم العافية، وعليكم بالدعة^١ والوقار والسكينة^٢، وعليكم بالحياء والتنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم، وعليكم بمجاملة^٣ أهل الباطل، تحمّلوا الضيم^٤ منهم، وإياكم ومماظتهم^٥، دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام؛ فإنه لا بدّ لكم من مجالستهم ومخالطتهم ومنازعتهم الكلام بالتقية^٦ التي أمركم الله أن تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم، فإذا

١. الدعة: الخفض في العيش والراحة والسكون والطمأنينة، والهاء عوض من الواو.

٢. في شرح المازندراني: والوقار بالفتح: رزانة النفس بالله وسكونها إليه وفراغها عن غيره، قال الله تعالى (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) [نوح / ١٣]، والسكينة: سكون الجوارح، وهي تابعة للوقار؛ لأنّ من شغل قلبه بالله اشتغلت جوارحه بما طلب منها وفرغ عن كلّ ما يليق بها، وهذا أحسن من القول بترادفها.

٣. في شرح المازندراني: قال الفاضل الأمين الأسترآبادي: الظاهر قراءتها بالحاء المهملة؛ فإنّ الظاهر أنّ قوله: تحمّلوا الضيم، بيان لها، وكذا قوله في ما يأتي: وتصبرون عليهم، بيان لقوله: فتحاملونهم، ويمكن قراءتها بالجيم، كما في بعض النسخ.

وفي المرأة: قوله ٧: «وعليكم بمجاملة وفي بعض النسخ بالجيم، أي المعاملة بالجميل، وفي بعضها بالحاء المهملة، ولعله بمعنى الحمل بمشقة وتكلف، كالتحمل». وراجع: الصحاح ٤/١٦٦٢؛ لسان العرب ١١/١٢٧ (جهل).

٤. قال الخليل: «الضيم: الانتقاص». وقال الجوهري: «الضيم: الظلم». وفي شرح المازندراني: «لما كان هنا مظنة أن يقولوا: كيف نجاملهم؟ أجاب على سبيل الاستيناف بقوله: تحمّلوا الضيم، أي الظلم منهم». راجع: ترتيب كتاب العين ٢/١٠٦١؛ الصحاح ٥/١٩٧٣ (ضيم).

٥. المماظة: شدة المنازعة والمخاصمة مع طول اللزوم. النهاية، ج ٤، ص ٣٤٠ (مفظ).

٦. في الوافي: «بالتقية متعلّقة بـ«دينوا»، وما بينها معترض». وفي شرح المازندراني: «دينوا في ما بيكم وبينهم في الأمور المختلفة؛ لأنّها محلّ التقية، والدين - بالكسر - العادة والعبادة والمواظبة، أي عودوا أنفسكم بالتقية، أو اعبدوا الله، أو أطيعوا بها، أو واطبوا عليها، فقوله فيما بعد: بالتقية، متعلّق بـ«دينوا».

ابتليتم بذلك منهم^١، فإنهم سيؤذونكم وتعرفون في وجوههم المنكر، ولو لا أن الله تعالى يدفعهم عنكم لسطوا^٢ بكم، وما في صدورهم من العداوة والبغضاء أكثر مما يبدون لكم.

مجالسكم ومجالسهم واحدة، وأرواحكم وأرواحهم مختلفة لا تأتلف، لا تحبونهم أبداً ولا يحبونكم، غير أن الله تعالى أكرمكم بالحق وبصركموه، ولم يجعلهم من أهله، فتجاملونهم وتصبرون عليهم وهو لا مجاملة لهم، ولا صبر لهم على شيء^٣، وحيلهم وسواس^٤ بعضهم إلى بعض؛ فإن أعداء الله إن استطاعوا صدّوكم عن الحق، يعصمكم الله من ذلك، فاتّقوا الله، وكفّوا ألسنتكم إلا من خير.

١. في شرح المازندراني: فإذا ابتليتم بذلك منهم، الظاهر أن جزء الشرط محذوف، أي فاعملوا بالتقية ولا تتركوها، بدليل ما قبله وما بعده، وأن قوله: فإنهم سيؤذونكم وتعرفون في وجوههم المنكر من القول والشتم والغلظة ونحوها، دليل على الجزء المحذوف، وقائم مقامه، وأمثال ذلك كثيرة في كلام الفصحاء والبلغاء، ويحتمل أيضاً أن يكون جزء الشرط.

٢. في نسخه: «السطوا». وفي حاشية نسختين: «لبطشوا» وفي نسخه: «لسلطوا». وقال الجوهرى: «السطو: القهر بالبطش، يقال: سطا به». وقال ابن الأثير: «أصله القهر والبطش، يقال: سطا عليه وبه». والبطش: الأخذ الشديد، راجع: الصحاح ٦/٢٣٧٦؛ والنهاية ٢/٣٦٦ (سطا).

٣. اعلم أن ترتيب فقرات هذا الحديث الشريف ونظمها إلى هنا مطابق لما في الوافي، ومن هنا إلى آخره يختلف عما فيه، واستصوب العلامة المجلسي ما في الوافي ناقلاً إيّاه عن بعض النسخ المصححة، وأما نحن فسنورد الحديث بتمامه عن الوافي في آخر هذا الحديث تميماً للفائدة بعد ما نقلنا الاختلاف.

٤. في حاشية نسخة: «وساوس». وفي حاشية نسخة الوافي: «ووساوس». وفي المرأة: «لعل المراد أن حيلتكم في دفع ضررهم المجاملة والصبر على أذاهم والتقية، وهم لا يقدر على الصبر ولا على صدكم عن الحق، فليس لهم حيلة إلا وسوسة بعضهم إلى بعض في إيذائكم والإغراء بكم. ثم اعلم أنه يظهر من بعض النسخ المصححة أنه قد اختل نظم هذا الحديث وترتيبه بسبب تقديم بعض الأوراق وتأخير بعضها، وفيها قولها ولا صبر لهم على شيء، متّصل بقوله في ما بعد: من أموركم، هكذا: ولا صبر لهم على شيء من أموركم تدفعون أنتم السيئة، إلى آخر ما سيأتي، وهو الصواب، وسيظهر لك مما سنشير إليه في كل موضع من مواضع الاختلاف صحة تلك النسخة واختلال النسخة المشهورة.

وَيَاكُم أَنْ تَذَلُّوا^١ أَلَسْتُمْ بِقَوْلِ الزُّورِ^٢ وَالْبِهْتَانِ، وَالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَإِنَّكُمْ
 إِنْ كَفَفْتُمْ أَلَسْتُمْ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ مِمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ، كَانَ خَيْرًا لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ مِنْ أَنْ
 تَذَلُّوا أَلَسْتُمْ بِهِ؛ فَإِنَّ ذَلْقَ اللِّسَانِ فِيمَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَمَا نَهَى عَنْهُ مَرْدَاةٌ^٣ لِلْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ،
 وَمَقْتُ^٤ مِنْ اللَّهِ، وَصُمٌّ وَعَمَى وَبَكْمٌ يورثه الله إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^٥، فَتَصِيرُوا كَمَا قَالَ
 اللَّهُ: (صُمٌّ بَكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)^٦ يَعْنِي لَا يَنْطِقُونَ (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ)^٧.

١. هكذا في جميع النسخ التي قبلت والوافي وشرح المازندراني والبحار. وفي المطبوع والمرأة
 والوسائل: «أَنْ تَذَلُّوا» بالزاي المعجمة. وقال في المرأة: «قوله 7: وَيَاكُم أَنْ تَذَلُّوا، بالزاي المعجمة.
 في القاموس: زَلَقَ كَفَرَحَ وَنَصَرَ: زَلَّ، وَفَلَاتًا: أَزَلَّهُ، كَأَزَلَقَهُ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ، وَذَلَاقَةَ
 اللِّسَانِ: زَرَابَتَهُ وَحَدَّثَهُ وَطَلَّاقَتَهُ. وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ» وراجع: لسان العرب ١٠/ ١١٠ و ١١٤؛ القاموس
 المحيط ٢/ ١١٧٦ و ١١٨٣ (ذلق)، (زلق).

٢. «الزور»: الكذب، والباطل، والتهمة. النهاية ٢/ ٣١٨ (زور).

٣. في نسخة والوافي: «الدناءة». وفيه عن بعض النسخ: «الذراة» بالذال المعجمة، بمعنى الغضب.
 وفي شرح المازندراني: «رداة للعبد عند الله - بالكسر، أو الفتح - : اسم آلة، أو مكان؛ من ردي، كرضي:
 إذا هلك. وأصله: مردية، كمفعلة قلبت الياء ألفًا». وراجع: لسان العرب ١٤/ ٣١٩ (ردي).

٤. المَقْتُ: أَشَدُّ الْبَعْضِ عَنْ أَمْرٍ قَبِيحٍ. راجع: النهاية ٤/ ٣٤٦؛ المصباح المنير ٥٧٦ (مقت).

٥. في شرح المازندراني: «الصم بالفتح، والصمم محرّكة: انسداد الأذن وثقل السمع. والعمى: ذهاب
 البصر كله. والبكم - محرّكة - : الخرس، أو مع عليّ وبله، أو أن يولد لا ينطق. وإِنَّمَا حَمَلْنَاهَا عَلَى الْمَصْدَرِ
 دُونَ الْجَمْعِ كَمَا فِي الْآتِي لِيَصْحَ حَمْلُهَا عَلَى اسْمِ «إِنَّ» وَلَا يَصْحَ فِي الْجَمْعِ إِلَّا بِتَكْلُفٍ بَعِيدٍ، وَحَمَلْ هَذِهِ
 الْأَخْبَارَ عَلَى اسْمِ «إِنَّ» مِنْ بَابِ حَمَلِ الْمُسَبَّبِ عَلَى السَّبَبِ لِلْمُبَالَغَةِ. «يُورِثُهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» الضمير
 الْأَوَّلُ رَاجِعٌ إِلَى ذَلْقِ اللِّسَانِ، وَالثَّانِي إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ. وَإِنَّمَا سَمَّاهَا مِيرَاثًا لِأَنَّهَا ثَمَرَةٌ
 ذَلَاقَةٌ لِسَانَهُ تَصِلُ إِلَيْهِ بَعْدَ فَنَائِهَا».

٦. سورة البقرة / ١٨. وفي حاشية نسخة والبحار: (لَا يَعْطِلُونَ) وهو إشارة إلى الآية ١٧١ من سورة
 البقرة.

وفي المرأة: «قوله تعالى: (فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) فِي بَعْضِ النُّسخِ: (لَا يَعْطِلُونَ) وَكِلَاهُمَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ.
 وَالتفسير بالأول أنسب، أي لا يرجعون إلى النطق والكلام.

٧. سورة المرسلات / ٣٦. وفي شرح المازندراني: «يعني لا ينطقون في الآخرة بالمعذرة؛ لانفتائها،
 فلذلك قال: (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ)؛ لاستحالة أن يكون لهم معذرة لا يؤذن لهم التكلم بها. وقال
 بعض المفسرون: معناه: لا يرجعون من الضلالة إلى الهدى، وتفسيره 7 أحسن منه بدليل مابعده».

وإياكم وما نهاكم الله عنه أن تركبوه^١، وعليكم بالصّمت إلّا فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم، ويأجركم عليه، وأكثروا من التهليل والتّقدّيس والتّسبيح والثناء على الله والتّضرع إليه والرغبة فيما عنده من الخير الذي لا يقدر^٢ قدره، ولا يبلغ كنهه أحد، فاشغلوا ألسنتكم بذلك عمّا نهى الله عنه من أقاويل الباطل التي تعقب أهلها خلودًا في النار من مات عليها ولم يتب إلى الله ولم ينزع عنها^٣. عليكم بالدعاء؛ فإن المسلمين لم يدركوا نجاح^٤ الحوائج عند ربهم بأفضل من الدعاء والرغبة إليه والتّضرع إلى الله والمسألة، فارغبوا فيما رغبكم الله فيه، وأجيبوا الله إلى ما دعاكم إليه لتفعلوا وتنجوا من عذاب الله.

وإياكم أن تشره^٥ أنفسكم إلى شيءٍ حرّم الله عليكم؛ فإن من انتهك^١ ما حرّم الله

→

وفي الوافي: (فَيَعْتَذِرُونَ) عطف على (يُؤْذَنُ)؛ ليدلّ على نفي الإذن والاعتذار عقبيه مطلقًا، ولو جعل جوابًا لدلّ على أنّ عدم اعتذارهم لعدم الإذن، فأوهم ذلك أنّ لهم عذرًا، لكن لا يؤذن لهم فيه^١.
١. في شرح المازندراني: «وإياكم وما نهاكم الله عنه أن تركبوه، أي تقترفوه؛ من ركب الذنب: اقترفته. أو تتسبّعوه؛ من ركب الأثر: تبعته. أو تعلوه؛ من ركب الفرس: علوته. وقد شبه المنهي عنه بالركوب في أنّه يصل صاحبه إلى مقام البعد من الحقّ، كما يشبه الطاعة به في الإيصال إلى مقام القرب». وراجع: لسان العرب ١/ (٤٣٣-٤٢٩)؛ القاموس المحيط ١/ ١٧٠ (ركب).
٢. في المرأة: «قوله: لا يقدر، على البناء للمجهول، أو المعلوم على التنازع، أي لا يقاس بغيره، ولا يوصف حقّ وصفه، ولا يبلغ إلى رفعة شأنه، كقوله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) [سورة الأنعام / ٩١؛ سورة الحج / ٧٤؛ سورة الزمر / ٦٧]، والمراد نعيم الآخرة، أو الأعمّ منه ومن درجات القرب والكمال».

٣. في الوافي: «عليها». ونزع عن الأمر نزوعًا: انتهى عنه. الصحاح ٣/ ١٢٨٩ (نزع).
٤. في نسخة: «إنجاح». والنّجح والنجاح: الظفر بالحوائج، اسنان من نجح فلان وأنجح: إذا أصابت طلبته وقضيت له حاجته. راجع: الصحاح ١/ ٤٠٩؛ النهاية ٥/ ١٨؛ المصباح المنير ٣/ ٥٩٣ (نجح).
٥. الشّرة: غلبة الحرص: يقال: شره فلان إلى الطعام يشره شرّها، إذا اشتدّ حرصه عليه. راجع: الصحاح ٦/ ٢٢٣٧؛ لسان العرب ١٣/ ٥٠٦ (شره).

عليه هاهنا في الدنيا، حال الله بينه وبين الجنة ونعيمها ولذتها وكرامتها القائمة الدائمة لأهل الجنة أبد الآبدين.

واعلموا أنه بسّس الخطّ الخطر لمن خاطر^٢ الله بترك طاعة الله وركوب معصيته، فاختار أن ينتهك محارم الله في لذات دنيا منقطعة زائلة عن أهلها على خلود نعيم في الجنة ولذاتها وكرامة أهلها، ويل لأولئك ما أخيب^٣ حظّهم، وأخسر كرتهم^٤، وأسوأ حالهم عند ربهم يوم القيامة، استجبروا الله^٥ أن يجيركم^٦ في مثاهم^٧ أبداً، وأن يتليكم

→

١. «انتهك» أي بالغ في خرق محارم الله وإتيانها. النهاية ١٣٧ / ٥ (نهك).
٢. الخطّ: الخطّ والنصيب، والقدر والمنزلة، والسبق الذي يتراهن عليه، ولا يقال إلا في الشيء الذي له قدر ومزية، وهو أيضاً الإشراف على الهلاك، والخطور بالبال، والمخاطرة: المراهنة. وفي المرأة: «أقول: الأظهر أن المراد بالخطر هو ما يتراهن عليه، وخاطر الله: راهنه، فكأنه جرى مراهنة بين العبد والربّ تعالى، والسبق^٥ الذي يحوزه العبد لذات الدنيا الفانية، والسبق الذي للربّ تعالى عقاب العبد، فبسّس الخطّ والنصيب، الخطّ والسبق الذي يحوزه عند مخاطرته ومراهنته مع الله بأن يترك طاعته ويرتكب معصيته. ويحتمل على بعد أن يكون الخطر في الموضعين بمعنى الإشراف على الهلاك، أو بمعنى الخطور بالبال، أو على التوزيع، والله يعلم». راجع: لسان العرب ٢٥١ / ٤.
٣. خاب الرجل خيبة: إذا لم ينل ما يطلب. الصحاح ١٢٣ / ١ (خبب).
٤. الكرة: الرجوع، والمراد الرجوع إلى الله تعالى للحساب، أو الرجوع إلى الأبدان في الحشر، وخسران الكرة مستلزم لخسرانهم أيضاً، وإسناد الخيبة إلى الخطّ والخسران إلى الكرة إسناد مجازي، راجع: شرح المازندراني ١٤٩ / ١١؛ الوافي ١١٣ / ٢٦؛ مرآة العقول ٩ / ٢٥.
٥. في المرأة: «كأنه على الحذف والإيصال، أي استجبروا بالله».
٦. وفي شرح المازندراني: «والظاهر: أن يجزيكم، من الخزي. [و] يجزيكم، من الجزاء، تصحيف». وفي المرأة: «في بعض النسخ: أن يجريكم، وهو الظاهر، وفي بعضها: أن يجيركم، والمعنى حيثئذ: استعذوا من أن يكون إجارته تعالى إياكم على مثال إجارته لهم؛ فإنه لا يجيرهم عن عذابه في الآخرة وإنما أجارهم في الدنيا».
٧. في المرأة: «في بعض النسخ: من مثاهم، فالمراد: استجبروا بالله لأن يجيركم من مثاهم: أي من أن تكونوا مثلهم».

بما ابتلاهم به، ولا قوة لنا ولكم إلا به.^١

لهذه الرسالة ثلاثة أسانيد والسند الثاني معتبر عندي.

خبر كعب الأخبار أنه قال إذا كان يوم القيامة حشر الخلق على أربعة اصناف صنف ركبان وصنف على أقدامهم يمشون وصنف مكبّون وصنف على وجوههم (صُمُّ بَكْمٌ عَمَّى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) ولا يتكلمون (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ)^٢ أولئك الذين (تَلَفَحَ وَجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ)^٣ فقيل له يا كعب من هؤلاء (الَّذِينَ تُحْتَرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ)^٤ وهذه الحالة حالهم فقال كعب أولئك كانوا في الضلال والارتداد والنكث فبئس (مَا قَدَمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ)^٥ إذا لقوا الله بحرب خليفتهم ووصي نبيهم وعالمهم وفاضلهم وحامل اللواء وولي الحوض والمرجى والرجا دون هذا العالم وهو العلم الذي لا يجهل والحجة التي من زال عنها عطف وفي النار هوى ذاك عليّ ورب الكعبة أعلمهم علما وأقدمهم سلما وأوفرهم حلما عجب كعب ممن قدم على عليّ غيره ومن يشك في القائم المهدي الذي يبذل (الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ)^٦ وبه عيسى ابن مريم يحتج على نصارى الروم والصين إنّ القائم المهدي من نسل علي أشبه الناس بعيسى ابن مريم خلقا وخلقا وسياء وهيئة يعطيه الله جل وعز ما أعطى الأنبياء ويزيده ويفضله إنّ القائم من ولد عليّ له غيبة كغيبة يوسف ورجعة كرجعة عيسى ابن مريم ثم يظهر بعد غيبته مع طلوع النجم الآخر وخراب الزوراء وهي الري وخسف

١. الكافي ١٥/١٤-٧ (٨/٥-٢).

٢. سورة المرسلات / ٣٦.

٣. سورة المؤمنون / ١٠٤.

٤. سورة الفرقان / ٣٤.

٥. سورة المائدة / ٨٠.

٦. سورة ابراهيم / ٤٨.

المزورة وهي بغداد وخروج السفياي وحرب ولد العباس مع فتیان أرمنية وأذربايجان تلك حرب يقتل فيها ألوف وألوف كل يقبض على سيف مجلي تخفق عليه رايات سود تلك حرب يستبشر فيها الموت الأحمر والطاعون الأكبر.^١

الطوسي قال: التشبيه في هذه الآية يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل:

أحدها: وهو أحسنها وأقربها إلى الفهم، وأكثرها في باب الفائدة، ما قاله أكثر المفسرين كابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والربيع واختاره الزجاج والفراء والطبري والحيائي والرماني وهو المروي عن أبي جعفر 7: إن مثل الذين كفروا في دعائك إياهم (كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ) أي الناق في دعائه. المنعوق به من البهائم التي لا تفهم كالإبل والبقر والغنم لأنها لا تعقل ما يقال لها وإنما تسمع الصوت والحذف في مثل هذا حسن...^٢


في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: قال الإمام 7 قال الله ﷻ (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا) في عبادتهم للأصنام، واتخاذهم للأنداد من دون محمد 6 وعلي 7 (كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ) [يصوت بما لا يسمع] (إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً) لا يفهم ما يراد منه فيغيث المستغيث، ويعين من استعانة (صُمُّ بَكْمُ عُمَى) عن الهدى في اتباعهم الأنداد من دون الله، والأضداد لأولياء الله الذين سموهم بأسماء خيار خلائف الله، ولقبوهم بألقاب أفاضل الأئمة الذين نصبهم الله لإقامة دين الله فهم لا يعقلون أمر الله ﷻ. قال علي بن الحسين 7 هذا في عباد الأصنام، وفي النصاب لأهل بيت محمد 7 نبي الله، هم أتباع إبليس وعُتاة مردته، سوف يصيرون إلى الهاوية.^٣

١. الغيبة للنعماني / (١٤٧-١٤٥)، ح ٤ ونقل عنه في بحار الأنوار ٥٢/ ٢٢٥، ح ٨٩ (٢١/ ٤٣٣).

٢. التبيان ٢/ ٧٧.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٥٨٣.

(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) 

«خطاب خاص بالمؤمنين بعد الخطاب السابق لـ (النَّاسُ) ^١ فهو من قبيل انتزاع الخطاب من الخطاب، كأنه انصراف عن خطاب جماعة ممن لا يقبل النصح ولا يصفي إلى القول، والتفات إلى من يستجيب الداعي لإيمانه به، والتفاوت الموجود بين الخطابين ناش من تفاوت المخاطبين، فان المؤمنين بالله لما كان يتوقع منهم القبول بدّل قوله: (مَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) ^٢ من قوله: (طَيِّبَتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) وكان ذلك وسيلة إلى أن يطلب منهم الشكر لله وحده لكونهم موحدين لا يعبدون إلا الله سبحانه، ولذلك بعينه قيل: (مَا رَزَقْنَاكُمْ) ولم يقل: ما رزقتم أو (مَا فِي الْأَرْضِ) ^٣ ونحوه، لما فيه من الإيحاء أو الدلالة على كونه تعالى معروفاً لهم قريباً منهم حينئذ رؤفاً بهم» ^٤.

(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) مرّ مراراً ويأتي كذلك.

(كُلُوا) «ظاهره ظاهر الأمر، والمراد به الإباحة، والتخيير، لأن الأكل ليس بواجب إلا أنه متى أراد الأكل، فلا يجوز أن يأكل إلا من الحلال الطيب، ومتى كان الوقت وقت الحاجة فإنّه محمول على ظاهره في باب الأمر: سواء قلنا: إنّهُ يقتضي الإيجاب أو الندب» ^٥.

١. سورة البقرة / ١٦٨.

٢. سورة البقرة / ١٦٨.

٣. سورة البقرة / ١٦٨.

٤. الميزان ١ / ٤٢٥.

٥. التبيان ٢ / ٨١.

(من) تبعية. (طَيَّبَتْ) جمع طَيَّب: ما تستلذه النفس.

(مَا) موصولة، مضاف إليه.

(رَزَقْنَكُمْ) «من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف لا من قبيل قيام الصفة مقام الموصوف فإنَّ المعنى على الأوَّل (كُلُوا مِن) رزقنا الذي كلّه طَيَّبٌ، وهو المناسب لمعنى التقرب والتحنُّن الذي يلوح من المقام، والمعنى على الثاني (كُلُوا مِن طَيَّبَتْ) الرزق لا من خبيثه، وهو بعيد المناسبة عن المقام الذي هو مقام رفع الحضر، والنهي عن الإمتناع عن بعض ما رزقهم الله سبحانه تشریعاً من عند أنفسهم وقولاً بغير علم»^١.

(وَ) عاطفة.

(أَشْكُرُوا) معطوفة على (كُلُوا) والشكر: «إظهار نعمة المنعم على نحو من التعظيم: إمَّا بالقلب... أو باللسان... أو بالجوارح والأركان...»^٢ وشكر المنعم واجب.

(لِلَّهِ) لام الاختصاص ولفظ الجلالة، دال على اختصاص الشكر به تعالى ودال على توحيده تعالى.

(إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) دال على الحصر والقصر لتقدم (إِيَّاهُ) مفعول به (تَعْبُدُونَ) عليها.

الروايات

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧: قال الإمام ٧ قال الله ﷻ (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) بتوحيد الله، ونبوة محمد ٦ رسول الله وبإمامة علي ولي الله

١. الميزان ١/ ٤٢٥.

٢. مواهب الرحمن ٢/ ٣٤٨.

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ) على ما رزقكم منها بالمقام على ولاية محمد وعلي ليقىكم الله تعالى بذلك شرور الشياطين المتمردة على ربهم ﷺ، فإنكم كلما جددتم على أنفسكم ولاية محمد وعلي : تجدد على مرادة الشياطين لعائن الله، وأعاذكم الله من نفخاتهم ونفثاتهم. فلما قاله رسول الله ﷺ قيل يا رسول الله، وما نفخاتهم قال هي ما ينفخون به عند الغضب في الإنسان الذي يحملونه على هلاكه في دينه ودنياه، وقد ينفخون في غير حال الغضب بما يهلكون به. أتدرون ما أشد ما ينفخون به هو ما ينفخون بأن يوهموه أن أحداً من هذه الأمة فاضل علينا، أو عدلٌ لنا أهل البيت، كلا والله بل جعل الله تعالى محمداً ﷺ ثم آل محمد ﷺ فوق جميع هذه الأمة كما جعل الله تعالى السماء فوق الأرض وكما زاد نور الشمس والقمر على الشُّها. قال رسول الله ﷺ وأما نفثاته: فإن يرى أحدكم أن شيئاً بعد القرآن أشفى له من ذكرنا أهل البيت ومن الصلاة علينا، فإن الله ﷻ جعل ذكرنا أهل البيت شفاء للصدور، وجعل الصلوات علينا ماحية للأوزار والذنوب، ومطهرة من العيوب ومضاعفة للحسنات.^١

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧: قال الإمام ٧ قال الله ﷻ (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) [أَي (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)] فاشكروا نعمة الله بطاعة من أمركم بطاعته من محمد وعلي وخلفائهم الطيبين. ثم قال ﷻ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ الَّتِي مَاتَتْ حَتْفَ أَنْفِهَا بِلَا ذَبَاحَةٍ مِنْ حَيْثُ أَذْنُ اللَّهِ فِيهَا وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ أَنْ تَأْكُلُوهُ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغير الله ما ذكر اسمُ غير الله عليه من الذبائح، وهي التي يتقرب بها الكفار بأسامي أندادهم التي اتخذوها من دون الله. ثم قال ﷻ فمن اضطر إلى شيء من هذه المحرمات غير باغ وهو غير باغ عند الضرورة على إمام هدى ولا عاد ولا معتد قوال

بالباطل في نبوة من ليس بنبي، أو إمامة من ليس بإمام فلا إثم عليه في تناول هذه الأشياء إنَّ الله غفور رحيم ستار لعيوبكم أيها المؤمنون، رحيم بكم حين أباح لكم في الضرورة ما حرمه في الرخاء.^١

الطبرسي قال: وفي الحديث: يقول الله تعالى: إِنِّي وَالْجَنِّ وَالْإِنْسَ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ أَخْلَقْتُ وَيُعَبِّدُ غَيْرِي وَأَرْزُقُ وَيُشْكِرُ غَيْرِي.^٢

الرواية نقلت في تفسير الثعلبي^٣ والكشاف^٤ ونقلها من ابوالفتوح الرازي في روض الجنان^٥ والكاشاني في منهج الصادقين^٦ والمشهدي في كنز الدقائق^٧.

الكاشاني رفعه عن النبي ﷺ أنه قال: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْتَجَابَ دَعَاؤُهُ فَلْيُطَيِّبْ مَطْعَمَهُ وَمَكْسَبَهُ.^٨

الكاشاني رفعه عن النبي ﷺ أنه قال: ترك لقمة حرام أحبَّ إلى الله من صلاة ألفي ركعة تطوعاً.^٩

الكاشاني قال: وفي الأثر: ردّ دانيق^{١٠} حرام يعدل عند الله سبعين حجة.^{١١}
قال ابن أبي الحديد رويت عن الشيوخ ورأيت بخط عبدالله بن أحمد

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧ / ٥٨٥.

٢. جوامع الجامع ١ / ٩٧.

٣. الكشف والبيان ٢ / ٤٣.

٤. الكشاف ١ / ٢١٤.

٥. روض الجنان ٢ / ٢٩٣.

٦. منهج الصادقين ١ / ٣٨٩.

٧. كنز الدقائق ١ / ٤٠٣.

٨. منهج الصادقين ١ / ٣٩٠.

٩. منهج الصادقين ١ / ٣٩٠.

١٠. سدس وزن درهم.

١١. منهج الصادقين ١ / ٣٩٠.

الخشب ؛ أن الربيع بن زياد الحارثي أصابته نُسابة في جبينه فكانت تنتقص عليه في كل عام فأتاه علي 7 عائداً فقال كيف تجدك أبا عبد الرحمن قال أجدني يا أمير المؤمنين لو كان لا يذهب ما بي إلا بذهاب بصري لتمنيت ذهابه قال وما قيمة بصرك عندك قال لو كانت لي الدنيا لفديته بها قال لا جرم ليعطينك الله على قدر ذلك إن الله يعطي على قدر الألم والمصيبة وعنده تضعيف كثير قال الربيع يا أمير المؤمنين ألا أشكو إليك عاصم بن زياد أخي قال: ما له؟ قال: لبس العباء وترك الملاء وغم أهله وحزن ولده فقال 7 أدعوا لي عاصماً فلما أتاه عبس في وجهه وقال ويحك يا عاصم أترى الله أباح لك اللذات وهو يكره ما أخذت منها لأنت أهون على الله من ذلك أو ما سمعته يقول (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) ١ ثم قال (تَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) ٢ وقال (وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَّةً تَلْبُسُونَهَا) ٣ أما والله لا ابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال وقد سمعتم الله يقول (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) ٤ وقوله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) ٥ إن الله خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) و قال (يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) ٦ وقال رسول الله ﷺ لبعض نسائه ما لي أراك شعثناء مرهء سلتاء قال عاصم فلم اقتصرت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الجشب قال إن الله تعالى افترض على أئمة العدل أن يقدرُوا لأنفسهم بالقوم

١. سورة الرحمن / ١٩.

٢. سورة الرحمن / ٢٢.

٣. سورة فاطر / ١٢.

٤. سورة الضحى / ١١.

٥. سورة الأعراف / ٣٢.

٦. سورة المؤمنون / ٥١.

كيلا يتبيح بالفقير فقره فما قام علي 7 حتى نزع عاصم العباءة وليس ملاءة.^١

(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ

أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ﴿١٧٣﴾

استئناف بياني في بيان المحرمات وهي هنا أربعة والحكمة في تحرير «الثلاثة الأولى» صحة محض يعرفها الأطباء، وأهل الاختصاص، أما حكمة المنع عما ذكر غير اسم الله عليه فدينية صرف تهدف إلى صيانة التوحيد والتنزيه عن الشرك^٢.
(إِنَّمَا) كافة مكفوفة بمعنى «ما» و«إلا».

(حَرَّمَ) فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى الله تعالى. والمراد بالحرمة هنا المنع التكليفي الشرعي.

(عَلَيْكُمْ) جار ومجرور متعلق بـ(حَرَّمَ). والخطاب للمسلمين المؤمنين.
(الْمَيْتَةَ) مفعول به، وهي كل حيوان مات حتف أنفه أو بغير تذكية شرعية.
(وَ) عاطفة.

(الدَّمَ) معطوف على (الْمَيْتَةَ)، وهو الدم المسفوح أي المتميز عن اللحم.
(وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ) حرف عطف ومعطوف ومضاف إليه. والخنزير لحمه وشحمه وبوله وروثه وبلله وجميعه نجس وحرام.

(وَمَا) حرف عطف و (مَا) موصولة، معطوف على (الْمَيْتَةَ).

١. شرح ابن أبي الحديد ١١ / ٣٥ ونقل عنه في بحار الأنوار ٦٧ / ١٢١، ح ١٢ (٢٧ / ٢٤٥).

٢. التفسير الكاشف ١ / ٢٦٤.

(أَهْلٌ) فعل ماض مجهول ونائب فاعله ضمير مستتر هو، الإهلال: رفع الصوت بالتسمية.

(بِهْ) جار ومجرور متعلق بـ(أَهْلٌ)، والضمير عائد إلى ما ذبح للأصنام.

(لِغَيْرِ اللَّهِ) جار ومجرور متعلق بـ(أَهْلٌ) ومضاف إليه.

(فَ) تفرعية. (مَنْ) اسم شرط جازم.

(أَضْطَرُّ) فعل ماض مجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو». فعل الشرط في

محل جزم. «الإضطرار: كل فعل لا يمكن المفعول به الإمتناع منه»^١. وهو أعم من المجاعة والإكراه.

(غَيْرِ) حال من ضمير الغائب الفاعلي لِـ(أَضْطَرُّ).

(بَاغٍ). مضاف إليه، باغ: ظالم. (و) عاطفة.

(لَا) حرف صلة أو زائد لتأكيد النهي.

(عَادٍ) مضاف إليه (لَا عَادٍ): لا متجاوز حده.

(فَ) واقعة في جواب الشرط. (لَا) نافية للجنس. (إِثْمٌ) اسم (لَا).

(عَلَيْهِ) جار ومجرور، خبر (لَا). (فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ) جواب الشرط. «وهما حالان

عاملهما الإضطرار فيكون المعنى فمن اضطرَّ إلى أكل شيء مما ذكر من المنهيات

اضطرارًا في حال عدم بغيه وعدم عدوه فلا ذنب له في الأكل، وأما لو اضطر في حال

البغي والعدو كأن يكونا هما الموجبين للإضطرار فلا يجوز له ذلك»^٢.

(إِنَّ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد. (اللَّهُ) اسم (إِنَّ).

(عَفُورٌ رَحِيمٌ) خبرا (إِنَّ). «دليل على أن التجوز تخفيف ورخصة منه تعالى

١. التبيان ٢/ ٨٥.

٢. الميزان ١/ ٤٢٦.

للمؤمنين وإلا فَمَنَاطُ النَّهْيِ موجود في صورة الاضطراب أيضاً^١.

الروايات

صحیحة محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله 7 عن الرجل والمرأة يذهب بصرة فيأتيه الأطباء فيقولون نداويك شهراً أو أربعين ليلةً مستلقياً كذلك يصلي فرخص في ذلك وقال (غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ)^٢.

ورواها مثلها العياشي في تفسيره^٣.

معتبرة حماد بن عثمان عن أبي عبد الله 7 في قول الله ﷻ (فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) قال الباغي باغي الصيد والعادي السارق ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرا إليها هي حرام عليهما ليس هي عليهما كما هي على المسلمين وليس لهما أن يقصرا في الصلاة^٤.

ورواها الشيخ في التهذيب^٥.

خبر أحمد بن محمد بن أبي نصر عمن ذكره عن أبي عبد الله 7 في قول الله تبارك وتعالى (فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) قال الباغي الذي يخرج على الإمام والعادي الذي يقطع الطريق لا تحل له الميتة^٦.

رواها القمي في تفسيره^٧ والصدوق في معاني الأخبار^٨.

١. الميزان ١/ ٤٢٦.

٢. الكافي ٣/ ٤١٠، ح ٤.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٧٦، ح ١٥٨.

٤. الكافي ٣/ ٤٣٨، ح ٧.

٥. التهذيب ٣/ ٢١٧.

٦. الكافي ٦/ ٢٦٥، ح ١.

٧. تفسير القمي ١/ ٦٢.

٨. معاني الأخبار ٢/ ١٣.

محمد بن إسماعيل رفعه إلى أبي عبد الله 7 في قوله (فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) قال الباغي الظالم، والعادي الغاصب.^١

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله 7 يقول: المضطر لا يشرب الخمر لأنها لا تزيد إلا شراً، فإن شربها قتلته، فلا يشرب منها قطرة.^٢

رواها الصدوق في علل الشرائع.^٣

عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله 7 في قوله (فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) قال الباغي الخارج على الإمام والعادي اللص.^٤

عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله 7 في قوله (فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) قال الباغي طالب الصيد والعادي السارق ليس لهما أن يقصرا من الصلاة، وليس لهما إذا اضطرا إلى الميتة أن يأكلاها، ولا يحل لهما ما يحل للناس إذا اضطروا.^٥

روا مثلها الشيخ في التهذيب.^٦

خبر عبدالعظيم بن عبد الله الحسيني عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا 7 أنه قال سألت عماراً أهلك لغير الله قال ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر حرم الله ذلك كما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير (فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) أن يأكل الميتة قال فقلت له يا ابن رسول الله متى تحل للمضطر الميتة فقال حدثني أبي عن أبيه عن آبائه : أن رسول الله 6 سئل فليل له يا رسول الله أنا نكون بأرض فتصيبنا

١. تفسير العياشي ١/١٧٦، ح ١٥٦.

٢. تفسير العياشي ١/١٧٦، ح ١٥٧.

٣. علل الشرائع ٤٧٨، ح ١.

٤. تفسير العياشي ١/١٧٧، ح ١٥٩.

٥. تفسير العياشي ١/١٧٧، ح ١٦١.

٦. التهذيب ٩/٧٨، ح ٦٩.

المخمصة فمتى تحلّ لنا الميتة قال ما لم تصطبخوا أو تغتبقوا أو تحتفوا بقلا فشأنكم بهذا قال عبدالعظيم فقلت له يا ابن رسول الله فما معنى قوله ﷺ (فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) قال العادي السارق والباغي الذي يبغي الصيد بطراً ولهُوا لا ليعود به على عياله ليس لهما ان يأكلا الميتة إذا اضطرا هي حرام عليهما في حال الاضطرار كما هي حرام عليهما في حال الاختيار وليس لهما أن يقصرا في صوم ولا صلاة في سفر، الحديث^١.

خبر عمرو بن سعيد عن بعض أصحابنا قال أتت امرأة إلى عمر فقالت يا أمير المؤمنين اني فجرت فاقم في حدّ الله فأمر برجمها وكان علي 7 حاضراً قال فقال له سلها كيف فجرت قالت كنت في فلاة من الأرض فأصابني عطش شديد فرفعت لي خيمة فأتيته فأصبّت فيها رجلاً أعرابياً فسألته الماء فأبى عليّ أن يسقيني إلا أن امكّنّه من نفسي فوليت منه هاربة فاشتد بي العطش حتّى غارت عيناى وذهب لساني فلما بلغ مني أتيته فسقاني ووقع علي فقال له 7 هذه التي قال الله تعالى (فَمَنْ أَضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) هذه غير باغية ولا عادية إليه فخلّى سبيلها فقال عمر لو لا عليّ لهلك عمر^٢. روا مثلها العياشي في تفسيره^٣ والصدوق في الفقيه^٤ والمفيد في الإرشاد^٥.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 : قال الإمام 7 قال الله ﷻ (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ٦ [أَي (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)] فاشكروا نعمة الله بطاعة من أمركم بطاعته من محمد وعلي وخلفائهم الطيبين. ثم قال ﷻ (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ

١. التهذيب ٩/ ٨٣، ح ٨٩.

٢. التهذيب ١٠/ ٤٩، ح ١٨٦.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٧٧، ح ١٦٠.

٤. من لا يحضره الفقيه ٤/ ٣٥، ح ٥٠٢٥.

٥. الإرشاد، ١/ ٢٠٦.

٦. سورة البقرة / ١٧٢.

الْمَيِّتَةِ) التي ماتت حتف أنفها بلا ذباجة من حيث إذن الله فيها [(وَالْدَمَ وَلَحَمَ
الْخَنِزِيرِ)] أن تأكلوه (وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ) ما ذكر اسم غير الله عليه من الذبائح،
وهي التي يتقرب به الكفار بأسامي اندادهم التي اتخذوها من دون الله. ثم قال ﷺ
(فَمَنْ أَضْطُرُّ) إلى شيء من هذه المحرمات (غَيْرِ بَاغٍ) وهو غير باغ عند الضرورة على
إمام هدى (وَلَا عَادٍ) ولا معتد قوال بالباطل في نبوة من ليس بنبي، أو إمامة من ليس
بإمام (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) في تناول هذه الأشياء (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ستار لعيوبكم أيها
المؤمنون، رحيم بكم حين أباح لكم في الضرورة ما حرّمه في الرخاء.^١

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا

يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١٧٤)

ذم قوم تركوا سبيل الحق واتبعوا خطوات الشيطان وتعريض لأهل الكتاب
«الذين كتموا وصف محمد ﷺ ونبوته، ومهما كان سبب النزول فإن المراد كل من
عرف شيئاً من الحق وكتمه بالتأويل والتحريف لمنفعته الشخصية، يهودياً كان أو
نصرانياً، أو مسلماً، لأن اللفظ عام»^٢.

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ) «الكتم والكتمان هو ستر الشيء وإخفاؤه»^٣ «والكتمان
كما يحصل بالإخفاء والحذف يحصل أيضاً بالتأويل والتحريف والوضع في غير

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٥٨٥ / ٧.

٢. التفسير الكاشف ٢٦٦ / ١.

٣. مواهب الرحمن ٣٦٢ / ٢.

مواضعه^١.

(مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ آيَةٍ إِلَّا لَعَنَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) (مَنْ) بيانيّة والمراد بـ(الْكَافِرِينَ) مطلق معارفه وأحكامه وسننه وعلومه.

(وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) الإشتراء هنا مطلق التبديل والتمن القليل هو الدنيا وحطامها فإنها قليلة بالنسبة إلى الحقّ وكتمانه.

(أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ) إلى الذين يكتمون حالهم في أكل الثمن القليل حال مَنْ أكل النار وجعلها في بطنه وهذه الفقرة من الآية الشريفة تدل على تجسم الأعمال وتحقق نتائجها في الآخرة.

(وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) كناية عن عدم اعتناء الله بهم والإعراض عنهم والغضب عليهم في يوم يحتاجون إلى توجهه وعنايته ورحمته ومغفرته.

(وَلَا يُزَكِّيهِمْ) أي لا يطهرهم حتّى تمكّنوا من دخول الجنة لأنّ الذين عليهم الخبائث والدنائس لا يقدرّون على دخولها.

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فإذا لم يدخلوا الجنة فلا محالة يدخلون النار وفيها (عَذَابٌ أَلِيمٌ) يعني شديد الألم.

الروايات

حسنه ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله 7 يقول: ثلاثة لا ينظر الله إليهم (يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ): من ادّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً.^٢

١. مواهب الرحمن ٢/ ٣٦٢.

٢. الكافي ١/ ٣٧٤، ح ١٢.

ورواها العياشي في تفسيره^١ والصدوق بإسناده في الخصال^٢.

عن الثمالي عن علي بن الحسين ٨ قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم (وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) من جحد إماماً من الله أو ادّعى إماماً من غير الله أو زعم أن لفلان وفلان في الإسلام نصيباً^٣.
عن أبي ذر عن النبي ٦ أنه قال ثلاثة (لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قلت من هم خابوا وخسروا؟ قال: المسبيل^٤ والمنان والمنفق سلعته بالخلف الكاذب أعادها ثلاثاً^٥.

ورواها الصدوق في الخصال^٦ والطبرسي في المجمع^٧ نقلاً من مسلم في صحيحه.
السكوني عن جعفر بن محمد ٧ عن أبيه ٧ قال: قال رسول الله ٦: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، (وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ): المرخي ذيله من العظمة، والمزكي سلعته بالكذب، ورجل استقبلك بوذ صدره فيواري قلبه ثمليء غشاً^٨.

عن إسحاق بن أبي هلال قال: قال علي ٧: ألا أخبركم بأكبر الزنا؟ قالوا: بلي يا أمير المؤمنين، قال: هي المرأة تفجر ولها زوج، فتأتي بولد فتلزمه زوجها، فتلك التي

١. تفسير العياشي ١/٣١٣، ح ٦٤.

٢. الخصال ١/١٠٦، ح ٦٩.

٣. تفسير العياشي ١/٣١٣، ح ٦٥.

٤. المسبيل: المرسل ذيله تكبراً.

٥. تفسير العياشي ١/٣١٥، ح ٧٠.

٦. الخصال ١/١٨٤، ح ٢٥٣.

٧. مجمع البيان ٢/٤٦٤، ذيل الآية ٧٦ من سورة آل عمران.

٨. تفسير العياشي ١/٣١٤، ح ٦٩.

لا يكلّمها الله ولا ينظر إليها ولا يُزكّيها ولها عذاب أليم.^١
 روا نحوها الكليني في الكافي^٢ والصدوق في الفقيه^٣ وعقاب الأعمال^٤ والبرقي في المحاسن^٥.
 عن محمد الحلبي قال: قال أبو عبد الله ٧: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة،
 (وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ): الديوث^٦ من الرجال والفاحش^٧ والمتفحّش^٨،
 والذي يسأل الناس وفي يده ظَهْر غَنِيٍّ.^٩
 صحيحة محمد بن مسلم عن أبي عبد الله ٧ قال: ثلاثة لا يكلّمهم الله تعالى
 (وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ): منهم المرأة توطى على فراش زوجها.^{١٠}
 ورواها البرقي بسند صحيح في المحاسن^{١١} والإثنان الآخران على ما في دعائم الإسلام^{١٢}
 هما: الشيخ الزاني والديوث - وهو الذي لا يُغار ويجمع الناس في بيته على الفجور -.
 خبر أبي هريرة قال: قال رسول الله ٦ ثلاثة (لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ) ﷻ (وَلَا
 يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) رجل بايع إماماً لا يبايعه إلّا للدين إن أعطاه منها ما يريد
 وفي له وإلّا كفّ ورجل بايع رجلاً بسلعته بعد العصر فحلف بالله ﷻ لقد اعطني بها

١. تفسير العياشي ١/ ٣١٤، ح ٦٦.

٢. الكافي ٥/ ٥٤٣، ح ٢.

٣. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٥٧٣، ح ٤٩٦١.

٤. عقاب الأعمال / ٣١٢، ح ٦.

٥. المحاسن ١/ ١٩٥، ح ١١٨.

٦. الديوث: القواد على أهله، والذي لا يُغار عليها.

٧. الفاحش: ذو الفحش في كلامه وفعاله.

٨. المتفحّش: من يتكلّفه ويتعمّده.

٩. تفسير العياشي ١/ ٣١٤، ح ٦٧.

١٠. عقاب الأعمال / ٣١٢، ح ٥.

١١. المحاسن ١/ ١٩٤، ح ١١٧.

١٢. دعائم الإسلام ٢/ ٤٤٨، ح ١٥٧٠.

كذا وكذا فصدقه فأخذها ولم يعط فيها ما قال ورجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه ابن السبيل.^١

صحيحة أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله 7 يقول: ثلاثة (لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ): الناتف شبيهه، والناكح نفسه، والمنكوح في دبره.^٢

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: قال الإمام 7 قال الله ﷻ في صفة الكاتمين لفضلنا أهل البيت (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ) المشتمل على ذكر فضل محمد 6 على جميع النبيين، وفضل علي 7 على جميع الوصيين (وَيَشْتَرُونَ بِهِ) بالكتمان (ثَمَنًا قَلِيلًا) يكتُمونه ليأخذوا عليه عرضاً من الدنيا يسيراً، وينالوا به في الدنيا عند جهال عباد الله رئاسة. قال الله تعالى (أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ) يوم القيامة (إِلَّا النَّارَ) بدلاً من [اصابتهم] اليسير من الدنيا لكتمانهم الحق (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) بكلام خير بل يكلمهم بأن يلعنهم ويخزيهم ويقول بئس العباد أنتم، غيرتم ترتيبي، وأخرتم من قَدَمْتُهُ، وقدمتم من أخرته وواليتهم من عاديتهم، وعاديتهم من واليتهم. (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) من ذنوبهم، لأنّ الذنوب إنما تذوب وتضمحل إذا قرن بها موالاة محمد وعلي وأهلها الطيبين : فأما ما يقرن بها الزوال عن موالاة محمد وآله، فتلك ذنوب تتضاعف واجرام تتزايد، وعقوباتها تتعاضد (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) موجع في النار.^٣

١. الخصال ١/١٠٦، ح ٧٠.

٢. الخصال ١/١٠٦، ح ٦٨.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٥٨٦.

(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ

فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) ﴿١٧٥﴾

هذه الآية كالنتيجة للآية السابقة.

(أُولَئِكَ) إشارة إلى (الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ...) ١.

(الَّذِينَ) نعت لـ (أُولَئِكَ).

(اشْتَرُوا) أي استبدلوا لأن أصل الشراء: الاستبدال.

(الضَّلَالَةَ) هنا كفرهم بالنبي ٦ وجحدهم لنبوته أو كتمان الكتاب أو اتباع

الهوى أو كلها.

(بِالْهُدَىٰ) والمراد به هنا الإيمان بالنبي ٦ أو إظهار الكتاب وتبعيته أو اتباع

العقل والشرع أو كلها.

(وَالْعَذَابَ) معطوف على (الضَّلَالَةَ).

(بِالْمَغْفِرَةِ) أي اشتروا (الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ) لمكان اشترائهم (الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ)

و «ترتب هذا على سابقه من قبيل ترتب المعلول على العلة التامة المنحصرة» ٢.

(فَ) تفريعية أو جوابية «لأنَّ الكلام المتقدم قد تضمن معنى من كان بهذه

الصفة» ٣.

(مَا) نكرة تامة بمعنى «شيء» للتعجب.

١. سورة البقرة / ١٧٤.

٢. مواهب الرحمن ٢ / ٣٦٥.

٣. التبيان ٢ / ٩١.

و «التعجب الحقيقي لا يجوز بالنسبة إليه ﷺ، لأنه يستلزم الجهل، وهو محال عليه تعالى»^١.

(أَصْبَرَهُمْ) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به.
(عَلَى النَّارِ) جار ومجرور متعلق بـ (أَصْبَرَهُمْ). «المراد أنهم فعلوا فعلاً يتعجب كل عاقل منهم، وأتهم كيف يدعون العقل مع أن فعلهم يدل على سفاهتهم وغفلتهم، وأنه لو وقع من أحد مثل هذا الاشتراء في أمور الدنيا كان دليلاً على السفاهة، فهم أدخلوا أنفسهم في النار باختيارهم، وسلطوا عليهم غضب الجبار، فكان صبرهم على العذاب شديداً»^٢.

الروايات

خبر عبدالله بن مسكان عن ذكره عن أبي عبدالله 7 في قول الله ﷻ (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) فقال: ما أصبرتم على فعل ما يعلمون أنه يصيرهم إلى النار.^٣
رواها العياشي في تفسيره.^٤

الطوسي قال: قيل في معنا (أَصْبَرَهُمْ) أربعة أقوال: أحدها: ما أجراًهم على النار ذهب إليه الحسن وقتادة، والثاني: قال مجاهد: ما أعملهم بأعمال أهل النار. وهو المروي عن أبي عبدالله 7 ...^٥.

قال الطبرسي: قوله (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) فقه أقوال: أحدها: إن معناه ما أجراًهم على النار ذهب إليه الحسن وقتادة ورواه علي بن إبراهيم بإسناده عن

١. مواهب الرحمن ٢/ ٣٦٥.

٢. مواهب الرحمن ٢/ ٣٦٥.

٣. الكافي ٢/ ٢٦٨، ح ٢.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٧٨، ح ١٦٢.

٥. التبيان ٢/ ٩١؛ ومجمع البيان ٣/ ٣٥٠ كما يأتي.

أبي عبدالله 7، والثاني: ما عملهم بأعمال أهل النار عن مجاهد وهو المروي عن أبي عبدالله 7... ١.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: قال الإمام 7 (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) أخذوا الضلالة عوضاً عن الهدى والردى في دار البوار بدلاً من السعادة في دار القرار ومحل الأبرار. (وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ) اشتروا العذاب الذي استحقوه بمولاتهم لأعداء الله بدلاً من المغفرة التي كانت تكون لهم لو والوا أولياء الله (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) ما أجراهم على عمل يوجب عليهم عذاب النار. ذلك يعني ذلك العذاب الذي وجب على هؤلاء بآثامهم وأجرامهم لمخالفتهم لإمامهم، وزوالهم عن موالاته سيّد خلق الله بعد محمد نبيه، أخيه وصفيه. ٢.

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا

فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)

تتمة الآية السابقة.

(ذَلِكَ) إشارة إلى العذاب الذي سينزل بالذين يكتُمون الحق، مبتدأ.

(بِأَنَّ) حرف جر وحرف مشبه بالفعل وتأكيد. الباء في موضع الخبر.

(اللَّهُ) اسم (إِنَّ).

(نَزَلَ الْكِتَابَ) فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى (اللَّهُ).

ومفعول به.

١. مجمع البيان ٣/ ٣٥٠ (١/ ٢٥٩).

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٥٨٦.

- (بِالْحَقِّ) جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من (الْكُتِبَ).
 (و) عاطفة. (إِنَّ) تأكيد. (الَّذِينَ) اسم موصول، اسم (إِنَّ).
 (اِخْتَلَفُوا) فعل ماضٍ وفاعله.
 (فِي الْكِتَابِ) جار ومجرور متعلق بـ (اِخْتَلَفُوا).
 (لِ) لام المزحلقة، تأكيد آخر. (فِي شِقَاقٍ) جار ومجرور خبر (إِنَّ).
 (بَعِيدٍ) نعت لِـ (شِقَاقٍ). «الشقاق: انحياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوة له وهو طلب كل واحدٍ منهما ما يشقّ على الآخر لأجل العداوة»^١.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧: قال الإمام ٧ (بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) نزل الكتاب الذي توعد فيه من خالف المحقّين وجانب الصادقين، وشرع في طاعة الفاسقين، نزل الكتاب بالحق أن ما يوعدون به يصيبهم ولا يخطئهم. (وَالَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ) فلم يؤمنوا به، قال بعضهم إنّه سحر وبعضهم إنّه شعر. وبعضهم إنّه كهانة (لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) مخالفة بعيدة عن الحق، كان الحق في شق وهم في شق غيره يخالفه. قال علي بن الحسين ٧ هذه أحوال من كنتم فضائلنا، وجحد حقوقنا وسمّى بأسمائنا، ولقّب بألقابنا وأعان ظالمنا على غصب حقوقنا، ومالا علينا أعداءنا، والتقية [عليكم] لا تزعجه، والمخافة على نفسه وماله وحاله لا تبعثه فاتقوا الله معاشر شيعتنا، لا تستعملوا الهوينا ولا تقية عليكم، ولا تستعملوا المهاجرة والتقية تمنعكم، وساحدّثكم في ذلك بما يردعكم ويعظكم دخل على أمير المؤمنين ٧ رجلان من أصحابه، فوطئ أحدهما على حية فلدغته، ووقع على الآخر في طريقه من حائط

عقربُ فلسعته وسقطا جميعًا فكأنهما لما بهما يتضرعان ويبيكان، فقبل لأمير المؤمنين 7 . فقال دعوهما فإنه لم يحن حينهما، ولم تتم محتتهما فحملا إلى منزليهما، فبقيا عليين اليمين في عذاب شديد شهرين. ثم إنَّ أمير المؤمنين 7 بعث إليهما فحملا إليه، والناس يقولون سيموتان على أيدي الحاملين لهما. فقال لهما كيف حالكما قالا نحن بالم عظيم، وفي عذاب شديد. قال لهما استغفرا الله من [كل] ذنب أداكما إلى هذا، وتعوذا بالله مما يحبط أجركما، ويعظم وزركما. قالا وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال علي 7 : ما أصيب واحد منكما إلا بذنبه أما أنت يا فلان، الحديث^١.

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)



«هذه الآية نزلت لما حولت القبلة، وكثر الخوض في نسخ تلك الفريضة، صار كأنه لا يراعى بطاعة الله إلا التوجه للصلاة، فأنزل الله تعالى الآية، وبين فيها أن البر ما ذكره فيها، ودل على أن الصلاة إنما يحتاج إليها لما فيها من المصلحة الدينية، وإنه إنما يأمر بها، لما في علمه أنها تدعو إلى الصلاح، وتصرف عن الفساد، وإن ذلك يختلف

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٥٨٧ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢٣٦/٢٦ (٤٠٣/١١).

بحسب الأزمان، والأوقات»^١.

(لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) «المراد بالخطاب توجيه المؤمنين والمصلين إلى أن مجرد الصلاة إلى ناحية معينة ليس هو الخير المقصود من الدين، لأن الصلاة إنما شرعت لإقبال المصلي على الله، والإعراض عمّن سواه. وبعد هذا التمهيد شرع ببيان أصول العقيدة التي هي من أركان البر، وحصرها بخمسة أمور تضمنها»^٢. الآية.

(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ) يعني التوسع في الخير والإحسان أساسه هو الإيمان بالله لأنه الباعث على طاعة الله في جميع ما أمر به ونهى عنه. وهذا هو الحجر الأساس. (وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) ثم الحجر الثاني هو الإيمان بيوم القيامة والإعتقاد بعالم آخر بعد الموت يحيا الناس فيه للحساب والجزاء.

(وَالْمَلَكَةِ) والإيمان بالملائكة إيمان بالوحي المنزل على الأنبياء وإنكارهم إنكار للنبوّة والوحي.

(وَالْكِتَابِ) «ال» للجنس أي الإيمان بجميع الكتب السماوي المنزلة على الأنبياء من صحف إبراهيم وتوراة موسى وإنجيل عيسى وقرآن محمد ﷺ وعليهم السلام. (وَالنَّبِيِّنَ) وهم وسائط بين الله وعباده ليس شأنهم إلا إبلاغ الوحي والقانون الإلهي والإيمان بهم إيمان بشرائعهم والعمل بها. إلى هنا تمت الأمور الخمسة الاعتقادية.

ثم أشار تعالى إلى الأعمال الصالحة وابتدأ بالتكاليف المالية لأنها تنقل على المؤمنين فقال تعالى:

١. التبيان ٢/ ٩٥.

٢. التفسير الكاشف ١/ ٢٧٠.

(وَأَتَى آلَ مَالٍ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى) أي إعطاء المال على حب الله أو على حب المال على ذوي القربى المعطي أو ذوي القربى النبي ٦.

(وَالْيَتَامَى) جمع يتيم وهو الذي مات أبوه.

(وَالْمَسْكِينِ) جمع مسكين و «هو الذي أسكنه الفقر والحاجة وألزمه الحياء والعفة عن السؤال، فيكون أشد فقرًا من مطلق الفقير ولكنه أعم استعمالًا منه إذ يستعمل في غير الفقراء أيضًا»^١.

(وَأَبْنِ السَّبِيلِ) «وهو المسافر البعيد المنقطع عن أهله وقرابته حتى كان السبيل ربّاه وبمنزلة أبيه»^٢.

(وَالسَّائِلِينَ) «وهم الذين اضطرتهم الحاجة إلى السؤال والتكفف»^٣.

(وَفِي الرِّقَابِ) أي في عتق العبيد إمّا بالشراء أعتاقهم أو بإعانتهم ليؤدوا مال الكتابة ويعتقون بمقتضى عقد الكتابة.

(وَأَقَامَ الصَّلَاةَ) «إقامة الصلاة هي أدائها كاملة بحدودها، والمواظبة عليها، والالتزام بإتيانها في أوقاتها. وهي من أعظم مظاهر العبودية، وأقوى الروابط الروحانية بين المخلوق وخالقه، إذا أُقيمت بشرائطها، وهي أول دعوة الأنبياء وآخر وصية الأوصياء ولها الآثار العظيمة في تزكية النفوس وتطهيرها من الرذائل والفحشاء، وبسببها يكون الشخص خاضعًا خاشعًا، وبها يصل الإنسان إلى جنّة اللقاء، ولذا اعتبرها الله تعالى من البر الذي يوجب الوصول إلى الكمال»^٤.

(وَأَتَى الزَّكَاةَ) إعطاء الزكاة المفروضة على الوجه الشرعي المطلوب.

١. مواهب الرحمن ٢ / ٣٨١.

٢. مواهب الرحمن ٢ / ٣٨٢.

٣. مواهب الرحمن ٢ / ٣٨٢.

٤. مواهب الرحمن ٢ / ٣٨٢.

(وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) ومن الأعمال الواردة تحت عنوان البر الوفاء بالعهود الإلهية والعهود الواقعة بين الناس بعضهم مع بعض ومنها العقود الواقعة بني الناس وحفظها يؤثر في حفظ كيان المجتمع البشري.

(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ) وهي غاية الفقر والشدة.

(وَالضَّرَّاءِ) وهي غاية العلل والأمراض وموت الأحبة.

(وَحِينَ الْبَأْسِ) أي (حين) الحرب.

(أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين (صَدَقُوا) في ادعاء كونهم من الأبرار.

(وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) بل هم المتصفون بصفة «التقوى» الحقيقي والواقعي.

الروايات

في كتاب سليم بن قيس عن أمير المؤمنين 7 قال في حديث: فنحن الذين عنى الله بذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كل هؤلاء منا خاصة، لأنه لم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً، وأكرم الله نبيه وأكرمنا أن لا يطعمنا أوساخ الناس.^١

ورواها الشريف المرتضى في الشافي في الإمامة.^٢

عن أبي إسحاق عن بعض أصحابنا عن الصادق 7 قال: سأل عن مكاتب عجز عن مكاتبته وقد أدى بعضها؟ قال: يودي من مال الصدقة إن الله يقول في كتابه (وَفِي الرِّقَابِ).^٣

رواها الصدوق في الفقيه^٤ والطوسي في التهذيب^٥.

١. كتاب سليم بن قيس / ١٢٦.

٢. الشافي في الإمامة ٥ / ٤٤ من طبعة المؤتمر الدولي لذكرى ألفية الشريف المرتضى.

٣. تفسير العياشي ٢ / ٢٣٩، ح ٧٧.

٤. من لا يحضره الفقيه ٣ / ١٢٥، ح ٣٤٧١.

٥. التهذيب ٨ / ٢٧٥، ح ٣٥.

خبر سهل بن زياد الآدمي عن مبارك مولى الرضا علي بن موسى 7 قال لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث خصال سنة من ربه وسنة ومن نبيه وسنة من وليه فأما السنة من ربه فكتبتان سره قال الله جل جلاله (عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) ١ وأما السنة من نبيه فمداراة الناس فإن الله ﷺ أمر نبيه بمداراة الناس فقال (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ٢ وأما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء يقول الله ﷻ (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) ٣.

رواها أيضًا في عيون الأخبار الرضا 7 ومعاني الأخبار ٥.

قال الطوسي: قوله تعالى (ذَوِي الْقُرْبَى) قيل أراد به قرابة المعطى، اختاره الجبائي لقول النبي 6 لفاطمة بنت قيس، لما قالت: يا رسول الله إن لي سبعين مثقالاً من ذهب، فقال: اجعلها في قرابتك.

وقال 6 لما سُئِلَ عن أفضل الصدقة، فقال: جهد المقل على ذي القرابة الكاشح.

ويحتمل أن يكون به قرابة النبي 6 كما قال: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ٦ وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله 8. ٧.

١. سورة الجن / ٢٦ و ٢٧.

٢. سورة الأعراف / ١٩٩.

٣. أمالي الصدوق، المجلس الثالث والخمسون، ح ٨ / ٤٠٨، رقم ٥٢٨.

٤. عيون أخبار الرضا 7 / ١ / ٢٥٦، ح ٩.

٥. معاني الأخبار / ١٨٤.

٦. سورة الشورى / ٢٣.

٧. التبيان ٢ / ٩٧.

وذكر نحوها في مجمع البيان.^١

قال الطوسي: واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن المعنى بها أمير المؤمنين ⁷ لأنه لا خلاف بين الأمة أن جميع هذه الخصال كانت جامعة فيه ولم تجتمع في غيره قطعاً، فهو المراد بالآية بالإجماع، وغيره مشكوك فيه غير مقطوع عليه. وقال الزجاج والفراء: هذه الآية تتناول الأنبياء المعصومين، لأنهم الذين يجمعون هذه الصفات.^٢

وذكر نحوها الطبرسي في مجمع البيان^٣ والكاشاني في منهج الصادقين^٤.

ابن شهر آشوب السروي قال: يروي أنه نزل فيه [أي في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ⁷] (وَالصَّيْرِينَ فِي الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَاسِ).^٥

أقول: قال السيد شرف الدين الأسترآبادي: «ذكر علي بن إبراهيم أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين ⁷. ثم ذكر بياناً في توضيح ذلك فراجعه^٦ وأخرج نحوه في إحقاق الحق^٧ عن شواهد التنزيل^٨ ورواه في مقصد الراغب^٩، ومن ذلك مناظرة أبي جعفر محمد بن النعمان مؤمن الطاق مع ابن أبي حذرة المروية في الاحتجاج وفيها: قال مؤمن الطاق: أما من القرآن وصفاً فقوله ﷺ: (يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) فوجدنا علياً بهذه الصفة في القرآن في قوله ﷺ: (وَالصَّيْرِينَ فِي الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَاسِ) في الحرب والشغب (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) فوق الإجماع من الأمة بأن علياً أولى بهذا الأمر من غيره، لأنه لم يفر من زحف قط كما فر

١. مجمع البيان ١/ ٢٦٣.

٢. التبيان ٢/ ٩٩.

٣. مجمع البيان ١/ ٢٦٤.

٤. منهج الصادقين ١/ ٤٠١.

٥. المناقب ٢/ ٨٠ ونحوها في المناقب ٣/ ٦١.

٦. تأويل الآيات الطاهرة ١/ ٨٥.

٧. إحقاق الحق ١٤/ ٥٠٥.

٨. شواهد التنزيل ١/ ١٠٣.

٩. مقصد الراغب ١٨.

غيره في غير موضع، فقال الناس: صدقت. المناظرة. فراجع تمامها في الاحتجاج^١ فأثبتا لطيفة ظريفة.

الطبرسي قال: (أَبْنُ السَّيْلِ) يعني المنقطع به عن أبي جعفر ٧. ٢

الطبرسي رفعه عن علي ٧ أنه قال: كنّا إذا أحمرّ البأس إتّقينا برسول الله، فلم يكن أحدٌ منّا أقرب إلى العدو منه. ٣

يريد إذا اشتدّ الحرب. رواها الثعلبي في تفسيره. ٤

الطبرسي قال: وفي الحديث: للسائل حق وإن جاء على فرس. ٥

رواها الثعلبي في تفسيره ٦ عن عبدالله بن الحسن ٧ عن أمّه فاطمة بنت الحسين قالت: قال رسول الله ٦: بالحديث.

والزمخشري في الكشاف^٨ والرازي في روض الجنان^٩.

ابوالفتوح الرازي رفعه عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله ٦ انه سُئل أيّ الصدقة أفضل؟ قال: أن تُعطي وأنت صحيح صحيح تأمل الفتى و [يُروى] تأمل العيش وتخشى الفقر فلا تمهل حتّى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا و لفلان كذا. ١٠

رواها الزمخشري في الكشاف^{١١} والكاشاني في منهج الصادقين^{١٢}.

١. الاحتجاج ٢/ ٣٧٨.

٢. مجمع البيان ١/ ٢٦٣.

٣. مجمع البيان ١/ ٢٦٤.

٤. الكشف والبيان ٢/ ٥٣.

٥. جوامع الجامع ١/ ١٠٠.

٦. الكشف والبيان ١/ ٥٢.

٧. كذا الصحيح ولكن في المطبوعة الحسين.

٨. الكشاف ١/ ٢١٩.

٩. روض الجنان ٢/ ٣١٥.

١٠. روض الجنان ٢/ ٣١٢.

١١. الكشاف ١/ ٢١٨.

١٢. منهج الصادقين ١/ ٣٩٥.

وعنه ٦: الصدقة على القرابة صدقة وصلة.^١

روا نحوها الزمخشري في الكشف^٢ والكاشاني في المنهج الصادقين^٣.

وعنه ٦: خير بيوتكم بيتٌ فيه يتيمٌ يُحَسِّنُ إليه وشرُّ بيوتكم بيتٌ فيه يتيمٌ يُسَاءُ إليه.^٤

وعنه ٦: أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة - وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى -.^٥

وعنه ٦: من ضمَّ يتيمًا إلى طعامه وشرابه حتَّى يستغنى عنه وجبت له الجنة.^٦

وعنه ٦: ليس المسكين بالطَّوَّاف ولا بالذي يَرُدُّه التمرة والتمرّتان واللقمة واللقمتان، إنّما المسكين الضعيف الذي لا يسأل الناس ولا يُفْطَنُ له فيَتَصَدَّقَ عليه.^٧

وعنه ٦: ربّ أحييني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشني في زمرة المساكين، فقالت إحدى نساءه: لماذا تقول هكذا يا رسول الله؟ فقال: لأنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين سنة.^٨

وعنه ٦: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.^٩

وعنه ٦: لا تَرُدُّوا السائل ولو بِظُلْفٍ^١ مُحَرَّقٍ.^٢

١. روض الجنان ٢/٣١٢.

٢. الكشف ١/٢١٩.

٣. منهج الصادقين ٢/٣١٢.

٤. روض الجنان ٢/٣١٣.

٥. روض الجنان ٢/٣١٣.

٦. روض الجنان ٢/٣١٣.

٧. روض الجنان ٢/٣١٤.

٨. روض الجنان ٢/٣١٤.

٩. روض الجنان ٢/٣١٥.

وعنه ٦: لو لا أنَّ السُّؤَالَ^٣ يكذبون ما قُدَّسَ مَنْ رَدَّهَمَ.^٤

وعنه ٦: نسخت الزكاة كلَّ صدقة.^٥

رواها الزمخشري في الكشف.^٦

وعنه ٦: لا إيمان لمن لا أمانة له.^٧

وعنه ٦: لا دين لمن لا عهد له.^٨

وفي الخبر: إذا رأيت الغنى مقبلاً عليك فقل ذنبٌ عَجَلَتْ عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلاً عليك فقل مرحباً بشعار الصالحين.^٩

رواها الكاشاني في منهج الصادقين.^{١٠}

وفي الخبر: إلتقيا أمير المؤمنين ٧ والخضر ٧، قال أمير المؤمنين ٧ له: قل حكمة أتعلّمها منك، قال الخضر ٧: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء قربة إلى الله، قال أمير المؤمنين ٧: تريد أن تسمع أحسن منها؟ قال: نعم، قال أمير المؤمنين ٧: وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقةً بالله.^{١١}

→

١. ظُلف: بالفارسية: پاچه گوسفند.

٢. روض الجنان ٢/ ٣١٥.

٣. السُّؤَالَ: جمع سائل.

٤. روض الجنان ٢/ ٣١٦.

٥. روض الجنان ٢/ ٣١٨.

٦. الكشف ١/ ٢٢٠.

٧. روض الجنان ٢/ ٣٢٠.

٨. روض الجنان ٢/ ٣٢٠.

٩. روض الجنان ٢/ ٣٢٤.

١٠. منهج الصادقين ١/ ٤٠٠.

١١. روض الجنان ٢/ ٣٢٤.

وعنه ٦: ليس الغنى من كثرة العَرَضِ، إنّما الغنى غنى النفس.^١
وعنه ٦: أفضل الأعمال الإيمان بالله وجهاد في سبيله.^٢
وعنه ٦: خير الناس رجل ممسكٌ بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعَةً^٣
طار إليها.^٤
الكاشاني رفعه إلى النبي ٦ أنّه قال: من عمل بهذه الآية فقد استكمل
الإيمان.^٥

رواها الفيض في الصافي.^٦

الكاشاني قال: وفي الحديث المتواتر ورد: أفضل الأعمال أحمرها.^٧
الثعلبي قال: روي القاسم: إنّ أباذر سئل عن الإيمان؟ فقرأ هذه الآية، فقال
السائل: إنّما سألنا عن الإيمان وتخبّرنا عن البرّ؟! فقال: جاء رجل إلى رسول الله ٦
فسأله عن الإيمان فقرأ هذه الآية. وقال أبو ميسرة: وقرأ هذه الآية ومن عمل بهذه
الآية فقد استكمل البرّ.^٨

١. روض الجنان ٢/ ٣٢٥.

٢. روض الجنان ٢/ ٣٢٧.

٣. الهيعة: النداء والصوت العالي.

٤. روض الجنان ٢/ ٣٢٨.

٥. منهج الصادقين ١/ ٣٩٦.

٦. الصافي ٥٧ من طبع الحجري.

٧. منهج الصادقين ١/ ٤٠١.

٨. الكشف والبيان ٢/ ٥٣.

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ ۖ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ
بِإِحْسَنِ ۚ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ

بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ﴿١٧٨﴾

تأسيس إحدى العقوبات في الشريعة الإسلامية وهي القصاص في قبال الحدود والديات «وكانوا في الجاهلية [بل في نفس اليوم] يسرون على شريعة الغاب والفوضى فيقتلون لأنفه الأسباب ظلماً وعدواناً، ويقتص أولياء القتيل من الأبرياء، لا من الجاني نفسه، فإذا قتل رجل عادي مثله قتل أولياء القتيل عدداً كبيراً من ذوي القاتل، وإذا قتلت امرأة مثلها أخذوا مكانها رجلاً من أسرتها أو قبيلتها، وربما قتلوا عشرة بواحد، وأدى هذا الظلم إلى الحروب الطاحنة بين القبائل، وإبادة الكثير منها، ووراثه العداة والأحقاد بين الأبناء والأحفاد. فشرع الله القصاص، وهو بمفهومه يفيد المساواة، والوقوع على الجاني نفسه أياً كان دون غيره من الأبرياء، ودون زيادة أو نقصان خلافاً لما كان عليه أهل الجاهلية، وأن يكون القتل عمداً، ولا قصاص في قتل الخطأ وشبه العمد»^١. وهذه الآية تفسير لقوله تعالى: (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ)^٢.

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) توجيه الخطاب إلى المؤمنين خاصة إشارة إلى كون الحكم خاصاً بالمسلمين وصلاح المجتمع الإسلامي واستتباب نظامه وأمنه...
(كُتِبَ عَلَيْكُمْ) أي فرض على المؤمنين.

١. التفسير الكاشف ١/ ٢٧٤.

٢. سورة المائدة / ٤٥.

(الْقِصَاصُ) نائب فاعل (كُتِبَ).

(فِي الْقَتْلِ) جمع قتيل بمعنى المقتول. (الْحَرْ بِالْحَرْ) وهو نقيض العبد.

(وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ) وهو الرق والمراد به خصوص الذكور.

(وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى) «كان في أهل الجاهلية بغي وحمية، وكانت القبائل تتحکم بحب القوة والمنعة، فإن قتل من حي أهل المنعة وعزّ أحد، لا بدّ له من الاقتصاص، وكانوا لا يكتفون من القاتل فقط، وإذا قتل منهم أنثى، لا يقتصّون من أنثى مثلها، بل يقتصّون من الذكر. وقد أنكر الشارع هذه العادة، وحكم بالمساواة بين القاتل والمقتول، فإذا كان القاتل أنثى، فلا بدّ وأن يقتصّ منها لا من غيرها، وفيها بيان للمثلية أيضاً، أي الحرّة بالحرّة، والأمة بالأمة»^١.

(فَ) تفریع لمجرد الترتيب اللفظي. (مَنْ) المراد به القاتل.

(عُفِيَ لَهُ) العفو للقاتل إنّما يكون في حق القصاص. العفو: الترك.

(مَنْ أَخِيهِ) والمراد به ولي الدم والتعبير بالأخ ترغيب إلى العفو بإثارة حسن الرأفة والمحبة وتلويح إلى أنّ العفو أحب إلى الله.

(سَتَى) والمراد به حق القصاص وتنكيره تعميم للحكم أي سواء كان تمام الحق أو بعضه كما إذا تعدد أولياء الدم وعفّ بعضهم حقه للقاتل فلا قصاص حينئذ بل ينتقل إلى الدية.

(فَ) تفرعية.

(أَتَبَاغُ بِالْمَعْرُوفِ) أي على أولياء المقتول أن يتبع القاتل في مطالبة الدية

بمصاحبة المعروف.

(وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنِ) أي على القاتل أن يؤدي الدية إلى أخيه من أولياء المقتول

بالإحسان ومن غير مماطلة فيها ايذائه.
 (ذَلِكَ) اشارة إلى انتقال حكم القصاص إلى الدية.
 (تَخْفِيفٌ مِّن رَّرِّكُمْ) على القاتل والجاني فليس لأولياء المقتول أن يقتصوا بعد العفو فلا يتغير هذا العفو إلى القصاص.
 (وَرَحْمَةٌ) عليكم في الإمتناع عن إراقة الدماء واستمرارها.
 (فَ) تفريع على العفو.
 (مَنِ اعْتَدَى) وانتقم من القاتل تعدى عن القانون الذي قرره الله.
 (بَعْدَ ذَلِكَ) أي بعد العفو وحكم الله بسقوط القصاص.
 (فَ) واقعة في جواب الشرط (مَنِ).
 (لَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) عند ربه لأنه معتد عن القانون الإلهي «وكل معتد كذلك لابد وأن يُعاقب عقلاً وشرعاً فيكون مصيره إلى النار»^١.
 وتفاصيل بحث القصاص تأتي في الكتب الفقهية فراجعها.

الروايات

صحيحة أبي بصير عن أحدهما 7 قال قلت له قول الله ﷻ (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ أَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى) قال فقال لا يقتل حر بعبد ولكن يضرب ضرباً شديداً ويغرم ثمنه دية العبد.^٢
 ورواها الطوسي بسنده الصحيح في التهذيب^٣ والإستبصار^٤.

١. مواهب الرحمن ٢/ ٤١٩.

٢. الكافي ٧/ ٣٠٤، ح ١.

٣. التهذيب ١٠/ ١٩١، ح ٥١.

٤. الإستبصار ٤/ ٢٧٢.

صحيحه الحلبي عن أبي عبدالله 7 قال سألته عن قول الله ﷻ (فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ) ١ فقال يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا وسألته عن قول الله ﷻ (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ) قال ينبغي للذي له الحق أن لا يعسر أخاه إذا كان قد صالحه على دية وينبغي للذي عليه الحق أن لا يمتل أخاه إذا قدر على ما يعطيه ويؤدي إليه بإحسان قال وسألته عن قول الله ﷻ (فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فقال هو الرجل يقبل الدية أو يعفو أو يصالح ثم يعتدي فيقتل (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) كما قال الله ﷻ ٢.

ورواها الطوسي بسنده الصحيح في التهذيب ٣ والعياشي في تفسيره ٤.

خبر سماعة عن أبي عبدالله 7 في قول الله ﷻ: (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ) ما ذلك الشيء؟ قال: هو الرجل يقبل الدية فأمر الله ﷻ الرجل الذي له الحق أن يتبعه بمعروف ولا يعسره وأمر الذي عليه الحق أن يؤدي إليه بإحسان إذا أيسر، قلت: أرايت قوله ﷻ: (فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال: هو الرجل يقبل الدية أو يصالح ثم يجيء بعد ذلك فيمثل أو يقتل فوعده الله عذاباً أليماً ٥.

رواها الصدوق بسنده الموثق في الفقيه ٦ والطوسي أيضاً بسنده الموثق في التهذيب ٧.

خبر أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله 7 عن قول الله ﷻ: (فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ

١. سورة المائدة / ٤٥.

٢. الكافي ٧/ ٣٥٨، ح ١.

٣. التهذيب ١٠/ ١٧٩، ح ١٦.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٧٨، ح ١٦٥ و ١/ ١٧٩، ح ١٦٧.

٥. الكافي ٧/ ٣٥٩، ح ٤.

٦. من لا يحضره الفقيه ٤/ ١١١، ح ٥٢١٨.

٧. التهذيب ١٠/ ١٧٨، ح ١٤.

فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ^١ قال: يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراح أو غيره، قال: وسألته عن قول الله ﷻ: (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ) قال: هو الرجل يقبل الدية فينبغي للطالب أن يرفق به فلا يعسره وينبغي للمطلوب أن يؤدي إليه بإحسان ولا يمتطله إذا قدر^٢.

رواها الشيخ الطوسي في التهذيب^٣.

خبر الحلبي عن أبي عبد الله 7 في قول الله ﷻ: (فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فقال: الرجل يعفو أو يأخذ الدية ثم يجرح صاحبه أو يقتله فله عذاب أليم^٤.

رواها الطوسي في التهذيب^٥.

محمد بن خالد البرقي عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله 7 في قول الله (يَتَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ) هي جماعة المسلمين ما هي للمؤمنين خاصة^٦.
سماعة بن مهران عن أبي عبد الله 7 في قوله (الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى) فقال لا يقتل حر بعبد ولكن يضرب ضرباً شديداً ويغرم دية العبد، وإن قتل رجل امرأة فأراد أولياء المقتول أن يقتلوا أدوا نصف دية إلى أهل الرجل^٧.
عن أبي بصير عن أحدهما في قوله تعالى: (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ) ما ذلك؟ قال: هو الرجل يقبل الدية فأمر الله الذي له الحق أن يتبعه بمعروف ولا يعسره، وأمر

١. سورة المائدة / ٤٥.

٢. الكافي ٧/ ٣٥٨، ح ٢.

٣. التهذيب ١٠/ ١٧٩، ح ١٥.

٤. الكافي ٧/ ٣٥٩، ح ٣.

٥. التهذيب ١٠/ ١٧٨، ح ١٣.

٦. تفسير العياشي ١/ ١٧٨، ح ١٦٤.

٧. تفسير العياشي ١/ ١٧٨، ح ١٦٣.

الله الذي عليه الدية أن لا يَمْطَله، وأن يؤدِّي إليه بأحسن إذا أيسر.^١

يمكن اتحادها مع الرواية الثالثة.

الحسن بن محمد الديلمي رفعه عن أبي الحسن موسى بن جعفر 7 في حديث طويل في تفصيل هذه الأمة على الأمم إلى أن قال ومنها أن القاتل منهم عمدا إن شاء أولياء المقتول أن يعفوا عنه فعلوا وإن شاء واقبلوا الدية وعلى أهل التوراة وهم أهل دينك يقتل القاتل ولا يعفى عنه ولا تؤخذ منه دية قال الله ﷻ (ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ) ٢.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: قال علي بن الحسين 7 (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ) يعني المساواة، وأن يسلك بالقاتل طريق المقتول الذي سلكه به لما قتله (الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى) تقتل المرأة إذا قتلتها. (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ) فمن عفي له القاتل ورضي هو وولي المقتول أن يدفع الدية وعفا عنه بها (فَاتَّبَاعٌ) من الولي (المطالبة، و) تقاص (بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ) من (المعفو له) القاتل (بِحَسَنٍ) لا يضاره ولا يباطله [لقضائها] (ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ) إذا اجاز أن يعفو ولي المقتول عن القاتل على دية يأخذها، فإنه لو لم يكن له إلا القتل أو العفو لقلما طاب نفس ولي المقتول بالعفو بلا عوض يأخذه فكان قلما يسلم القاتل من القتل. (فَمَنْ أَعْتَدَى بِعَدَاةٍ) من اعتدى بعد العفو عن القتل بها يأخذه من الدية فقتل القاتل بعد عفوه عنه بالدية التي بذلها ورضي هو بها (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) في الآخرة عند الله ﷻ، وفي الدنيا القتل بالقصاص لقتله من لا يحل له قتله.^٣

١. تفسير العياشي ١/ ١٧٩، ح ١٦٦.

٢. إرشاد القلوب ٢/ ٤١٢ ونقل عنه في وسائل الشيعة ٢٩/ ٥٥.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٥٩٥.

الروايات في هذا المجال متعددة فإن شئت راجع إلى كتابي القصاص والديات من كتب الأخبار.

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ﴿١٧٩﴾

بيان لحكمة تشريع القصاص وهي «على اختصارها وإيجازها وقلة حروفها وسلاسة لفظها وصفاء تركيبها من أبلغ آيات القرآن في بيانها، وأسمائها في بلاغتها فهي جامعة بين قوة الاستدلال وجمال المعنى ولطفه، ورقة الدلالة وظهور المدلول»^١.
(و) عطف على أول الآية السابقة. (لَكُمْ) أي للمؤمنين وللمجتمعهم.
(فِي الْقِصَاصِ) في حكم الله تعالى وتشريع (الْقِصَاصِ فِي الْقَتْلِ)^٢.
(حَيَوةٌ) «للفرد والمجتمع، أما بالنسبة إلى المجتمع، فإنه أحسن رادع عن الإقدام على قتل النفوس، وإن فيه حفظ الناس عن اعتداء بعضهم على بعض، وأما بالنسبة إلى الفرد فإن فيه حفظ من يريد الجناية فإذا علم بالقصاص يردع عنه. وبذلك يحفظ نفسه ومن أراد قتله، ولو فعله كان ذلك عبرة لغيره ممن يريد الإقدام على ذلك، ففي القصاص حياة الناس والأفراد، بل فيه تسلية لولي المقتول، حيث يخفف عنه لوعة المصاب، فكانت الغاية من القصاص وما يجتنى من عواقبه حميدة، يعرفها كل من أُعطي حق التأمل في هذا الحكم»^٣.
(يَتَا) تنبيه بحرف النداء على التأمل في حكمة القصاص.

١. الميزان ١/ ٤٣٣.

٢. سورة البقرة / ١٧٨.

٣. مواهب الرحمن ٢/ ٤٢٠.

(أُولَى الْأَلْبَبِ) أي أصحاب العقول، اللب: العقل الخالص عن الشوائب.
يعني يحكم كل عاقل أن «المصلحة العامة قائمة بالقصاص فإن الحياة لا يضمنها إلا
القصاص دون العفو والدية ولا كل شيء مما عداهما»^١.
(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) القتل لجهة تشريع حكم القصاص، إكمال لعللة التشريع.

الروايات

حفص بن عمر عن أبي عبد الله 7 قال: قال أمير المؤمنين 7: مَنْ خاف
القصاص كفّ عن ظلم الناس.^٢
الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين 7 أنه قال: فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك
و... القصاص حقناً للدماء و...^٣.

الطوسي قال: خبر عبد العظيم بن عبد الله الحسني الرازي في منزله بالري، عن
أبي جعفر محمد بن علي الرضا 7، عن آبائه :، عن علي بن الحسين، عن أبيه عن
جده علي بن أبي طالب 7، قال: قلت أربعا أنزل الله (تعالى) تصديقي بها في كتابه،
قلت المرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم ظهر، فأنزل الله (تعالى) (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ
الْقَوْلِ)^٤، قلت من جهل شيئا عاداه، فأنزل الله (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا
يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)^٥ قلت قدر - أو قال قيمة - كل أمري ما يحسن، فأنزل الله في قصة طالوت
(إِنَّ اللَّهَ آصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ)^٦، قلت القتل يقل القتل، فأنزل

١. الميزان ١/ ٤٣٣.

٢. الكافي ٢/ ٣١٣، ح ٦.

٣. نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٢.

٤. سورة محمد ٦/ ٣٠.

٥. سورة يونس / ٣٩.

٦. سورة البقرة / ٢٤٧.

الله (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْآلِيبِ) ١.

أبوجعفر محمد بن جرير الطبري الصغير بإسناده إلى خطبة فاطمة الزهراء سلام الله عليها قالت فيها: «... ففرض الله عليكم الإيمان تطهيراً لكم من الشرك والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر... والقصاص حقناً للدماء...» ٢.

أبومنصور الطبرسي بإسناده إلى أبي محمد العسكري 7 عن آبائه : عن علي ابن الحسين 7 في تفسير قوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ) الآية: ولكم يا أمة محمد 6 في القصاص حياة لأنَّ مَنْ هَمَّ بالقتل. فعرف أنه يقتص منه فكف لذلك عن القتل، كان حياه للذي هَمَّ بقتله، وحياة لهذا الجافي الذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من الناس، إذا علموا أنَّ القصاص واجب لا يجسرون على القتل مخافة القصاص، يا أولي الألباب: أولي العقول (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

ثم قال 7: عباد الله هذا قصاص قتلکم لمن تقتلونه في الدنيا، وتفنون روحه، أفلا أنبئکم بأعظم من هذا القتل، وما يوحيه الله على قاتله مما هو أعظم من هذا القصاص؟ قالوا: بلى يا ابن رسول الله.

قال: أعظم من هذا القتل أن يقتله قتلاً لا يجبر ولا يحيا بعده أبداً. قالوا: ما هو؟ قال: أن يضللَّ عن نبوة محمد، وعن ولاية علي بن أبي طالب، ويسلك به غير سبيل الله، ويغيّر به باتّباع طريق أعداء عليّ والقول بإمامتهم، ودفع عليّ عن حقه وجحد فضله، وأن لا يبالي بإعطائه واجب تعظيمه، فهذا هو القتل الذي هو تخليد المقتول في نار جهنم خالداً مخلداً أبداً، فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود في نار جهنم. وقال أبو محمد الحسن العسكري صلوات الله عليه: إنَّ رجلاً جاء إلى علي بن

١. أمالي الطوسي، المجلس السابع عشر، ح ٥١ / ٤٩٤، رقم ١٠٨٢.

٢. دلائل الإمامة / ١١٣.

الحسين برجل يزعم أنه قاتل أبيه، فاعترف فأوجب عليه القصاص، وسأله أن يعفو عنه ليعظم الله ثوابه، فكأن نفسه لم تطب بذلك فقال عليّ بن الحسين - للمدعي الدم الذي هو الولي المستحق للقصاص - : إن كنت تذكر لهذا الرجل عليك فضلا فهب له هذه الجناية، واغفر له هذا الذنب.

قال: يا ابن رسول الله له عليّ حق، ولكن لم يبلغ به أن أعفو له عن قتل والدي. قال: فتريد ماذا؟

قال: أريد القود، فإن أراد لحقه، عليّ أن أصالحه على الدية صالحته وعفوت عنه.

قال: عليّ بن الحسين 7 فما حقه عليك؟

قال: يا ابن رسول الله لقنني توحيد الله، ونبوة رسول الله 6، وإمامة عليّ والأئمة .:

فقال عليّ بن الحسين: فهذا لا يفي بدم أبيك؟ بلى والله هذا يفي بدماء أهل الأرض كلهم من الأولين والآخرين سوى الأنبياء والأئمة، إن قُتلوا فإنه لا يفي بدمائهم شيء^{١٠}.

(كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) ﴿١٨٠﴾

تعرضت الآية الشريفة لأحد الأحكام الشرعية وهي الوصية ولها أبعاد فردية واجتماعية.

(كُتِبَ) «المراد بالكتابة هنا الثبوت الشرعي وهو أعم من الوجوب والندب وتستعمل في كل منهما مع القرينة»^١.

(عَلَيْكُمْ) أي على المؤمنين المتقين. (إِذَا) ظرف زمان بمعنى «حين».

(حَضَرَ) «مادة حضر تأتي بمعنى وجود الشيء بحيث يمكن أن يدرك بإحدى

الحواس»^٢ و «حضور الشيء حلوله ونزوله وهو ضد الغيبة»^٣.

(أَحَدَكُمْ) مفعول بن ومضاف إليه. (الْمَوْتُ) فاعل.

(إِنْ) شرطية. (تَرَكَ) فعل الشرط.

(خَيْرًا) مفعول به، والمراد به «المال المعتد به دون اليسير الذي لا يعبأ به»^٤.

(الْوَصِيَّةُ) نائب فاعل (كُتِبَ).

(لِلْوَالِدَيْنِ) جار ومجرور متعلق بـ(الْوَصِيَّةُ)، أي بما هما والدان لا باعتبار

الاجتماع.

(و) عاطفة. (الْأَقْرَبِينَ) أي الأقرباء والأقوام والأرحام.

(بِالْمَعْرُوفِ) جار ومجرور متعلق بـ(الْوَصِيَّةُ).

(حَقًّا) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: أحق (حَقًّا). أو حال من

(الْوَصِيَّةُ)، وهو تأكيد للكتابة.

(عَلَى الْمُتَّقِينَ) لا تختص الوصية بـ(الْمُتَّقِينَ) بل «ذكر (الْمُتَّقِينَ) لبيان أنَّ

التقوى هي موضوع كل عمل يتنفع به في الآخرة»^٥.

١. مواهب الرحمن ٢/ ٤٣٣.

٢. مواهب الرحمن ٢/ ٤٣٣.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢/ ١٤٥.

٤. الميزان ١/ ٤٣٩.

٥. مواهب الرحمن ٢/ ٤٣٥.

الروايات

خبر محمد بن مسلم عن أبي جعفر 7 قال سألته عن الوصية للوارث فقال تجوز قال ثم تلا هذه الآية (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) ١. رواها الشيخ الطوسي بسنده الصحيح في التهذيب ٢ والصدوق بسنده الصحيح في الفقيه ٣ والعياشي في تفسيره ٤ والطبرسي في مجمع البيان ٥.

خبر سماعة بن مهران عن أبي عبد الله 7 في قول الله ﷻ (الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) قال: هو شيء جعله الله ﷻ لصاحب هذا الأمر قلت فهل لذلك حد قال: نعم قال قلت وما هو قال أدنى ما يكون ثلث الثلث ٦. رواها العياشي في تفسيره ٧.

عمار بن مروان عن أبي عبد الله 7 قال سألته عن قول الله (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ) قال: حق جعله الله في أموال الناس لصاحب هذا الأمر، قال قلت لذلك حد محدود قال نعم قال قلت كم قال أدناه السدس وأكثره الثلث ٨.

ابن مسكان عن أبي بصير عن أحدهما قوله (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) قال هي منسوخة نسختها آية الفرائض التي هي المواريث (فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّهُ إِيْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) ٩ يعني بذلك

١. الكافي ١٠/٧، ح ٥.

٢. التهذيب ٩/١٩٩، ح ٢ و ٣.

٣. من لا يحضره الفقيه ٤/١٩٤، ح ٥٤٤٢.

٤. تفسير العياشي ١/١٨٠، ح ١٦٩.

٥. مجمع البيان ١/٢٦٧.

٦. من لا يحضره الفقيه ٤/٢٣٥، ح ٥٥٦٢.

٧. رواها العياشي في تفسيره ١/١٨٠، ح ١٧٣.

٨. تفسير العياشي ١/١٧٩، ح ١٦٨.

٩. سورة البقرة / ١٨١.

الوصي.^١

محمد بن قيس عن أبي جعفر ٧ قال: من أوصي بوصية لغير الوارث من صغير أو كبير بالمعروف غير المنكر فقد جازت وصيته.^٢

السكوني عن جعفر بن محمد ٧ عن أبيه ٧ عن علي ٧ قال: من لم يُوص عند موته لذوي قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله بمعصيته.^٣

رواها الشيخ في التهذيب^٤ بسنده الحسن ورواها الصدوق بسنده الموثق في الفقيه^٥ والقطب الراوندي في فقه القرآن^٦ والطبرسي في مجمع البيان^٧ وجوامع الجامع^٨.

القاضي نعمان المصري رفعه عن جعفر بن محمد ٧ عن أبيه عن آبائه عن علي ٧ أنه حضر رجلاً مقللاً فقال له الرجل ألا أوصي يا أمير المؤمنين فقال أوص بتقوى الله فأما المال فده مالك لورثتك فإنه طفيف يسير وإنما قال الله ﷻ (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ) وأنت فلم تترك خيراً توصي فيه.^٩

ورواها الشيخ طوسي في التبيان^{١٠} القطب الراوندي في فقه القرآن^{١١} وابن أبي جمهور

١. تفسير العياشي ١/ ١٨٠، ح ١٧٢.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٨٠، ح ١٧٠.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٨٠، ح ١٧١.

٤. التهذيب ٩/ ١٧٤، ح ٨.

٥. من لا يحضره الفقيه ٤/ ١٨٢، ح ٥٤١٥.

٦. فقه القرآن ٢/ ٣١٦.

٧. مجمع البيان ١/ ٢٦٧.

٨. جوامع الجامع ١/ ١٠٢.

٩. دعائم الإسلام ٢/ ٣٥٦، ح ١٢٩٨.

١٠. التبيان ١/ ١٠٩.

١١. فقه القرآن ٢/ ٣٠١.

الأحسائي في عوالي اللآلي^١ والرازي في روض الجنان^٢.

القاضي نعمان المصري رفعه عن أبي جعفر وأبي عبد الله ع أنهما قالا الخير هاهنا المال قال الله ﷻ (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ) يعني مالا فإذا كان ممن يستطيع الكسب والتصرف فهو ممن فيه خير.^٣

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الصغير بإسناده إلى خطبة فاطمة الزهراء سلام الله عليها: ... وزعمتم أن لا إرث لنا أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ)^٤ أيها معشر المسلمين، أأبتز إرث أبي، يابن أبي قحافة؟! أبي الله ﷻ أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً، جُراً منكم على قطعة الرحم ونكث العهد، فعلى عمي ما تركتم كتاب الله بين أظهركم ونبذتموه، إذ يقول الله ﷻ: (وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ)^٥ ومع ما قص من خبر يحيى وزكريا إذ يقول: (رَبِّ... فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)^٦ وقال ﷻ: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ)^٧ وقال تعالى: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ). فزعمتم أن لا حظ لي ولا إرث من أبي! أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون؟! أو لست وأبي من أهل ملّة واحدة؟! أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه

١. عوالي اللآلي ١١٦/٢.

٢. روض الجنان ٣٤٢/٢.

٣. دعائم الإسلام ٣١٠/٢، ح ١١٦٩ في فصل ذكر المكاتبين.

٤. سورة آل عمران / ٨٥ وما قبلها تضمين من سورة المائدة / ٥٠.

٥. أيها: أي هيهات وإيها بمعنى كف واسكت.

٦. سورة النمل / ١٦.

٧. سورة مريم / (٦-٤).

٨. سورة النساء / ١١.

أعلم من النبي؟! دونكها مرحولة مزمومة تلقات يوم حشرك فنعم الحكم الله ونعم
الزعيم محمد والموعود القيامة وعمّا قليل تؤفكون وعند الساعة ما تحسّرون و (لِكُلِّ نَبِيٍّ
مُسْتَقَرٌّ) ١ (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) ٢ ... ٣.

رواها في بلاغات النساء^٤ والاحتجاج^٥.

الطبرسي رفعه عن النبي ٦ أنّه قال: من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية^٦.

رواها الرازي في روض الجنان^٧.

وعنه ٦: من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصاً في مروءته وعقله^٨.

رواها الرازي في روض الجنان^٩.

وعن أبي عبدالله ٧ أنّه قال: ما ينبغي لامرئ مسلم أن يبيت إلا ووصيته تحت

رأسه^{١٠}.

رواها المفيد في المقنعة^{١١} والطوسي في المصباح^{١٢} ورواها عن النبي ٦ الرازي في

روض الجنان^{١٣}.

١. سورة الأنعام / ٦٧.

٢. سورتا: هود / ٣٩ والزمر / ٣٩ و ٤٠.

٣. دلائل الإمامة / ١١٦.

٤. بلاغات النساء / ٢٨.

٥. الاحتجاج / ١ / ١٠٢.

٦. مجمع البيان / ١ / ٢٦٧.

٧. روض الجنان / ٢ / ٣٤٣.

٨. مجمع البيان / ١ / ٢٦٧.

٩. روض الجنان / ٢ / ٣٤٤.

١٠. مجمع البيان / ١ / ٢٦٧.

١١. المقنعة / ١٠١.

١٢. المصباح / ١٤.

١٣. روض الجنان / ٢ / ٣٤٤.

الرازي رفعه عن النبي ٦ أنه قال: الوصية تمام ما نَقَصَ من الزكاة.^١
رواها الصدوق والطوسي بإسنادهما المعتبر كما في وسائل الشيعة.^٢
الرازي رفعه عن الصادق ٧ انه قال: الوصية حق على كل مسلم.^٣
رواها المشايخ الثلاث بإسنادهم الصحيح كما في وسائل الشيعة.^٤
النوري نقلاً من أحمد بن محمد السيارى في كتاب التنزيل والتحريف، عن صفوان عن ابن مسكان عن أبي بصير عن احدهما ٧ في قوله ﷺ (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) قال هي منسوخة بآية الفرائض التي فيها الموارث وقوله ﷺ فمن بدله بعد ما سمعه يعني ذلك الوصية وقد جاء عنهم أنها ليست بمنسوخة وأن أصل الثلث إنما جعله الله للميت لأنَّ براء بن معروف مات بالمدينة من قبل الهجرة وأوصى لرسول الله ٦ بثلث ماله وإنَّ وجهه إلى رسول الله ٦ وهو يؤمئذ بمكة فجرت السنة.^٥
النوري نقلاً من أحمد بن محمد السيارى في كتاب التنزيل والتحريف، في قوله تعالى (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ) قال قال الصادق ٧ وهو حق فرضه الله ﷻ لصاحب هذا الأمر من الثلث قيل له كم هو قال أدناه ثلث المال والباقي فيما أحب الميت.^٦

١. روض الجنان ٢/ ٣٤٤.
٢. وسائل الشيعة ١٩/ ٢٥٩، ح ١ و ٢.
٣. روض الجنان ٢/ ٣٤٤.
٤. وسائل الشيعة ١٩/ ٢٥٧، ح ٢.
٥. مستدرک الوسائل ١٤/ ٩٧، ح ٨.
٦. مستدرک الوسائل ١٤/ ١٤٣، ح ٩.

(فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ^ج)

﴿ ١٨١ ﴾ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

تتمة الآية السابقة في مورد الوصية.

(ف) تفريع على الوصية.

(مَنْ) اسم شرط جازم، مبتدأ، وفعل الشرط وجوابه خبره.

(بَدَّلَهُ) فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. والضمير المفعولي

عائد إلى (الْوَصِيَّةُ)^١ لأنّه مصدر يجوز فيه الوجهان أو إلى الكلام والقول الذي يقوله الموصي ودلّ عليه لفظ (الْوَصِيَّةُ)، التبديل: التغيير مطلقاً ويشمل الإنكار والكتمان بالأولى.

(بَعْدَ) ظرف زمان متعلّق بـ(بَدَّلَهُ). (مَا) مصدرية.

(سَمِعَهُ) أي بعد سماعه أو بعد ما تمت عنده الوصية ولو بالبينّة والكتابة

المأمونة ونحوها.

(ف) واقعة في جواب الشرط. (إِنَّمَا) يدل على حضر اضافي.

(إِثْمُهُ) أي الإثم المترتب على التبديل. مبتدأ. الضمير عائد إلى التبديل.

(عَلَى الَّذِينَ) جار ومجروره محلّ، خبر. جاء بالاسم الظاهر بدل الضمير ليكون

فيه دلالة على سبب الإثم وهو تبديل الوصية.

(يُبَدِّلُونَهُ) فعل مضارع وفاعله ومفعول به والضمير المفعولي عائد إلى الوصية

كالضمائر السابقة.

(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) بإيصاء الموصين، وعدلهم.

(عَلِيمٌ) تبديل المبدلين، وعيدٌ عليهم.

الروايات

صحيحة محمد بن مسلم قال سألت أبا عبد الله 7 عن رجل أوصى بهاله في سبيل الله فقال أعطه لمن أوصى به له وإن كان يهوديًا أو نصرانيًا إن الله تبارك وتعالى يقول (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) ١.

رواها الصدوق في الفقيه ٢ والطوسي في التهذيب ٣ والاستبصار ٤ والعياشي في تفسيره ٥.

خبر يونس بن يعقوب أن رجلا كان بهمذان ذكر أن أباه مات و كان لا يعرف هذا الأمر فأوصى بوصية عند الموت وأوصى أن يعطى شيء في سبيل الله فسئل عنه أبو عبد الله 7 كيف يفعل به فأخبرناه أنه كان لا يعرف هذا الأمر فقال لو أن رجلا أوصى إلي أن أضع في يهودي أو نصراني لوضعتة فيهما إن الله ﷻ يقول (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) فانظروا إلى من يخرج إلى هذا الوجه يعني [بعض] الثغور فابعثوا به إليه ٦.

رواها الصدوق في الفقيه ٧.

معتبرة الريان بن شبيب قال أوصت ماردة لقوم نصارى فرّاشين بوصية فقال أصحابنا أقسم هذا في فقراء المؤمنين من أصحابك فسألت الرضا 7 فقلت إن أختي

١. الكافي ٧/١٤، ح ١.

٢. من لا يحضره الفقيه ٤/٢٠٠، ح ٥٤٦٢.

٣. التهذيب ٩/٢٠٣.

٤. الاستبصار ٤/١٢٩.

٥. تفسير العياشي ١/١٨١، ح ١٧٤.

٦. الكافي ٧/١٤، ح ٤.

٧. من لا يحضره الفقيه ٤/٢٠٠.

أوصت بوصية لقوم نصارى وأردت أن أصرف ذلك إلى قوم من أصحابنا مسلمين فقال إمض الوصية على ما أوصت به قال الله تبارك وتعالى (فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) ١.

رواها الشيخ الطوسي في التهذيب^٢ والإستبصار^٣.

صحيحة حجاج الخشاب عن أبي عبد الله ٧ قال سألته عن امرأة أوصت إليّ بما أن يجعل في سبيل الله فقليل لها نَحْجُ به فقالت اجعله في سبيل الله فقالوا لها فنعطيه آل محمد : قالت اجعله في سبيل الله فقالوا أبو عبد الله ٧ اجعله في سبيل الله كما أمرت قلت مرني كيف اجعله قال اجعله كما أمرتك إن الله تبارك وتعالى (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) أرايتك لو أمرتك أن تعطيه يهودياً كنت تعطيه نصرانياً قال فمكثت بعد ذلك ثلاث سنين ثم دخلت عليه فقلت له مثل الذي قلت أول مرة فسكت هنيئة ثم قال هاتها قلت من أعطيتها قال عيسى شلقان. ٤

رواها الطوسي في التهذيب^٥ والإستبصار^٦.

خبر علي بن مهزيار قال كتب أبو جعفر ٧ إلى جعفر وموسى وفيما أمرتكما من الإِشهاد بكذا وكذا نجاه لكما في آخرتكما وإنفاذ لما أوصى به أبواكما وبر منكما لهما واحذرا أن لا تكونا بدلتما وصيتهما ولا غير تماها عن حالها لأنهما قد خرجا من ذلك رضي الله عنهما وصار ذلك في رقابكما وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه في الوصية

١. الكافي ١٦/٧، ح ٢.

٢. التهذيب ٩/٢٠٢.

٣. الإستبصار ٤/١٢٩.

٤. الكافي ١٥/٧، ح ١.

٥. التهذيب ٩/٢٠٣.

٦. الإستبصار ٤/١٣١.

(فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ١.

صحيحة محمد بن سوقة قال سألت أبا جعفر 7 عن قول الله تبارك وتعالى (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) قال نسختها الآية التي بعدها قوله ﷺ (فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيِّنَتُهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) ٢ قال يعني الموصى إليه إن خاف جنفاً من الموصى فيها أوصى به إليه مما لا يرضى الله به من خلاف الحق فلا إثم عليه أي على الموصى إليه أن يبدله إلى الحق وإلى ما يرضى الله به من سبيل الخير. ٣.

رواها العياشي في تفسيره. ٤.

خبر أبي سعيد عن أبي عبد الله 7 قال سئل عن رجل أوصى بحجة فجعلها وصيه في نسمة فقال يغرمها وصيه ويجعلها في حجة كما أوصى به فان الله تبارك وتعالى يقول (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) ٥.

رواها الصدوق في الفقيه ٦ والعياشي في تفسيره ٧.

مثنى بن عبد السلام عن أبي عبد الله 7 قال سألت عن رجل أوصى له بوصية فمات قبل أن يقبضها ولم يترك عقبا قال اطلب له وارثا أو مولى فادفعها إليه، فإن الله يقول (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) قلت إن الرجل كان من أهل فارس دخل في الإسلام لم يسم ولا يعرف له ولي، قال اجهد أن يقدر له على ولي

١. الكافي ٧/ ١٤، ح ٣.

٢. سورة البقرة / ١٨٢.

٣. الكافي ٧/ ٢١، ح ٢.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٨٢، ح ١٧٧.

٥. الكافي ٧/ ٢٢، ح ٢.

٦. من لا يحضره الفقيه ٢/ ٤٤٣.

٧. تفسير العياشي ١/ ١٨١، ح ١٧٥.

فإن لم تجده وعلم الله منك الجهد تتصدق بها.^١

القطب الراوندي قال: فقد حدث أبو طالب عن عبدالله بن الصلت قال كتب الخليل بن هاشم إلى ذي الرئاستين وهو والي نيسابور أن رجلا من المجوس مات وأوصى للفقراء بشيء من ماله فأخذه قاضي نيسابور فجعله في فقراء المسلمين فكتب الخليل إلى ذي الرئاستين بذلك فسأل المأمون عن ذلك فقال ليس عندي في ذلك شيء فسأل أبا الحسن الرضا ⁷ فقال إن المجوسي لم يوص لفقراء المسلمين ولكن ينبغي أن يؤخذ مقدار ذلك المال من مال الصدقة فيرد على فقراء المجوس إن الله تعالى يقول (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) ^٢.

(فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ^٣

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

«إن الإنسان إذا ظهرت له دلائل الموت، وأراد أن يوصي بأشياء فيها حيف، مثل أن يعطي بعضًا ويحرم بعضًا. وحضر هذه الوصية من حضر من العقلاء والمؤمنين فلا إثم على الحاضر أن يشير على الموصي بالحق، وأن يرده إلى الصواب، ويصلح بينه وبين الورثة، كي يكون الجميع على رضا ووافق، ولا يحدث بينهم التشاجر والتطاحن بعد موت الموصي»^٣.

(ف) تفريع على تحريم التبديل.

١. تفسير العياشي ١/ ١٨١، ح ١٧٦.

٢. فقه القرآن ٢/ ٣١٥.

٣. التفسير الكاشف ١/ ٢٨٠.

(مَنْ) عام يشمل الوصي والكاتب والشاهد والوارث والحاكم.
 (خَافَ) ظاهر الخوف قبل وقوع الوصية وظاهر التعليل يشمل بعدها. ومعنى
 (خَافَ) هنا الظن والتوقع.
 (مِنْ مُوصِيٍّ) «متعلق بمحذوف حال من (جَنَفًا) وجاز أن يكون صاحب
 الحال نكرة لأنَّ الحال مقدم عليه لفظاً»^١ «في حال مرضه الذي يريد أن يوصي فيه،
 ويعطي بعضاً، ويضر ببعض، فلا إثم أن يشير عليه بالحق، ويرده إلى الصواب ويسرع
 في الإصلاح بين الموصي، والورثة، والموصى له حتَّى يكون الكل راضين»^٢.
 (جَنَفًا) الجنف: الحيف والميل والانحراف والخطأ والجور. والمراد به: الميل إلى
 الأثم بقرينة ما بعده.

(أَوْ) حرف عطف. (إِثْمًا) أي معصيةً. (فَ) عاطفة.
 (أَصْلَحَ بَيْنَهُمْ) الإصلاح: جعل الشيء صالحاً. «برَّده إلى ما لا إثم فيه»^٣.
 (فَ) واقعة في جواب الشرط.
 (لَا إِثْمَ عَلَيْهِ) «لأنَّه لم يبدل وصيته بالمعروف بل إنَّها بدَّل ما فيه إثم أو
 جنف»^٤.

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) «للمذنبين، وهو عامٌ يشمل الإثم الواقع في أصل الوصية
 التي تحقَّق فيها الجنف، وإثم الإصلاح والتبديل في الوصية، فإنَّه يكون بمنزلة التوبة،
 فالله يغفر للمصلح، وللموصي، ويشبهه على عمله»^٥.

١. التفسير الكاشف ١/ ٢٧٨.

٢. التبيان ٢/ ١١٢.

٣. الميزان ١/ ٤٣٩.

٤. الميزان ١/ ٤٣٩.

٥. مواهب الرحمن ٢/ ٤٣٨.

الروايات

خبر علي بن إبراهيم عن أبيه عن رجاله قال إنّ الله ﷻ أطلق للموصى إليه أن يغير الوصية إذا لم يكن بالمعروف وكان فيها حيف ويردّها إلى المعروف لقوله ﷻ (فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) ١.

خبر السكوني عن جعفر بن محمد ٧ عن أبيه ٧ قال: قال علي ٧: من أوصى ولم يحف ولم يضارّ كان كمن تصدّق به في حياته ٢.

صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله ٧ قال: كان البراء بن معمر الأنصاري بالمدينة وكان رسول الله ٦ بمكة وأنّه حضره الموت وكان رسول الله ٦ بمكة وأصحابه والمسلمون يصلون إلى بيت المقدس وأوصى البراء إذا دفن أن يجعل وجهه إلى تلقاء النبي ٦ إلى القبلة، وأوصى بثلث ماله فجرت به السنة ٣.

صحيحة محمد بن قيس عن أبي جعفر ٧ قال: كان أمير المؤمنين ٧ يقول: لئن أوصى بخمس مالي أحبّ إليّ من أن أوصى بالربع ولئن أوصى بالربع أحبّ إليّ من أن أوصى بالثلث ومن أوصى بالثلث فلم يترك فقد بالغ. قال: وقضى أمير المؤمنين ٧ في رجل توقّى وأوصى بماله كلّه أو أكثره فقال: إنّ الوصية تردّ إلى المعروف غير المنكر فمن ظلم نفسه وأتى في وصيته المنكر والحيف فإنّها تردّ إلى المعروف ويترك لأهل الميراث ميراثهم.

وقال: من أوصى بثلث ماله فلم يترك وقد بلغ المدى ثمّ قال: لئن أوصى

١. الكافي ٧/٢٠، ح ١.

٢. الكافي ٧/٦٢، ح ١٨.

٣. الكافي ٧/١٠، ح ١.

بخمس مالي أحب إليّ من أن أوصى بالربع.^١

خبر مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد 7 عن أبيه عن آبائه : قال: قال

علي 7 : الحيف^٢ في الوصية من الكبائر.^٣

يونس بن عبد الرحمن رفعه إلى أبي عبد الله 7 في قوله تعالى (فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) قال يعني إذا اعتدى في الوصية إذا زاد على الثلث.^٤

رواها العياشي في تفسيره.^٥

علي بن إبراهيم القمي رفعه عن الصادق 7 قال: إذا أوصى الرجل بوصية فلا يحلّ للوصى أن يُغَيِّرَ وصية يوصيها بل يمضيها على ما أوصى، إلا أن يوصى بغير ما أمر الله، فيعصى في الوصية ويظلم، فالوصى إليه جائز أن يردّه إلى الحق، مثل رجل يكون له ورثة، فيجعل المال كله لبعض ورثته ويحرم بعضًا، فالوصى جائز له أن يردّه إلى الحق وهو قوله: (جَنَفًا أَوْ إِثْمًا) والجنف: الميل إلى بعض ورثته دون بعض، والإثم أن يأمر بعمارة بيوت النيران واتخاذ المسكر فيحلّ للوصى أن لا يعمل بشيء من ذلك.^٦ الطوسي قال: وإذا جنف الموصى في وصيته فللوصى أن يردها إلى العدل وهو المروي عن أبي عبد الله 7.^٧

الطوسي قال: قوله تعالى: (جَنَفًا) وإنّا يريد بالجنف: الميل عن الحق عن جهة

١. الكافي ١١/٧، ح ٤.

٢. الحيف: الظلم والجور.

٣. من لا يحضره الفقيه ٤/١٨٤، ح ٥٤٢٠.

٤. علل الشرائع ٢/٥٦٧، ح ٤.

٥. تفسير العياشي ١/١٨٢، ح ١٧٨.

٦. تفسير القمي ١/٦٥.

٧. التبيان ١/١١٢.

الخطأ لأنه لا يدري أنه لا يجوز، والإثم: أن يعتمد ذلك، وهو معنى قول ابن عباس،
والحسن والضحاك والسدي، وروي ذلك عن أبي جعفر ١. 7
خبر سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حجة
الوداع فمرضت مرضاً أشرفتُ على الموت، فعادني رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول
الله إن لي مالاً كثيراً وليس يرثني إلا بنت لي أفأوصي بثلاثي مالي؟ قال: لا، قلت:
فبشطر^٢ مالي؟ قال: لا، قلت: بثلاث مالي؟ قال: نعم الثلث، والثلث كثير، إنك يا سعد
أن تترك ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عائلة يتكففون الناس.^٣
رواها الرازي في روض الجنان.^٤

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ

مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ﴿١٨٣﴾

بدلية آيات وجوب الصيام وهو ثالث مباني وأركان الإسلام بعد الصلاة
والزكاة.

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) خطاب للمؤمنين خاصة ومن لم يكن مؤمناً فلا يطع هذا
التكليف.

(كُتِبَ) أي فرض ووجِبَ. (عَلَيْكُمْ) أي على المؤمنين.

١. التبيان ١/ ١١٤.

٢. أي النصف.

٣. تفسير الثعلبي ٢/ ٦٠.

٤. روض الجنان ٢/ ٣٤٣.

(الصَّيَامُ) نائب فاعل. الصيام والصوم مصدر صام يصوم بمعنى إمساك و «في الشرع هو الإمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص ومن شرط انعقاده النية»^١. «ال» للعهد الذهني لأن العرب يعرفونه.

(كَ) حرف جر وتشبيه بمعنى مثل، تشبيه في أصل فرض ماهية الصوم لا في الكيفيات.

(مَا) مصدرية، جار ومجرور متعلقاً بمفعول مطلق محذوف، تقديره: فُرض (عَلَيْكُمْ الصَّيَامُ) فرضاً أو افتراضاً كفرضه... .

(كُتِبَ) مَرَّ آنفاً. (عَلَى) حرف جر.

(الَّذِينَ) اسم موصول في محلّ جر، جار ومجرور متعلق بـ (كُتِبَ).

(مِنْ قَبْلِكُمْ) جار ومجرور ومضاف إليه، منطوق بمحذوف وجدوا، أي من الأمم السابقة من اليهود والنصارى.

(لَعَلَّكُمْ) حرف مشبه بالفعل واسمه.

(تَتَّقُونَ) المعاصي بالصوم وبعده. والجملة الأخيرة (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) بيان لحكمة الصيام.

الروايات

صحيحة زرارة عن أبي جعفر 7 قال: بني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، وقال رسول الله ﷺ: الصوم جنة من النار.^٢

١. التبيان ٢/ ١١٥.

٢. الكافي ٤/ ٦٢، ح ١.

معتبرة إسماعيل بن أبي زياد عن أبي عبد الله 7 عن آبائه : أن النبي 6 قال لأصحابه: ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلي، قال: الصوم يسود وجهه والصدقة تكسر ظهره والحب في الله والموازرة على العمل الصالح يقطع دابره والإستغفار يقطع وتينه ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام.^١

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله 7 قال: من كتم صومه قال الله ﷻ لملائكته: عبدي استجار من عذابي فأجبروه ووكل الله تعالى ملائكته بالدعاء للصائمين ولم يأمرهم بالدعاء لأحد إلا استجاب لهم فيه.^٢

معتبرة مسعدة عن أبي عبد الله 7 قال: نوم الصائم عبادة ونفسه تسيح.^٣ صحيحة محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله 7: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك وعدد أشياء غير هذا وقال: لا يكون يوم صومك كيوم فطرك.^٤

معتبرة مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله 7 عن آبائه : قال: قال رسول الله 6: ما من عبد صالح يُشتَم فيقول: إني صائم سلام عليك لا اشتمك كما شتمتني، إلا قال الرب تبارك وتعالى: استجار عبدي بالصوم من شرّ عبدي وقد أجرته من النار.^٥

البرقي عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله 7 في قوله (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ

١. الكافي ٤/٦٢، ح ٢.

٢. الكافي ٤/٦٤، ح ١٠.

٣. الكافي ٤/٦٤، ح ١٢.

٤. الكافي ٤/٨٧، ح ١.

٥. الكافي ٤/٨٨، ح ٥.

عَلَيْكُمْ الصَّيَامُ) قال: هي للمؤمنين خاصة.^١

جميل بن دراج قال سألت أبا عبد الله 7 عن قول الله (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ)^٢ و (يَنَاقُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ) فقال: هذه كلها يجمع الضُّلال والمنافقين وكل مَنْ أقر بالدعوة الظاهرة.^٣

خبر معاوية بن عمار عن الحسن بن عبد الله عن آبائه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب 7 قال جاء نفر من اليهود إلى رسول الله 6 فسأله أعلمهم عن مسائل فكان فيما سأله أن قال له لأي شيء فرض الله ﷻ الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوماً وفرض على الأمم السالفة أكثر من ذلك فقال النبي 6 إِنَّ آدَمَ لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً ففرض الله على ذريته ثلاثين يوماً الجوع والعطش والذي يأكلونه تفضل من الله تعالى عليهم وكذلك كان على آدم ففرض الله ذلك على أمتي ثم تلا رسول الله 6 هذه الآية (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) أياماً معدودات قال اليهودي صدقت يا محمد فما جزاء من صامها فقال النبي 6 ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً إلا أوجب الله له سبع خصال أولها يذوب الحرام من جسده والثانية يقرب من رحمة الله والثالثة يكون قد كفر خطيئة أبيه آدم 7 والرابعة يهون الله عليه سكرات الموت والخامسة أمان من الجوع والعطش يوم القيامة والسادسة يعطيه الله براءة من النار والسابعة يطعمه الله من طيبات الجنة قال صدقت يا محمد.^٤

١. تفسير العياشي ١/١٨٢، ح ١٧٩.

٢. سورة البقرة/٢١٦.

٣. تفسير العياشي ١/١٨٢، ح ١٨٠.

٤. علل الشرائع ٢/٣٧٨، ح ١.

رواها الصدوق في الفقيه^١ والخصال^٢ وفصائل الأشهر الثلاثة^٣ وأماله^٤.

معتبرة حفص بن غياث النخعي قال سمعت أبا عبد الله ٧ يقول إن شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الأمم قبلنا فقلت له فقول الله ﷻ (يُنَاقِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) قال إنما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم ففضل به هذه الأمة وجعل صيامه فرضاً على رسول الله ٥ وعلى أمته. ٥

ورواها في الفقيه. ٦

(أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۖ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) ١٨٤

تتمة بحث فريضة الصوم.

(أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) «منصوب على الظرفية بتقدير «في» ومتعلق بقوله: (الصِّيَامُ) ٧، وقد مرَّ أنَّ تنكير أيام واتصافه بالعدد للدلالة على تخفيف التكليف من

١. من لا يحضره الفقيه ٢/ ٧٣.

٢. الخصال ٢/ ٥٣٠.

٣. فضائل الأشهر الثلاثة / ١٠١.

٤. أمالي الصدوق، المجلس الخامس والثلاثون، ح ١/ ٢٦٠، رقم ٢٧٩.

٥. فضائل الأشهر الثلاثة / ١٢٤.

٦. من لا يحضره الفقيه ٢/ ٩٩.

٧. سورة البقرة / ١٨٣.

حيث الكلفة والمشقة تشجيعاً للمكلف^١ والمراد بها (شَهْرُ رَمَضَانَ)^٢. كما يفيد كون العدد ركنًا مأخوذًا في الفرض والحكم.

(فَ) عاطفة. (مَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ) أي من المؤمنين.

(مَرِيضًا) وهو من قام به المرض أي انحراف المزاج عن حد الاعتدال الطبيعي الذي سمّي بالصحة والعافية.

(أَوْ عَلَى سَفَرٍ) عطف على قوله (مَرِيضًا)، يعني من كان مسافرًا بالتحديد الشرعي بحيث تلبس حالًا بالسفر.

(فَ) تفریع على (كُتِبَ عَلَيْكُمْ)^٣.

(عِدَّةً) مبتدأ محذوف خبره تقديره: فعلیه (عِدَّةً).

(مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) يعني «لا يرفع اليد عن العدد، فلو عرض عارض يوجب ارتفاع الحكم الفرض عن الأيام المحدودات التي هي أيام شهر رمضان كعارض المرض والسفر، فإنه لا يرفع إلى عن صيام عدة من أيام أخر خارج شهر رمضان تساوي مافات المكلف من الصيام عددًا»^٤.

(وَ) عطف على قوله: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ)^٥.

(عَلَى الَّذِينَ) بيان تكليف آخر بدلًا من الصيام وهو ظاهر في الوجوب

التعيني.

(يُطِيقُونَهُ) أي يصومون بمشقة وجهد وصعوبة.

١. الميزان ٩/٢.

٢. سورة البقرة / ١٨٥.

٣. سورة البقرة / ١٨٣.

٤. الميزان ١٠/٢.

٥. سورة البقرة / ١٨٣.

(فَدْيَةٌ) أي بدل والفدية هنا هي بدل مالي.
 (طَعَامُ مَسْكِينٍ) أي طعام يشبع مسكيناً جائعاً. بدلاً من كل يوم.
 (فَ) تفریع على محصل المعنى.
 (مَنْ تَطَوَّعَ) في كيفية الطعام وكميته وهي فدية أو في أصل الصيام، أو كل عمل خير والتطوع: التلبس في إتيان الفعل بالرضا والرغبة من غير كره واستثقال سواء كان فعلاً الزامياً أو غير الزامي.
 (خَيْرًا) أي يأتي بالخير عن الرضا والرغبة.
 (فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ) أي التطوع بالخير خير للمتطوع.
 (وَأَنْ تَصُومُوا) في شهر رمضان.
 (خَيْرٌ لَّكُمْ) من عدم التطوع به أو من افطاره.
 (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) «بأنَّ التكاليف الإلهية ألطاف من الله تعالى لعبيده، وأنَّ الطاعة هي السبب في سعادة الإنسان، وأنَّ الصوم فيه فضل كبير، وفوائد كثيرة للناس، وأنه لمصلحة المكلفين»^١.

الروايات

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر ٧ في قول الله ﷻ (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ) قال: الشيخ الكبير والذي يأخذه العطاش، وعن قوله ﷻ: (فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا)^٢ قال: من مرض أو عطاش.^٣

١. مواهب الرحمن ٣/ ١١.

٢. سورة المجادلة / ٤.

٣. الكافي ٤/ ١١٦، ح ١.

ورواها الشيخ بسنده الصحيح في التهذيب^١ وروا صدرها العياشي في تفسيره^٢.
 خبر ابن بكير عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله 7 في قوله الله ﷻ (وَعَلَى
 الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ) قال الذين كانوا يطيقون الصوم فأصابهم كبر أو
 عطاش أو شبه ذلك فعليهم لكل يوم مد. ٣

رواها في الفقيه. ٤

خبر الزهري عن علي بن الحسين 7 في حديث قال: صوم السفر والمرض فإن
 العامة اختلفت في ذلك فقال قوم يصوم وقال آخرون قوم لا يصوم، وقال قوم إن شاء
 صام وإن شاء أفطر، وأما نحن فنقول يفطر في الحالين جميعاً فإن صام في السفر أو في
 حال المرض فعليه القضاء، ذلك بان الله يقول (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ
 فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) فهذا تفسير الصيام. ٥

رواها الصدوق في الفقيه^٦ والخصال^٧ والعياشي في تفسيره^٨.

صحيحة محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر 7 يقول: الشيخ الكبير
 والذي به العطاش لا حرج عليهما أن يفطرا في شهر رمضان ويتصدق كل واحد منهما
 في كل يوم بمد من الطعام ولا قضاء عليهما فإن لم يقدر فلا شيء عليهما. ٩

١. التهذيب ٤/ ٢٣٧، ح ٢.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٨٣، ح ١٨١.

٣. الكافي ٤/ ١١٦، ح ٥.

٤. من لا يحضره الفقيه ٢/ ١٣٣.

٥. الكافي ٤/ ٨٦، ح ١.

٦. من لا يحضره الفقيه ٢/ ٨١.

٧. الخصال ٥٣٧.

٨. تفسير العياشي ١/ ١٨٧.

٩. الكافي ٤/ ١١٦، ح ٤.

رواها الطوسي في التهذيب^١ والعياشي في تفسيره^٢.

رفاعة عن أبي عبد الله ٧ في قوله (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ)

قال المرأة تخاف على ولدها والشيخ الكبير^٣.

أبي بصير قال سألته عن قول الله (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ)

قال هو الشيخ الكبير لا يستطيع والمريض^٤.

أبي بصير قال سألته عن رجل مرض من رمضان إلى رمضان قابل ولم يصح بينهما ولم يطق الصوم قال تصدق مكان كل يوم، أفطر على مسكين مدًا من طعام، وإن لم يكن حنطة فمن تمر، وهو قول الله (فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ) فإن استطاع أن يصوم رمضان الذي يستقبل وإلا فليتبص إلى رمضان قابل فيقضيه فإن لم يصح حتى جاء رمضان قابل فليصدق كما تصدق مكان كل يوم أفطر مدًا وإن صح في ما بين الرمضانين فتواني أن يقضيه حتى جاء رمضان الآخر فإن عليه الصوم والصدقة جميعًا يقضي الصوم ويتصدق من أجل أنه ضيغ ذلك الصيام^٥.

معتبرة السكوني عن جعفر ٧ عن أبيه ٧ قال: قال رسول الله ٦ إن الله تبارك وتعالى أهدى إلي وإلى أمتي هدية لم يهدا إلى أحد من الأمم، كرامة من الله لنا، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: الإفطار في السفر والتقشير في الصلاة، فمن لم يفعل ذلك فقد ردّ على الله ﷻ هديته^٦.

١. التهذيب ٤/٢٣٨.

٢. تفسير العياشي ١/١٨٤، ح ١٨٦.

٣. تفسير العياشي ١/١٨٤، ح ١٨٥.

٤. تفسير العياشي ١/١٨٣، ح ١٨٢.

٥. تفسير العياشي ١/١٨٣، ح ١٨٣.

٦. الخصال ١/١٢، ح ٤٣.

٢١٦..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثاني

الطوسي قال: روي عن أبي جعفر 7: أن شهر رمضان كان صومه واجباً على نبيّ دون أمته وإنما اوجب على أمة نبينا محمد 6 فحسب. ١
خبر أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف قال: قال رسول الله 6: الصائم في السفر كالمفطر في الحضر. ٢
رواها الطبرسي عن أبي عبدالله 7 في مجمع البيان ٣ ورواها في جوامع الجامع ٤ بعنوان في الحديث.

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ



وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

تكملة للآيات السابقة.

(شَهْرُ رَمَضَانَ) هو الشهر التاسع من الشهور القمرية العربية ولم يذكر اسم شهر في القرآن إلا (شَهْرُ رَمَضَانَ). بيان لـ (أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) ٥. مبتدأ.
(الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) خبر، بيان لحكمة تخصيص هذا الشهر بالصوم.
والمراد بـ (الْقُرْآنُ) كتاب الله الذي (أُنْزِلَ) على خاتم الأنبياء محمد 6. وقال

١. التبيان ٢/ ١١٦.

٢. التبيان ٢/ ١١٧.

٣. مجمع البيان ٢/ ٢٧٤.

٤. جوامع الجامع ١/ ١٠٣.

٥. سورة البقرة/ ١٨٤.

تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ) ^١ وقال ﷺ: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) ^٢ والمراد إنزاله
الدفعة الواحدة دون تنزيله في الثلاث وعشرين سنة.

(هُدًى لِلنَّاسِ) هذا هو الحال الأول للقرآن الكريم يعني هادياً (لِلنَّاسِ)
يعني جميع طبقاتهم وآحادهم.

(وَيَبَيِّنَتِ مَنِ الْهُدَى) البينة: الدلالة الواضحة الكافية عقلاً لإتمام الحجة. حال
ثان للقرآن الكريم.

(وَالْفُرْقَانِ) حال ثالث للقرآن الكريم. (الْفُرْقَانِ): ما يفرق بين الحق والباطل.
(فَ) تفریع على قوله: (شَهْرُ رَمَضَانَ).

(مَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) «الشهادة هي الحضور مع تحمل العلم من جهته
وشهادة الشهر إنما هو ببلوغه والعلم به ويكون بالبعض كما يكون بالكل» ^٣.

(وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) يدل على وجوب الإفطار في
السفر والمرض لأنه أوجب القضاء بنفسهما.

(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ) بالإرادة التشريعية والمراد باليسر، اليسر النوعي ومنه
إفطار المريض والمسافر. اليسر: السهولة.

(وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) في أحكامه وتشريعاته. العسر: الصعوبة.
(وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ) اللام للغاية، يعني يريد منكم إكمال العدة في وجوب
القضاء من أيام أخر للمريض والمسافر.

(وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ) اللام للغاية، بيان لغاية حكم أصل الصيام

١. سورة الدخان / ٣.

٢. سورة القدر / ١.

٣. الميزان ٢ / ٢٤.

دون حكم الاستثناء وهي «أنّ التلبس بالصوم لإظهار كبريائه تعالى بما نزل عليهم القرآن وأعلن ربوبيته وعبوديتهم، وشكر له بما هداهم إلى الحق، وفرق لهم بكتابه بين الحق والباطل»^١.

(وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) على نعمه عليكم كلّها «ولما كان الصوم إنّما يتصف بكونه شكرًا لنعمه إذا كان مشتملاً على حقيقة معنى الصوم وهو الإخلاص لله سبحانه في التنزه عن ألوان الطبيعة والكف عن أعظم مشتبهات النفس بخلاف اتصافه بالتكبير لله فإن صورة الصوم والكف سواء اشتمل على إخلاص النية أو لم يشتمل يدل على تكبيره تعالى وتعظيمه فرق بين التكبير والشكر فقرن الشكر بكلمة الترجي دون التكبير»^٢.

الروايات

البرقي عن بعض أصحابه رفعه في قول الله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ) اليسر: الولاية، والعسر: الخلاف وموالاته أعداء الله.^٣
البرقي عن بعض أصحابه رفعه في قول الله تعالى: (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ) قال: التكبير: التعظيم لله والهداية: الولاية.^٤

معتبرة حفص بن غياث عن أبي عبد الله ٧ قال سألته عن قول الله ﷻ (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) وإنّما أنزل في عشرين سنة بين أوله وآخره فقال أبو عبد الله ٧ نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل في طول عشرين سنة ثم قال قال النبي ٦ نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر

١. الميزان ٢/ ٢٤.

٢. الميزان ٢/ ٢٤.

٣. المحاسن ١/ ٢٩٦، ح ٢٠١.

٤. المحاسن ١/ ٢٣٧، ح ٣٦.

رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وأنزل الزبور لثمان عشر خلون من شهر رمضان وأنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان.^١

وروا نحوها العياشي في تفسيره^٢ وروا صدرها الصدوق في أماليه^٣ وفي فضائل الأشهر^٤ الثلاثة والقمي في تفسيره^٥.

خبر محمد بن إسماعيل عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله ٧ قال: إن الله تبارك وتعالى خلق الدنيا في ستة أيام ثم اختزلها عن أيام السنة والسنة ثلاثمائة وأربع وخمسون يوما شعبان لا يتم أبداً رمضان لا ينقص والله أبداً ولا تكون فريضة ناقصة إن الله ﷻ يقول (وَلْتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ) وشوال تسعة وعشرون يوما وذو القعدة ثلاثون يوماً لقول الله ﷻ (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتَمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)^٦ وذو الحجة تسعة وعشرون يوماً والمحرم ثلاثون يوماً ثم الشهور بعد ذلك شهر تام وشهر ناقص.^٧

رواها الطوسي في التهذيب^٨.

خبر زراراة قال قلت لأبي عبدالله ٧ قول الله ﷻ (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) قال ما أبينها من شهد فليصمه ومن سافر فلا يصمه.^٩

١. الكافي ٢/٦٢٨، ح ٦.

٢. تفسير العياشي ١/١٨٥، ح ١٨٩.

٣. أمالي، المجلس الخامس عشر، ح ١١٩/٥، رقم ١٠٦.

٤. فضائل الأشهر الثلاثة / ٨٧، ح ٦٧.

٥. تفسير القمي ١/٦٦.

٦. سورة الأعراف / ١٤٢.

٧. الكافي ٤/٧٨، ح ٢.

٨. التهذيب ٤/١٧٢.

٩. الكافي ٤/١٢٦، ح ١.

خبر زرارة عن أبي جعفر 7 في قوله (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) قال: فقال: ما أبينها لمن عقلها، قال من شهد رمضان فليصمه، ومن سافر فليفطر.^١
خبر الصباح بن سيابة قال قلت لأبي عبد الله 7 إن ابن أبي يعفور أمرني أن أسألك عن مسائل فقال وما هي قال يقول لك إذا دخل شهر رمضان وأنا في منزلي إلى أن أسافر قال إن الله يقول (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) فمن دخل عليه شهر رمضان وهو في أهله فليس له أن يسافر إلا لحج أو عمرة أو في طلب مال يخاف تلفه.^٢
رواها الطوسي في التهذيب^٣ مع زيادة.

خبر سعيد النقاش قال سمعت أبا عبد الله 7 فقال إن في الفطر لتكبيرا ولكنه مسنون يكبر في المغرب ليلة الفطر وفي العتمة والفجر وفي صلاة العيد، وهو قول الله (الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ) والتكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد.

قال في رواية أبي عمرو: التكبير الأخير أربع مرات.^٤
خبر أبي بصير قال سألت أبا عبد الله 7 عن حد المرض الذي يجب على صاحبه فيه الإفطار كما يجب عليه في السفر في قوله (وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ) قال هو موتمن عليه مفوض إليه فإن وجد ضعفاً فليفطر، وإن وجد قوة فليصم كان المريض على ما كان.^٥

خبر أبي عمير عن رجل عن أبي عبد الله 7 قال: قلت له جعلت فداك ما

١. تفسير العياشي ١/١٨٦، ح ١٩٢.

٢. تفسير العياشي ١/١٨٦، ح ١٩١.

٣. التهذيب ٤/٢١٦، ح ١.

٤. تفسير العياشي ١/١٨٧، ح ١٩٨.

٥. تفسير العياشي ١/١٨٦، ح ١٩٤.

يتحدث به عندنا أنّ النبي ٦ صام تسعة وعشرين أكثر مما صام ثلاثين أحق هذا قال ما خلق الله من هذا حرفاً، ما صامه النبي ٦ إلا ثلاثين، فلأنّ الله يقول (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ) فكان رسول الله ٦ ينقصه.^١

خبر الثمالي عن أبي جعفر ٧ في قول الله (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ) قال اليسر علي ٧، وفلان وفلان العسر، فمن كان من ولد آدم لم يدخل في ولاية فلان وفلان.^٢

مرفوعة العياشي قال قال أبو عبدالله: (فَلْيَصُمْهُ) قال الصوم فوه لا يتكلم إلا بالخير.^٣

خبر الحارث البصري عن أبي عبدالله ٧ قال: قال في آخر شعبان: إنّ هذا الشهر المبارك الذي أنزلت فيه القرآن وجعلته هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان قد حضر، فسلمنا فيه وسلمه لنا وسلمه منّا في يسرٍ منك وعافية.^٤

خبر أبي بصير عن أبي عبدالله ٧ قال: إذا حضر شهر رمضان فقل: اللهم قد حضر شهر رمضان وقد افترضت علينا صيامه وأنزلت فيه القرآن هدى وسلمه منّا وسلمنا له في يسرٍ منك وعافية إنك على كل شيء قدير، يا أرحم الراحمين.^٥

خبر محمد بن مسلم عن أبي عبدالله ٧ قال: لم يكن رسول الله ٦ يصوم في السفر تطوعاً ولا فريضة، يكذبون على رسول الله ٦، نزلت هذه الآية ورسول الله بكراً الغميم^٦ عند صلاة الفجر، فدعا رسول الله ٦ بإناء فشرب، وأمر الناس أن

١. تفسير العياشي ١/ ١٨٨، ح ١٩٩.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٨٧، ح ١٩٦.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٨٦، ح ١٩٣.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٨٤، ح ١٨٧.

٥. تفسير العياشي ١/ ١٨٥، ح ١٨٨.

٦. كُراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة. توجه: أي أقبل.

يفطروا، قال قوم: قد توجّه النهار ولو صمنا يومنا هذا، فسأهم رسول الله 6 العصاة، فلم يزالوا يُسمّون بذلك الاسم حتّى قبض رسول الله 1.6
خبر سعيد عن أبي عبد الله 7 قال: إنّ في الفطر تكبيراً، قال: قلت ما تكبيرٌ إلّا في يوم النحر، قال: فيه تكبير ولكنّه مستور [مسنون، ن ل] في المغرب والعشاء والفجر والظهر والعصر وركعتي العيد. 2

خبر يونس بن يعقوب عن أبي عبد الله جعفر الصادق 7 في قوله تعالى (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) الآية قال فذلك اليسر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب 7. 3

الصدوق بإسناده عن الهادي 7 في حديث مكالمة الله مع موسى بن عمران 7: ... قال: إلهي فما جزاء مَنْ صام شهر رمضان لك محتسباً؟ قال: يا موسى أقيمّه يوم القيامة مقاماً لا يخاف فيه، قال: إلهي فما جزاء من صام شهر رمضان يُريد به الناس؟ قال: يا موسى، ثوابه كثواب من لم يصمه. 4

صحيحة هشام بن الحكم عن أبي عبد الله 7 قال: مَنْ لم يُغْفَرْ له في شهر رمضان، لم يُغْفَرْ له إلى قابل إلّا أن يشهد عرفة. 5

خبر عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب أنّه سمع النبي 6 يقول: إنّ الجنّة لتتجدّد وتزيّن من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان.

١. تفسير العياشي ١/١٨٦، ح ١٩٥.

٢. تفسير العياشي ١/١٨٨، ح ٢٠٠.

٣. تفسير فرائد الكوفي ٦٢/٢٨.

٤. أمالي الصدوق، المجلس السابع والثلاثون، ح ٢٧٧/٨، رقم ٣٠٧.

٥. فضائل الأشهر الثلاثة / ١٢٣، ح ١٢٨.

٦. نجد البيت: زينه، وتجد الشيء: ارتفع.

فإذا كان أول ليلة منه هبَّت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة، تصفق ورق أشجار الجنان وحلق المصاريع^١ فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه، وتبرزن الحور العين^٢ حتى يقفن بين شُرف الجنّة فينادين هل من خاطب إلى الله [ﷻ] فيزوجه؟ ثم يقلن^٣: يا رضوان ما هذه الليلة؟ فيجيبهنّ بالتلبية^٤، ثم يقول: يا خيرات حسان هذه أول ليلة من شهر رمضان قد فتحت أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد^٥.

[قال:] ويقول لهﷻ: يا رضوان افتح أبواب الجنان، يا مالك أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين^٥ من أمة محمد، يا جبرئيل اهبط إلى الأرض فصقّد مرده الشياطين وغلّهم بالأغلال ثم اقذف بهم في لجج البحار حتى لا يفسدوا على أمة حبيبي صيامهم.

قال: ويقول الله تبارك وتعالى في كلّ ليلة من شهر رمضان ثلاث مرّات^٦: هل من سائل فأعطيه سؤاله؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستعفر فأغفر له؟ من يقرض المليء غير المعدم والوفّي غير الظالم^٧؟ قال: وإنّ الله تعالى في آخر كلّ يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف

١. المصاريع: جمع مصراع، والمراد مصراع الباب.

٢. كذا في النسخ والقياس «تبرز» وفي الفضائل «فتتزين الحور العين».

٣. في الفضائل «فتزوجه ثم قالت الملائكة».

٤. في الفضائل «فيلبهنّ بالتلبية».

٥. زاد هنا في الفضائل «القائمين».

٦. في الفضائل «قال: وينزل اللهﷻ ملائكته في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرّات يقول اللهﷻ: هل من سائل».

٧. في الفضائل «غير الظلوم». والمليء: الغني والمقتدر يعني من يقرض الغني الوفي الذي لا يظلم الناس مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

عتيق من النار^١، فإذا كانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة أعتق في كل ساعة منها ألف ألف عتيق من النار وكلهم قد استوجبوا العذاب، فإذا كان في آخر [يوم من] شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره.

فإذا كانت ليلة القدر أمر الله ﷻ جبرئيل 7 فهبط في كتيبة من الملائكة إلى الأرض ومعه لواء أخضر، فيركز اللواء على ظهر الكعبة، وله ستائة جناح، منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر، فينشرهما تلك الليلة، فيجاوزان^٢ المشرق والغرب، ويبث جبرئيل 7 الملائكة في هذه الليلة فيسلمون على كل قائم وقاعد ومصل وذاكر، ويصافحونهم ويؤمنون على دعائم حتى يطلع الفجر.

فإذا طلع الفجر نادى جبرئيل 7: يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل، فيقولون: يا جبرئيل فماذا صنع الله تعالى في حوائج المؤمنين من أمة محمد؟ فيقول: إن الله تعالى نظر إليهم في هذه الليلة فعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة، قال: فقال رسول الله 6: وهؤلاء الأربعة^٣: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والقاطع الرحم، والمشاحن^٤.

فإذا كانت ليلة الفطر وهي تسمى ليلة الجوائز أعطى الله العاملين أجره بغير حساب. فإذا كانت غداة يوم الفطر^٥ بعث الله الملائكة في كل البلاد فيهبطون إلى

١. في الفضائل «فان لله تبارك وتعالى في كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار عتيق في النار».

٢. في نسخة: «فيتجاوزان». في الفضائل: «فيتجاوز» وكان الضمير المفرد راجع إلى اللواء.

٣. في الفضائل «إلا أربعة، فقيل: يا رسول الله من هؤلاء الأربعة قال: رجل مدمن خمر، وعاق والديه، وقاطع رحم، ومشاحن» وفي نسخة منه «وشاطن، قيل يا رسول الله وما الشاطن؟ قال: هو المصارم».

٤. المشاحن: المباغض الممتليء عداوة. والشاطن المتباعد عن الحق. ولم نجد المشاحن في اللغة في «شخن» بالمعجمة معنى يناسب ذلك. ولعل الصواب «الساخن» بالسين والطاء المهملتين بمعنى الخبيث. والعلم عند الله.

٥. في الفضائل «فإذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة، فإذا كانت غداة الفطرة - الخ».

الأرض، ويقفون على أفواه السكك فيقولون: يا أمة محمد اخرجوا إلى ربّ كريم، يعطي الجزيل، ويغفر العظيم. فإذا برزوا إلى مصلاً هم قال الله ﷻ للملائكة: ملائكتي! ما جزاء الأجير إذا عمل عمله؟ قال: فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا جزاؤه أن توفي أجره.

قال: فيقول الله ﷻ: فإني أشهدكم ملائكتي أنّي قد جعلت ثوابهم عن صيامهم شهر رمضان وقيامهم فيه رضي ومغفرتي. ويقول: يا عبادي سلوني، فو عزّي وجلالي لا تسألوني اليوم في جمعكم لآخرتكم ودنياكم إلا أعطيتكم^٢، وعزّي لأسترنّ عليكم عوراتكم ما راقبتموني، وعزّي لأجرتكم ولا أفضحكم^٣ بين يدي أصحاب الخلود، انصرفوا مغفوراً لكم، قد أرضيتموني ورضيت عنكم. قال: فتفرح الملائكة وتستبشرون ويهنيء بعضها بعضاً بما يعطي [الله] هذه الأمة إذا أفطروا.^٤

مرفوعة ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن: إن الله تعالى أنزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم أنزل على النبي ﷺ بعد ذلك نجوماً. وهو المروي عن أبي عبد الله ٧. ٥.

روي عن ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد وجماعة من المفسرين ورووه عن علي ٧ أنهم قالوا: من شهد الشهر بان دخل عليه الشهر كره له أن يسافر حتى يمضي ثلاث وعشرون من الشهر إلا أن يكون واجباً كالحج أو تطوعاً كالزيارة فإن لم يفعل

١. في نسخة: «قال الله ﷻ للملائكة: ما جزاء - الخ».

٢. في الفضائل «في جمعكم لآخرتكم إلا أعطيتكم ولدنياكم إلا نظرت لكم».

٣. أجاره الله من العذاب: أنقذه. ويمكن أن يقرأ: «لأجرتكم» من الاجر. وفي الفضائل «لا أخزيتكم ولا أفضحكم بين يدي - الخ» وفي البحار: «لأجيرنكم».


٤. أمالي المفيد، المجلس السابع والعشرون، ح ٣/ ٢٢٩.

٥. التبيان ٢/ ١٢١.

وخرج قبل ذلك كان عليه الإفطار ولم يجزه الصوم.^١
ابن شهر آشوب رفعه عن الباقر 7 في قوله تعالى (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) قال: اليسر أمير المؤمنين والعسر فلان وفلان.^٢
قال ابن طاووس: رأيت ورؤيت في كتاب الجعفریات وهي ألف حديث بإسناد واحد عظيم الشأن إلى مولانا موسى بن جعفر 7 عن مولانا جعفر بن محمد عن مولانا محمد بن علي عن مولانا علي بن الحسين عن مولانا الحسين عن مولانا علي ابن أبي طلب 7 قال: لا تقولوا رمضان فانكم لا تدرون ما رمضان فمن قاله فليصدق وليصم كفاره لقوله ولكن قولوا شهر رمضان كما قال الله تعالى (شَهْرُ رَمَضَانَ).^٣

الطبرسي قال: في الأخبار المروية عن النبي 6 أنه قال: من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه.^٤
رواها الصدوق بإسناده عن رسول الله 6 في فضائل الأشهر الثلاثة.^٥

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا

لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) 

تخريض للدعاء وتلميح لبعض شروطه وحثُّ على الدعاء في شهر رمضان

١. التبيان ٢/ ١٢٣.

٢. المناقب ٣/ ١٠٣.

٣. اقبال الأعمال / ٣.

٤. مجمع البيان ٢/ ٢٧٥.

٥. فضائل الأشهر الثلاثة / ١٤٢، ح ١٥٤.

لأنّها وردت بعد آياته وقد وضع أساسه على المتكلم وحده دون الغيبة وقد كرر فيها ضمير المتكلم سبع مرات وهي الآية الوحيدة في القرآن على هذا التكرار.

(وَ) عاطفة، عطف على قوله: (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ١.

(إِذَا) ظرف متضمن معنى الشرط متعلّق بجوابه.

(سَأَلْتُكَ) السؤال طلب معرفة الشيء أو طلب مال. والخطاب للرسول

الخاتم ٦. يعني (إِذَا سَأَلْتُكَ) سائل مِنْ

(عِبَادِي) الظاهر أن المراد بالعبودية هنا المخلوقية والمملوكية ويشمل المؤمن

والكافر، والصالح والفاسق باطلاقها.

(عَنِّي) عن الله وهو خالقهم ومالكهم وربهم.

(فَ) رابطة لجواب الشرط ثم حذف الواسطة في الجواب وقال:

(إِنِّي) تأكيد.

(قَرِيبٌ) بالعباد وبسؤالهم وإجابة دعواتهم والإتيان بالصفة دون الفعل الدال

على ثبوت القرب ودوامه.

(أُجِيبُ) على نحو الاستمرار والتجدد. (دَعْوَةً) أي دعاء.

(الِدَّاعِ) «ال» للجنس، فهو استجابه دعوة كل داعٍ من غير شرط وقيد.

(إِذَا) مرّ في أوّل الآية.

(دَعَانِ) أي دعا الله وهذا القيد لا يزيد على قوله: (دَعْوَةَ الدَّاعِ)، ويدلّ على أنّ

دعوة الداعٍ مجابة من دون شرط وقيد كقوله: (أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ٢.

(فَ) تفريع على (أُجِيبُ). (آ) لام الأمر.

١. سورة البقرة / ١٨٥.

٢. سورة غافر / ٦٠.

(يَسْتَجِيبُوا) فعل مضارع مجزوم بـ «ل» وفاعله. أجاب واستجاب بمعنى واحد. والضمير الفاعلي عائد إلى (عِبَادِي). يعني: (إِذَا) كنت (أُجِيبُ دَعْوَةَ) الداعي فليجيبوا أو امري بالدعاء لأنّه يدعوهم إلى دعائه بجهة عنايته بهم وبما يسئلونه منه وهذه صفته ووصفه الذي لا يزال.

(لِي) وليقبلوا إليّ.

(وَلْيُؤْمِنُوا بِي) في هذه الصفة وليوقنوا بأنّه (قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ).

(لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) في دعائه، والرشد: ضد الغيّ ويعني أصابة الحق. أي دعائهم على هذا الوصف يوجب رشدهم وإصابتهم إلى الحق.

الروايات

صحيحه عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله 7 قال: الدعاء أنفذ من السنان الحديد.^١

خبر عبدالله بن ميمون القداح عن أبي عبدالله 7 قال: الدعاء كهف الإجابة كما أنّ السحاب كهف المطر.^٢

صحيحه أبي نصر قال قلت لأبي الحسن 7 جعلت فداك إنّني قد سألت الله حاجة منذ كذا وكذا سنة وقد دخل قلبي من إبطائها شيء قال يا أحمد إياك والشيطان أن يكون له عليك سبيل حتّى يقنطك إنّ أبا جعفر 7 كان يقول إنّ المؤمن يسأل الله ﷻ حاجة فيؤخر عنه تعجيل إجابته حبّاً لصوته واستماع نحيبه ثم قال والله ما أحرّ الله ﷻ عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدنيا خير لهم مما عجل لهم فيها وأي شيء الدنيا إنّ أبا جعفر 7 كان يقول ينبغي للمؤمن أن يكون دعاؤه في الرخاء نحواً من دعائه

١. الكافي ٢/ ٤٦٩، ح ٧.

٢. الكافي ٢/ ٤٧١.

في الشدة ليس إذا أعطي فتر، فلا تمل الدعاء فإنه من الله ﷻ بمكان وعليك بالصبر وطلب الحلال وصلة الرحم وإياك ومكاشفة الناس فإننا أهل البيت نصل من قطعنا ونحسن إلى من اساء إلينا فنرى والله في ذلك العاقبة الحسنة إن صاحب النعمة في الدنيا إذا سأل فأعطي طلب غير الذي سأل وصغرت النعمة في عينه فلا يشبع من شيء وإذا كثرت النعم كان المسلم من ذلك على خطر للحقوق التي تجب عليه وما يخاف من الفتنة فيها أخبرني عنك لو أنني قلت لك قولاً أ كنت تثق به مني فقلت له جعلت فداك إذا لم أثق بوقلك فبمن أثق وأنت حجة الله على خلقه قال فكن بالله أو ثق فإنك على موعد من الله أليس الله ﷻ يقول (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) وقال (لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) ١ وقال (وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا) ٢ فكن بالله ﷻ أو ثق منك بغيره ولا تجعلوا في أنفسكم إلا خيراً فإنه مغفور لكم. ٣

ورواها الحميري في قرب الإسناد. ٤

الكليني بإسناده إلى خطبة أمير المؤمنين 7 في ذي قار أنه قال فيه: ... مساجدهم في ذلك الزمان عامرة من الضلالة وإليهم تعود فحضور مساجدهم والمشي إليها كفر بالله العظيم إلا من مشي إليها وهو عارف بضلالهم إلى الهدى ولا يقسمون الفيء ولا يوفون بذمة يدعون القتل منهم على ذلك شهيدا قد أتوا الله بالأفراء والجحود واستغنوا بالجهل عن العلم ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله فرية وجعلوا في الحسنة العقوبة السيئة وقد بعث الله ﷻ إليكم رسولا

١. سورة الزمر / ٥٣.

٢. سورة البقرة / ٢٦٨.

٣. الكافي ٢ / ٤٨٨، ح ١.

٤. قرب الإسناد / ٣٨٥، ح ١٣٥٨.

(مَنْ أَنْفُسَكُمْ غَزِيْرٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيْمٌ) ١ ٩
 وأنزل عليه كتابا عزيزا (لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ
 حَمِيدٍ) ٢ (قُرْءَانًا غَرِيْبًا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) ٣ (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) ٤
 فلا يلهينكم الأمل ولا يطولن عليكم الأجل فإنما أهلك من كان قبلكم أمد أملهم
 وتغطية الآجال عنهم حتى نزل بهم الموعد الذي ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة
 وتحل معه القارعة والنقمة وقد أبلغ الله ﷻ إليكم بالوعد وفصل لكم القول وعلمكم
 السنة وشرح لكم المناهج ليزيح العلة وحث على الذكر ودل على النجاة وإِنَّه من
 انتصح لله واتخذ قوله دليلا هداه للتي هي أقوم ووفقه للرشاد وسدده ويسره للحسنى
 فان جار الله آمِنٌ محفوظ وعدوّه خائف مغرور فاحترسوا من الله ﷻ بكثرة الذكر
 واخشوا منه بالتقوى وتقربوا إليه بالطاعة فإنّه قريب مجيب قال الله ﷻ (وَإِذَا سَأَلَكَ
 عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
 يَرْشُدُونَ) فاستجيبوا الله وآمنوا به وعظموا الله الذي لا ينبغي لمن عرف عظمة الله
 أن يتعظم فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمة الله أن يتواضعوا وعز الذين يعلمون ما
 جلال الله أن يذلوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يستسلموا له فلا ينكرون
 أنفسهم بعد حدّ المعرفة ولا يضلون بعد الهدى فلا تنفروا من الحق نقار الصحيح من
 الأجر والباري من ذي السقم واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي
 تركه ولم تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا
 الذي نبذه ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه ولن تعرفوا الضلالة

١. سورة التوبة / ١٢٨.

٢. سورة فصلت / ٤٢.

٣. سورة الزمر / ٢٨.

٤. سورة يس / ٧٠.

حتّى تعرفوا الهدى ولن تعرفوا التقوى حتّى تعرفوا الذي تعدّى فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكليف ورأيتم الفرية على الله وعلى رسوله والتحريف لكتابه ورأيتم كيف هدى الله من هدى فلا يجهلنكم الذين لا يعلمون إنّ علم القرآن ليس يعلم ما هو إلّا من ذاق طعمه فعلم بالعلم جهله وبصر به عماه وسمع به صممه وأدرك به علم ما فات وحيي به بعد إذ مات وأثبت عند الله عز ذكره الحسنات ومحاً به السيئات وأدرك به رضوانا من الله تبارك وتعالى فاطلبوا ذلك من عند أهله خاصة فإنّهم خاصة نور يستضاء وأئمة يقتدى بهم وهم عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق فهم من شأنهم شهداء بالحق ومخبر صادق لا يخالفون الحق ولا يختلفون فهي قد خلت لهم من الله السابقة ومضى فيهم من الله حكم صادق وفي ذلك ذكرى للذاكرين فاعقلوا الحق إذا سمعتموه عقل رعاية ولا تعقلوه عقل روايه فإنّ رواة الكتاب كثير ورعاته قليل والله المستعان.^١

ورواها ابن أبي شعبة الحراني في تحف العقول.^٢

خبر ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله 7 في قوله (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي)

يعلمون أنّي أقدر على أن أعطيهم ما يسألون.^٣

رواها الطوسي في التبيان^٤ والطبرسي في مجمع البيان^٥ وجوامع الجامع^٦.

١. الكافي ٨/ ٣٨٨، ح ٥٨٦.

٢. تحف العقول / ٢٢٧.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٨٨، ح ٢٠١.

٤. التبيان ٢/ ١٣١.

٥. مجمع البيان ٢/ ٢٧٨ (٣/ ٤٢٩).

٦. جوامع الجامع ١/ ١٠٥.

خبرُ أبي نعيم الأنصاري الزيدي قال كنت بمكة عند المستجار وجماعة من المقصرة وفيهم المحمودي وعلانُ الكليني وأبوالهيثم الديناري وأبوجعفر الأحوال الهمداني وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً ولم يكن منهم مخلص علمته غير محمد بن القاسم العلوي العقيقي فبينما نحن كذلك في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين ومائتين من الهجرة إذ خرج علينا شاب من الطواف عليه إزاران محرم بهما وفي يده نعلان فلما رأيناه قمنا جميعاً هيبة له فلم يبق منا أحد إلا قام وسلم عليه ثم قعد والتفت يميناً وشمالاً ثم قال أ تدرّون ما كان أبو عبدالله ⁷ يقول في دعاء الإلحاح قلنا وما كان يقول قال كان يقول «اللهم إني أسألك باسمك الذي به تقوم السماء وبه تقوم الأرض وبه تفرق بين الحق والباطل وبه تجمع بين المتفرق وبه تفرق بين المجتمع وبه أحصيت عدد الرمال وزنة الجبال وكيل البحار أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً» ثم نهض فدخل الطواف فقمنا لقيامه حين انصرف وأنسينا أن نقول له من هو فلما كان من الغد في ذلك الوقت خرج علينا من الطواف فقمنا كقيامنا الأوّل بالأمس ثم جلس في مجلسه متوسطاً ثم نظر يميناً وشمالاً قال أ تدرّون ما كان أمير المؤمنين ⁷ يقول بعد صلاة الفريضة قلنا وما كان يقول قال كان يقول «اللهم إليك رفعت الأصوات ودعيت الدعوات ولك عنت الوجوه ولك خضعت الرقاب وإليك التحاكم في الأعمال يا خير مسئول وخير من أعطي يا صادق يا باري يا من لا يخلف الميعاد يا من أمر بالدعاء وتكفل بالإجابة يا من قال (أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ^١ يا من قال (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) يا من قال (يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) « ثم نظر

يمينا وشمالا بعد هذا الدعاء فقال: «أتدرون ما كان أمير المؤمنين 7 يقول في سجدة الشكر قلنا وما كان يقول قال كان يقول «يا من لا يزيدك الحاح الملحين إلا جودا وكرما يا من له خزائن السماوات والأرض يا من له خزائن ما دق وجل لا تمنعك إساءتي من إحسانك إليّ إني أسألك أن تفعل بي ما أنت أهله وأنت أهل الجود والكرم والعفو يا رباه يا الله افعل بي ما أنت أهله فأنت قادر على العقوبة وقد استحققتها لا حجة لي ولا عذر لي عندك أبوء إليك بذنوبي كلها وأعترف بها كي تغفو عني وأنت أعلم بها مني بُؤْتُ إليك بكل ذنب أذنبته وبكل خطيئة أخطأتها وبكل سيئة عملتها يا رب اغفر لي وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم» وقام فدخل الطواف فقمنا لقيامه وعاد من غد في ذلك الوقت فقمنا لاستقباله كفعلنا فيما مضى فجلس متوسطا ونظر يمينا وشمالا فقال كان علي بن الحسين سيد العابدين 7 يقول في سجوده في هذا الموضع وأشار بيده إلى الحجر نحو الميزاب: عبيدك بفنائك مسكينك ببابك أسألك ما لا يقدر عليه سواك ثم نظر يمينا وشمالا ونظر إلى محمد بن القاسم العلوي فقال: يا محمد بن القاسم أنت على خير إن شاء الله، قام فدخل الطواف فما بقي أحد منا إلا وقد تعلّم ما ذكر من الدعاء و [١] نسينا أن نتذكر أمره إلا في آخر يوم. فقال لنا المحمودي: يا قوم أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا والله صاحب الزمان ﷺ الحديث. ١

قد روا الطوسي دعاء أمير المؤمنين 7 بعد صلاة الفريضة في الغيبة ٢ والطبري في دلائل الإمامة ٣ وابن طاووس في فلاح السائل ٤.

١. كمال الدين وتمام النعمة ٢ / ٤٧٠، ح ٢٤.

٢. الغيبة / ٢٦٠.

٣. دلائل الإمامة / ٢٩٨.

٤. فلاح السائل / ١٧٩.

قال الطبرسي روي عن الحسن أن سائلاً سأل النبي ﷺ: أ قريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه، فنزلت الآية.^١

رواه ابن أبي جمهور الأحسائي في عوالي اللآلي.^٢

قال الطبرسي: روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل دعوته وإما أن يؤخر له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من سوء مثله، قالوا: يا رسول الله إذا نكث؟ قال: الله أكثر.

وفي رواية أنس بن مالك: الله أكثر وأطيب... ثلاث مرات.^٣

الطبرسي قال: روي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد ليدعوا الله وهو يحبه، فيقول: يا جبرائيل لا تقض لعبدي هذا حاجته وأخرها فإنني أحب أن لا أزال أسمع صورته، وإن العبد ليدعوا الله وهو يبغضه فيقول: يا جبرائيل إقض لعبدي هذا حاجته بإخلاصه وعجلها فإنني أكره أن أسمع صوته.^٤

الطبرسي قال: روي عن أمير المؤمنين 7 أنه قال: ربما أخرت عن العبد إجابة الدعاء ليكون أعظم لأجر السائل وأجل لإعطاء الآمل.^٥

الطبرسي قال: روي عن النبي ﷺ: أعجز الناس من عجز عن الدعاء وأبخل الناس من بخل بالسلام.^٦

١. مجمع البيان ٢/ ٢٧٨ (٣/ ٤٢٧ طبعة آل البيت :).

٢. عوالي اللآلي ٢/ ٨٢.

٣. مجمع البيان ٢/ ٢٧٩ (٣/ ٤٣٠ طبعة آل البيت :).

٤. مجمع البيان ٢/ ٢٧٩ (٣/ ٤٣٠ طبعة آل البيت :).

٥. مجمع البيان ٢/ ٢٧٩ (٣/ ٤٣٠ طبعة آل البيت :).

٦. مجمع البيان ٣/ ٤٢٨.

الروايات في هذا المجال كثيرة جدًا فإن شئت راجع كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت ١:.

(أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْئِنْ بَشَرْتُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ ۚ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ ۚ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرِبُوهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)



وردت في هذه الآية ذكر بعض أحكام الصوم ورخصه وعزائمه وبيان مدته وذكر أحد أحكام الاعتكاف وبذلك كله امتاز صوم المسلمين عن غيرهم. (أَحِلَّ) فعل ماض مجهول، الاحلال: الرخصة والإباحة. (لَكُمْ) تسهيلات للمؤمنين. (لَيْلَةَ الصِّيَامِ) بعد أذان المغرب. (الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ) الجماع مع أزواجكم. (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) هذه الجملة أحسن تعبير في باب الزوجية وهي استعارة لأن «كلًا من الزوجين يمنع صاحبه عن اتباع الفجور واشاعته بين أفراد النوع فكان كل منهما لصاحبه لباسًا يواري به سواته ويستر به عورته»^٢.

١. موسوعة أحاديث أهل البيت ٣: (٤٣٩-٤٢٢).

٢. الميزان ٢/ ٤٤.

(عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ) حكم الصيام قبل نزول الآية حرمة
الجماع في ليلة الصيام ولكنهم كانوا يعصون الله سرًا بالخيانة لأنفسهم.
(فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ) ظاهران في سبق المعصية عنهم ولذا ذكر الله التوبة
والعفو عنهم.

(فَ) تفریع على صدور الخيانة منهم والتوبة والعفو من الله سبحانه.
(الَّذِينَ) بعد نزول هذه الآية.
(بَشِّرُوهُمْ) أمر واقع بعد الحظر فيدل على الجواز، يعني (الَّذِينَ) تجوز لكم
مباشرتهم.

(وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) واطلبوا الولد الذي (كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ).
(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا) يجوز لكم الأكل والشرب في ليلة الصيام.
(حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ) بياض الفجر من سواد الليل.
(مِنْ) بيانية.

(الْفَجْرِ) «الفجر فجران، فجر أول يسمى بالكاذب لبطلانه بعد مكث قليل
وبذنوب السرحان لمشابهته ذنب الذئب إذا شاله، وعمود شعاعي يظهر في آخر الليل في
ناحية الأفق الشرقي إذا بلغت فاصلة الشمس من دائرة الأفق إلى ثمانية عشر درجة
تحت الأفق، ثم يبطل بالاعتراض فيكون معترضاً مستطيلاً على الأفق كالخيط الأبيض
الممدود عليه وهو الفجر الثاني، ويسمى الفجر الصادق لصدقه فيما يحكيه ويخبر به من
قدوم النهار واتصاله بطلوع الشمس ومن هنا يعلم أن المراد بالخيط الأبيض هو الفجر
الصادق»^١.

(ثُمَّ) للترتيب.

(أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) يدل على تحديد انتهاء الصيام (إِلَى اللَّيْلِ). المعاقب للنهار وعلى أن الصوم واحد بسيط وعبادة واحدة تامة من غير أن يكون مركبة من أمور عديدة.

(وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ) وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ استثناء من العموم، الذي ربما يتوهم من قوله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)، ليشمل جواز المباشرة ليالي الاعتكاف في المسجد، فنهى تعالى عن ذلك حالة الاعتكاف مطلقاً^١.
(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) التي نهى الله عنها.

(فَلَا تَقْرَبُوهَا) نهى الله عن التقرب إليها وعدم اقترافها والتعدي إليها. «أي لا تقتربوا هذه المعاصي التي هي الأكل والشرب والمباشرة أو لا تتعدوا عن هذه الأحكام والحرمان الإلهية التي بينا لكم»^٢.

(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ) بهذا النحو من البيان (يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ) ودلائله وأحكامه (لِلنَّاسِ) بها فيه الصلاح والسعادة.

(لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) «لكي يتقوا معاصيه وتعدي حدوده فيما أمرهم به ونهاهم عنه وأباحهم إياها. وفي هذا دلالة على أنه سبحانه أراد التقوى من جميع الناس»^٣.

الروايات

موثقة سماعة بن مهران قال سألته عن رجلين قاما فنظرا إلى الفجر فقال أحدهما هو ذا وقال الآخر ما أرى شيئاً قال فليأكل الذي لم يستبنا له الفجر وقد حرم على الذي زعم أنه رأي الفجر إن الله ﷻ يقول (كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ

١. مواهب الرحمن ٣/ ٩٧.

٢. الميزان ٢/ ٤٩.

٣. مجمع البيان ٣/ ٤٤٤ طبعة آل البيت .:

الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) ١.

ورواها الشيخ في التهذيب^٢ والعياشي في تفسيره^٣.

خبر علي بن مهزيار قال كتب أبو الحسن بن الحسين إلى أبي جعفر الثاني 7
معني جعلت فداك قد اختلفت موالوك في صلاه الفجر فمنهم من يصلي إذا طلع
الفجر الأوّل المستطيل في السماء ومنهم من يصلي إذا اعترض في أسفل الأفق واستبان
ولست أعرف أفضل الوقتين فأصلي فيه فإن رأيت أن تعلّمني أفضل الوقتين وتحّدّه لي
وكيف أصنع مع القمر والفجر لا يتبين معه حتّى يحمر ويصبح وكيف أصنع مع الغيم
وما حدّ ذلك في السفر والحضر فعلت إن شاء الله، فكتب 7 بخطه وقرأته: الفجر
يرحمك الله هو الخيط الأبيض المعترض ليس هو الأبيض صعداء فلا تصل في سفر ولا
حضر حتّى تتبينه فان الله تبارك وتعالى لم يجعل خلقه في شبهة من هذا فقال (كُلُوا
وَشَرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) فالخيط الأبيض هو
المعترض الذي يحرم به الأكل والشرب في الصوم وكذلك هو الذي توجب به
الصلاة. ٤

رواها الشيخ في الاستبصار^٥ والتهذيب^٦.

صحيحة أبي بصير عن أحدهما 7 في قول الله تعالى (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ
الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) الآية فقال نزلت في خوات بن جبير الأنصاري وكان مع

١. الكافي ٩٧/٤، ح ٧.

٢. التهذيب ٣١٧/٤.

٣. تفسير العياشي ١/١٨٩، ح ٢٠٤.

٤. الكافي ٢٨٢/٣، ح ١.

٥. الاستبصار ١/٢٧٤.

٦. التهذيب ٣٦/٢، ح ٦٦.

النبي ٦ في الخندق وهو صائم فأمسى وهو على تلك الحال وكانوا قبل أن تنزل هذه الآية إذا نام أحدهم حرم عليه الطعام والشراب فجاء خوات إلى أهله حين أمسى فقال هل عندكم طعام فقالوا لا لا تنم حتى نصلح لك طعاما فاتكأ فنام فقالوا له قد فعلت قال نعم فبات على تلك الحال فاصبح ثم غدا إلى الخندق فجعل يُعشى عليه فمر به رسول الله ٦ فلما رأى الذي به أخبره كيف كان أمره فأنزل الله ﷻ فيه الآية (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) ١.

رواها الصدوق في الفقيه^٢ والشيخ في التهذيب^٣ والعياشي في تفسيره^٤ والقمي في تفسيره^٥

مع زيادة.

خبر أبي بصير عن أبي عبد الله ٧ قال حدثني أبي عن جدي عن آبائه : إن عليا صلوات الله عليه قال: يستحب للرجل أن يأتي أهله أول ليلة من شهر رمضان لقول الله ﷻ (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) والرفث المجامعة^٦.

رواها الصدوق في الفقيه^٧ والخصال^٨.

صحيحة حماد عن الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عن الخيط الأبيض من الخيط الأمور، فقال: بياض النهار من سواد الليل، قال: وكان بلال يؤذن للنبي ٦ وابن أم مكتوم - وكان أعمى - يؤذن بليل ويؤذن بلال حين يطلع الفجر، فقال

١. الكافي ٩٨/٤، ح ٤.

٢. من لا يحضره الفقيه ٢/١٣٠، ح ١٩٣٥.

٣. التهذيب ٤/١٨٤.

٤. تفسير العياشي ١/١٨٩، ح ٢٠٢.

٥. تفسير القمي ١/٦٦.

٦. الكافي ٤/١٨٠، ح ٣.

٧. من لا يحضره الفقيه ٢/١٧٣ و ٣/٤٧٣.

٨. الخصال ٢/٦١٢.

النبي ٦: إذا سمعتم صوت بلال فدعوا الطعام والشراب فقد أصبحتم.^١
 صحيحة أبي بصير وساعة عن أبي عبد الله ٧ في قوم صاموا شهر رمضان
 فغشيهم سحاب أسود عند غروب الشمس فرأوا أنه الليل فأفطر بعضهم، ثم إنَّ
 السحاب انجلي فإذا الشمس، قال: على الذي أفطر صيام ذلك اليوم إنَّ الله ﷻ يقول:
 (أَتِمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) فمن أكل قبل أن يدخل الليل فعليه قضاؤه لأنه أكل متعمداً.^٢
 ورواها العياشي في تفسيره^٣ والطوسي في التهذيب^٤ والاستبصار^٥.
 صحيحة محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله ٧: لا اعتكاف إلا بصوم.^٦
 صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله ٧ قال: لا اعتكاف إلا بصوم في المسجد
 الجامع.^٧

صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله ٧ قال: سئل عن الاعتكاف، قال: لا يصلح
 الاعتكاف إلا في المسجد الحرام أو مسجد الرسول ٦ أو مسجد الكوفة أو مسجد
 جماعة وتصوم مادمت معتكفاً.^٨

والمراد بمسجد الجماعة هو المسجد الجامع كما في الرواية السالفة.

عن سعد عن بعض أصحابه عنهما في رجل تسخَّر وهو شاك في الفجر قال لا
 بأس (كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) وأرى أن

١. الكافي ٩٨/٤، ح ٣.

٢. الكافي ١٠٠/٤، ح ٢.

٣. تفسير العياشي ١/١٩٠، ح ٢٠٥ و ٢٠٧.

٤. التهذيب ٢٧٠/٤، ح ٨.

٥. الاستبصار ١١٥/٢.

٦. الكافي ١٧٦/٤، ح ٢.

٧. الكافي ١٧٦/٤، ح ٣.

٨. الكافي ١٧٦/٤، ح ٣ «باب آخر».

يستظهر في رمضان ويتسحر قبل ذلك.^١

عن جراح عن الصادق 7 قال قال الله (ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) يعني صيام رمضان، فمن رأى الهلال بالنهار فليتم صيامه.^٢

عن عبدالله الحلبي عن أبي عبدالله 7 قال سألته عن (الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ) فقال بياض النهار من سواد الليل.^٣

موثقة سماعة بن مهران سأل عن رجلين قاما فنظرا إلى الفجر فقال أحدهما هو ذا وقال الآخر ما أرى شيئا قال فليأكل الذي لم يتبين له الفجر وليشرب لأن الله ﷻ يقول (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) قال سماعة وسألته عن رجل أكل وشرب بعد ما طلع الفجر في شهر رمضان فقال إن كان قام فنظر فلم ير الفجر فأكل ثم أعاد النظر فرأى الفجر فليتم صومه ولا إعادة عليه وإن كان قام فأكل وشرب ثم نظر إلى الفجر فرآه قد طلع فليتم صومه ذلك ويقضي يوما آخر لأنه بدأ بالأكل قبل النظر فعليه الإعادة.^٤

وإضماره لا يضر، وهو المروي عن الصادق 7 قويا.

الطوسي قال: روي عن أبي جعفر 7 وأبي عبدالله 7 كراهية الجماع في أول ليلة من كل شهر إلا أول ليلة من شهر رمضان لمكان الآية.^٥

رواها الطبرسي في مجمع البيان.^٦

١. تفسير العياشي ١/ ١٨٩، ح ٢٠٣.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٩٠، ح ٢٠٦.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٩٠، ح ٢٠٨.

٤. من لا يحضره الفقيه ٢/ ١٣١، ح ١٩٣٨.

٥. التبيان ٢/ ١٣٢.

٦. مجمع البيان ٢/ ٢٨٠.

قال الطوسي في سبب نزولها: وقيل: هذه الآية نزلت في شأن أبي قيس بن صرمة فكان يعمل في أرض له فأراد الأكل، فقالت امرأته: يصلح لك شيئاً فغلبت عيناه، ثم قدمت إليه الطعام فلم يأكل، فلما أصبح لاقى جهداً، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فنزلت هذه الآية... وروي عن أبي عبد الله 7 أنها نزلت في خوات بن جبير مثل قصة أبي قيس بن صرمة، وأنه كان ذلك يوم الخندق. وروي عن أبي جعفر 7 حديث أبي قيس سواء.^١

الطبرسي قال: روى علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه رفعه إلى أبي عبد الله 7 قال: كان الأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم وكان النكاح حراماً بالليل والنهار في شهر رمضان وكان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له: مطعم بن جبير، - أخو عبد الله بن جبير الذي كان رسول الله 7 وكّله بقم الشعب يوم أحد خمسين من الرماة وفارقه أصحابه وبقي في اثني عشر رجلاً فقتل على باب الشعب - وكان أخوه هذا مطعم بن جبير شيخاً ضعيفاً وكان صائماً فأبطأت عليه أهله بالطعام فنام قبل أن يفطر فلما انتبه قال لأهله: قد حرم عليّ الأكل في هذه الليلة فلما أصبح حضر حفرة الخندق فأغمي عليه فرآه رسول الله ﷺ فرّق له، وكان قوم من الشباب ينكحون بالليل سرّاً في شهر رمضان، فأنزل الله هذه الآية. فأحلّ النكاح بالليل في شهر رمضان والأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر.

واختلفت العامة في اسم هذا الرجل من الأنصار، فقال بعضهم: قيس بن صرمة وقيل: أبو صرمة وقيل: أبو قيس بن صرمة وقيل: صرمة بن أياس، وقالوا: جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: عملت في النخل نهاري أجمع حتى إذا أمسيت فأتيت أهلي لتطعمني فأبطأت، فنمت فابقظوني وقد حرم عليّ الأكل، وقد أمسيت وقد جهدني

الصوم، فقال عمر: يا رسول الله اعتذر إليك من مثله، رجعتُ إلى أهلي بعد ما صليت العشاء، فأَتَيْتُ امرأتِي وقام رجل واعترفوا بمثل الذي سمعوا فنزلت الآية. عن ابن عباس والسدي.^١

روا الحديث مختصراً في جوامع الجامع.^٢

الطبرسي قال: روي أنَّ عدي بن حاتم قال للنبي إني وضعت خيطين من شعر أبيض وأسود فكنت أنظر فيهما فلا يتبين لي، فَصَحَّحَ رسول الله ٧ حتَّى رُؤيت نواجذه، ثمَّ قال: يا ابن حاتم إنَّما ذلك بياض النهار وسواد الليل.^٣

روا نحوها الثعلبي في تفسيره^٤ والزنجشري في الكشف.^٥

الطبرسي قال: وفي الحديث: إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه.^٦

رواها الزنجشري في الكشف^٧ والكراجكي في كنز الفوائد^٨ وابن أبي جمهور الأحسائي في عوالي اللآلي^٩ وقد جعلت عنواناً في موسوعي تحت اسم «حمى الله تعالى» وذكرت فيه عشرة من الأحاديث فراجع موسوعة أهل البيت^{١٠} .:

الثعلبي رفعه عن علي بن الحسين ٧ عن أبيه ٧ قال: قال رسول الله ٦:

١. مجمع البيان ٢/ ٢٨٠ (٣/ ٤٣٥ طبعة آل البيت :).

٢. جوامع الجامع ١/ ١٠٦.

٣. مجمع البيان ٢/ ٢٨١ (٣/ ٤٤١).

٤. الكشف والبيان ٢/ ٨٠.

٥. الكشف ١/ ٢٣١.

٦. جوامع الجامع ١/ ١٠٦.

٧. الكشف ١/ ٢٣٣.

٨. كنز الفوائد ١/ ١٦٤.

٩. عوالي اللآلي ١/ ٨٩ و ٢/ ٨٣.

١٠. موسوعة أحاديث أهل البيت : ٣/ ٢٣٠.

من اعتكف عشرًا في رمضان كان بحجتين وعمرتين.^١

الثعلبي قال: روى زياد بن ميمون عن أنس بن مالك: إنَّ امرأة كانت يقال لها: الحولاء عطارة من أهل المدينة، وحلّت على عائشة فقالت: يام أم المؤمنين زوجي فلان أتزيّن له كلّ ليلة وأتطيب كأني عروس زُفت إليه فإذا أوى إلى فراشه دخلت عليه في لحافه ألتمس بذلك رضا الله ﷻ حول وجهه عني أراه قد أبغضني، قالت: إجلسي حتّى يدخل النبي ﷺ قالت: فبينما إنا كذلك إذ دخل النبي ﷺ فقال: ما هذه الريح التي أجدها أتتكم الحولاء أبتعنتم منها شيئًا؟ فقالت عائشة: لا والله يا رسول الله، فقصّت الحولاء قصتها. فقال لها: إذهبي واسمعي له وأطيعي، فقال: أفعل يا رسول الله فما لي من الأجر؟ قال ﷺ: ما من امرأة رفعت في بيت زوجها شيئًا ووضعته مكانًا تريد الإصلاح إلّا كتب الله لها حسنة ومحاً عنها سيئة، ورفع لها درجة، وما من امرأة حملت من زوجها حين تحمل إلّا لها من الأجر مثل القائم الصائم نهاره الغازي في سبيل الله، وما من امرأة يأتيها الطلق إلّا لها بكلّ طلقه عتق نسمة وبكل رضعة عتق رقبة، فإذا افطمت ولدها ناداها مناد من السماء أيتها المرأة قد كفيت العمل فيما مضى فأستنفي فيما بقى. قالت عائشة: قد أعطى الله النساء خيرًا كثيرًا فما بالكم يا معشر الرجال، فضحك النبي ﷺ ثم قال: ما من رجل أخذ بيد امرأته يراودها إلّا كساه نور وله حسنة، وإن عانقها فعشر حسنات وإن قبلها فعشرون، وإن أتاها كان خيرًا من الدنيا وما فيها، فإذا قام يغتسل لم يمرّ الماء على شيء من جسده، إلّا يُمحى عنه سيئة، ويُعطى له درجة^٢ يُعطى بغسله خير من الدنيا وما فيها، وإنَّ الله ﷻ يُباهي

١. الكشف والبيان ٨٢/٢.

٢. كما في روض الجنان ٥٥/٣ ولكن في المطبوعة من تفسير الثعلبي لم تذكرها وكتب محققه في ذيله: كلمة غير مقروءة. والصحيح ما ذكرناها.

الملائكة يقول: انظروا إلى عبدي قام في ليلة مرّة باردة يغتسل من الجنابة يتيقن بأنّي ربّه
أشهدكم بأنّي غفرت له. ١

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ

أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ﴿١٨٨﴾

بيان إحدى الأحكام الشرعية الإلهية التي تتحدّد بها الحياة السعيدة الطيبة
وقامت بها النظمات الإجتماعية البشرية.

(و) عاطفة، عطف على قوله تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا) ٢.

(لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) الأكل هنا: بقرينة «الأموال» بمعنى وضع
اليد على المال والتصرف فيه بالتصرفات التي يقوم بها الملاك، وتعلق النهي بالأكل
بالباطل يدل على فسادها في الشرع المقدس، يعني يدل على الحكم الوضعي - أي
الفساد - بأكل مال بالباطل مطلقاً، أي سواء كان فاسداً هذا الأكل عند الشارع
المقدس نحو: القمار والظلم والبخس والربا والبيع الغرري ونحوها، أو عند العقلاء
كالمعاملات الباطلة عندهم، لأنّ الخطاب الوارد في الآية الشريفة على نحو القضية
الحقيقية فيشمل جميع المعاملات الباطلة وأكل المال بالباطل عرفاً عند العقلاء، فلا
يختص بما كان في ذلك الزمان من المعاملات الباطلة نحو: القمار، والأمور المذكورة في
الروايات الواردة في ذيل الآية الشريفة من قبيل المثال والتطبيق كما يظهر ذلك لمن
راجعها.

١. الكشف والبيان ٧٨/٢.

٢. سورة البقرة / ١٨٧.

نعم، للشارع الحكومة على العرف توسعةً أو تضيقاً في الموضوع، ونتيجتها التخصّص لا التخصيص والخروج الحكمي كما فعله بالنسبة إلى بيع الخمر والميتة والربا^١. وقد يأتي هذه الجملة في سورة النساء^٢.

(و) عاطفة.

(تُدْلُوا) معطوف على (تَأْكُلُوا)، الإدلاء: إرسال الدلو في البئر لنزح الماء، أي لا ترسلوا.

(بِهَآ) بالأموال.

(إِلَى الْحُكَّامِ) والقضاة رشوة لهم ليحكموا لكم بالباطل. (لِ) للتعليل.

(تَأْكُلُوا) وتصرفوا. (فَرِيقًا) أي قطعة مفروقة معزولة من الشيء.

(مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ) التي لاحق لكم فيها.

(بِالْإِثْمِ) والمعصية وموجباتها من شهادة الزور اليمين الكاذبة والسجلات

الجعلية والحكم بغير ما أنزل الله وبغير الحق.

(وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) بأنّ ذلك باطل، وحرام عليكم وارتكاب المحرّم مع العلم به

وبقبحه أقبح.

الروايات

صحيحة أبو عبيدة الخذاء قال سألت أبا عبد الله 7 عن قول الله ﷻ (وَلَا تَأْكُلُوا

أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) فقال كانت قريش تقامر الرجل بأهله وماله فنهاهم الله ﷻ عن

ذلك. ٣.

١. الآراء الفقهية ١/ ١٣ للمؤلف.

٢. سورة النساء ٢٩.

٣. الكافي ٥/ ١٢٢، ح ١.

ورواها العياشي في تفسيره.^١

خبر أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله ⁷ قول الله ﷻ في كتابه (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ) فقال يا أبا بصير إن الله ﷻ قد علم أن في الأمة حكاماً يجورون أما أنه لم يعن حكام أهل العدل ولكنه عنى حكام أهل الجور يا أبا محمد إنه لو كان لك على رجل حق فدعوته إلى حكام أهل العدل فأبى عليك إلا أن يرافعك إلى حكام أهل الجور ليقضوا له لكان ممن حاكم إلى الطاغوت وهو قول الله ﷻ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ) ^{٣.٢}

رواها العياشي في تفسيره^٤ والطوسي في التهذيب^٥ والقاضي نعمان المصري في دعائم الإسلام^٦.

موثقة سماعة قال: قلت لأبي عبد الله ⁷: الرجل منّا يكون عنده الشيء يتبلغ به وعليه دين أيطعمه عياله حتى يأتي الله ﷻ بميسرة فيقضى دينه أو يستقرض على ظهره في خبث الزمان وشدة المكاسب أو يقبل الصدقة؟ قال: يقضي بما عنده دينه ولا يأكل أموال الناس إلا وعنده ما يؤدي إليهم حقوقهم، إن الله ﷻ يقول: (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ)^٧ ولا يستقرض على ظهره إلا وعنده وفاء ولو طاف على أبواب الناس فردّوه باللقمة واللقتين والتمرة

١. تفسير العياشي ١/ ١٩١، ح ٢٠٩.

٢. سورة النساء / ٦٠.

٣. الكافي ٧/ ٤١١، ح ٣.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٩١، ح ٢١٠.

٥. التهذيب ٦/ ٢١٩.

٦. دعائم الإسلام ٢/ ٥٣٠.

٧. سورة النساء / ٢٩.

والتمرتين، إلا أن يكون له ولي يقضي دينه من بعده، ليس منا من ميت إلا جعل الله ﷻ له ولياً يقوم في عدته ودينه فيقضي عدته ودينه.^١

صحيحة هشام بن الحكم عن أبي عبدالله 7 قال: قال رسول الله 6: إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان وبعضكم ألحن بحجته من بعض فأبياً رجل قطعت له من مال أخيه شيئاً فإننا قطعنا له به قطعة من النار.^٢

رواها الصدوق^٣ والشيخ^٤ بسنده الصحيح.

صحيحة أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى في نوادره عن أبيه قال: قال أبو عبدالله 7 في قول الله ﷻ (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) قال ذلك القمار.^٥

ورواها عنه صاحب الوسائل.^٦

موثقة سماعة بن مهران قال: قلت لأبي عبدالله 7 الرجل منا يكون عنده الشيء يتبلى به وعليه دين أيطعمه عياله حتى يأتيه الله ﷻ بميسرة فيقضي دينه أو يستقرض على ظهره في خبث الزمان وشدة المكاسب أو يقبل الصدقة فقال يقضي بما عنده دينه ولا يأكل أموال الناس إلا وعنده ما يؤدي إليهم إن الله ﷻ يقول (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ).^٧

ورواها العياشي في تفسيره.^٨

١. الكافي ٥/٩٥، ح ٢.

٢. الكافي ١٤/٦٥٦، ح ١ (٤١٤/٧).

٣. معاني الأخبار / ٢٧٩.

٤. التهذيب ٦/٢٢٩، ح ٥٥٢.

٥. نوادر أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى / ١٦٢، ح ٤١٤.

٦. وسائل الشيعة ١٧/١٦٧، ح ١٤.

٧. من لا يحضره الفقيه ٣/١٨٤، ح ٣٦٩٠.

٨. تفسير العياشي ١/١٩٢، ح ٢١٢.

موثقة الحسن بن علي بن فضال قال قرأت في كتاب أبي الأسد إلى أبي الحسن الثاني 7 وقرأته بخطه سأله ما تفسير قوله تعالى (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ) قال فكتب إليه بخطه الأحكام القضاة قال ثم كتب تحته هو أن يعلم الرجل أنه ظالم فيحكم له القاضي فهو غير معذور في أخذه ذلك الذي حكم له إذا كان قد علم أنه ظالم.^١

ورواها العياشي في تفسيره.^٢

الطوسي قال: قال أبو جعفر 7: (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) يعني باليمين الكاذبة يقتطعون به الأموال.^٣

رواها الطبرسي في مجمع البيان.^٤

الطوسي قال: وقال أبو عبد الله 7: علم الله أنه سيكون في هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق فنهى الله المؤمنين أن يتحاكموا إليهم، وهم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق.^٥

رواها القمي في تفسيره^٦ والطبرسي في مجمع البيان.^٧

أبو الفتح الرازي رفعه إلى رسول الله 6 أنه قال: لو كان لابن آدم واديان من مال لا تبغى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من

١. التهذيب ٦/٢١٩.

٢. تفسير العياشي ١/١٩١، ح ٢١١.

٣. التبيان ٢/١٣٨.

٤. مجمع البيان ٢/٢٨٢ (٣/٤٤٧ طبعه آل البيت :).


٥. التبيان ٢/١٣٨.

٦. تفسير القمي ١/٦٧.

٧. مجمع البيان ٢/٢٨٢ (٣/٤٤٨ طبع آل البيت :).

تاب. ١

أبو الفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ بِحِجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ شَيْءٌ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ. ٢
رواها الثعلبي في تفسيره. ٣

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ١ وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ٢
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) 

بيان حكم آخر من الأحكام الشرعية وهو الهلال المرتبط بالصيام في شهر
رمضان والحج في شهر ذي الحجة.
(يَسْأَلُونَكَ) يا رسول الله ﷺ ٦.
(عَنِ الْأَهْلِ) «جمع هلال وسمي الهلال لرفع الصوت بذكره عند رؤيته» ٤.
«السؤال إِنَّمَا كَانَ عَنِ السَّبَبِ أَوْ الْفَائِدَةِ فِي ظُهُورِ الْقَمَرِ هَلَالًا بَعْدَ هَلَالٍ وَرَسْمِهِ
بِالشُّهُورِ الْقَمَرِيَّةِ... فَأَجِيبُ بِالْفَائِدَةِ» ٥.

١. روض الجنان ٣/ ٦٣.

٢. روض الجنان ٣/ ٦٤.

٣. الكشف والبيان ٢/ ٨٥.

٤. التبيان ٢/ ١٤٠.

٥. الميزان ٢/ ٥٦.

(قُلْ) لهم يا رسول الله 6. (هَيَّ) أي الأهلة.

(مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ) أي «الأزمان المضروبة للأفعال والأعمال»^١ «فالمشهور

القمرية اوقات مضروبة معينة للناس في أمور دينهم ودنياهم»^٢.

(وَالْحَجِّ) ولأعمال الحج في الأشهر الثلاث وهي شَوَّال وذِي القعدة وذِي

الحجة ويأتي قوله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ)^٣.

(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا) «كناية عن النهي عن امتثال الأوامر

الإلهية والعمل بالأحكام المشرعة في الدين إلّا على الوجه الذي شرّعت عليه، فلا يجوز

الحج في غير أشهره، ولا الصيام في غير شهر رمضان وهكذا وكانت الجملة على هذا

متمم الأوّل الآية، وكان المعنى: إنّ هذه الشهور أوقات مضروبة لأعمال شرّعت فيها

ولا يجوز التعدي بها عنها إلى غيرها كالحج في غير أشهره، والصوم في غير شهر

رمضان وهكذا فكانت الآية مشتملة على بيان حكم واحد»^٤.

(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى) البرّ هو التقوى فإشعاراً بأنّ الكمال إنّما هو الإتيان

بالتقوى.

(وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) «ليس أمراً مولوياً وإنما هو إرشاد إلى حسن إتيان

البيوت من أبوابها لما فيه من الجرى على العادة المألوفة المستحسنة الموافقة للغرض

العقلاني في بناء البيوت ووضع الباب مدخلاً ومخرجاً فيها، فإن الكلام واقع موقع

الردع عن عادة سيئة لا وجه لها إلّا خرق العادة الجارية الموافقة للغرض العقلاني، فلا

يدل على أزيد من الهداية إلى طريق الصواب من غير إيجاب، نعم الدخول من غير

١. الميزان ٥٦/٢.

٢. الميزان ٥٦/٢.

٣. سورة البقرة / ١٩٧.

٤. الميزان ٥٦/٢.

الباب بمقصد أنه من الدين بدعة محرمة»^١.

(وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) والتقوى سبب للفلاح ولذا أمر به للوصول إلى الفلاح.

الروايات

خبر جابر عن أبي جعفر 7 في قول الله: (وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) قال: يعني أن يأتي الأمر من وجهه أي الأمور كان.^٢
رواها العياشي في تفسيره^٣ والطوسي في التبيان^٤.

خبر سعد الإسكاف قال قلت لأبي جعفر 7 قوله ﷺ (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ)^٥ فقال يا سعد إنها أعراف لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه وأعراف لا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه وأعراف لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتهم فلا سواء ما اعتصمت به المعتصمة ومن ذهب مذهب الناس ذهب الناس إلى عين كدرة يفرغ بعضها في بعض. ومن أتى آل محمد أتى عينا صافية تجري بعلم الله ليس لها نفاذ ولا انقطاع ذلك وإن الله لو شاء لأراهم شخصه حتى يأتوه من بابه لكن جعل الله محمداً وآل محمد الأبواب التي توتي منه وذلك قوله (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى^٦ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا).^٦
رواها الشيخ حسن بن سليمان الحلي في مختصر البصائر.^٧

١. الميزان ٥٦/٢.

٢. المحاسن ١/٣٥٢، ح ١٤٤٤.

٣. تفسير العياشي ١/١٩٣، ح ٢١٦.

٤. التبيان ١/١٤٢.

٥. سورة الأعراف ٤٦.

٦. بصائر الدرجات ٤٩٩، ح ١١.

٧. مختصر البصائر ١٧٧، ح ٩.

خبر أبي بصير قال: قال أبو عبد الله 7 : الأوصياء هم أبواب الله ﷺ التي يوتى منها ولو لا هم ما عرف الله ﷻ وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه.^١
صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله 7 قال: إنه سُئل عن الأهلّة، فقال: هي أهلة الشهور فإذا رأيت الهلال فصم وإذا رأيته فأفطر.^٢

خبر ابن علي بن سالم الأنصاري عن أبيه وعاصم والحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله 7 في قوله تعالى (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)^٣ وقوله (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى^٤ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَوْبَاهَا) قال مطروا بالمدينة فلما تقشعت السماء وخرجت الشمس خرج رسول الله 6 في أناس من المهاجرين والأنصار فجلس وجلسوا حوله إذ أقبل عليّ ابن أبي طالب 7 فقال رسول الله 6 لمن حوله هذا عليّ قد آتاكم نقي القلب نقي الكفين هذا علي بن أبي طالب كما لا ويقول صوابا تزول الجبال ولا يزول عن دينه قال فلما دنا من رسول الله 6 أجلسه بين يديه فقال يا علي أنا مدينة الحكمة [العلم] وأنت بابها فمن أتى المدينة من الباب وصل يا علي أنت بابي الذي أُوتى منه وأنا باب الله فمن آتاني من سواك لم يصل ومن أتى سواي لم يصل فقال القوم بعضهم لبعض ما يعني بهذا أسألوا به علينا قرآنا قال فأنزل الله به قرآنا (لَيْسَ الْبِرُّ) ليس البر إلى آخر الآية.^٤

خبر الأصبغ [أصبغ] بن نباتة قال كنت جالسا عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب 7 فجاءه ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله تعالى ﷻ

١. الكافي ١/١٩٣، ح ٢.

٢. الكافي ٤/٧٦، ح ١.

٣. سورة البقرة / ١٧٧.

٤. تفسير فوات الكوفي / ٦٣، ح ٢٩.

(لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى^١ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) فقال له أمير المؤمنين نحن البيوت التي أمر الله أن يؤتى [تؤتى] من أبوابها ونحن باب الله وبيته [وبيوته] الذي [التي] يؤتى منه فمن يأتينا وآمن بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ومن خالفنا وفضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها فقال يا أمير المؤمنين (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ)^١ فقال نحن الأعراف نعرف أنصارنا بأسمائهم ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه رزق من الله لو شاء عرف الناس نفسه حتى يعرفوا حدّه ويأتوه من بابه ولكنّا جعلنا أبوابه وشرائط رسله [وصراطه وسبيله] وبابه الذي يؤتى منه قال فمن عدل عن ولايتنا وفضل علينا غيرنا فإنهم [وإنهم] (عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكِبُوتَ)^٢ فلا سواء [سوى] ما اعتصم به المعتصمون ولا سواء ما اعتصم به الناس ولا سواء حيث ذهب من ذهب فإنما ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ [يفزع] بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري [يجري] عليهم بإذن الله [تعالى] لا انقطاع لها ولا نفاد.^٣

روا نحوها ابن شهر آشوب السروي في المناقب^٤ وأبومنصور الطبرسي في الاحتجاج^٥ والسيد شرف الدين الأسترآبادي في تأويل الآيات الطاهرة^٦.
عن سعد عن أبي جعفر ٧ قال سألته عن هذه الآية (لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا

١. سورة الأعراف / ٤٦.

٢. سورة المؤمنون / ٧٤.

٣. تفسير فرائد الكوفي / ١٤٢، ح ٤.

٤. المناقب ٢ / ٣٤.

٥. الاحتجاج ١ / ٢٢٧.

٦. تأويل الآيات الطاهرة ١ / ٨٦.

الْبَيْوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى^١ وَأَتُوا الْبَيْوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) فقال: آل محمد :
 أبواب الله وسبيله والدعاة إلى الجنة والقادة إليها والأدلاء عليها إلى يوم القيامة.^١
 عن جابر عن أبي جعفر 7 (وَأَتُوا الْبَيْوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) قال اتوا الأمور من
 وجهها.^٢

روي سعيد بن مَنْخَلٍ في حديث رفعه قال: البيوت الأئمة : والأبواب
 أبوابها.^٣

عن زيد أبي أسامة قال: سئل أبو عبد الله 7 عن الأهلة؟ قال: هي الشهور،
 فإذا رأيت الهلال فَصُم، وإذا رأيته فأفطر. قلت: أرايت أن كان الشهر تسعة وعشرين
 أيقضى ذلك اليوم؟ قال: لا إلا أن يشهد ثلاثة عدول، فإنهم إن شهدوا أنهم رأوا
 الهلال قبل ذلك، فإنه يقضى ذلك اليوم.^٤

عن زياد بن المنذر قال: سمعت أبا جعفر 7 يقول: صُم حين يصوم الناس،
 وأفطر حين يُفطرُ الناس، فإن الله جعل الأهلة مواقيت.^٥

صحيحة أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا علي بن الحسين 7 أيّ البقاع أفضل؟
 فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: أما أفضل البقاع ما بين الركن والمقام،
 ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح 7 في قومه - ألف سنة إلا خمسين عاماً - يصوم النهار
 ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقي الله ﷻ بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً.^٦

١. تفسير العياشي ١/ ١٩٢، ح ٢١٥.
 ٢. تفسير العياشي ١/ ١٩٣، ح ٢١٨.
 ٣. تفسير العياشي ١/ ١٩٣، ح ٢١٧.
 ٤. تفسير العياشي ١/ ١٩٢، ح ٢١٣.
 ٥. تفسير العياشي ١/ ١٩٢، ح ٢١٤.
 ٦. من لا يحضره الفقيه ٢/ ٢٤٥، ح ٢٣١٣.

ورواها أيضًا بسند صحيح في عقاب الأعمال^١ والروايات في هذا المجال كثيرة فإن شئت راجع وسائل الشيعة^٢.

خبر عبدالله بن علي بن الحسن عن أبيه عن جعفر بن محمد ٧ في قوله ﷺ (قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَيُّ الْقَيُّومُ) قال لصومهم وفطرهم وحجهم^٣.
الطوسي قال: أنه كان قوم من الجاهلية إذا أحرموا، نقبوا في ظهر بيوتهم نقبًا يدخلون منه ويخرجون، فنهوا عن التدين بذلك، وأمروا أن يأتوا البيوت من أبوابها، في قول ابن عباس والبراء وقتادة وعطاء... وروي أبو الجارود عن أبي جعفر ٧ مثل قول ابن عباس سواء^٤.

خبر عمرو بن ميمون الأودي، أنه ذكر عنده علي بن أبي طالب ٧ فقال إن قوما ينالون منه، أولئك هم وقود النار، ولقد سمعت عدة من أصحاب محمد ٦ منهم حذيفة بن اليمان وكعب بن عجرة يقول كل رجل منهم لقد أعطي علي ما لم يعطه بشر هو زوج فاطمة سيدة نساء الأولين والآخرين، فمن رأى مثلها أو سمع أنه تزوج بمثلها أحد من الأولين والآخرين وهو أبو الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين، فمن له أيها الناس مثلها ورسول الله ٦ حموه، وهو وصي رسول الله ٦ في أهله وأزواجه، وسدت الأبواب التي في المسجد كلها غير بابه، وهو صاحب باب خيبر، وهو صاحب الرؤية يوم خيبر، وتفل رسول الله ٦ يؤمئذ في عينيه وهو أرمدم، فما اشتكاهما من بعد، ولا وجد حَرًّا أو بردًا بعد يوم ذلك، وهو

١. عقاب الأعمال وثواب الأعمال / ٢٤٣، ح ٢.

٢. وسائل الشيعة ١ / ١١٨، الباب ٢٩ من أبواب مقدمة العبادات باب بطلان العبادة بدون ولاية الأئمة : واعتقاد إمامتهم.

٣. التهذيب ٤ / ١٦٦، ح ٤٤.

٤. التبيان ٢ / ١٤٢.

صاحب يوم غدیر خم إذ نوّه رسول الله ﷺ باسمه، والزم أمّته ولايته، وعرفهم بخطرهم، وبين لهم مكانه، فقال أيها الناس، من أولى بكم من أنفسكم قالوا الله ورسوله، قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، وهو صاحب العباء ومن أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيرا، وهو صاحب الطائر حين قال رسول الله ﷺ اللهم اتّني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي فجاء علي 7 فأكل معه، وهو صاحب سورة براءة حين نزل بها جبرئيل 7 على رسول الله ﷺ وقد سار أبوبكر بالسورة، فقال له يا محمد، انه لا يبلغها إلا أنت أو علي، أنه منك وأنت منه، وكان رسول الله ﷺ منه في حياته وبعد وفاته. وهو عيبة علم رسول الله ﷺ، ومن قال له النبي ﷺ أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت المدينة من بابها كما أمر الله فقال (وَأَتُوا آلَ بَيْتٍ مِنْ أَتَوَيْهَا) وهو مفرج الكرب عن رسول الله ﷺ في الحروب، وهو أول من آمن برسول الله ﷺ وصدّقه واتّبعه، وهو أول من صلّى، فمن أعظم فريضة على الله وعلى رسوله ﷺ، ممن قاس به أحدا أو شبه به بشرا^١.

أبو منصور الطبرسي رفعه عن أمير المؤمنين 7 في انه قال حديث طويل: (وَأَتُوا آلَ بَيْتٍ مِنْ أَتَوَيْهَا) والبيوت هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء وأبوابها أوصياؤهم فكل من عمل من أعمال الخير فجزى على غير أيدي أهل الأصطفاء وعهودهم وشرائعهم وسننهم ومعالم دينهم مردود وغير مقبول وأهله بمحل كفر وإن شملتهم صفة الإيمان ألم تسمع إلى قوله تعالى (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ)^٢.

١. أمالي الطوسي، المجلس العشرون، ح ٨/٥٥٨، رقم ١١٧٢.

٢. سورة التوبة / ٥٤.

٣. الاحتجاج ١/٢٤٨.

الطبرسي قال: روى أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله أن اليهود يكثرون مسألتنا عن الأهلّة فأنزل الله هذه الآية. ١

روا نحوها الأحسائي في عوالي اللآلي. ٢

الطبرسي قال: قال أبو جعفر 7: آل محمد : أبواب الله ووسيلته والدعاة إلى الجنة والقادة إليها والأدلاء عليها إلى يوم القيامة. ٣

الطبرسي قال: قال النبي 6: أنا مدينة العلم وعلى بابها ولا تؤتى المدينة إلا من بابها ويروي: أنا مدينة الحكمة. ٤

قال السيّد شرف الدين الأسترآبادي: «روي في معني من يأتي البيوت من غير أبوابها» ما رواه أبو عمر الزاهد في كتابه بإسناده إلى محمد بن مسلم عن أحدهما 8 قال: قلت له: إنّنا نرى الرجل من المخالفين عليكم له عبادة واجتهاد وخشوع، فهل ينفعه ذلك؟

فقال: يا أبا محمد إنّما مثلهم كمثل أهل بيت في بني إسرائيل وكان إذا اجتهد أحد منهم أربعين ليلة ودعا الله أجيب، وإن رجلاً منهم اجتهد أربعين ليلة ثمّ دعا الله فلم يستجب له، فأتى عيسى بن مريم 7 يشكو إليه ما هو فيه، ويسأله الدعاء له. قال: فتطهر عيسى 7 وصلى ثمّ دعا الله له. فأوحى الله إليه: يا عيسى عبدي أتاني من غير الباب الذي أتوني منه، إنّهُ دعاني وفي قلبه شك منك، فلو دعاني حتّى ينقطع عنقه وتنتشر أنامله ما استجبتُ له.

قال: فالتفت عيسى 7 إليه وقال له: تدعو ربّك وفي قلبك شك من نبيّه؟

١. مجمع البيان ٢/ ٢٨٣.

٢. عوالي اللآلي ٢/ ٨٣، ح ٢٢٤.

٣. مجمع البيان ٢/ ٢٨٤.

٤. مجمع البيان ٢/ ٢٨٤.

فقال: يا روح الله وكلمته، قد كان ما قلت، فأسأل الله أن يذهب به عني. فدعا له عيسى فتقبل الله منه وصار الرجل من جملة أهل بيته. وكذلك نحن أهل البيت لا يقبل الله عمل عبد وهو يشك فينا.^١
رواها المشهدي في كنز الدقائق.^٢

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفْتِنُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا^٣)

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

حكم تشريع القتال لأول مرة وقيد القتال بالقتال يعني قاتلوا الرجال دون النساء والولدان الذين لا يقاتلونكم.
(و) عاطفة، عطف على قوله: (وَلَيْسَ الْبِرُّ^٣).
(فَقَاتِلُوا) فعل أمر وفاعله. القتال: محاولة الفاعل لقتل من يحاول قتله، والخطاب متوجه إلى المؤمنين.

(فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لأن الغرض من القتال «إقامة الدين وإعلاء كلمة التوحيد فهو عبادة يقصد بها وجه الله تعالى دون الاستيلاء على أموال الناس وأعراضهم»^٤ والقتال «في الإسلام دفاع يحفظ به حق الإنسانية المشروعة عند الفطرة السليمة»^٥. (سَبِيلِ

١. تأويل الآيات الطاهرة ١/ ٨٧، ح ٧٣.

٢. كنز الدقائق ١/ ٤٥١.

٣. سورة البقرة / ١٨٩.

٤. الميزان ٢/ ٦١.

٥. الميزان ٢/ ٦١.

الله: «دين الله»^١.

(الَّذِينَ) مفعول به.

(يُقْتَلُونَكُمْ) مستعمل في التلبس بالمبدأ وفاعله أعداء المؤمنين فيكون المراد دافعوا الذين يتدنؤكم أو حالهم حال القتال مع المؤمنين كمشركي مكة.
(و) عاطفة.

(لَا تَعْتَدُوا) الإعتداء: مجاوزة الحد والخروج عنه. وهذا النهي مطلق يشمل «كل ما يصدق عليه أنه إعتداء كالقتال قبل أن يدعى إلى الحق والإبتداء بالقتال وقتل النساء والصبيان وعدم الإنتهاء إلى العدو وغير ذلك مما بينه السنة النبوية»^٢.
(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) أي أنه يسخط على المتجاوزين من الحدود الشرعية في القتال وغيره.

الروايات

الطوسي قال: روي عن أئمتنا : أن قوله تعالى (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ناسخ لقوله: (كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)^٣ وكذلك قوله: (وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ)^٤ ناسخ لقوله: (وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ)^٥.
رواها القطب الراوندي في فقه القرآن^٦ والطبرسي في مجمع البيان^٨.

١. التبيان ٢/ ١٤٣.

٢. الميزان ٢/ ٦١.

٣. سورة النساء / ٧٧.

٤. سورة البقرة / ١٩١.

٥. سورة الأحزاب / ٤٨.

٦. التبيان ٢/ ١٤٤.

٧. فقه القرآن ١/ ٣٣٧.

٨. مجمع البيان ٢/ ٢٨٥.

الطبرسي قال: عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في صلح الحديبية وذلك أن رسول الله لما خرج هو وأصحابه في العام الذي أرادوا فيه العمرة وكانوا ألفاً وأربعمائة فصاروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدى بالحديبية فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء فرجع إلى المدينة من فوره فلما كان العام المقبل تجهز النبي ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تنفى لهم قريش بذلك وأن يصدّوهم عن البيت الحرام ويقاتلوهم وكره رسول الله قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فأنزل الله هذه الآية.^١

الخوارزمي في مناقبه بإسناده إلى محمد بن الحنفية قال: دخل علينا ابن ملجم لعنه الله الحمام، وأنا والحسن والحسين جلوس في الحمام، فلما دخل كأنتهما اشمأزاً منه، فقالا: ما أجراؤك تدخل علينا؟ قال: فقلت لهما: دعاه عنكما، فلعمري ما يريد بكما إثمًا من هذا. فلما كان يوم أتى به أسيرًا، قال ابن الحنفية: ما أنا اليوم بأعرف به من يوم دخل علينا الحمام.

فقال علي 7: إنه أسير، فأحسنوا إليه وأكرموا مثواه، فإن بقيت قتلت أو عفوت، وإن مت فاقتلوه قتلتي (وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ).^٢

١. مجمع البيان ٢/ ٢٨٤.

٢. المناقب ٢/ ٢٨٢.

(وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُم ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ

فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) ﴿١٩١﴾

أمر بقتل مشركي مكة حيث ووجدوهم وأدركوهم حتى ينجر ذلك إلى خروجهم من ديارهم وجلائهم من أرضهم كما فعل المشركون ذلك بالمسلمين.
(وَ) عطف على أول الآية السابقة. (أَقْتُلُوهُمْ) أمر بقتلهم.
(حَيْثُ) استعمل «في المكان المبهم كحين في الزمان المبهم ويرتفع الإبهام مما بعدها في سياق الكلام، فيكون التعريف والتعيين من باب الوصف بحال المتعلق»^١.
(ثَقِفْتُمُوهُمْ) أي وجدتموهم وأدركتموهم.
(وَأَخْرِجُوهُمْ) من ديارهم وأرضهم.
(مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُم) من دياركم وأرضكم، يعني يحل لكم أن تخرجوهم من مكة كما أخرجكم منها «وفي هذا تهديد للمشركين ووعده بفتح مكة»^٢.
(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) ما فعلوه بكم من إخراجكم من دياركم وجلائكم من موطنكم فتنة وجنس (الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) لأن (الْقَتْلَ) انقطاع الحياة الدنيا ولكن (الْفِتْنَةُ) «انقطاع الحياتين وانهدام الدارين»^٣.
(وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) إستثناء عن الأمر بالقتال في كل مكان فلا يجوز قتالهم (عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) في الحرم الأيمن الألهي.

١. مواهب الرحمن ٣/ ١٣٧.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢/ ١٩٨.

٣. الميزان ٢/ ٦١.

(حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ) غاية الإستثناء وهي مقاتلة المشركين إياكم في الحرم المكي.

(فَ) تفرعية. (إِنْ) شرطية.

(قَتَلُواكُمْ) في الحرم المكي. (فَ) واقعة في جواب الشرط.

(أَقْتُلُوهُمْ) لأنهم هتكوا حرمة الحرم المكي فلا يمكن أن يكون الحرم أمناً لهم

فلا بد من عقابهم بعقوبة مماثلة كما يأتي قوله تعالى: (فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ)^١.

(كَذَلِكَ) يعني جميع ما مرّ من القتل والإخراج والقتل في الحرم المكي عند

هتكهم له

(جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) جرت سنته تعالى أن يجازى الكافرين بمثل ما عملوا وفعلوا

وحيث أنهم هتكوا حرمة الله سبحانه تعرّضوا لعذابه تعالى وسخطه وهو الحكم بقتلهم وإخراجهم.

الروايات

معتبرة حفص بن غياث قال: قال ابو عبد الله ⁷: يا حفص إن من صبر صبر قليلاً وإن من جزع جزع قليلاً ثم قال عليك بالصبر في جميع أمورك فإن الله ⁸ بعث محمداً ⁶ فأمره بالصبر والرفق فقال (وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا حَمِيلاً * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ)^٢ وقال تبارك وتعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [السيئة] فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)^٣ فصبر رسول الله ⁶ حتى نالوه بالعظائم ورموه بها فضاق صدره فأنزل

١. سورة البقرة / ١٩٤.

٢. سورة المزمل / ١٠ و ١١.

٣. سورة فصلت / ٣٤ و ٣٥.

الله ﷻ عليه (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) ١ ثم كذبوه ورموه فحزن لذلك فأنزل الله ﷻ (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ * فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا) ٢ فالزم النبي ﷺ نفسه الصبر فتعدوا فذكر الله تبارك وتعالى وكذبوه فقال قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر إلهي فأنزل الله ﷻ (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) ٣ فصبر النبي ﷺ في جميع أحواله ثم بشر في عثرته بالأئمة ووصفوا بالصبر فقال جل ثناؤه (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا * وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) ٤ فعند ذلك قال ﷺ الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد فشكر الله ﷻ ذلك له فأنزل الله ﷻ (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) ٥ فقال ﷺ: إنه بشرى وانتقام فأباح الله ﷻ له قتال المشركين فأنزل الله (فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ) ٦ (وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) فقتلهم الله على يدي رسول الله ﷺ وأحباؤه وجعل له ثواب صبره مع ما ادخر له في الآخرة فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله له عينه في أعدائه مع ما يدخر له في الآخرة. ٧

١. سورة الحجر / ٩٧ و ٩٨.

٢. سورة الأنعام / ٣٣ و ٣٤.

٣. سورة ق / ٣٨ و ٣٩.

٤. سورة السجدة / ٢٤.

٥. سورة الأعراف / ١٣٧.

٦. سورة التوبة / ٥.

٧. الكافي ٢ / ٨٨، ح ٣.

الطوسي قال: روي أنّ هذه الآية نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلاً من الكفار في الشهر الحرام فعابوا المؤمنين بذلك فينّ الله تعالى أنّ الفتنة في الدين أعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وإن كان محظوراً لا يجوز.^١

الطبرسي رفعه عن النبي ﷺ أنّه قال: لا يجتمع في جزيرة العرب دينان.^٢
الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنّه قال: لا يبقى على ظهر الأرض بيتٌ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلّا أدخله الله كلمة الإسلام إمّا بعزٍّ عزيز أو بذلٍّ ذليلٍ [إمّا أن يعزهم فيجعلهم الله من أهله فيعزوا به وإمّا أن يذلهم فيدينون لها].^٣
رواها الثعلبي في تفسيره.^٤

(فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

هذه الآية يدلّ على انتهاء القتال في الحرم المكي إذا انتهوا عنه.
(ف) تفريع على القتال معهم في الحرم المكي حيث قاتلوهم فيه.
(إِنْ) شرطية.

(أَنْتَهَوْا) أي امتنعوا وكفّوا عن القتال في الحرم المكي، لأنّ القيد راجع إلى أقرب الجمل الواردة في الآية السابقة وهي قوله تعالى: (فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَنْتُمْ) .^٥
(ف) واقعة في جواب الشرط.

١. التبيان ٢/ ١٤٦.

٢. مجمع البيان ٢/ ٢٨٦.

٣. روض الجنان ٣/ ٧٤.

٤. الكشف والبيان ٢/ ٨٩.

٥. سورة البقرة / ١٩١.

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) جعل سبب الجواب موضع الجواب لإظهار علّة الحكم، وجواب الشرط «فلا تقتلوه» لـ (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فينبغي أن يكون الغفران والعفو والرحمة سنة المؤمنين وهذا هو إيجاز بديع.

(وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ^ط)

فَإِنْ أَنْتَهُوَ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾

القتال في الشريعة المقدسة إنّما هو لأجل الإيثار بالله ودينه المستقر على التوحيد الذي لا شرك فيه ولا ضلال.

(و) عطف على قوله: (وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)^١.

(قَتِّلُوهُمْ) أمر بقتال المشركين المقاتلين للمؤمنين.

(حَتَّى) حرف غاية وتحديد لأمد القتال.

(لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) الفتنة هنا الشرك باتخاذ الأصنام كما كان عليه مشركوا مكة أو قتالكم والعدوان عليكم.

(وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) يدل «على وجوب الدعوة قبل القتال فَإِنْ قُتِلَتْ فلا قتال وإن رُدَّتْ فلا ولاية إلا لله ونعم المولى ونعم النصير، ينصر عباده المؤمنين، ومن المعلوم أن القتال إنّما هو ليكون الدين لله، ولا معنى لقتال هذا شأنه وغايته إلا عن دعوة إلى الدين الحق وهو الدين الذي يستقر على التوحيد»^٢. أو يفتح المشركون الطريق إلى

١. سورة البقرة / ١٩٠.

٢. الميزان ٢ / ٦٢.

الدعوة إلى التوحيد.

(ف) تفريع على القتال. (إن) شرطية.

(أَتَتْهَوًّا) عن الفتنة والشرك وآمنوا بما آمنتهم به، أو عن العدوان والقتال عليكم.

(ف) واقعة في جواب الشرط. (لَا) نافية للجنس تعمل عمل «ان».

(عُدَّوْنَ) اسم (لَا)، فلا تعتدوا عليهم بالقتل والأسر والإخراج.

(إِلَّا) أداة حصر.

(عَلَى الظَّالِمِينَ) جار ومجرور، خبر (لَا). وضع السبب موضع المسبب لأنّ

القتال يختص بالظالمين فقط دون غيرهم.

الروايات

صحيحة معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله 7 عن رجل قتل رجلاً في الحل ثم دخل الحرم فقال: لا يقتل ولا يطعم ولا يسقى ولا يبيع ولا يؤوى حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد قلت فما تقول في رجل قتل في الحرم أو سرق قال يقام عليه الحد في الحرم صاغراً إنّه لم ير للحرم حرمة وقد قال الله تعالى (فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ) ١ فقال: هذا هو في الحرم فقال (فَلَا عُدَّوْنَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) ٢.

وروا نحوها في التهذيب ٣.

صحيحة محمد بن مسلم قال قلت لأبي جعفر 7 قول الله ﷻ (وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ آلَئِذٍ لِلَّهِ) فقال: لم يجز تأويل هذه الآية بعد أن رسول الله 6

١. سورة البقرة / ١٩٤.

٢. الكافي ٤/ ٢٢٧، ح ٤.

٣. التهذيب ٥/ ٤١٩، ح ١٠٢ و ٥/ ٤٦٣، ح ٢٦٠.

رخص لهم لحاجته وحاجة أصحابه فلو قد جاء تأويلها لم يقبل منهم ولكن يقتلون حتى يوحد الله وحتى لا يكون شرك.^١

موثقة سماعة بن مهران عن أبي عبد الله 7 في قوله تبارك وتعالى (فَلَا عُذُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) قال: أولاد قتلة الحسين 7. ٢

رواها أيضًا بسند موثق آخر.^٣

عن الحسن بيّاع الهروي يرفعه عن أحدهما 8 في قوله: (لَا عُذُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) قال: لا على ذرية قتلة الحسين 7. ٤

عن إبراهيم قال: اخروني من رواه عن أحدهما 8 قال: قلت: (فَلَا عُذُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) لا يعتدي الله على أحدٍ إلا على نسل ولد قتلة الحسين 7. ٥

معتبرة بل صحيحة عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لأبي الحسن الرضا 7: يا بن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصادق 7 أنه قال: إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين 7 بفعل آبائهم؟ فقال 7: هو كذلك. فقلت: وقول الله ﷻ: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) ٦ ما معناه؟ قال: صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين 7 يرضون بأفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أناه، ولو أن رجلاً قُتِلَ بالمشرك فبقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله ﷻ شريك القاتل، وإنما يقتلهم القائم 7 إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم،

١. الكافي ٨/ ٢٠١، ح ٢٤٣.

٢. كامل الزيارات / ٦٣، ح ٦.

٣. كامل الزيارات / ٦٣، ذيل ح ٦.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٩٣، ح ٢١٩.

٥. تفسير العياشي ١/ ١٩٣، ح ٢٢١.

٦. سور: الأنعام / ١٦٤؛ الإسراء / ١٥؛ فاطر / ١٨؛ الزمر / ٧.

قال: فقلت له: بأي شيء يبدء القائم 7 منكم إذا قام؟ قال: يبدء ببني شيبه فيقاطع أيديهم، لأنهم سراق بيت الله ﷺ.^١

الطوسي قال: والفتنة: الشرك، في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع وابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر 7.^٢

قاله الطبرسي في مجمع البيان^٣ ولكن فيه: وهو المروي عن الصادق 7.

(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا

عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) ﴿١٩٤﴾

بيان أن المشركين هتكوا حرمة الشهر الحرام «حين صدّوا النبي وأصحابه عن [العمرة]» عام الحديبية ورموهم بالسهام والحجارة جاز للمؤمنين أن يقاتلوهم فيه وليس بهتك، فإنما يجاهدون في سبيل الله ويمثلون أمره في إعلاء كلمته ولو هتكوا حرمة الحرم والمسجد الحرام بالقتال فيه وعنده جاز للمؤمنين معاملتهم بالمثل^٥.

(الشَّهْرُ الْحَرَامُ) «أشهر الحرم أربعة: رجب وهو فرد وثلاثة أشهر سرد: ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم، والمراد هاهنا: ذوالقعدة وهو شهر الصّدّ عام الحديبية، وإنما سمي الشهر حراماً لأنه كان يحرم فيه القتال، فلو أن الرجل يلقي قاتل أبيه أو ابنه

١. عيون أخبار الرضا 7 / ١ / ٢٧٣، ح ٥؛ علل الشرائع / ٢٢٩، ح ١.

٢. التبيان ١٤٧ / ٢.

٣. مجمع البيان ٢ / ٢٨٧.

٤. في المصدر: الحج.

٥. الميزان ٢ / ٦٣.

لم يعرض له بسبيل وسمي ذوالقعدة لقعودهم فيه عن القتال»^١.
(بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ) يعني «أنَّ الشهر الحرام يقابل الشهر الحرام في الحرمة والهتك،
فإذا هُتِكَ (الشَّهْرُ الْحَرَامُ) بالقتال فيه فلا محذور في قتالهم فيه ومعاملتهم بالمثل وليس
ذلك بهتك...»^٢.

(وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ) جمع حرمة وهي ما يجب احترامه وتعظيمه ويحرم هتكه،
فلو هتكوا حرمة الشهر الحرام والحرم الإلهي جاز للمؤمنين مقابلتهم بالمثل وقتالهم فيه
قصاصًا.

(فَ) تفرعية، على (الْحُرْمَتُ قِصَاصٌ). (مَنْ) اسم شرط جازم، مبتدأ.
(أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ) تجاوز (عَلَيْكُمْ) وتجاوز (الْحُرْمَتُ) وردَّ الخطوط الأحمر.
(فَ) واقعة في جواب الشرط.

(أَعْتَدُوا عَلَيْهِ) «خطاب عام بعد خاص، أمر بالإعتداء مع أنَّه لا يجب
المعتدين، لأنَّ المذموم منه ما كان ابتداءً، وأما إذا كان في مقابل إعتداء آخر، فليس إلا
دفع الإعتداء وقهر شوكة الظالم، والتعالى عن الذلَّ والهوان.

وإنَّما عبَّرَ سبحانه وتعالى بالإعتداء من باب المجانسة اللفظية والازدواج في
الكلام، وإلا فليس ذلك اعتداء»^٣.

بعبارة أخرى إذا كان الإعتداء في مقابل الإعتداء «فليس إلاَّ تعالىً عن ذلَّ
الهوان وارتقاء عن حضيض الاستعباد والظلم والضميم، كالتكبر مع المتكبر، والجهر
بالسوء لمن ظلم»^٤.

١. التبيان ١٤٩/٢.

٢. مواهب الرحمن ١٤٣/٣.

٣. مواهب الرحمن ١٤٤/٣.

٤. الميزان ٦٣/٣.

(بِمِثْلِ مَا آتَيْنَاكَ عَلَىٰ عَمَلِكُمْ) المماثلة يشمل الكم والكيف وفي الأحوال ككونه في الشهر الحرام أو البلد الحرام.

(وَاتَّقُوا اللَّهَ) في الإعتداء وتجاوز الحد وترغيب إلى ملازمة الاحتياط مهما أمكن لأنَّ «المقام مقام الشدة والبأس، واستيلاء القوة الغضبية الداعية إلى الانتقام والطغيان والانحراف عن الاعتدال، أمرهم بملازمة التقوى والاستقامة في الدين، وتحذيرهم بأن لا يتعدوا عما رخصه الله تعالى، فاتقوا الله في جميع شؤونكم، وفي جميع حالاتكم»^١.

(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) وأنه تعالى ناصرهم ونصرة الله (مَعَ الْمُتَّقِينَ) وهم محتاجون إلى نصرته.

الروايات

عن أبي الاغر التميمي قال: إني لواقف يوم صفين، إذا نظرت إلى العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب شاك في السلاح^٢، على رأسه مغفر ويده صفيحة^٣ يمانية وهو على فرس له أدهم وكأن عينيه عينا أفصى فينا هو يَمَغْثُهُ^٤ ويُلَيِّن من عريكته^٥، إذ هتف به هاتف من أهل الشام، يقال له عرار بن أدهم: هَلُم إلى البراز، قال: فالنزول إذاً، فإنه إياس من القُفُول، قال: فنزل الشامي ووجد^٦ وهو يقول:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإننا مَعَشَرُ نُزَلْ

قال: وثنى عباس رجله وهو يقول:

١. مواهب الرحمن ٣/ ١٤٦.

٢. أي تام السلاح.

٣. الصفيحة: السيف الفريض.

٤. مَغْثُهُ: ضربه ضرباً ليس بالشديد.

٥. العريكة: الطبيعة، ولين العريكة أسلس.

٦. وَجَدَ: غَضِبَ.

وَتَصُدُّ عَنْكَ مِجْلَةَ الرَّجُلِ الْـ عَرِيضٌ^١ مُوضِحَةٌ عَنْ الْعِظَمِ
 بِحَسَامِ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانِكَ وَالـ كَلِمُ الْأَصِيلُ كَأَرْغَبِ الْكَلِمِ
 قال: ثُمَّ عَصَبَ فضلات درعه في حجزته^٢، ثُمَّ دفع فرسه إلى غلام يقال له
 أسلم، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَلَاةٍ شَعْرَهُ وَدَلْفٌ^٣ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ.
 قال: فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَبِي ذُوَيْبٍ:

فَتَنَازَلَا وَتَوَاقَفَتْ خِيَالَهُمَا وَكِلَاهُمَا بَطَلَ اللَّقَاءِ مَخْدَعٌ^٤؛
 قال ثُمَّ تَكَافَحَا بِسَيْفِهِمَا مَلِيًّا مِنْ نَهَارِهِمَا لَا يَصِلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ لِكَمَالِ
 لَامَتِهِ^٥ إِلَى أَنْ لَحَظَ الْعَبَّاسُ وَهِيًّا^٦ فِي دَرَعِ الشَّامِيِّ فَأَهْوَى إِلَيْهِ بِيَدِهِ فَهَتَكَهُ إِلَى ثَنَدَوْتِهِ^٧
 ثُمَّ عَاوَدَ لِمَجَاوَلَتِهِ وَقَدْ اصْطَحَرُ^٨ لَهُ مَفْتَقُ الدَّرَعِ فَضْرَبَهُ الْعَبَّاسُ بِالسَّيْفِ فَانْتَظَمَ بِهِ
 جَوَانِحَ صَدْرِهِ وَخَرَّ الشَّامِيُّ صَرِيحًا بِخَدِّهِ وَانْشَامُ^٩ فِي النَّاسِ وَكَبُرَ النَّاسُ تَكْبِيرًا
 ارْتَجَبَتْ لَهَا الْأَرْضُ فَسَمِعَتْ قَائِلًا يَقُولُ مِنْ وَرَائِي (قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ
 وَتُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) * وَيُذْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ^{١٠} وَيَتُوبُ اللَّهُ
 عَلَى مَنْ يَشَاءُ) ^{١٠} فَالْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ ^٧، وَقَالَ يَا أَبَا الْأَعَزِّ مِنَ الْمُبَارِزِ

١. العَرِيضُ: الذي يتعرض للناس بالشر.

٢. الْحُجْزَةُ: موضع شد الإزار من الوسط.

٣. دَلْفٌ: تقدّم.

٤. الْمَخْدَعُ: الذي خُدع مرارًا في الحرب حتّى صار مجرّبًا.

٥. اللَّامَةُ: أداة الحرب كلّها من رُمح وبيضة ومغفر وسيف ودرع.

٦. الوهي: الخرق.

٧. الشدوة: مغرز الثدى.

٨. أي خرج إلى العراء.

٩. انشام في الشيء: دخل فيه، وانشام الرجل: صار منظورًا إليه.

١٠. سورة التوبة / ١٤ و ١٥.

لعدونا قلت هذا ابن شيخكم العباس بن ربيعة، قال يا عباس قال لييك، قال ألم أنهك وحسنا وحسينا وعبدالله بن جعفر أن تخلوا بمركز أو تباشروا حدثا؟ قال: إن ذلك كذلك، قال: فما عدا مما بدا؟ قال: أفادعى إلى البراز يا أمير المؤمنين فلا أجيب جعلني الله فداك؟ قال: نعم، طاعة إمامك أولى بك من إجابة عدوك، ودّ معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضربة إلا طعن في نيطة^١ إطفاء لنور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون أما والله ليملكنهم منا رجال، ورجال يسومونهم الخسف حتى يتكففوا^٢ بأيديهم ويحفروا الآبار إن عادوا لك فعُد لي: قال ونمي^٣ الخبر إلى معاوية فقال والله دم عرار ألا رجل يطلب بدم عراز؟ قال: فانتدب له رجلان من لحم، فقالا نحن له قال اذهبا فأيكما قتل العباس برازا فله كذا وكذا، فأتياه فدعواه إلى البراز، فقال: إن لي سيّدا أوامره، قال فأتى أمير المؤمنين^٧ فاخبره فقال ناقلني سلاحك بسلاحي، فناقله قال وركب أمير المؤمنين^٧ على فرس العباس ودفع فرسه إلى العباس وبرز إلى الشاميين، فلم يشكا أنه العباس فقالا له إذن لك سيدك فخرج أن يقول نعم، فقال (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا^٤ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ^٥) قال: فبرز إليه أحدهما فكأنما اختطفه ثم برز إليه الثاني فالحقه بالأول وانصرف وهو يقول (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ^٦ فَمَن أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ^٧) ثم قال: يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحي، قال ونمي الخبر إلى معاوية فقال قبح الله اللجاج إنّه ليعود ما ركبته قط إلا خذلت، فقال عمرو ابن

١. النبط: عرق علّق به القلب من الوتين فإذا قطع مات صاحبه.

٢. تكفّف السائل: بس كفه بالمسألة.

٣. نمي الخبر إليه: رُفِع إليه.

٤. أي أشاوره.

٥. سورة الحج / ٣٩.

العاس المخذول والله اللخميان لا أنت، قال اسكت أيها الشيخ فليس هذه من ساعاتك. قال: فإن لم يكن رحم الله اللخمين وما أراه يفعل قال ذلك والله أضيق لجُحْرِك واخسر لصفقتك، قال: أجل ولو لا مصر لقد كانت المنجاة منها، فقال: هي والله أعمتك ولولاها لألفيت بصيراً^١.

رواها ابن قتيبة في عيون الأخبار^٢ وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة^٣ والمجلسي في بحار الأنوار^٤.

عن العلاء بن الفضيل قال: سألته عن المشركين أيتدى بهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام؟ فقال: إذا كان المشركين يبتدءوهم باستحلالهم ورأى المسلمون أنهم يظهرون عليهم فيه وذلك قوله (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ)^٥.

خبر العلاء بن الفضيل قال سألته عن المشركين أيتدئهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام فقال: إذا كان المشركون يبتدءونهم باستحلاله ثم رأى المسلمون أنهم يظهرون عليهم فيه وذلك قول الله ﷻ (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ) والروم في هذا بمنزلة المشركين لانهم لم يعرفوا للشهر الحرام حرمة ولا حقاً فهم يبتدئون بالقتال فيه وكان المشركون يرون له حقاً وحرمة فاستحلوه واستحل منهم وأهل البغي يبتدءون بالقتال^٦.

قال الطوسي: «وقوله: (وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ) قيل في معناه قولان:

١. تفسير العياشي ٢/ ٢٢١، ح ٣٠.

٢. عيون الأخبار ١٧ / ١٧٩.

٣. شرح نهج البلاغة ٥ / ٢١٩.

٤. بحار الأنوار ٣٢ / ٥٩١، ح ٤٧٣.

٥. تفسير العياشي ١ / ١٩٣، ح ٢٢٠.

٦. التهذيب ٦ / ١٤٢، ح ٣.

أحدهما: الحرمات قصاص بالمرأمة بدخول البيت في الشهر الحرام، قال مجاهد: لأنّ قريشاً فخرت برّدّها رسول الله ﷺ يوم الحديبية محرماً في ذي القعدة عن البلد الحرام، فأدخله الله ﷻ مكة في العام المقبل في ذي القعدة ففضى عمرته، وأقصّه بها حيل بينه وبينه يوم الحديبية، وهو معنى قول قتادة والضحاك والربيع وابن زيد.

وروي عن ابن عباس وأبي جعفر محمد بن علي 7 مثله... ١.

رواها في مجمع البيان^٢ والرازي في روض الجنان^٣.

قال الإربلي: ... كماتها بأيدي رجالات بني هاشم الأخيار وسيف سروات المهاجرين والأنصار في طاعة سيدها وإمامها وحامي حقيقتها من خلفها وإمامها مفرق جموع الكفر بعد إلتيامها ومشتت طواغيت النفاق بعد انتظامها شيخ الحرب وفتاها وسيّد العرب ومولاها ذي النسب السامي والعرق النامي والوجود الهامي والسيف الدامي والشجاع المحامي والبحر الطامي مزيل الضيم ري الظامي مفتحم اللجج صاحب البراهين والحجج أكرم من دب بعد المصطفى ودرج الذي ما حوكم إلّا وفلج فارس الخيل وسابق السيل وراكب النهار والليل تولى 7 الحرب بنفسه النفيسة فخاض غمارها واصطلى نارها وأزكى أوارها ودوخ أعوانها وأنصارها وأجرى بالدماء أنهارها وحكم في مهج القاسطين بسيفه فعجل بوارها فصارت الفرسان تتحاماه إذا بدر والشجعان تلوذ بالهزيمة إذا زار عالمة أنّه ما صافحت صفحة سيفه مهجة إلّا فارقت جسدها ولا كافح كتيبة إلّا افترس ثعلب رحمه أسدها وهذا حكم ثبت له بطريق الإجمال وحال اتصف به بعموم الاستدلال ولا بدّ من ذكر بعض

١. التبيان ٤/ ٣٧٠ (٢/ ١٤٩).

٢. مجمع البيان ٢/ ٢٨٧.

٣. روض الجنان ٣/ ٧٦.


مواقفه في صفين فكثرتها توجب الاختصار على يسيرها وكأين من حادثة يستغنى عن ثبوت طولها بقصيرها. فمنها أنه خرج من عسكر معاوية المخراق بن عبدالرحمن وطلب البراز فخرج إليه من عسكر علي 7 المؤمل بن عبيدالله المرادي فقتله الشامي ونزل فجز رأسه وحك بوجهه الأرض وكبه على وجهه فخرج إليه فتى من الأزد اسمه مسلم بن عبدالله فقتله الشامي وفعل به كما فعل فلما رأى علي 7 ذلك تنكر والشامي واقف يطلب البراز فخرج إليه وهو لا يعرفه فطلبه فبدره علي 7 بضربة على عاتقه فرمى بشقه فنزل فاجتز رأسه وقلب وجهه إلى السماء وركب ونادى هل من مبارز فخرج إليه فارس فقتله وفعل به كما فعل وركب ونادى هل من مبارز فخرج إليه فارس فقتله وفعل به كما فعل كذا إلى أن قتل سبعة فاحجم عنه الناس ولم يعرفوه وكان لمعاوية عبد يسمى حربا وكان شجاعا فقال له معاوية ويلك يا حرب اخرج إلى هذا الفارس فاكفني أمره فقد قتل من أصحابي ما قد رأيت فقال له حرب والله إنني أرى مقام فارس لو برز إليه أهل عسكرك لافناهم عن آخرهم فإن شئت برزت إليه واعلم أنه قاتلي وإن شئت فاستبقني لغيره فقال معاوية لا والله ما أحب أن تقتل فقفا مكانك حتى يخرج إليك غيرك وجعل علي 7 يناديهم ولا يخرج إليه أحد فرفع المغفر عن رأسه ورجع إلى عسكره فخرج رجل من أبطال الشام يقال له كريب بن الصباح وطلب البراز فخرج إليه المبرقع الخولاني فقتله الشامي وخرج إليه آخر فقتله أيضا فرأى علي 7 فارسا بطلا فخرج إليه علي 7 بنفسه فوقف قبالة وقال له من أنت قال أنا كريب بن الصباح الحميري فقال له علي ويحك يا كريب إنني أحذرك الله في نفسك وأدعوك إلى كتابه وسنة نبيه فقال له كريب من أنت فقال أنا علي بن أبي طالب فالله الله في نفسك فإنني أراك فارسا بطلا فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا وتصون نفسك من عذاب الله ولا يدخلنك معاوية نار جهنم فقال كريب أدن مني إن شئت وجعل يلوح بسيفه فمشى إليه علي 7 فالتقيا ضربتين بدره علي فقتله فخرج إليه 7

الحارث الحميري فقتله واخر فقتله حتى قتل أربعة وهو يقول (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) ثم صاح علي 7 يا معاوية هلم إلى مبارزتي ولا تفنين العرب بيننا فقال معاوية لا حاجة لي في ذلك فقد قتلت أربعة من سباع العرب فحسبك فصاح شخص من أصحاب معاوية اسمه عروة بن داود يا علي إن كان معاوية قد كره مبارزتك فهلم إلى مبارزتي فذهب علي نحوه فبدره عروة بضربة فلم تعمل شيئاً فضربه علي فاسقطه قتيلاً ثم قال انطلق إلى النار وكبر على أهل الشام عند قتل عروة وجاء الليل وخرج علي 7 في يوم آخر متنكراً وطلب البراز فخرج إليه عمرو بن العاص وهو لا يعرف انه علي وعرفه علي 7 فاطرد بين يديه ليعده عن عسكره فتبعه عمرو مرتجراً... ١٠

خبر صعصعة بن صوحان قال: برز في أيام صفين رجل اشتهر بالبأس والنجدة اسمه كريب بن الوضاح فنادى من يبارز فخرج إليه المرتفع بن الوضاح فقتله ثم نادى من يبارز فخرج إليه الحارث بن الجلاح فقتله ثم نادى من يبارز فخرج إليه عائد بن مسروق الهمداني فقتله ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض ونادى من يبارز فخرج إليه علي 7 وناداه ويحك يا كريب إني أحذرك الله وبأسه ونقمته وأدعوك إلى سنة الله وسنة رسوله ويحك لا تدخلنك معاوية النار فكان جوابه أن قال ما أكثر ما قد سمعت منك هذه المقالة ولا حاجة لنا فيه أقدم إذا شئت من يشتري سيفي وهذا أثره فقال علي ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم مشى إليه فلم يمهل أن ضربه ضربة خراً منها قتيلاً يتشطح في دمه ثم نادى من يبارز فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتل الحارث ثم نادى من يبارز فبرز إليه المطاع بن المطلب القيني فقتل مطاعاً ثم نادى من يبرز فلم

يبرز إليه أحد فناده (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) يا معاوية هلم إلي فبارزني ولا يقتلن الناس فيما بيننا فقال عمرو بن العاص اغتنمه منتهزا قد قتل ثلاثة من ابطال العرب وإني أطمع أن يظفرك الله به فقال معاوية والله لن تريد إلا أن اقتل فتصيب الخلافة بعدي اذهب إليك فليس مثلي يخدع... ١.

(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ

وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) 

«أمر الله تعالى جميع المكلفين المتمكنين من الإنفاق في سبيل الله: أن ينفقوا في سبيله، وسبيل الله، هو كل طريق شرعه الله تعالى لعباده، ويدخل فيه الجهاد، والحج، وعمارة القناطر، والمساجد، ومعاونة المساكين، والأيتام، وغير ذلك» ٢.
(و) عطف على قوله: (وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ٣.

(أَنْفِقُوا) أمر بإنفاق المال والإنفاق: إخراج المال عن الملك لغرض صحيح إلى ملك غيره.

(فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وهو كل ما يُرجى فيه ثواب الله ولا يختص بالقتال والجهاد وإن كان يشمل.

(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) في الإنفاق والجهاد وغيرهما والنهي عام يشمل

١. بحار الأنوار ٣٢/ ٤٨٧، ح ٤٢١ (٧٨/ ١٤)؛ كتاب صفين / ٣١٨.

٢. التبيان ٢/ ١٥١.

٣. سورة البقرة / ١٩٠.

كُلُّ ما يوجب الهلاك مادياً كالبخل والتقتير والإسراف والتبذير وبذل جميع المال وترك العيال عيلة، ومعنوياً كالذنوب والمعصية وما يوجب التهمة والافتراء، وما يوجب هلاك النفس وذهاب الروح في ميادين الجهاد والدفاع من دون ضرورة وإيجاب.

(وَأَحْسِنُوا) الإحسان: إتيان الفعل على وجهٍ حَسَنٍ وطلب الحُسْن في الأعمال والاعتقاد نحو حُسْن الظنِّ بالله سبحانه.

وجدَّ الإحسان: إيصال النفع الحَسَن إلى الغير.

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) المقصد الأسنى من كل إحسان هو ابتغاء محبة الله تعالى.

الروايات

صحيحة عمر بن يزيد قال: سمعت أبا عبد الله 7 يقول: إذا أحسن المؤمن عمله، ضاعف الله عمله لكلِّ حسنة سبعمئة، وذلك قول الله تبارك وتعالى (وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ)^١، فأحسنوا أعمالكم التي تعملونها لثواب الله، فقلت له: وما الإحسان؟ قال: فقال: إذا صليت فأحسن ركوعك وسجودك، وإذا صمت فتوقَّ كلمًا فيه فساد صومك، وإذا حججت فتوقَّ ما يحرم عليك في حجِّك وعمرتك، قال: وكلَّ عملٍ تعمله لله، فليكن نقيًّا من الدنس.^٢

حسنة حماد بن واقد اللحام عن أبي عبد الله 7 قال: لو أنَّ رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل من سبيل الله ما كان أحسن ولا وفقَّ أليس يقول الله تعالى: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) يعني المقتصدين.^٣

١. سورة البقرة / ٢٦١.

٢. المحاسن ١/ ٣٩٦، ح ٢٨٩.

٣. الكافي ٤/ ٥٣، ح ٧.

رواهما العياشي في تفسيره^١ والطوسي في التبيان^٢ والقطب الراوندي في فقه القرآن^٣ والطبرسي في مجمع البيان^٤.

عن حذيفة قال: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) قال: هذا في النفقة.^٥
خبر أنس قال: قال رسول الله ﷺ: طاعة السلطان واجبة ومن ترك طاعة السلطان فقد ترك طاعة الله ﷻ ودخل في نهيه إن الله ﷻ يقول (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ).^٦

ابن شعبة الحراني رفعه عن الصادق ٧ أنه قال: في وصيته لأبي جعفر محمد بن النعمان الأحول مؤمن الطاق: ... يا ابن النعمان إذا كانت دولة الظلم فامش واستقبل من تتقيه بالتحية فإن المتعرض للدولة قاتل نفسه وموبقها، إن الله يقول: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) ...^٧

ابن شهر آشوب السروي رفعه عن الباقر ٧ في قوله تعالى (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) قال: لا تعدلوا عن ولايتنا فتهلكوا في الدنيا والآخرة.^٨
الثعلبي قال: وعن محمد بن إبراهيم الكاتب قال: دخلنا على أبي نؤاس الحسن ابن هاني نعود في مرضه الذي مات فيه ومعنا صالح بن علي الهاشمي فقال له صالح:

١. تفسير العياشي ١/ ١٩٤، ح ٢٢٢.

٢. التبيان ٢/ ١٥٣.

٣. فقه القرآن ١/ ٣٣٦.

٤. مجمع البيان ٢/ ٢٨٩.

٥. تفسير العياشي ١/ ١٩٤، ح ٢٢٣؛ وفي بعض النسخ التقية بدل النفقة وهكذا نقل عنه في بحار الأنوار ٩٦/ ١٦٨، ح ١٣.

٦. أمالي الصدوق، المجلس الرابع والخمسون، ح ٤١٨/ ٢٠، رقم ٥٥٣.

٧. تحف العقول ٣٠٩.

٨. المناقب ٣/ ٢٠٧.

تب إلى الله يا أبا علي فإنك في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وبينك وبين الله هناة، فقال أسندوني، أي أي تخوف بالله، فقد حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي ﷺ قال: إنما جعلت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي أتراني لا أكون منهم^١.

روا نحوها الرازي في روض الجنان^٢.

(وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ^٣ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

بيان بعض أحكام الحج، «بين أولاً وجوب إتمام الحج والعمرة لله، ثم ذكر أحكام المحصور وعدم جواز الحلق حتى يبلغ الهدى محله، إلا من كان معذوراً في ذلك، يفدى فيحلق، وإذا أمن الحاج وزال الخوف، فإنه يجب على المتمتع بالعمرة إلى الحج أن يذبح ما استيسر من الهدى، فمن لم يجد فصيام عشرة أيام، ثلاثة في الحج، وسبعة عند الرجوع إلى الأهل»^٣.

١. الكشف والبيان ٢/ ٩٤.

٢. روض الجنان ٣/ ٨٣.

٣. مواهب الرحمن ٣/ ١٦٤.

(و) عطف على قوله (وَأَلْحَجَّ...) ^١.

(أَتُمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) الإتمام: ضم الباقي من أجزاء الشيء إليه بعد الشروع في بعض أجزائه. أمر الله تعالى بإتمام أعمال الحج والعمرة. «والحج: هو القصد إلى البيت الحرام لأداء مناسك مخصوصة في أوقات مخصوصة.

ومناسك الحج تشتمل على المفروض والمسنون، والمفروض يشتمل على الركن وغير الركن، فأركان الحج أولاً: النية والإحرام والوقوف بعرفة والوقوف بالمشعر وطواف الزيارة والسعي بين الصفا والمروة.

والفرائض التي ليست بأركان: التلبية وركعتا طواف الزيارة وطواف النساء وركعتا الطواف له.

والمسنونات: الجهر بالتلبية واستلام الأركان وأيام منى ورمي الجمار والحلق أو التقصير، والأضحية إن كان مفرداً، وإن كان متمتعاً فلهدي واجب عليه، وإلا فالصوم الذي هو بدل منه، وتفصيل ذلك ^٢ موجود في كتاب الحج من الكتب الفقهية.

«والعمرة: هي الزيارة في اللغة.

وفي الشرع: عبارة عن زيارة البيت لأداء مناسك مخصوصة أي وقت كان من أيام السنة.

وأفعال العمرة الواجبة: النية والإحرام والطواف والصلاة عند المقام والسعي بين الصفا والمروة وطواف النساء ^٣.

١. سورة البقرة / ١٨٩.

٢. التبيان ٤ / ٣٧٨، من طبعة آل البيت .

٣. التبيان ٤ / ٣٨٠.

وهما عبادتان لا يتمان إلا لوجه الله تعالى وبقصد القرية إليه.

(ف) تفرعية على قوله: (أَتَمُّوا). (إن) شرطية.

(أُحْصِرْتُمْ) فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم، فعل الشرط.

«الإحصار: هو الحبس والمنع والمراد الممنوعة عن الإتمام بسبب مرض أو عدو بعد الشروع بالاحرام»^١. ولكن «ورد في الأخبار المعتبرة عن الفريقين أن المحصور غير المصدود فإن الأول هو المريض والثاني هو الذي يرده العدو»^٢.

(ف) واقعة في جواب الشرط.

(ما) موصولة، مبتدأ مؤخر وخبره المقدم «عليه».

(أَسْتَيْسَرَ) «صيرورة الشيء يسيرًا غير عسير كأنه يجلب اليسر لنفسه»^٣.

(مِنَ الْهَدْيِ) وهو ما يسوقه الحاج للتضحية به في حجه من النعم الثلاث.

الحاج إن مُنِع «عن الإتمام بسبب مرض أو غيره، فليرسل كل ناسك ما تيسر له من الهدي، كل بحسب حاله من الإبل والبقر والغنم، ومن موارد ما استيسر من ساق الهدي ثم أُحْصِر، فإنه يكفيه ذلك، كما هو المشهور عند الإمامية»^٤.

(وَلَا تَخْلُقُوا زُرُوءَكُمْ) ولا تخرجوا عن الإحرام، لأنَّ الخلق أول الإحلال.

(حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ) المقرّر شرعاً وهو منى في الحج ومكة وفناء الكعبة أو

حزورة^٥ في العمرة.

١. الميزان ٢/ ٧٦.

٢. مواهب الرحمن ٣/ ١٦٧.

٣. الميزان ٢/ ٧٦.

٤. مواهب الرحمن ٣/ ١٦٧.

٥. مكان بين جبلي الصفاء والمروة، دخل في المسجد الحرام بعد توسعته راجع كشف اللثام ٦/ ٢٠٦؛ الخدائق ١٥/ ٣٢٨؛ جواهر الكلام ١٩/ ١٩٦ وغيرها من الكتب الفقهية.

(ف) تفريع على النهي عن حلق الرأس.

(مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا) المراد بالمرض خصوص المرض في الرأس الناشي من ترك الشعر وعدم الحلق.

(أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ) بقرينة مقابله مع المرض يستفاد انه غيره كالهوام والقمل ونحوهما.

(فَفِدْيَةٌ) يعني «(مَنْ كَانَ مِنْكُمْ) في حال الأحرام (مَّرِيضًا) يضره توفي الشعر أو بالرأس ما يؤذيه كالقمل ونحوه من الهوام فإنه يجوز الحلق مع الفدية»^١.

(مِنْ صِيَامٍ) وقد وردت في السنة أنه ثلاثة أيام.

(أَوْ صَدَقَةٍ) وهي إطعام ستة مساكين كما جرت به السنة.

(أَوْ نُسْلٍ) وفي السنة أنها شاة. (ف) عطف على (أُحْصِرْتُمْ).

(إِذَا أَمِنْتُمْ) المانع من مرضٍ أو عدوٍ أو غير ذلك.

(ف) واقعة في جواب (إِذَا).

(فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ) الباء للسببية، أي (تَمَتَّعَ) بسبب العمرة من حيث ختمها والإحلال.

(إِلَى الْحَجِّ) إلى زمان التلبية بالحج وإِهْلَاله، فيكون حجة تمتعًا.

(ف) كان واجدًا للهدي.

(مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) ظاهر الآية أن ذلك داخل في مناسك الحج ولا يكون كفارة كما مر في الإحصار. فيكون معناه الهدى الواجب في عيد الأضحى.

(فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) لعدم وجدان الهدى أو عدم التمكن من شرائه لفقدان المال وثمنه.

(فَ) عليه.

(صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) «وعندنا وقت صوم الثلاثة أيام: يوم قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة، فإن صام في أول العشر جاز ذلك رخصة وإن صام يوم التروية ويوم عرفة قضى يومًا آخر بعد التشريق فإن فاتته يوم التروية صام بعد انقضاء التشريق ثلاثة أيام متتابعات»^١. «فأما أيام التشريق فلا يجوز صومها عندنا»^٢.

(وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) إلى موطنكم وأهلكم.

(تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ) من صيام «الثلاثة والسبعة عشرة كاملة وفي جعل السبعة مكملة للعشرة دلالة على أن لكل من الثلاثة والسبعة حكمًا مستقلًا آخر على ما مر من معنى التمام والكمال في أول الآية فالثلاثة عمل تام في نفسه، وإنما تتوقف على السبعة في كمالها لا تمامها»^٣.

(ذَلِكَ) إشارة إلى التمتع بالعمرة إلى الحج.

(لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أي لم يكن قاطنًا في مكة المكرمة وبينه وبين المسجد الحرام أكثر من الثامن والأربعين (٤٨) ميلًا المساوي للسادس عشر فرسخًا المطابق للثاني والتسعين كيلومترًا على ماجرت به السنة، وأهل الرجل: خاصته من عياله و «التعبير عن النائي البعيد بأن لا يكون أهله حاضري المسجد الحرام من اللفظ التعبيرات، وفيه إيحاء إلى حكمة التشريع وهو التخفيف والسهيل»^٤. (وَاتَّقُوا اللَّهَ) «بطاعة أوامره والانتهاز عن نواهيه ويستفاد منه أن الحكمة في

١. التبيان ٤ / ٣٩٠.

٢. التبيان ٤ / ٣٩١.

٣. الميزان / ٧٧.

٤. الميزان ٢ / ٧٨.

جعل الأحكام الإلهية هي التقوى»^١.

(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) حذّره من المخالفة وهتك الحرمات وأوعّد عليها العقاب والعذاب.

الروايات

صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله 7 قال: إنّ رسول الله 6 حين حج حجة الإسلام خرج في أربع بقين من ذي القعدة حتّى أتى الشجرة فصلى بها ثمّ قاد راحلته حتّى أتى البيداء فاحرم منها وأهل بالحج وساق مائة بدنة وأحرم الناس كلهم بالحج لا ينوون عمرة ولا يدرون ما المتعة حتّى إذا قدم رسول الله 6 مكة طاف بالبيت وطاف الناس معه ثمّ صلى ركعتين عند المقام واستلم الحجر ثمّ قال أبدا بما بدا الله 6 به فأتى الصفا فبدأ بها ثمّ طاف بين الصفا والمروة سبعا فلما قضى طوافه عند المروة قام خطيبا فأمرهم أن يحلوا ويجعلوها عمرة وهو شيء أمر الله 6 به فأحل الناس وقال رسول الله 6 لو كنت استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم ولم يكن يستطيع أن يحل من أجل الهدي الذي كان معه إنّ الله 6 يقول (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ أَهْدَىٰ مَجَلُّهُ) فقال سراقه بن مالك بن جعشم الكناني يا رسول الله علمنا كانا خلقنا اليوم أرايت هذا الذي أمرتنا به لعامنا هذا أو لكل عام فقال رسول الله 6 لا بل للأبد الآبد وإنّ رجلا قام فقال يا رسول الله نخرج حجاجا ورؤوسنا تقطر فقال رسول الله 6 إنّك لن تؤمن بهذا أبدا قال وأقبل علي 7 من اليمن حتّى وافي الحج فوجد فاطمة سلام الله عليها قد احلت ووجد ريح الطيب فانطلق إلى رسول الله 6 مستفتيا فقال رسول الله 6 يا علي بأي شيء أهملت فقال أهملت بما أهّل به النبي 6 فقال لا تحل أنت فاشركه في الهدي وجعل له سبعا وثلاثين ونحر

رسول الله ﷺ ٦ ثلاثا وستين فنحرها بيده ثم أخذ من كل بدنة بضعة فجعلها في قدر واحد ثم أمر به فطبخ فأكل منه وحسا من المرق وقال قد أكلنا منها الآن جميعاً والمتعة خير من القارن السائق وخير من الحاج المفرد قال وسألته أليلاً أحرم رسول الله ﷺ ٦ أم نهاراً فقال نهاراً نقلتُ آية ساعة قال صلاة الظهر.^١

وروا نحوها العياشي في تفسيره^٢ والصدوق في علل الشرائع^٣.

صحيحة عمر بن اذينة قال كُتبت إلى أبي عبد الله ٧ بمسائل بعضها مع ابن بكير وبعضها مع أبي العباس فجاء الجواب بإملائه سألت عن قول الله ﷻ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً يعني به الحج والعمرة جميعاً لأنهما مفروضان وسألته عن قول الله ﷻ (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) قال يعني بتمامهما أداءهما واتقاء ما يتقي المحرم فيهما وسألته عن قوله تعالى الحج الأكبر ما يعني بالحج الأكبر فقال الحج الأكبر الوقوف بعرفة ورمي الجمار والحج الأصغر العمرة.^٤

معتبرة عثمان عن الفضل أبي العباس عن أبي عبد الله ٧ (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) قال هما مفروضان.^٥

ورواها العياشي في تفسيره^٦ والطوسي في التهذيب^٧.

صحيحة عبد الله بن سنان قول الله ﷻ (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) قال: اتمامها ان

١. الكافي ٤/٢٤٨، ح ٦.

٢. تفسير العياشي ١/١٩٦، ح ٢٣٤.

٣. علل الشرائع ٢/٤١٢.

٤. الكافي ٤/٢٦٤، ح ١.

٥. الكافي ٤/٢٦٥، ح ٢.

٦. تفسير العياشي ١/١٩٥، ح ٢٢٩.

٧. التهذيب ٥/٤٥٩، ح ٢٣٩.

لا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحج. ١

ورواها الصدوق في الخصال. ٢

صحيحة حريز عن أبي عبدالله 7 في قول الله ﷻ (ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) قال: من كان منزله على ثمانية عشر ميلا من بين يديها وثمانية عشر ميلا من خلفها وثمانية عشر ميلا عن يمينها وثمانية عشر ميلا عن يسارها فلا متعة له مثل مرٍّ وأشباهها. ٣

ورواها الطوسي في الاستبصار. ٤

صحيحة أبي عبيدة عن أبي عبدالله 7 في قول الله ﷻ (فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) قال شاة. ٥

صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبدالله 7 قال العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحج على من استطاع لأن الله تعالى يقول (وَأَتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) وإنما نزلت العمرة بالمدينة قال قلت له (فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ) أيجزى ذلك عنه؟ قال: نعم. ٦

صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبدالله 7 قال العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحج من استطاع لأن الله تعالى يقول (وَأَتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) وإنما نزلت العمرة بالمدينة وأفضل العمرة عمرة رجب. ٧

معتبرة فضيل بن عياض قال: سألت أبا عبدالله 7 عن اختلاف الناس في

١. الكافي ٤/ ٣٣٧، ح ٢.

٢. الخصال ٢/ ٦٠٥.

٣. الكافي ٤/ ٣٠٠، ح ٣.

٤. الاستبصار ٢/ ١٩٥.

٥. الكافي ٤/ ٤٨٧، ح ١.

٦. الكافي ٤/ ٢٦٥، ح ٤.

٧. علل الشرائع ٢/ ٤٠٨، ح ١.

الحج فبعضهم يقول خرج رسول الله ﷺ مهلاً بالحج وقال: بعضهم مهلاً بالعمرة وقال: بعضهم خرج قارناً وقال بعضهم خرج ينتظر أمر الله ﷻ فقال أبو عبد الله 7 علم الله ﷻ أنها حجة لا يحج رسول الله ﷺ بعدها أبداً فجمع الله ﷻ له ذلك كله في سفرة واحدة ليكون جميع ذلك سنة لأُمَّته فلما طاف بالبيت وبالصفا والمروة أمره جبرئيل 7 أن يجعلها عمرة إلا من كان معه هدي فهو محبوس على هديه لا يحل لقوله ﷻ حتى يبلغ الهدي محله فجمعت له العمرة والحج وكان خرج على خروج العرب الأول لأن العرب كانت لا تعرف إلا الحج وهو في ذلك ينتظر أمر الله تعالى وهو يقول 7 الناس على أمر جاهليتهم إلا ما غيره الإسلام وكانوا لا يرون العمرة في أشهر الحج فشق على أصحابه حين قال اجعلوها عمرة لأنهم كانوا لا يعرفون العمرة في أشهر الحج وهذا الكلام من رسول الله ﷺ إنما كان في الوقت الذي أمرهم فيه بفسخ الحج فقال دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة وشبك بين أصابعه يعني في أشهر الحج قلت أفيعتد بشيء من أمر الجاهلية فقال إن أهل الجاهلية ضيعوا كل شيء من دين إبراهيم 7 إلا الختان والتزويج والحج فإنهم تمسكوا بها ولم يضيعوها.^١

صحيحة عبيد الله بن علي الحلبي عن أبي عبد الله 7 قال إن الحج متصل بالعمرة لأن الله ﷻ يقول (فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) فليس ينبغي لأحد إلا أن يتمتع لأن الله ﷻ أنزل ذلك في كتابه وسنة رسول الله ﷺ ٢.٦

صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله 7 قال: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة

١. علل الشرائع ٢/ ٤١٤، ح ٣.

٢. علل الشرائع ٢/ ٤١١، ح ١.

لأنَّ الله تعالى يقول (فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) فليس لأحدٍ إلا أن يتمتع لأنَّ الله أنزل ذلك في كتابه وجرى به السنة من رسول الله ١.٦

ورواها في الاستبصار. ٢

صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله ٧ قال ليس لأهل مكة ولا لأهل مَرٍّ ولا لأهل سرف متعة وذلك لقول الله ﷻ (ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) ٣.

ورواها في الاستبصار ٤ والقاضي نعمان المصري في دعائم الإسلام ٥.

صحيحة رفاعة بن موسى قال: سألت أبا عبد الله ٧ عن متمتع لا يجد هديا قال يصوم يوما قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة قلت فإنه قدم يوم التروية فخرج إلى عرفات قال يصوم الثلاثة الأيام بعد النفر قلت فإن جماله لم يبق عليه قال يصوم يوم الحصة وبعده بيومين قلت يصوم وهو مسافر قال: نعم أليس هو يوم عرفة مسافرا والله تعالى يقول: (ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) قال: قلت قول الله في ذي الحجة قال: أبو عبد الله ٧ ونحن أهل البيت نقول في ذي الحجة ٦.

ورواها في الاستبصار. ٧

حسنة عمر بن يزيد عن أبي عبد الله ٧ قال: قال الله تعالى في كتابه (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) فمن عرض له أذى

١. التهذيب ٥/٢٥، ح ٤.

٢. الاستبصار ٢/١٥٠.

٣. التهذيب ٥/٣٢، ح ٢٥.

٤. الاستبصار ٢/١٥٧.

٥. دعائم الإسلام ١/٣١٨.

٦. التهذيب ٥/٢٣٢، ح ١٢٤.

٧. الاستبصار ٢/٢٨٠.

أو وجع فتعاطى ما لا ينبغي للمحرم إذا كان صحيحاً فالصيام ثلاثة أيام والصدقة على عشرة مساكين يشبعهم من الطعام والنسك شاة يذبحها فيأكل ويطعم وإنما عليه واحد من ذلك.^١

ورواها في الاستبصار.^٢

والروايات الواردة في ذيل الآية الشريفة كثيرة جداً فإن شئت أكثر من هذا فراجع إلى كتب الأخبار وتركناها روماً للإختصار.

(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ^١ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ^٢ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ
وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ^٣ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ^٤ وَتَزَوَّدُوا
فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى^٥ وَاتَّقُوا^٦ يَتَأُولَى^٧ الْأَلْبَبِ^٨)

استئناف ابتدائي للإعلام ببعض مسائل الحج الأخرى.

(الْحَجُّ) أي زمان الحج وأشهره.

(أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ^١) معيّنات ومعروفات عند الناس وهي: شوال وذو القعدة وذو الحجة والمراد «أن مجموع الوقت من الأشهر الثلاثة، وقت للمجموع من أفعال الحج... لا ينافي اختصاص بعض أفعال الحج ببعض الأيام...»^٣.
(فَ) تفرعية.

(مَنْ فَرَضَ) «فرض الحج جعله فرضاً على نفسه بالشروع فيه لقوله تعالى:

١. التهذيب ٥/٣٣٣، ح ٦١.

٢. الاستبصار ٢/١٩٥.

٣. مواهب الرحمن ٣/١٧٤.

(وَأَتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) ٢١.

(فِيهِمْ) أي في (أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ). (الْحَجَّ) المراد به نفس الأعمال الحج.

(فَ) واقعة في جواب شرط (مَنْ). (لَا) نافية للجنس تعمل عمل «إِنْ».

(رَفَثَ) أي الجماع.

(وَلَا فُسُوقَ) وهو الخروج عن الطاعة و «مطلق ارتكاب المناهي، وما

يوجب الخروج عن طاعة الله ﷻ، وهو وإن كان حراماً في غير الحج أيضاً، ولكن تكون حرمة في الحج أشد وأكد» ٣. ولكن السنة فسرت «الفسوق» بالكذب.

(وَلَا جِدَالَ) وهو المراء في الكلام والسنة فسرت بقول لا والله وبلى والله.

(فِي الْحَجِّ) والمراده به زمان الحج ومكانه.

(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ) تذكّار بأن الأعمال غير غائبة عن الله تعالى «فإنّ

ما يفعله الإنسان من الخير سواء في الحج أو في غيره، يعلمه الله ويجازى عليه، وهو الذي لا يضيع أجر المحسنين، ولا يهمله ﷻ» ٤ وذكر الخير بالخصوص لترغيب الناس إليه وحثهم عليه «والتصريح باسم الجلالة (اللَّهُ) ليكون اثبات الشيء ببرهان» ٥.

(وَتَزَوَّدُوا) الزاد: ما يتهيأ به للسفر، وزاد السفر من الدنيا إلى الآخرة هو معرفة

الله سبحانه وطاعته والاستعداد للآخرة من العقائد الحقّة والأعمال الصالحة. والتزوّد مستعار للاستكثار منها.

(فَ) تفرعية.

١. سورة البقرة / ١٩٦.

٢. الميزان ٧٩ / ٢.

٣. مواهب الرحمن ١٧٦ / ٣.

٤. مواهب الرحمن ١٧٧ / ٣.

٥. مواهب الرحمن ١٧٧ / ٣.

(إِبْرَئِيلَ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) في السفر إلى الآخرة و «التقوى هي الصراط المستقيم إلى الإنسانية الكاملة والجنان العالية»^١.
 (وَأَتَّقُونَ) تأكيد لقوله: (فَارِبْتَ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى).
 (يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابِ) أي يا ذوالعقول، اللب: العقل، «وإنما سُمِّيَ لُبًّا لَّأنَّه أَفْضَلُ مَا فِي الْإِنْسَانِ وَأَفْضَلُ كُلِّ شَيْءٍ لَّبَّهُ»^٢.

الروايات

خبر زرارة عن أبي جعفر ٧ قال (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ) شوال و ذو القعدة وذو الحجة ليس لأحد أن يحج فيها سواه^٣.
 رواها الصدوق في الفقيه^٤ بسنده الصحيح وفي معاني الأخبار^٥ أيضًا بسند صحيح والعياشي في تفسيره^٦.
 صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله ٧ في قول الله ﷻ (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ) ^٧فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ) والفرض التلبية والإشعار والتقليد فأَي ذلك فعل فقد فرض الحج ولا يفرض الحج إلا في هذه الشهور التي قال الله ﷻ (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ) وهو شوال وذو القعدة وذو الحجة^٧.
 ورواها العياشي في تفسيره^٨ والطوسي في التهذيب^٩.

١. مواهب الرحمن ٣/ ١٧٨.

٢. التبيان ٤/ ٤٠٤، طبعة آل البيت .:

٣. الكافي ٤/ ٢٨٩، ح ١.

٤. من لا يحضره الفقيه ٢/ ٤٥٦، ح ٢٩٥٩.

٥. معاني الأخبار / ٢٩٣.

٦. تفسير العياشي ١/ ٢٠٣، ح ٢٥٥.

٧. الكافي ٤/ ٢٨٩، ح ٢.

٨. تفسير العياشي ١/ ٢٠٣، ح ٢٥٧.

٩. التهذيب ٥/ ٤٤٥.

صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله 7 في قول الله ﷻ (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) فقال إن الله ﷻ اشترط على الناس شرطا وشرط لهم شرطا قلت فما الذي اشترط عليهم وما الذي اشترط لهم فقال أما الذي اشترط عليهم فانه قال (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) وأما ما شرط لهم فإنه قال فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى قال يرجع لا ذنب له قال: قلت أرأيت من ابتلي بالفسوق ما عليه قال لم يجعل الله له حدا يستغفر الله ويُلبي قلت فمن ابتلي بالجدال ما عليه قال إذا جادل فوق مرتين فعلى المصيب دم يهرقه وعلى المخطئ بقره^١. ورواه الصدوق في الفقيه^٢ بسنده الصحيح ونحوها في تفسير العياشي^٣.

صحيحة معاوية بن عمار قال: قال أبو عبد الله 7 إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله كثيرا وقلة الكلام إلا بخير فإن من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلا من خير كما قال الله ﷻ فان الله ﷻ يقول (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) والرفث الجماع والفسوق الكذب والسباب والجدال قول الرجل لا والله وبلى والله وأعلم أن الرجل إذا حلف بثلاث إيمان ولواء في مقام واحد وهو محرم فقد جادل فعليه دم يهرقه ويتصدق به وإذا حلف يميناً واحدة كاذبة فقد جادل وعليه دم يهرقه ويتصدق به وقال اتق المفاخرة وعليك بورع يحجزك عن معاصي الله فإن الله ﷻ يقول (ثُمَّ لَيَقَضُنَّ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ)^٤ قال أبو عبد الله من التَّفَثِ أن تتكلم في إحرامك بكلام قبيح فإذا دخلت مكة

١. الكافي ٤/٣٣٧، ح ١.

٢. من لا يحضره الفقيه ٢/٣٢٨، ح ٢٥٨٧.

٣. تفسير العياشي ١/٢٠٥، ح ٢٦٣.

٤. سورة الحج ٢٩.

وطفت بالبيت وتكلمت بكلام طيب فكان ذلك كفارة قال وسألته عن الرجل يقول لا لعمرى وبلى لعمرى قال ليس هذا من الجدال إنما الجدال لا والله وبلى والله.^١
ورواها الطوسي في التهذيب.^٢

معتبرة أبي بصير عن أحدهما ٨ قال: إذا حلف ثلاث أيان متتابعات صادقاً فقد جادل وعليه دم وإذا حلف بيمين واحدة كاذباً فقد جادل وعليه دم.^٣
صحيحة أبي بصير قال: سألته عن المحرم يريد أن يعمل العمل فيقول لصاحبه: والله لا تعمله، فيقول: والله لأعملته، فيخالفه مراراً أيلزمه ما يلزم صاحب الجدال؟ قال: لا إنَّما أراد بهذا إكرام أخيه إنَّما ذلك ما كان لله فيه معصية.^٤
صحيحة سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله ٧ يقول: في الجدال شاة وفي السباب والفسوق بقرة والرفث فساد الحج.^٥

عن الحلبي عن أبي عبد الله ٧ في قوله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ) فَمَنْ فَرَضَ فِيهِمْ الْحَجَّ قال: الأهلة.^٦

عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن ٧ قال: من جادل في الحج فعليه إطعام ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، إن كان صادقاً أو كاذباً، فإن عاد مرتين، فعلى الصادق شاة وعلى الكاذب بقرة، لأنَّ الله ﷻ يقول: (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) والرفث: الجماع، والفسوق: الكذب، والجدال: قول الرجل: لا

١. الكافي ٤/٣٣٧، ح ٣.

٢. التهذيب ٥/٢٩٦.

٣. الكافي ٤/٣٣٨، ح ٤.

٤. الكافي ٤/٣٣٨، ح ٥.

٥. الكافي ٤/٣٣٩، ح ٦.

٦. تفسير العياشي ١/٢٠٣، ح ٢٥٦.

والله، وبلى والله والمفاخرة.^١

عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله 7 قال: قول الله: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) والرفث هو الجماع، والفسوق: الكذب والسباب، والجدال: قول الرجل: لا والله وبلى والله والمفاخرة.^٢

(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ

وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ) ﴿١٩٨﴾

إعلام عام بعدم البأس بالكسب والتجارة في موسم الحج وحال الإحرام بل
اعلام بطلب المغفرة فيه أو الأعم منهما.
(لَيْسَ عَلَيْكُمْ) في مقام النفي.
(جُنَاحٌ) و «هو الحرج في الدين وهو الميل عن الطريق المستقيم وأصله الميل»^٣.
(أَنْ تَبْتَغُوا) أي أن تبطلوا. (فَضْلًا) يعني مالا أو مغفرة أو كلاهما.
(مِّن رَّبِّكُمْ) لأن الرزق والمغفرة كلاهما من الله.
(فَ) عاطفة، عطف على قوله: (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)^٤.
(إِذَا) ظرف زمان، متضمن معنى الشرط، متعلق بجوابه.

١. تفسير العياشي ١/ ٢٠٣، ح ٢٥٨.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٠٤، ح ٢٥٩.

٣. التبيان ٤/ ٤٠٤.

٤. سورة البقرة / ١٩٧.

(أَفْضَلُكُمْ) أي ذهبتم ودفعتم وخرجتم جماعة وبسرعة.
 (مَنْ عَرَفْتِ) أي بعد الوقوف بعرفات في التاسع من ذي الحجة الحرام من
 الزوال إلى غروب الشمس.
 (فَ) واقعة في جواب الشرط.
 (أَذْكُرُوا اللَّهَ) بالصلاة والتهليل والتسبيح والدعاء.
 (عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) زمن وقوفكم في ليلة الأضحى في المزدلفة أو الجمع.
 والوقوفان بعرفات والمشعر ركن الحج.
 (وَأَذْكُرُوهُ) «تأكيد للجملّة السابقة وترغيب إلى ذكره تعالى والحثّ على
 الإقبال إليه وإرشاد للإنسان إلى أنّه ينبغي أن يكون على ذكره تعالى دائماً»^١.
 (كَمَا هَدَيْتُكُمْ) بالشكر والثناء على هدايتكم إلى دينه القويم وصراطه
 المستقيم.

(وَ) حالية. (إِنْ) مخففة من الثقيلة لدلالة اللام عليه. تأكيد.
 (كُنْتُمْ) أيها المؤمنون الحجاج. (مَنْ قَبْلِهِ) أي من قبل هدايتكم بالله.
 (لِمَنِ الضَّالِّينَ) بالكفر والشرك والضلال والفسق والفجور والخطأ.

الروايات

صحيحة أبي بصير عن أبي جعفر ٧ وأبي عبد الله ٧ قالاً في حديث طويل:
 قال جبرئيل لإبراهيم ٧: ... ثم عمد به إلى عرفات، فقال: هذه عرفات فأعرف بها
 مناسكك واعترف بذنبك فسمى عرفات، ثم أفاض إلى المزدلفة فسميت المزدلفة لأنّه
 ازدلف إليها الحديث. ٢

١. مواهب الرحمن ٣/ ١٨٢.

٢. الكافي ٤/ ٢٠٧، ح ٩.

عن عمر بن يزيد بياع السابري عن أبي عبدالله 7 في قول الله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ) يعني الرزق إذا احل الرجل من احرامه وقضى نسكه فليشتر وليبيع في الموسم.^١

حسنة معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبدالله 7 عن عرفات، لم سميت عرفات؟ فقال: إن جبرئيل خرج بإبراهيم صلوات الله عليه يوم عرفة فلما زالت الشمس، قال له جبرئيل: يا إبراهيم اعترف بذنبك واعرف مناسكك فسميت عرفات، لقول جبرئيل 7: اعترف فاعترف.^٢

قال الطوسي: هذه الآية فيها تصريح بالإذن في التجارة ونحوها في حال الإحرام، لأنهم كادوا يتحرّجون بذلك في صدر الإسلام، على قول ابن عباس وابن عمر ومجاهد وعطاء والحسن والقتادة، وهو المروي عن أبي جعفر 7 وأبي عبدالله 7.^٣

قال الطوسي: وسميت عرفات عرفات لأن إبراهيم 7 عرفها بما تقدّم له من النعت لها والوصف، على ما روى عن علي 7 وابن عباس.

وقال عطاء، والسُدّي وقد روى ذلك في أخبارنا، أنها سميت بذلك، لأن آدم وحواء اجتمعا فيه، فتعارفا بعد أن كانا افترقا.

وقيل: سُمّيت عرفات لعلوّه، وارتفاعه، ومنه عُرِفُ الديك.^٤

قال الطوسي: وروى جابر عن أبي جعفر 7 قال: لا جناح عليكم (أَنْ تَبْتَغُوا

١. تفسير العياشي ١/٢٠٦، ح ٢٦٥.

٢. علل الشرائع ٢/٤٣٦.

٣. التبيان ٤/٤٠٤ (٢/١٦٦).

٤. التبيان ٤/٤٠٦ (٢/١٦٧).

فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ) معناه أن تطلبوا المغفرة.^١

رواها ابن أبي جمعة الإحصائي في عوالي اللآلي.^٢

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧: قال الإمام ٧ قال الله ﷻ للحاج (فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِّنْ عَرَفَتٍ) ومضيتم إلى المزدلفة (فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) بآلائه ونعمائه، والصلاة على محمد سيّد أنبيائه، وعلى علي سيّد أصفیائه، (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ) لدينه والإيمان برسوله (وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ) عن دينه من قبل ان يهديكم إلى دينه.^٣

ابن فهد الحلي قال: وروي أنّ من الذنوب ما لا يعفو [يعفو] إلا بعرفة والمشعر الحرام قال الله تعالى (فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِّنْ عَرَفَتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) وليلة من ليالي الإحياء. والحرم والكعبة.^٤

قال المحدث النوري: بعض نسخ الرضوي، عن أبيه عن الصادق ٧ أنّه قال: قال أبو جعفر ٧ إنّ رسول الله ٦ اردف اسامة بن زيد في مصعده إلى عرفات فلما أفاض أردف الفضل بن العباس وكان فتى حسن اللمة فاستقبل رسول الله ٦ أعرابي وعنده أخت له أجمل ما يكون من النساء فجعل الأعرابي يسأل النبي ٦ وجعل الفضل ينظر إلى أخت الأعرابي وجعل رسول الله ٦ يده على وجه الفضل يستره من النظر فإذا هو ستره من الجانب نظر من الجانب الآخر حتّى إذا فرغ رسول الله ٦ من حاجة الأعرابي التفت إليه وأخذ بمنكبه وقال أ ما علمت أنّها الأيام المعدودات والمعلومات لا يكف فيهن رجل بصره ولا يكف لسانه ويده إلا

١. التبيان ٤/ ٤٠٧ (٢/ ١٦٨).

٢. عوالي اللآلي ٢/ ٢٩٢، ح ٢٤٦.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ٧ / ٦٠٥.

٤. عدة الداعي / ٥٥.

٣٠٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثاني

كتب الله له مثل حج قابل.

وفيه وقل الله ﷻ (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) ١ هي أيام التشريق وكانوا إذا قدموا منى تفاخروا فقال الله (فَإِذَا أَفْضَئْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ) الآية ٢.

قال الثعلبي: روى سعيد بن المسيب عن علي ٧ قال: بعث الله ﷻ جبرئيل إلى إبراهيم ٧ فحج به حتى إذا جاء عرفات قال: قد عرفت، وكان قد أتاها مرة قبل ذلك فسميت عرفات. ٣.

(ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

«إِنَّ قَرِيشًا [وحلفائهم من الحُمس] كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات ترفعًا وتكبرًا فأمر الله نبيه أن يقف بها ويخرج منها مع الناس لبيطل ما كانت عليه قريش» ٤.
(ثُمَّ) عطف على قوله: (فَإِذَا أَفْضَئْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ) ٥ والكلام بمنزلة الاستدراك من الوقوف بعرفات.

(أَفِيضُوا) ايجاب للوقوف بعرفات ثم الإفاضة منها.
(مِنْ حَيْثُ) أي مِنْ عرفات لا من المشعر الحرام.

١. سورة البقرة / ٢٠٣.

٢. مستدرک الوسائل ١٠/ ١٥٧، ح ٦.

٣. الكشف والبيان ٢/ ١١٠.

٤. التفسير الكاشف ١/ ٣٠٦.

٥. سورة البقرة / ١٩٨.

(أَفَاضَ النَّاسُ) والمراد بالناس «من يصلح للاقتداء والإلتزام به، والعالمين بحدود، الحجّ وأحكامه، العاملين بها، وهم منحصرون في خليل الرحمن وذريته، القائمين مقامه، العاملين بشريعته، فهو 7 أول هذه السلسلة، وأئمة الحق من ذريته آخرها، والعلماء العاملون الذين يتلونهم علماً وعملاً، حفظة هذه التشريعات»^١.

(وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) تحريض على طلب المغفرة لأن الزمان والمكان من مبشراتهما.

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي (إِنَّ اللَّهَ) كثير الغفران لأن الغفور: مبالغة لكثرة المغفرة، وسيع رحمته لأنه رحيم بعباده.

الروايات

صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله 7 في حديث طويل: فخرج النبي 6 وأصحابه مهلّين بالحج حتى أتى منى فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر ثم غدا والناس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهي جمع ويمنعون الناس أن يفيضوا منها فأقبل رسول الله 6 وقريش ترجوا أن تكون إفاضة من حيث كانوا يفيضون فأنزل الله تعالى عليه (ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق في إفاضة منى ومن كان بعدهم فلما رأت قريش إن قبة رسول الله 6 قد مضت كأنه دخل في أنفسهم شيء للذي كانوا يرجون من الإفاضة من مكانهم حتى انتهى إلى نمرة وهي بطن عرنة بحيال الأراك فضربت قبة وضرب الناس أخبيتهم عندها فلما زالت الشمس خرج رسول الله 6 ومعه قريش وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم ثم صلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين ثم مضى إلى الموقف

فوقف به فجعل الناس يبتدرون إخفاف ناقته يقفون إلى جانبها فنحاهما ففعلوا مثل ذلك فقال أيا الناس ليس موضع اخفاف ناقتي بالموقف ولكن هذا كله وأوما بيده إلى الموقف فتفرق الناس وفعل مثل ذلك بالمزدلفة فوقف الناس حتى وقع القرص قرص الشمس ثم أفاض وأمر الناس بالدعة حتى انتهى إلى المزدلفة وهو المشعر الحرام فصلى المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين ثم أقام حتى صلى فيها الفجر وعجل ضعفاء بني هاشم بليل وأمرهم أن لا يرموا الجمرة جمرة العقبة حتى تطلع الشمس فلما أضاء له النهار أفاض حتى انتهى إلى منى فرمى جمرة العقبة.^١

ورواها الطوسي في التهذيب.^٢

صحيحة معاوية بن عمار قال: قال أبو عبد الله 7: إنَّ المشركين كانوا يفيضون من قبل أن تغيب الشمس فخالفهم رسول الله 6 فأفاض بعد غروب الشمس قال: وقال أبو عبد الله 7: إذا غربت الشمس فافض مع الناس وعليك السكينة والوقار وأفض بالاستغفار فإنَّ الله ﷻ يقول (ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فإذا انتهيت إلى الكثيب الأحمر عن يمين الطريق فقل اللهم ارحم موقفي وزد في علمي وسلم لي ديني وتقبل مناسكي وإياك والوجيف الذي يصنعه الناس فإنَّ رسول الله 6 قال أيها الناس إنَّ الحج ليس بوجيف الخيل ولا إيضاع الابل ولكن اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا توطئوا ضعيفا ولا توطئوا مسلما وتوادوا واقتصدوا في السير فإنَّ رسول الله 6 كان يكف ناقته حتى يصيب رأسها مقدم الرحل ويقول أيها الناس عليكم بالدعة فسنة رسول الله 6 تتبع قال معاوية وسمعت أبا عبد الله 7 يقول اللهم اعتقني من النار

١. الكافي ٤/٢٤٧، ح ٤.

٢. التهذيب ٥/٤٥٦.

وكررها حتّى أفاض فقلت ألا تفيض فقد أفاض الناس فقال إنّى أخاف الزحام
وأخاف أن أشرك في عنتِ انساني^١.

ورواها الصدوق في الفقيه^٢ والمفيد في المقنعة^٣.

خبر سعيد بن المسيب قال سمعت علي بن الحسين ٧ يقول: إنّ رجلاً جاء إلى
أمير المؤمنين ٧ فقال أخبرني إنّ كنت عالماً عن الناس وعن أشباه الناس وعن
النسنان فقال أمير المؤمنين ٧ يا حسين اجب الرجل فقال الحسين ٧ أما قولك
أخبرني عن الناس فنحن الناس ولذلك قال الله تعالى ذكره في كتابه (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ
حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) فرسول الله ٦ الذي أفاض بالناس وأما قولك أشباه الناس
فهم شيعتنا وهم موالينا وهم منا ولذلك قال إبراهيم ٧ (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي)^٤
وأما قولك النسنان فهم السواد الأعظم وأشار بيده إلى جماعة الناس ثم قال (إِنَّهُمْ
إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَصْلُ سَبِيلٍ)^٥.

عن علي قال: سألت أبا عبد الله ٧ عن قول الله (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
النَّاسُ) قال كانت قريش يفيض من المزدلفة في الجاهلية يقولون نحن أولى بالبيت من
الناس، فأمرهم الله أن يفيضوا حيث أفاض الناس من عرفة^٦.
عن رفاعه عن أبي عبد الله ٧ قال سألته عن قول الله (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ
أَفَاضَ النَّاسُ) قال إنّ أهل الحرم كانوا يقفون على المشعر الحرام ويقف الناس بعرفة

١. الكافي ٤/ ٤٦٧، ح ٢.

٢. من لا يحضره الفقيه ٤١٥.

٣. المقنعة ٤١٥.

٤. سورة إبراهيم ٣٦.

٥. سورة الفرقان ٤٤.

٦. الكافي ٨/ ٢٤٤، ح ٣٣٩.

٧. تفسير العياشي ١/ ٢٠٧، ح ٢٦٩.

ولا يفيضون حتّى يطلع عليهم أهل عرفة، وكان رجلاً يكنى أبا سيار وكان له حمار فاره وكان يسبق أهل عرفة فإذا طلع عليهم قالوا هذا أبو سيار، ثمّ أفاضوا فأمرهم الله أن يقفوا بعرفة وأن يفيضوا منه.^١

عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله 7 في قوله (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) قال: يعني إبراهيم وإسماعيل.^٢

عن جابر بن أبي جعفر 7 في قوله (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) قال هم أهل اليمن.^٣

عن زيد الشحام عن أبي عبد الله قال سألته عن قول الله (أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) قال أولئك قريش كانوا يقولون نحن أولى الناس بالبيت ولا يفيضون إلّا من المزدلفة، فأمرهم الله يفيضوا من عرفة.^٤

العياشي قال: وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله 7 قال: إنّ قريشاً كانت تفيض من جمع، ومُضَر وربيعه من عرفات.^٥

عن أبي الصباح عن أبي عبد الله 7 قال: إنّ إبراهيم 7 أخرج إسماعيل إلى الموقف فأفاضاً منه، ثمّ إنّ الناس كانوا يفيضون منه، حتّى إذا كثرت قريش، قالوا: لا نفيض من حيث أفاض الناس، وكانت قريش تفيض من المزدلفة ومنعوا الناس أن يفيضوا معهم إلّا من عرفات، فلما بعث الله محمّداً عليه الصلاة والسلام أمره أن يفيض من حيث أفاض الناس، وعنى بذلك إبراهيم وإسماعيل 8.^٦

١. تفسير العياشي ١/٢٠٦، ح ٢٦٧.

٢. تفسير العياشي ١/٢٠٧، ح ٢٦٨.

٣. تفسير العياشي ١/٢٠٧، ح ٢٧٢.

٤. تفسير العياشي ١/٢٠٦، ح ٢٦٦.

٥. تفسير العياشي ١/٢٠٧، ح ٢٧٠.

٦. تفسير العياشي ١/٢٠٧، ح ٢٧١.

خبر جعفر عن أبيه [عن جده] عن علي [بن الحسين] 7 قال: قام رجل إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الناس وأشباه الناس والنسناس، قال: فقال علي: أجبه يا حسن، قال: فقال له الحسن: سألت عن الناس فرسول الله ﷺ لأن الله تعالى يقول (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) ونحن منه وسألت عن أشباه الناس فهم شيعتنا وهم منا وهم أشباهنا، وسألت عن النسناس فهم هذا السواد الأعظم وهو قول الله تعالى في كتابه (إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) ٢.١

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) ارجعوا من المشعر الحرام من حيث رجع الناس من «جمع» والناس هاهنا في هذا الموضع الحاج غير الحمس فان الحمس كانوا لا يفيضون من جمع (وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) لذنوبكم (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ٣.

قال الطوسي: قيل في معنى هذه الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عباس وعائشة وعطاء ومجاهد والحسن وقتادة والسدي والربيع وهو المروي عن أبي جعفر 7: أنه أمر لقريش وخلفائهم لأتاهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة، ولا يفيضون منها، ويقولون: نحن أهل حرم الله لا نخرج عنه، فكانوا يقفون بجمع وفيضون منه دون عرفة، فأمرهم الله تعالى أن يفيضوا من عرفة بعد الوقوف بها. ٤

الطبرسي قال: قيل: إن الناس إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ومن بعدهم من الأنبياء، عن أبي عبد الله 7. ٥

١. سورة الفرقان / ٤٤.

٢. تفسير فرائد الكوفي / ٦٤، ح ٣٠.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٦٠٥.

٤. التبيان ٤ / ٤٠٧ (٢ / ١٦٨).

٥. مجمع البيان ٢ / ٢٩٦.

(فَإِذَا قُضِيَتْمْ مِّنْ سَكِّكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ

النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ) ﴿٢٠٠﴾

دعوة إلى ذكر الله وأن يذكره الناس كذكره آبائه أو أشد منه لأن نعمته في حقه وهي نعمة الهداية أعظم من حق آبائه عليه.

(ف) تفریع على الآية السابقة.

(إِذَا) ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط متعلق بجوابه.

(قُضِيَتْمْ) فعل ماض وفاعله. أي فرغتم، فعل الشرط.

(مِّنْ سَكِّكُمْ) مفعول به ومضاف إليه، المناسك: جمع مُسَكٍّ مشتق من نَسَكَ

نَسَكًا إذا تعبد. والضمير عائد إلى الحجاج.

(ف) واقعة في جواب الشرط. (أَذْكُرُوا) فعل أمر وفاعله.

(اللَّهُ) مفعول به. (كَ) حرف جر وتشبيه.

(ذِكْرِكُمْ) مجرور بحرف جر ومضاف إليه، جار ومجرور نعت لمصدر محذوف

تقديره: ذكراً (كَذِكْرِكُمْ).

(آبَاءَكُمْ) مفعول به ومضاف إليه.

(أَوْ) حرف عطف للتخيير أو للاضراب فتفيد معنى «بل».

(أَشَدَّ) معطوف على (كَ) تشبيه في (كَذِكْرِكُمْ). مجرور وممنوع من الصرف.

«قد وصف الذكر بالشدة وهو أمر يقبل الشدة في الكيفية كما يقبل الكثرة في الكمية،

قال تعالى: (أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) ١، وقال تعالى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا) ٢، فإن الذكر

١. سورة الأحزاب / ٣٥.

٢. سورة الأحزاب / ٤١.

بحسب الحقيقة ليس مقصوراً في اللفظ، بل هو أمر يتعلق بالحضور القلبي واللفظ حاك عنه، فيمكن أن يتصف بالكثرة من حيث الموارد بأن يذكر الله سبحانه في غالب الحالات كما قال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) ^١، وأن يتصف بالشدة في مورد من الموارد، ولما كان المورد المستفاد من قوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ مَنَسِكَكُمْ) ، موردًا يستوجب التلهي عنه تعالى ونسيانه كان الأنسب توصيف الذكر الذي أُمر به فيه بالشدة دون الكثرة كما هو ظاهر ^٢.

(ذَكَرًا) تمييز. (فَ) تفريع على أمر (أَذْكُرُوا اللَّهَ).

(مِنَ النَّاسِ) جار ومجرور، خبر مقدم. (مِنَ) تبعيضية والمراد بـ(النَّاسِ) مطلق أفراد الإنسان وهم أعم من الكافر والمؤمن.

(مَنْ) اسم موصول، مبتدأ مؤخر.

(يَقُولُ) بلسان حاله ومقاله على نحو الاستمرار والدوام.

(رَبَّنَا) منادى بأداة نداء محذوفة للتعظيم ومضاف إليه.

(ءَاتَيْنَا) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به في مقام الدعاء والتضرع، وحذف مفعول به ثانٍ للدلالة على الإطلاق.

(فِي الدُّنْيَا) جار ومجرور متعلق بـ(ءَاتَيْنَا).

(و) عاطفة، عطفت على قوله: (مَنْ يَقُولُ)، أو حالية.

(مَا) نافية. (لَهُ) جار ومجرور، خبر مقدم.

(فِي الْآخِرَةِ) جار ومجرور متعلق بحال مقدمة (مِنْ خَلْقٍ).

(مِنْ) حرف جر زائد تأكيد للنفي.

١. سورة آل عمران / ١٩١.

٢. الميزان ٢ / ٨٠.

(خَلَقَ) مبتدأ مؤخر. أي النصيب من الخير على وجه الاستحقاق.

الروايات

صحيحة منصور بن حازم عن أبي عبد الله 7 في قول الله ﷻ (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) ١ قال هي أيام التشريق كانوا إذا أقاموا بمنى بعد النحر تفاخروا فقال الرجل منهم كان أبي يفعل كذا وكذا فقال الله جل ثناؤه فإذا أفضتم من عرفات (فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) قال: والتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد الله أكبر على ما هدانا الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام. ٢

عن محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر 7 في قول الله (فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) قال كان الرجل في الجاهلية يقول كان أبي وكان أبي فأنزلت هذه الآية في ذلك. ٣

العياشي رفعه عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله 7 .

والحسين عن فضالة بن أيوب عن العلا عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر 7 في قول الله تعالى مثله سواء.

أي كانوا يفتخرون بآبائهم، يقولون أبي الذي حمل الديات والذي قاتل كذا وكذا، إذا قاموا بمنى بعد النحر، وكانوا يقولون أيضًا - يخلفون بآبائهم - لا وأبي، لا وأبي. ٤

١. سورة البقرة / ٢٠٣.

٢. الكافي ٤/ ٥١٦، ح ٣.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢٠٨، ح ٢٧٣.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢٠٨، ح ٢٧٤.

وروي محمد بن مسلم عن أبي جعفر 7 في قوله (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) قال كان الرجل يقول كان أبي وكان أبي فنزلت عليهم في
ذلك. ١

عن زرارة عن أبي جعفر 7 قال سألته عن قوله (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) قال إن أهل الجاهلية كان من قولهم كلاً وأبيك، بلى وأبيك،
فأمروا أن يقولوا لا والله وبلى والله. ٢

القاضي نعمان الصمري رفعه عن جعفر بن محمد 7 أنه قال في قول الله ﷻ
(فَإِذَا قُضِيَتِ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) قال كان
المشركون يفخرون بمنى أيام التشريق بأبائهم ويذكرون أسلافهم وما كان لهم من
الشرف فأمر الله تعالى المسلمين أن يذكروه مكان ذلك. ٣

البنزطي عن الرضا 7 قال: وسألته عن قول الله ﷻ (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) قال كان المشركون يفتخرون بمنى إذا كان أيام التشريق
فيقولون كان أبونا كذا وكان أبونا كذا فيذكرون فضلهم فقال (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَاءَكُمْ). ٤

قال علي بن إبراهيم القمي: (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا)
قال: كانت العرب إذا وقفوا بالمشعر، يتفاخرون بأبائهم، فيقول: لا وأبيك، لا وأبي،
فأمرهم الله أن يقولوا: لا والله وبلى والله. ٥

١. تفسير العياشي ١/ ٢٠٨، ح ٢٧٦.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٠٨، ح ٢٧٥.

٣. دعائم الإسلام ١/ ٣٣١.

٤. مستطرفات السرائر / ٥٦٢، نقلاً من نوادر أحمد بن محمد بن أبي نصر البنزطي.

٥. تفسير القمي ١/ ٦٩.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ) التي سنت لكم في حجكم (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ) اذكروا الله بآلائه لديكم وإحسانه إليكم فيها وفقكم له من الإيمان بنبوّة محمد ﷺ سيّد الأنام واعتقاد وصيه أخيه عليّ زين أهل الإسلام كذكركم آباءكم بأفعالهم ومآثرهم التي تذكرونها (أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) خيرهم بين ذلك ولم يلزمهم أن يكونوا له أشد ذكرا منهم لآبائهم وإن كانت نعم الله عليهم أكثر وأعظم من نعم آبائهم. ثم قال [الله] ﷻ (فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا أَمْوَالَهَا وخيراتها (وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ) نصيب لأنّه لا يعمل لها عملا ولا يطلب فيها خيرا^١.

قال الطوسي: وقوله (كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ) معناه ما روي عن أبي جعفر 7 أنّهم كانوا يجتمعون يتفاخرون بالآباء وبمآثرهم ويبالغون فيه^٢.
روا نحوها مع زيادة الطبرسي في مجمع البيان^٣.

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ﴿٢٠١﴾

على خلاف مَنْ لا يطلب إلا الدنيا ولا شغل ولا نصيب له بالآخرة، من المؤمنين الذين لا يريدون إلا ما عند الله سبحانه ولو أرادوا من الدنيا شيئا لم يريدوا إلا ما يرضيه لهم ربهم ولكنهم يطلبون الآخرة ولهم شغل بها ونصيب فيها.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٦٠٥.

٢. التبيان ٢ / ١٧٠.

٣. مجمع البيان ٢ / ٢٩٧.

(و) عاطفة.

(مِنْهُمْ) «من» تبعيضية والضمير عائد إلى (النَّاسِ) في الآية السابقة.

(مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا) مرّ في الآية السابقة. (آتِنَا): أعطنا.

(حَسَنَةً) مفعول به ثان. «أنّ من يريد الدنيا لا يقيد به بأن يكون حسناً عند الله

سبحانه بل الدنيا وما هو يتمتع به في الحياة الأرضية كلها حسنه عنده موافقة لهوى

نفسه، وهذا بخلاف من يريد ما عند الله سبحانه فإن ما في الدنيا وما في الآخرة ينقسم

عنده إلى حسنة وسيئة ولا يريد ولا يسأل ربه إلاّ الحسنة دون السيئة»^١.

(وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ) معطوفة على قوله (رَبَّنَا آتِنَا) ومرّ معناها.

(و) عاطفة.

(قِنَا) فعل أمر في مقام الدعاء وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به أوّل.

الوقاء: الحجز بين الشيئين.

(عَذَابٍ) مفعول به ثان. (النَّارِ) مضاف إليه.

الروايات

خبر سفيان بن عيينة عن أبي عبد الله 7 قال: سألت رجل أبي بعد منصرفه من

الموقف فقال أ ترى يخيب الله هذا الخلق كله فقال أبي ما وقف بهذا الموقف أحد إلاّ

غفر الله له مؤمنا كان أو كافرا إلاّ أنّهم في مغفرتهم على ثلاث منازل مؤمن غفر الله له

ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعتقه من النار وذلك قوله ﷻ (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا^٢ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)

ومنهم من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وقيل له أحسن فيما بقي من عمرك وذلك

١. الميزان ٢/ ٨١.

٢. سورة البقرة / ٢٠٢.

قوله ﷺ (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) ^١ يعني من مات قبل أن يمضي فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن أتقى الكبائر وأما العامة فيقولون (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) يعني في النفر الأول (وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) يعني لمن أتقى الصيد أفتري أن الصيد يحرمه الله بعد ما أحله في قوله ﷺ (وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا) ^٢ وفي تفسير العامة معناه وإذا حللتهم فاتقوا الصيد وكافروا وقف هذا الموقف زينة الحياة الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه إن تاب من الشرك فيما بقي من عمره وإن لم يتب وفاه أجره ولم يحرمه أجر هذا الموقف وذلك قوله ﷺ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ^{٣ ٤}

رواها القمي في تفسيره. ^٥

صحيحة جميل بن صالح عن أبي عبد الله ^٧ في قول الله ﷻ (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً) رضوان الله والجنة في الآخرة والمعاش وحسن الخلق في الدنيا. ^٦

رواها الصدوق في الفقيه ^٧ ومعاني الأخبار ^٨ والطوسي في التهذيب ^٩.

١. سورة البقرة / ٢٠٣.

٢. سورة المائدة / ٢.

٣. سورة هود / ١٥ و ١٦.

٤. الكافي / ٤، ٥٢١، ح ١٠.

٥. تفسير القمي / ١ / ٧٠.

٦. الكافي / ٥ / ٧١، ح ٢.

٧. من لا يحضره الفقيه / ٣ / ١٥٦.

٨. معاني الأخبار / ١٧٤.

٩. التهذيب / ٦ / ٣٢٧.

صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبدالله 7 في حديث: وتقول فيما بين الركن اليماني والحجر الأسود: (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) الحديث. ١

صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله 7 قال: يستحب أن تقول بين الركن والحجر «اللهم (آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)». وقال: إِنَّ مَلَكًا مَوَكَّلًا يَقُولُ: آمين. ٢

عن عبد الأعلى قال: سألت أبا عبدالله 7 عن قول الله (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) قال: رضوان الله والجنة في الآخرة والسعة في المعيشة وحسن الخلق في الدنيا. ٣

عن عبد الأعلى عن أبي عبدالله 7 قال: رضوان الله والتوسعة في المعيشة وحسن الصحبة، وفي الآخرة الجنة. ٤

وفي التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: ومنهم من يقول (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) خيراتها (وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً) من نعم جناتها (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) نجنا من عذاب النار وهم بالله مؤمنون، وبطاعته عاملون ولمعاصيه مجانبون. ٥

القطب الراوندي قال: وروي أَنَّ النبي 6 دخل على مريض قال ما شأنك قال صليت بنا صلاة المغرب فقرات القارعة فقلت: اللهم إِنْ كَانَ لِي عِنْدَكَ ذَنْبٌ تَرِيدُ أَنْ تُعَذِّبَنِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا فَصُرْتُ كَمَا تَرَى فَقَالَ 6 بَشْمَا قُلْتَ

١. الكافي ٤/٤٠٦، ح ١.

٢. الكافي ٤/٤٠٨، ح ٧.

٣. تفسير العياشي ١/٢٠٨، ح ٢٧٧.

٤. تفسير العياشي ١/٢٠٩، ح ٢٧٨.

٥. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٦٠٥.

أ لا قلت: (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) فدعا له حتى أفاق.^١

أبو منصور الطبرسي رفعه عن موسى بن جعفر 7 عن آبائه : عن أمير المؤمنين 7 في احتجاجه على اليهود: ومحمد 6 أعطى ما هو أفضل من ذلك، أبرأ ذا العاهة من عاهته، وبينما هو جالس إذ سأل عن رجل من أصحابه فقالوا: يا رسول الله إنه قد صار من البلاء كهية الفرخ الذي لا ريش عليه، فأتاه 6 فإذا هو كهية الفرخ من شدة البلاء، فقال له: قد كنت تدعو في صحتك الدعاء؟ قال: نعم كنت أقول: يا ربّ أيها عقوبة أنت معاقبي بها في الآخرة فاجعلها لي في الدنيا، فقال له النبي 6: ألا قلت: «اللهم (آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)» فقالها الرجل فكانها نشط من عقل، وقام صحيحاً وخرج معنا الحديث.^٢

الثعلبي رفعه عن أمير المؤمنين 7 انه قال: (في الدُّنْيَا حَسَنَةً) امرأة صالحة، (وفي الْآخِرَةِ حَسَنَةً) الحور العين، (وقِنَا عَذَابَ النَّارِ) المرأة السوء.^٣

(أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) ﴿٢٠٢﴾

تتمة الآية السابقة.

(أُولَئِكَ) اسم اشارة، اشارة إلى الدين ورد في الآية السابقة، مبتدأ.

(لَهُمْ نَصِيبٌ) خبر، النصيب: الحظ المعطى لأحدٍ في خير أو شرٍّ قليلاً كان أو

كثيراً.

١. الدعوات / ١١٤، ح ٢٦٢.

٢. الاحتجاج / ١ / ٢٢٣.

٣. الكشف والبيان / ٢ / ١١٥.

(مِمَّا) مركبة: «مِنْ» حرف جر و «ما» موصولة جار ومجرور متعلق
بـ(نَصِيبٌ).

(كَسَبُوا) فعل ماض وفاعله. الكسب: الفعل الذي يجتلب به نفع أو يدفع به
ضرر.

(وَ) حالية أو عاطفة. (اللَّهُ) مبتدأ.

(سَرِيعٌ) خبر، اطلاقه يدل على شموله للدنيا والآخرة معاً.

(الْحَسَابِ) مضاف إليه. «كلما عمل عبد شيئاً من الحسنات أو غيرها آتاه الله
جزاءً وفاً»^١.

وبالجملة: يسرع الله في حساب ما يريده عبده فيعطيه كما يريد.

الروايات

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: أولئك الداعون بهذا الدعاء على
هذا الوصف لهم نصيب مما كسبوا من ثواب ما كسبوا في الدنيا وفي الآخرة. والله
سريع الحساب لأنه لا يشغله شأن عن شأن، ولا محاسبة أحد من محاسبة آخر، فإذا
حاسب واحدا فهو في تلك الحال محاسب للكل، يتم حساب الكل بتمام حساب
واحد، وهو كقوله (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ)^٢ يشغله خلق واحد عن
خلق آخر [ولا يعثب واحد عن بعث آخر]^٣.

الطوسي قال: روي عن علي 7 أنه قال: معناه أنه يحاسب الخلق دفعة كما
يرزقهم دفعة.^٤

١. الميزان ٢/ ٨١.

٢. سورة لقمان / ٢٨.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٦٠٥.

٤. التبيان ٢/ ١٧٤.

رواها الطبرسي في مجمع البيان.^١

الطبرسي قال: ورد في الخبر: إنه تعالى يحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر، وروي: بقدر حلب شاة.^٢

(﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا

إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾)

إشارة إلى بعض أحكام الحج في أيام التشريق بمنى.
(و) عاطفة.

(أَذْكُرُوا اللَّهَ) معطوف على (فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا)^٣.
(فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) وهي أيام التشريق في منى يعني ١١ و ١٢ و ١٣ من ذي الحجة الحرام للحججاج.

(فَ) تفرعية. (مَنْ) اسم شرط، مبتدأ.
(تَعَجَّلَ) فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو»، فعل الشرط.
(فِي يَوْمَيْنِ) أي الحادي عشر والثاني عشر.

(فَ) واقعة في جواب الشرط. (لَا) نافية للجنس. (إِثْمَ) اسم (لَا).
(عَلَيْهِ) جار ومجرور، خبر (لَا). «ينفي جنس الإثم عن الحاج ولم تقييده به، فالمعنى أن من أتم عمل الحج فهو مغفور لا ذنب له سواء تعجل في يومين أو تأخر،

١. مجمع البيان ٢/ ٢٩٨.

٢. مجمع البيان ٢/ ٢٩٨.

٣. سورة البقرة / ٢٠٠.

ومن هنا يظهر: أنَّ الآية ليست في مقام بيان التخيير بين التأخر والتعجل للناسك، بل المراد بيان كون الذنوب مغفورة للناسك على أي حال^١.

(وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) معطوفة على (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ).

(ل) حرف جر. (مِنْ) اسم موصول.

(اتَّقَى) في أعمال حجّه من تروك الإحرام أو الإتيان بواجبات حجّه من

الأعمال.

(و) عاطفة. (اتَّقُوا اللَّهَ) في ما بقي من حياته وعمره.

(وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) «تذكير بالحرش والبعث فإن التقوى لا تتم

والمعصية لا تجتنب إلا مع ذكر يوم الجزاء، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)^٢»^٣.

الروايات

صحيححة عبدالأعلى قال: قال أبو عبدالله 7 كان أبي يقول من أمّ هذا البيت

حاجا أو معتمرا مبرا من الكبر رجع من ذنوبه كهية يوم ولدته أمه ثم قرأ (فَمَنْ تَعَجَّلَ

فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى) قلت: ما الكبر؟ قال: قال

رسول الله 6: إِنَّ أَعْظَمَ الْكِبَرِ غَمَصُ الْخَلْقِ وَسَفَهَ الْحَقِّ، قلت: ما غَمَصُ الْخَلْقِ

وسفه الحق؟ قال يجهل الحق ويطعن على أهله ومن فعل ذلك نازع الله رداءه.^٤

ورواها الطوسي في التهذيب.^٥

١. الميزان ٢/ ٨٢.

٢. سورة ص / ٢٦.

٣. الميزان ٢/ ٨٢.

٤. الكافي ٤/ ٢٥٢، ح ٢.

٥. التهذيب ٥/ ٢٣.

صحیحة محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله 7 عن قول الله ﷻ (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) قال التكبير في أيام التشريق من صلاة الظهر من يوم النحر إلى صلاة الفجر من يوم الثالث وفي الأمصار عشر صلوات فإذا نفر بعد الأولى أمسك أهل الأمصار ومن أقام بمنى فصلّى بها الظهر والعصر فليكبّر.^١

ورواها الطوسي في التهذيب^٢ والاستبصار^٣.

صحیحة منصور بن حازم عن أبي عبد الله 7 في قول الله ﷻ (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) قال هي أيام التشريق كانوا إذا أقاموا بمنى بعد النحر تفاخروا فقال الرجل منهم كان أبي يفعل كذا وكذا فقال الله جل ثناؤه فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا قال والتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد الله أكبر على ما هدانا الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام.^٤

ورواها الطوسي في التهذيب^٥.

معتبرة أبي أيوب قال: قلت لأبي عبد الله 7: أنا نريد أن نتعجل السير وكانت ليلة النفر حين سألته فأني ساعة نفر فقال لي أما اليوم الثاني فلا تنفر حتى ترول الشمس وكانت ليلة النفر وأما اليوم الثالث فإذا أبيضت الشمس فانفر على بركة الله فان الله جل ثناؤه يقول (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فلو سكت لم يبق أحد إلا تعجل ولكنه قال ومن تأخر فلا إثم عليه.^٦

١. الكافي ٥١٦/٤، ح ١.

٢. التهذيب ١٣٩/٣ و ٢٦٩/٥.

٣. الاستبصار ٢٩٩/٢.

٤. الكافي ٥١٦/٤، ح ٣.

٥. التهذيب ٤٨٧/٥.

٦. الكافي ٥١٩/٤، ح ١.

ورواها الطوسي في التهذيب^١.

خبر إسماعيل بن نجيح الرماح قال: كنا عند أبي عبد الله بمنى ليلة من الليالي فقال ما يقول هؤلاء في (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) قلنا ما ندري قال: بلى يقولون من تعجل من أهل البادية فلا إثم عليه ومن تأخر من أهل الحضر فلا إثم عليه وليس كما يقولون قال الله جل ثناؤه (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) ألا لا إثم عليه (وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) ألا لا إثم عليه (لِمَنِ اتَّقَى) إنما هي لكم والناس سواد وأنتم الحاج^٢.

عن حماد بن عيسى قال: سمعت أبا عبد الله ^٧ يقول: قال علي ^٧ في قول الله (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) قال أيام التشريق^٣.

رواها الحميري في قرب الإسناد^٤ والصدوق في معاني الأخبار^٥ والطوسي في التهذيب^٦.
عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله ^٧ عن قول الله (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) قال التكبير في أيام التشريق في دبر الصلاة^٧.

رواها ابن أبي جمهور الإحساني في عوالي اللآلي^٨.
عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله ^٧ في قوله (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) قال: يرجع مغفورا له لا ذنب له^٩.

١. التهذيب ٥/ ٢٧١.

٢. الكافي ٤/ ٥٢٣، ح ١٢.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢٠٩، ح ٢٨١.

٤. قرب الإسناد ١٧، ح ٥٥.

٥. معاني الأخبار ٢٩٧، ح ٢.

٦. التهذيب ٥/ ٤٤٧ و ٤٨٧.

٧. تفسير العياشي ١/ ٢٠٢٩، ح ٢٨٢.

٨. عوالي اللآلي ٣/ ١٦٨.

٩. تفسير العياشي ١/ ٢١٠، ح ٢٨٤.

عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر 7 في قوله (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى) منهم الصيد واتقى الرفت والفسوق والجدال وما حرم الله عليه في احرامه.^١

عن أبي أيوب الخزاز قال: قلت لأبي عبد الله 7: أنا نريد أن نتعجل فقال لا تنفروا في اليوم الثاني حتى تزول الشمس، فأما اليوم الثالث فإذا انتصف فانفروا فإن الله يقول (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فلو سكت لم يبق أحد إلا يعجل ولكنه قال جل وعز (وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ).^٢

عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: إن العبد المؤمن حين يخرج من بيته حاجا لا يخطو خطوة به راحلته إلا كتب الله له بها حسنة، ومحا عنه سيئة، ورفع له بها درجة، فإذا وقف بعرفات فلو كانت له ذنوب عدد الثرى رجع كما ولدته أمه، فقال له استأنف العمل يقول الله (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى).^٣

عن أبي بصير، في رواية أخرى عنه 7 نحوه وزاد فيه: فإذا حلق رأسه لم تسقط شعرة إلا جعل الله له بها نوراً يوم القيامة، وما أنفق من نفقة كتبت له، فإذا أطاف بالبيت رجع كما ولدته أمه.^٤

عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر 7 في قوله (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) الآية قال أنتم والله هم، إن رسول الله 6 قال لا يثبت على ولاية علي 7 إلا

١. تفسير العياشي ١/ ٢١٠، ح ٢٨٣.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢١٠، ح ٢٨٥.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢١٠، ح ٢٨٦.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢١٠، ح ٢٨٧.

المتقون. ١

عن حماد عنه في قوله (لِمَنِ اتَّقَى) الصيد فان ابتلي شيء من الصيد ففداه فليس له ان ينفر في يومين. ٢

رواها الصدوق في الفقيه. ٣

خبر زيد الشحام عن أبي عبد الله 7 في قول الله ﷻ (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) قال المعلومات والمعدودات واحدة وهي أيام الشريق. ٤

رواها العياشي في تفسيره. ٥

القاضي نعمان المصري قال: رونا عن جعفر بن محمد 7 أنه قال: إذا أردت أن تقيم بمنى أقمت ثلاثة أيام يعني بعد يوم النحر فإن أردت أن تتعجل النفر في يومين فذلك لك قال الله تعالى (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ). ٦

صحيحة حماد عن أبي عبد الله 7 قال: إذا أصاب المحرم الصيد فليس له أن ينفر في النفر الأول ومن نفر في النفر الأول فليس له أن يصيب الصيد حتى ينفر الناس وهو قول الله تعالى (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) قال: إن تقى الصيد. ٧

الطوسي قال: روى أصحابنا: أن قوله (لِمَنِ اتَّقَى) متعلق بالتعجل في اليومين، وتقديره: «فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، لمن اتقى الصيد إلى انقضاء النفر الأخير

١. تفسير العياشي ١/ ٢١١، ح ٢٨٨.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢١١، ح ٢٨٩.

٣. من لا يحضره الفقيه ٢/ ٢١٥.

٤. معاني الأخبار / ٢٩٧، ح ٣.

٥. تفسير العياشي ١/ ٢٠٩، ح ٢٨٠.

٦. دعائم الإسلام ١/ ٣٣٢.

٧. التهذيب ٥/ ٤٩٠، ح ٤٠٤.

وما بقي من إحرامه، ومن لم يتقها فلا يجوز له النفر في الأول» وهو اختيار الفراء والمروي عن ابن عباس.^١

الطوسي رفعه عن أبي عبد الله 7 أنه قال في قوله تعالى: (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ) أي من مات في هذين اليومين، فقد كفر عنه كل ذنب، ومن تأخر أي انسئ أجله، فلا أثم عليه بعد إذا اتقى الكبائر.^٢

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) وهي الأيام الثلاثة التي هي أيام التشريق بعد يوم النحر، وهذا الذكر هو التكبير بعد الصلوات المكتوبات يبتدى من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر والله الحمد» (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ) من أيام التشريق فانصرف من حجه إلى بلاده التي هو منها (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ) إلى تمام اليوم الثالث. (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) أي لا إثم عليه من ذنوبه السالفة، لأنها قد غفرت له كلها بحجته هذه المقارنة لندمه عليها وتوقيه منها. (لِمَنْ أَتَقَى) أن يواقع الموبقات بعدها، فإنه إن واقعها كان عليه إثمها، ولم تغفر له [...] تلك الذنوب السالفة بتوبة قد أبطلها بموبقات بعدها، وإنما يغفرها بتوبة يجدها. (وَأَتَّقُوا اللَّهَ) يا أيها الحاج المغفور لهم سالف ذنوبهم بحجهم المقرون بتوبتهم، فلا تعاودوا الموبقات فيعود إليكم أثقالها، ويثقلكم احتماؤها، فلا يغفر لكم إلا بتوبة بعدها (وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) فينظر في أعمالكم فيجازيكم عليها.^٣

١. التبيان ٢/ ١٧٦.

٢. التبيان ٢/ ١٧٧.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٦١١.

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۚ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) ﴿٢٠٤﴾

هذه الآية وما بعدها تقسيم آخر للناس من حيث نتائج صفاتهم.

(وَ) عاطفة، عطفت على قوله: (فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا) ١.

(مِنَ النَّاسِ) جار ومجرور، خبر مقدم. (مَن) اسم موصول، مبتدأ مؤخر.

(يُعْجِبُكَ) فعل مضارع ومفعول به مقدم. أي يحسن عندك.

(قَوْلُهُ) فاعل ومضاف إليه.

(فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) جار ومجرور متعلق بـ(يُعْجِبُكَ) ونعت، أي «أن الإعجاب

في الدنيا من جهة أن هذه الحياة نوع حياة لا تحكم إلا على الظاهر» ٢.

(وَ) عاطفة.

(يُشْهَدُ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».

(اللَّهُ) مفعول به. (عَلَىٰ) حرف جر.

(مَا) موصولة، مجروره. جار ومجروره متعلق بـ(يُشْهَدُ).

(فِي قَلْبِهِ) أي «أنه يقرن حسن قوله وظاهر تودده بإشهاد الله تعالى على أن ما

في قلبه مطابق لما في لفظه» ٣.

(وَ) حالية. (هُوَ) مبتدأ.

١. سورة البقرة / ٢٠٠.

٢. الميزان ٩٦ / ٢.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢ / ٢٥١.

(أَلَدُّ) خبر، أي شديد الخصومة والعداوة. صفة مشبهة وليس اسم تفصيل.
(أَلْخِصَامِ) مضاف إليه. جمع خصم. يعني: هو ألد الناس المخاصمين.

الروايات

عن الحسين بن بشار قال: سألت أبا الحسن 7 عن قول الله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال: فلان وفلان، (وَيُهْلِكَ الْوَحْشَ وَالنَّسْلَ) ١ النسل: هم الذرية والحرث: الزرع. ٢

عن سعد الإسكاف عن أبي جعفر 7 قال: إن الله يقول في كتابه (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) بل هم يختصمون، قال: قلت: ما ألد؟ قال: شديد الخصومة. ٣

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7: قال الإمام 7 فلما أمر الله ﷻ في الآية المتقدمة لهذه الآيات بالتقوى سراً وعلانية، أخبر محمداً 6 إن في الناس من يظهرها ويُسِرُّ خلافها، وينطوي على معاصي الله، فقال يا محمد (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بإظهاره لك الدين والإسلام، وتزينه بحضرتك بالورع والإحسان (وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ) بأن يحلف لك بأنه مؤمن مخلص مصدق لقوله بعمله (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) شديد العداوة والجدال للمسلمين. ٤

قال الطبرسي: قال ابن عباس: نزلت الآيات الثلاثة في المرائي لأنه يظهر خلاف ما يبطن، وهو المروي عن الصادق 7 إلا أنه غير المعنى به. ٥

١. سورة البقرة / ٢٠٥.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢١١، ح ٢٩٠.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢١٢، ح ٢٩٤.

٤. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري 7 / ٦١٧.

٥. الآيات ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦.

٦. مجمع البيان ٢/ ٣٠٠.

أبو الفتوح الرازي رفعه عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم.^١

(وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ)

«إذا خرج هذا المنافق من عندك يا محمد غضبان، عمل في الأرض بما حرم الله عليه وحاول معصيته، وقطع الطريق وأفسد النسل والحرث على عباده (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ)»^٢.

(و) عاطفة.

(إِذَا) ظرف متضمن معنى الشرط متعلق بجوابه.

(تَوَلَّى) فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى (مَنْ) في الآية السابقة.

فعل الشرط، أي أدبر وانصرف أو (تَوَلَّى) الحكم والسلطان.

(سَعَى) فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو»، جواب الشرط، السعي هو

الإسراع في المشي والعمل.

(فِي الْأَرْضِ) جار ومجرور متعلق بـ(سَعَى). (ل) حرف جر للتعليل.

(يُفْسِدَ) فعل مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة بعد (ل).

الإفساد: هو عمل الضرر بغير استحقاق ولا وجه فيه من وجوه المصلحة. بيان

١. روض الجنان ٣/ ١٥١.

٢. التبيان ٢/ ١٨١.

لأجمال قوله: (فِي الْأَرْضِ) مع افادة التأكيد.

(فِيهَا) جار ومجرور متعلق بـ(يُفْسِدَ)، والضمير عائد إلى (الْأَرْضِ).

(و) عاطفة.

(يُهْلِكُ) معطوفة على (يُفْسِدَ)، الإهلاك: الإتلاف.

(الْحَرَثُ) مفعول به، أي الزرع.

(وَالنَّسْلُ) العقب من الولد وما تناسل من الحيوان.

«والمراد بهما جميع المصالح الاقتصادية من زرع وصناعة وماشية، ومواد أولية، وما إليها مما يتصل بحياة الناس ومعيشتهم، وإنّما خص الزرع والماشية بالذكر، حيث لم يكن للصناعة وتوابعها أهميتها وخطرها آنذاك كما لها اليوم»^١.

(و) استئنافية.

(اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) أي الإفساد في التكوين والتشريع. لا يحب: أي لا يريد.

«حرمة هذه المقدرات في نظر الإسلام، تمامًا كحرمة الدماء، ومن اعتدى على شيء منها فقد اعتدى على الإنسانية نفسها، حتّى ولو كان ذلك ملكًا للعدو المحارب، فلقد نهى رسول الله ﷺ عن قطع الأشجار، والتعرض للزرع والعمار، وعن إلقاء السموم في بلاد المشركين أيام الحرب وغيرها... ولو قارنّا بين شريعة الإسلام، وبين ما تفعله الدول الاستعمارية «المتحضرة!» اليوم، وما تشنه من الحروب الكيماوية على ما تنبته الأرض من زرع وأشجار، ويدب عليها من انسان وحيوان، ومن تسميم الجو بالقنابل الذرية، والقائها على النساء والأطفال، لو قارنّا بينهما لعرفنا انسانية الإسلام وعدالته ورحمته، وتوحش الغرب، وافراطه في الظلم والاعتصاب.

ولا شيء أعظم فسادًا من أثارة الحروب، واستعمال الأسلحة المدمرة ضد

١. التفسير الكاشف ١/ ٣٠٩.

الشعوب للسيطرة عليها، ونهب أقواتها، وحرمان أهلها من ثمار كذحهم وعرقهم»^١.

الروايات

أبي إسحاق عن أمير المؤمنين ٧ (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ
الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) بظلمه وسوء سيرته (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ)^٢.

رواها العياشي في تفسيره^٣.

عن زرارة عن أبي جعفر ٧ وأبي عبد الله ٧ قال سألتها عن قوله (وَإِذَا تَوَلَّى
سَعَى فِي الْأَرْضِ) إلى آخر الآية فقال: النسل: الولد، والحرث: الأرض.^٤

عن أبي عبد الله ٧ أنه قال: الحرث: الذرية.^٥

علي بن إبراهيم القمي قال: الحرث في هذا الموضع الدين والنسل: الناس،
ونزلت في الثاني، وقيل: في معاوية^٦.

قال الطبرسي: روي عن الصادق ٧: إِنَّ الْحَرْثَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الدِّينَ
وَالنَّسْلَ، النَّاسَ^٧.

١. التفسير الكاشف ١/ ٣٠٩.

٢. الكافي ٨/ ٢٨٩، ح ٤٣٥.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢١١، ح ٢٩٣.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢١١، ح ٢٩١.

٥. تفسير العياشي ١/ ٢١١، ح ٢٩٢.

٦. تفسير القمي ١/ ٧١.

٧. مجمع البيان ٢/ ٣٠٠.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ

وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) ﴿٢٠٦﴾

«إذا أمر بالتقوى والاصلاح (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ) الظاهرة، التي يراها لنفسه، والتي اكتسبها من الإثم واجتماع أتباعه حوله على الضلال فيأنف لما قيل له أو فتدعوه عزته على زيادة الإثم والفساد»^١.

(وَ) عاطفة. (إِذَا) ظرف زمان، متضمن معنى الشرط متعلق بجوابه.

(قِيلَ لَهُ) أي إذا وعظه واعظ بما يقتضي تذكيره بتقوى الله تعالى.

(اتَّقِ) فعل أمر وفاعله «أنت» مستتر خطاباً لمن يفسد في الأرض. فعل الشرط

التقوى: إتيان أوامر الله واجتناب نواهيه ولازمه هنا طلب الاصلاح وعدم الفساد.

(اللَّهُ) مفعول به. (أَخَذَتْهُ) فعل ماض ومفعول به مقدم. جواب الشرط.

(الْعِزَّةُ) فاعله. والمراد بها (الْعِزَّةُ) الظاهرية الادعائية لا الباطنية الحقيقية.

(بِالْإِثْمِ) جار ومجرور متعلق بـ(الْعِزَّةُ)، والباء للمصاحبة والملابسة.

(فَ) تفرعية.

(حَسْبُهُ) مبتدأ ومضاف إليه. أي كافيه لأن أصل الحسب هو الكافي.

(جَهَنَّمُ) خبره. أي «تكفيه نار جهنم جزاءً له على كفره ونفاقه وكبريائه»^٢.

(وَ) عاطفة. (إِ) ابتدائية، تأكيد.

(بِئْسَ) فعل ماض جامد مبنى على الفتح لإنشاء الظم.

١. مواهب الرحمن ٣/ ٢٣٦.

٢. مواهب الرحمن ٣/ ٢٣٧.

(الْمَهَادُ) فاعله. أي الفراش. المهاد: ما يُمهّد لمن ينام أي يُهيأ له. يعني (جَهَنَّم) الذي مهّده لنفسه بسبب سوء أعماله (لَيْسَ الْمَهَادُ).

الروايات

خبر جعفر الجعفري عن جعفر بن محمد 7 عن أبيه 7 قال: قال رسول الله 6: من أذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باك.^١

الحسن بن الفضل الطبرسي رفعه عن رسول الله 6 في موعظته لابن مسعود: ... يا ابن مسعود: إذا قيل لك اتقى الله فلا تغضب فإنه يقول: (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ).^٢

الآمدي رفعه إلى أمير المؤمنين 7 أنه قال: التَّبَجُّحُ بالمعاصي أقبح من ركوبها.^٣ بجح بالشئ: إذا فخر به وتبجج به كذلك، كذا في المصباح.

الآمدي رفعه إلى أمير المؤمنين 7 انه قال: من تلذذ بمعاصي الله أورثه الله ذُلًّا.^٤

قال أبو الفتوح الرازي: وفي الخبر: أن أمير المؤمنين 7 قال في هذه الآية وما بعدها: إقتل الرجلان ورب الكعبة، قد سمع ابن عباس منه 7 وتعلّم، في أحد الأيام في مسجد النبي قرأ هذه الآية عند عمر بن خطاب، قال ابن عباس: إقتل الرجلان - كما سمع من أمير المؤمنين علي 7 - فقال له عمر: ماذا؟ قال: يشم من الآيتين الخصومة والقتال بين الاثنين، قال: كيف؟ قال: أرى هاهنا من إذا أمر بتقوى

١. عقاب الأعمال / ٢٢٦.

٢. مكارم الأخلاق / ٤٥١.

٣. غرر الحكم، ح ٢٠٤٥.

٤. غرر الحكم، ح ٨٨٢٣.

٣٣٠..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثاني

الله أخذته العزة بالإثم. قال: هذا وأنا أشري نفسي وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل أخذته العزة بالإثم، ثم قال: هذا وأنا أشري نفسي بمقاتلته فاقتل الرجلان لذلك، قال عمر: بارك الله عليك يا غوَاص، غُصْ.

قال الرازي: وهذا من غوص استاده وزعم عمر أنه منه.^١
رواها الثعلبي في تفسيره^٢ والسيوطي في الدر المنثور^٣.

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ

وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)

ثم تعرض الله في وصف صنف آخر الذي يقابل الصنف الماضي في الآيات الثلاث وهذا الصنف الأخير «باع نفسه لله تعالى، ولا يبتغي إلا إرادته ﷻ ومرضاته. ولا يهتم إلا بإصلاح الأمور وتشديد أركان الدين وإحياء الحق وإماتة الباطل، ويسعى في سبيل الدين والإنسانية، فلا يريد إلا ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى في الأرض وَمَنْ عَلَيْهَا، وما يريده ﷻ هو الإصلاح، وقد نَصَّبَ نفسه لتقويم ما أفسده المفسدون»^٤.

(وَ) عاطفة. (مِنَ النَّاسِ) خبر مقدم.

(مَنْ) اسم موصول، مبتدأ مؤخر.

١. روض الجنان ٣/ ١٥٦.

٢. الكشف والبيان ٢/ ١٢٥.

٣. الدر المنثور ١/ ٢٤١.

٤. مواهب الرحمن ٣/ ٢٣٨.

(يَشْرِي) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». أي يبيع على الدوام بكل ما يرتضيه الله.

(نَفْسُهُ) مفعول به ومضاف إليه.

(أَتَيْتَغَاءً) مفعول به أي لأجله، يعني طلب.

(مَرْضَاتِ اللَّهِ) مضاف إليه ومضاف إليه ثان. أي رضاه فهو مصدر رَضِيَ على وزن مفعّل زيدت فيه التاء سماعاً.

(وَ) استئنافية. (اللَّهُ) مبتدأ.

(رُءُوفٌ) خبر، أي ذو رحمة واسعة لعبده الذي شَرى نفسه له. والرافة أخص من الرحمة.

(بِالْعِبَادِ) جار ومجرور متعلّق بـ(رُءُوفٌ). «ال» للعهد لا الاستغراق.

الروايات

عن جابر عن أبي جعفر 7 قال أما قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رُءُوفٌ بِالْعِبَادِ) فانها أنزلت في علي بن أبي طالب 7 حين بذل نفسه لله ولرسوله ليلة اضطجع على فراش رسول الله 6 لما طلبته كفار قريش. ١
عن ابن عباس قال: شَرى علي 7 نفسه، لبس ثوب النبي 6 ثم نام مكانه فكان المشركون يرمون رسول الله 6.

قال: فجاء أبوبكر وعلي 7 نائم، وأبوبكر يَحْسَبُ أَنَّهُ نبي الله، فقال: أين نبي الله؟

فقال: علي 7: إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدرك.

قال: فانطلق أبوبكر، فدخل معه الغار، وجعل 7 يُرمي بالحجارة كما كان يرمي رسول الله 6 وهو يتضور^١، قدلف رأسه، فقالوا: إنك! لكنه كان صاحبك لا يتضور، قد استنكرنا ذلك.^٢

وروا نحوها فرات الكوفي في تفسيره^٣ والحبري في تفسيره^٤.

خبر أبي صالح عن ابن عباس 2 [عنهما] في قوله [تعالى] (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) قال نزل في علي بن أبي طالب 7 حين بات على فراش رسول الله 6 حيث طلبه المشركون.^٥

خبر أبي مالك عن ابن عباس 2 في قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) قال نزلت في علي 7 ليلة بات على فراش رسول الله 7.^٦

قال المفيد: ومن ذلك أن النبي 6 لما أمر بالهجرة - عند اجتماع الملاء من قريش على قتله، فلم يتمكن 7 من مظاهرتهم - بالخروج من مكة وأراد الاستسرار بذلك وتعمية خبره عنهم، ليتم له الخروج على السلامة منهم، ألقى خبره إلى أمير المؤمنين 7 واستكتمه إياه، وكلفه الدفاع عنه بالمبيت على فراشه من حيث لا يعلمون أنه هو البائت على الفراش، ويظنون أنه النبي 6 بائتاً على حاله التي كان يكون عليها فيما سلف من الليالي.

١. يتضور: يتلوى ويصيح.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢١٢، ح ٢٩٦.

٣. تفسير فرات الكوفي / ٦٥، ح ٣٣.

٤. تفسير الحبري / ٢٤٢، ح ٩.

٥. تفسير فرات الكوفي / ٦٥، ح ٣١.

٦. تفسير فرات الكوفي / ٦٥، ح ٣٢.

فَوَهَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ٧ نَفْسَهُ لِلَّهِ وِشْرَاهَا مِنْ اللَّهِ فِي طَاعَتِهِ، وَبَذَلَهَا دُونَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ
وَالَهُ السَّلَامُ لِيَنْجُوَ بِهِ مِنْ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ، وَتَيَّمَّ لَهُ بِذَلِكَ السَّلَامَةُ وَالْبَقَاءُ، وَيَنْتَظِمَ لَهُ بِهِ
الْغَرَضُ فِي الدَّعَاءِ إِلَى الْمَلَّةِ وَإِقَامَةِ الدِّينِ وَإِظْهَارِ الشَّرِيعَةِ. فَبَاتَ ٧ عَلَى فِرَاشِ
رَسُولِ اللَّهِ ٩ مُسْتَتِرًا بِإِزَارِهِ، وَجَاءَهُ الْقَوْمُ الَّذِينَ تَمَالَّؤُوا^١ عَلَى قَتْلِهِ فَأَخَذُوا بِهِ وَلِيَهُمُ
السِّلَاحُ، يَرْصُدُونَ طُلُوعَ الْفَجْرِ لِيَقْتُلُوهُ ظَاهِرًا، فَيَذْهَبَ دُمُهُ فِرْعَا^٢ بِمُشَاهَدَةِ بَنِي
هَاشِمٍ قَاتِلِيهِ مِنْ جَمِيعِ الْقَبَائِلِ، وَلَا يَتَيَّمُ لَهُمُ الْأَخْذُ بِثَارِهِ مِنْهُمْ، لِاشْتِرَاكِ الْجَمَاعَةِ فِي دَمِهِ،
وَقَعُودِ كُلِّ قَبِيلٍ عَنْ قِتَالِ رَهْطِهِ وَمُبَايَنَةِ أَهْلِهِ.

فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ نَجَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ٩ وَحَفِظَ دَمَهُ، وَبَقَائِهِ حَتَّى صَدَعَ بِأَمْرِ رَبِّهِ،
وَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ٧ وَمَا فَعَلَهُ مِنْ ذَلِكَ، لَمَا تَيَّمَ لِنَبِيِّ اللَّهِ ٩ التَّبْلِيغُ وَالْأَدَاءُ، وَلَا
اسْتِدَامُ لَهُ الْعَمَرُ وَالْبَقَاءُ، وَلِظَفَرِهِ بِالْحَسَدَةِ وَالْأَعْدَاءِ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ الْقَوْمُ وَأَرَادُوا الْفَتْكَ بِهِ ٧ ثَارَ إِلَيْهِمْ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ حِينَ عَرَفُوهُ،
وَانْصَرَفُوا عَنْهُ وَقَدْ ضَلَّتْ حِيلُهُمْ فِي النَّبِيِّ ٩، وَانْتَقَضَ مَا بَنَوْهُ مِنَ التَّدْبِيرِ فِي قَتْلِهِ،
وَخَابَتْ طُنُونُهُمْ، وَبَطَلَتْ آمَالُهُمْ، فَكَانَ بِذَلِكَ انْتِظَامُ الْإِيمَانِ، وَإِرْغَامُ الشَّيْطَانِ،
وَخِذْلَانُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْعُدُونِ.

وَلَمْ يَشْرِكْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ٧ فِي هَذِهِ الْمُنْقَبَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَلَا اخْتَصَّ
بِنَظِيرٍ لَهَا عَلَى حَالٍ، وَلَا مِقَارٍ لَهَا فِي الْفَضْلِ بِصَحِيحِ الْإِعْتِبَارِ.

وَفِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ٧ وَمَبِيتِهِ عَلَى الْفِرَاشِ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ
يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ).^٣

١. تَمَالَّؤُوا: اجْتَمَعُوا. الصَّلَاحُ - مَلَأَ - ٧٣ / ١.

٢. ذَهَبَ دَمُهُ فِرْعَا أَيُّ هَدْرًا، الصَّحَاحُ - فَرِغَ - ١٣٢٤ / ٤.

٣. الْإِرْشَادُ ١ / (٥٣ - ٥١).

خبر ابن عباس، قال بات علي 7 ليلة خرج رسول الله 9 إلى المشركين على فراشه ليعمي على قريش، وفيه نزلت هذه الآية (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) ١.

خبر ابن عباس قال: اجتمع المشركون في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله 9، فأتى جبرئيل 7 رسول الله 9 وأخبره الخبر، وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة، فلما أراد رسول الله 9 المبيت أمر علياً 7 أن يبيت في مضجعه تلك الليلة، فبات علي 7 وتغشى ببرد أخضر حضرمي كان رسول الله 9 ينام فيه، وجعل السيف إلى جنبه، فلما اجتمع أولئك النفر من قريش يطوفون ويرصدونه ويريدون قتله، فخرج رسول الله 9 وهم جلوس على الباب، عددهم خمسة وعشرون رجلاً، فأخذ حفنة من البطحاء ثم جعل يذرّها على رؤوسهم هو يقرأ (يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) ٢ حتى بلغ (فَأَغْشَيْنَهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) ٣ فقال لهم قائل: ما تنظرون قد والله خبتم وخسرتم، والله لقد مرّ بكم وما منكم رجل إلا وقد جعل على رأسه تراباً. فقالوا: والله ما أبصرناه. قال: فأنزل الله ﷻ (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ) ٤. ٥

خبر حكيم بن جبير عن علي بن الحسين صلوات الله عليه في قول الله ﷻ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ).

١. أمالي الطوسي، المجلس التاسع، ح ٤٣ / ٢٥٢، رقم ٤٥١.

٢. سورة يس / ١ و ٢.

٣. سورة يس / ٩.

٤. سورة الأنفال / ٣٠.

٥. أمالي الطوسي، المجلس السادس عشر، ح ١ / ٤٤٥، رقم ٩٩٥.

قال: نزلت في عليّ 7 حين بات على فراش رسول الله 9. ١.

خبر أبو زيد سعيد بن أوس، يعني الأنصاري النحوي، قال: كان أبو عمرو بن العلاء إذا قرأ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) قال: كَرَّمَ اللهُ عَلِيًّا، فيه نزلت هذه الآية. ٢.

خبر أنس بن مالك، قال: لما توجه رسول الله 9 إلى الغار ومعه أبو بكر، أمر النبي 9 عليًّا 7 أن ينام على فراشه ويتوشح ببردته، فبات عليّ 7 موطنًا نفسه على القتل، وجاءت رجال قريش من بطونها يريدون قتل رسول الله 9، فلما أرادوا أن يضعوا عليه أسيافهم لا يشكّون أنه محمد 9، فقالوا: أيقظوه ليجد ألم القتل ويرى السيوف تأخذه؛ فلما أيقظوه ورأوه عليًّا 7 تركوه وتفرّقوا في طلب رسول الله 9، فأنزل الله ﷻ: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ). ٣.

خبر مجاهد، قال: فخرت عائشة بأبيها ومكانه مع رسول الله 9 في الغار، فقال عبدالله بن شدّاد بن الهاد: وأين أنت من عليّ بن أبي طالب حيث نام في مكانه وهو يرى أنه يقتل؟ فسكتت ولم تحر جوابًا. ٤.

خبر أمّ هاني بنت أبي طالب، قالت: لما أمر الله تعالى نبيّه 9 بالهجرة وأنام عليًّا 7 في فراشه ووشحّه ببرد له حضرمي، ثم خرج، فإذا وجوه قريش على بابه، فأخذ حفنة من تراب فذرّها على رؤوسهم، فلم يشعر به أحد منهم، ودخل عليّ بيتي، فلما أصبح أقبل عليّ وقال: ابشري يا أمّ هاني، فهذا جبرئيل 7 يخبرني أنّ الله ﷻ قد أنجى عليًّا من عدوّه.

١. أمالي الطوسي، المجلس سادس عشر، ح ٢/٤٤٦، رقم ٩٩٦.

٢. أمالي الطوسي، المجلس سادس عشر، ح ٣/٤٤٦، رقم ٩٩٧.

٣. أمالي الطوسي، المجلس سادس عشر، ح ٤/٤٤٦، رقم ٩٩٨.

٤. أمالي الطوسي، المجلس سادس عشر، ح ٥/٤٤٧، رقم ٩٩٩.

قالت: وخرج رسول الله ﷺ مع جناح الصبح إلى غار ثور، وكان فيه ثلاثاً، حتى سكن عنه الطلب، ثم أرسل إلى عليّ 7 وأمره بأمره وأداء أمانته. ١
الطوسي قال: أخبرنا جماعة، عن أبي المفضل، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمّار الثقفي سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة، قال: حدثنا عليّ بن محمد ابن سليمان النوفلي سنة خمسين ومائتين، قال: حدثني الحسن بن حمزة أبو محمد النوفلي، قال: حدثني أبي وخالي يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، عن الزبير بن سعيد الهاشمي، قال: حدثني أبو عبيدة بن محمد ابن عمّار بن ياسر 2 بين القبر والروضة، عن أبيه وعبيد الله بن أبي رافع جميعاً، عن عمّار بن ياسر 2 وأبي رافع مولى النبي ﷺ 9.

قال أبو عبيدة: وحدثني سنان بن أبي سنان: أنّ هند بن هند بن أبي هالة الأسدي حدثه عن أبيه هند بن أبي هالة ربيب رسول الله ﷺ 9 وأمه خديجة زوج النبي ﷺ 9 وأخته لأُمّه فاطمة صلوات الله عليها.

قال أبو عبيدة: وكان هؤلاء الثلاثة هند بن هالة وأبو رافع وعمّار بن ياسر جميعاً يحدثون عن هجرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه إلى رسول الله ﷺ 9 بالمدينة ومببته قبل ذلك على فراشه.

قال: وصدر هذا الحديث عن هند بن أبي هالة، واقتصاصه عن الثلاثة: هند وعمّار وأبي رافع، وقد دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا: كان الله ﷻ ممّا يمنع نبيه ﷺ 9 بعمّه أبي طالب، فما كان يخلص إليه من قومه أمر يسوؤه مدّة حياته، فلمّا مات أبوطالب نالت قريش من رسول الله ﷺ 9 بغيتها وأصابته بعظيم من الأذى حتى تركته

لَقِيَ^١، فقال **٩**: لأسرع ما وجدنا فقدك يا عم! وصلتك رحم، فجزيت خيرًا يا عم. ثم ماتت خديجة بعد أبي طالب بشهرٍ فاجتمع بذلك على رسول الله **٩** حزنان حتى عرف ذلك فيه.

قال هند: ثم انطلق ذوو الطول والشرف من قريش إلى دار الندوة، ليأتمروا في رسول الله **٩**، وأسروا ذلك بينهم، فقال بعضهم: نبني له علمًا، يُنزل بُرجًا نستودعه فيه، فلا يخلص من الصُّبَاة^٢ إليه أحد، ولا يزال في رَتَق^٣ من العيش حتى يتضيفه^٤ ريب المنون؛ وصاحب هذه المشورة العاص بن وائل وأمية وأبي ابنا خلف.

وقال قائل: بئس الرأي ما رأيتم، ولئن صنعتُم ذلك ليتنمَّرَ^٥ له الحَدَب^٦ الحميم والمولى الحليف، ثم ليأتينَّ المواسم والأظهر الحرم بالأمن فليتنزعنَّ من أنشطتكم^٧ قولوا قولكم.

قال عتبة وشيبة وشركهما أبو سفيان، قالوا: فإننا نرى أن نرحل بغيرًا صعبًا، ونوثق محمدًا عليه كتابًا وشدًّا، ثم نقصع البعير بأطراف الرماح، فيوشك أن يقطعه بين الدكادك^٨ إربًا إربًا.

فقال صاحب رأيهم: إنكم لم تصنعوا بقولكم هذا شيئًا، رأيتم إن خلص به

١. اللقي: الملقى على الأرض.

٢. الصُّبَاة: جمع صابي، الذي خرج من دينٍ إلى دينٍ غيره.

٣. الرَتَق: الكدورة.

٤. أي ينزل به.

٥. تنمَّر: تشبه بالنمر، وتنمَّر له: تنكَّر وتغيَّر.

٦. الحَدَب: الشفيق، العطوف.

٧. الأنشوط: عقدة يسهل انحلالها.

٨. الدكادك: الأرض التي فيها غلظ.

البعير سالماً إلى بعض الأفاريق، فأخذ بقلوبهم بسحره وبيانه وطلاوة^١ لسانه، فصبا القوم إليه، واستجابت القبائل له قبيلة فقييلة، فليسيرن^٢ حينئذ إليكم بالكتائب والمقانب^٣، فلتهلكن كما هلكت إياد ومن كان قبلكم؟! قولوا قولكم.

فقال له أبو جهل: لكن أرى لكم أن تعمدوا إلى قبائلكم العشرة، فتنذبوا من كل قبيلة رجلاً نجداً^٤، ثم تسلّحوه حساماً عضباً^٥، وتمهل الفتية حتى إذا غسق الليل وغور بيتوا ببن أبي كبيشة بياتاً، فيذهب دمه في قبائل قريش جميعاً، فلا يستطيع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضة قبائل قريش في صاحبهم، فيرضون حينئذ بالعقل^٥ منهم، فقال صاحب رأيهم: أصبت يا أبا الحكم.

ثم أقبل عليهم فقال: هذا الرأي فلا تعدلوا به رأياً، وأوكتوا في ذلك أفواهكم^٦ حتى يستتب أمركم؛ فخرج القوم عزين^٧، وسبقهم بالوحي بما كان من كيدهم جبرئيل 7، فتلا هذه الآية على رسول الله 9: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ)^٨.

فلما أخبره جبرئيل 7 بأمر الله في ذلك ووحيه، وما عزم له من الهجرة، دعا رسول الله 9 علياً 7، وقال له: يا علي، إن الروح هبط عليّ بهذه الآية آنفاً، يخبرني أنّ قريشاً اجتمعوا على المكر بي وقتلي، وأنه أوحى إليّ ربّي ﷻ أن أهجر دار قومي، وأن

١. الطلاوة: الحسن والبهجة.

٢. المقانب: جمع مقنب، وهو جماعة الخيل والفرسان.

٣. النجد: الشجاع.

٤. أي قاطعاً.

٥. العقل: الدية.

٦. أي سدوها.

٧. العزون: جمع عزة، وهي الفرقة من الناس.

٨. سورة الأنفال / ٣٠.

انطلق إلى غار ثور تحت ليلتي، وأنه أمرني أن أمرك بالمبيت على ضجاعي - أو قال: مضجعي - ليخفي بمبيتك عليه أثري، فما أنت قائل، وما صانع؟ فقال عليّ ٧: أو تسلم بمبיתי هناك يا نبي الله؟ قال: نعم؛ فتبسّم عليّ ٧ ضاحكًا، وأهوى إلى الأرض ساجدًا، شكرًا بما أنبأه رسول الله ٩ من سلامته، وكان عليّ صلوات الله عليه أوّل من سجد لله شكرًا، وأوّل من وضع وجهه على الأرض بعد سجدة من هذه الأمة بعد رسول الله ٩، فلمّا رفع رأسه قال له: امض لما أمرت، فذاك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شبّت أكن فيه كمسرتك، واقع منه بحيث مرادك، وإن توفّقي إلّا بالله.

قال: وإن ألقى عليك شبه منّي، أو قال: شبيهي، قال: إنّ - بمعنى نعم^١ - قال: فارقد على فراشي واشتمل ببردي الحضرمي، ثمّ إنّني أخبرك يا عليّ أنّ الله تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثمّ الأوصياء ثمّ الأمثل فالأمثل، وقد امتحنتك يابن عمّ وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل، فصبرًا صبرًا، فإنّ رحمة الله قريب من المحسنين. ثمّ ضمه النبيّ ٩ إلى صدره وبكى إليه وجدًا به، وبكى عليّ ٧ جشعًا^٢ لفراق رسول الله ٩.

واستتبع رسول الله ٩ أبا بكر بن أبي فحافة وهند بن أبي هالة، فأمرهما أن يقعدا له بمكانٍ ذكره لهما من طريقه إلى الغار، ولبت رسول الله ٩ بمكانه مع عليّ ٧ يؤصيه ويأمره في ذلك بالصبر حتّى صلّى العشاءين. ثمّ خرج رسول الله ٩ في فحمة العشاء الآخرة، والرصد من قريش قد

١. تأتي «إنّ» بمعنى «نعم» من أحرف الجواب.

٢. الجشع: أشدّ الحرص.

أطافوا بداره، ينتظرون أن ينتصف الليل وتنام الأعين، فخرج وهو يقرأ هذه الآية (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)^١ وأخذ بيده قبضة من تراب، فرمى بها على رؤوسهم، فما شعر القوم به حتى تجاوزهم، ومضى حتى أتى إلى هند وأبي بكر فنهضا معه، حتى وصلوا إلى الغار.

ثم رجع هند إلى مكة بما أمره به رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار، فلما غلق الليل أبوابه وأسدل أستاره وانقطع الأثر، أقبل القوم على علي^٢ يقدفونه بالحجارة والحلم^٣، ولا يشكّون أنه رسول الله ﷺ، حتى إذا برق الفجر وأشفقوا أن يفضحهم الصبح، هجموا على علي^٤ قد انتضوا السيوف وأقبلوا عليه بها، وكان يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة، وثب له علي^٥ فختله وهمز يده^٦، فجعل خالد يقمص قماص البكر^٧، ويرغو رغاء الحمل، ويذعر ويصبح، وهم في عرج الدار^٨ من خلفه، وشدّ عليهم علي^٩ بسيفه - يعني سيف خالد - فأجفلوا أمامه إجمال النعم إلى ظاهر الدار، فتبصّروه فإذا هو علي^{١٠}، فقالوا: إنك لعليّ؟ قال: أنا عليّ. قالوا: فإننا لم نردك، فما فعل صاحبك؟ قال: لا علم لي به، وقد كان علم - يعني عليا^{١١} - أن الله تعالى قد أنجى نبيّه ﷺ بما كان أخبره من مضيّه إلى الغار واختبائه فيه، فأذكت قريش عليه العيون^{١٢}، وركبت في طلبه الصعب والذلول، وأمهل علي^{١٣} صلوات الله عليه حتى إذا أعتم^{١٤} من الليلة القابلة انطلق هو وهند بن أبي هالة حتى دخلا

١. سورة يس / ٩.

٢. الحلم: جمع حكمة، وهي شجرة السعدان.

٣. أي غمزها وضغطها.

٤. القماص: الضرب بالرجل، والبكر: الفتى من الابل.

٥. عرج الدار: منعطفها أو مصعدها أو سلّمها.

٦. أي أرسلت عليه الصلائع.

٧. أي دخل في العتمة.

على رسول الله ﷺ في الغار، فأمر رسول الله ﷺ هندا أن يبتاع له ولصاحبه بعيرين، فقال أبو بكر: قد كنت أعددت لي ولك يا نبي الله راحلتين نرتحلها إلى يثرب. فقال: إني لا آخذهما ولا أحدهما إلا بالثمن. قال: فهي لك بذلك، فأمر ﷺ فأقبضه الثمن، ثم أوصاه بحفظ ذمته وأداء أمانته.

وكانت قريش تدعو محمداً ﷺ في الجاهلية الأمين، وكانت تستودعه وتستحفظه أموالها وأمتعتها، وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم، وجاءته النبوة والرسالة والأمر كذلك، فأمر علياً 7 أن يقيم صارخاً يهتف بالأبطح غدوة وعشيّاً: ألا من كان له قبل محمد أمانة أو وديعة فليأت فلتؤد إليه أمانته.

قال: وقال النبي ﷺ: إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا عليّ بأمر تكرهه حتى تقدم عليّ، فأدّ أمانتي على أعين الناس ظاهراً، ثم إني مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربّي عليكما ومستحفظه فيكما، وأمره أن يبتاع رواحل له وللنواظم، ومن أزمع للهجرة معه من بني هاشم.

قال أبو عبيدة: فقلت لعبيد الله - يعني ابن أبي رافع - أو كان رسول الله ﷺ يجد ما ينفقه هكذا؟ فقال: إني سألت أبي عمّا سألتني، وكان يحدث بهذا الحديث، فقال: فأين يذهب بك عن مال خديجة 3؟ وقال: إن رسول الله ﷺ قال: ما نفعتني مال قطّ مثل ما نفعتني مال خديجة 3؛ وكان رسول الله ﷺ يفكّ من مالها الغارم والعاني^١ ويحمل الكلّ^٢، ويعطي في النائبة، ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة، وكانت قريش إذا رحلت غيرها في الرحلتين - يعني رحلة الشتاء والصيف - كانت طائفة من العير لخديجة، وكانت أكثر قريش مالا، وكان ﷺ

١. العاني: الأسير.

٢. الكلّ: الضعيف ومن لا ولد له ولا والد، والعيال والثقل.

ينفق منه ما شاء في حياتها ثم ورثها هو وولدها بعد مماتها.

قال: وقال رسول الله ﷺ لعليّ وهو يوصيه: وإذا أبرمت ما أمرتك فكن على أهبّة الهجرة إلى الله ورسوله، وسرّ إليّ لقدوم كتابي إليك، ولا تلبث بعده. وانطلق رسول الله ﷺ لوجهه يوم المدينة، وكان مقامه في الغار ثلاثاً، ومبيت عليّ صلوات الله عليه على الفراش أوّل ليلة.

قال عبيدالله بن أبي رافع: وقد قال عليّ بن أبي طالب 7 شعراً يذكر فيه مبيته على الفراش ومقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثاً:

وقيت بنفسي خبر من وطئ الحصا	ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمد لمّا خاف أن يمكروا به	فوقاه ربّي ذو الجلال من المكر
وبتّ أراعيهم متى ينشرونني	وقد وطنت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً	هناك وفي حفظ الإله وفي ستر
أقام ثلاثاً ثمّ زمت قلائص	قلائص يفرين الحصا أينما تفري ^١

ولمّا ورد رسول الله ﷺ المدينة، نزل في بني عمرو بن عوف بقباء، فأراد أبو بكر على دخوله المدينة والأصه^٢ في ذلك، فقال: ما أنا بداخلها حتّى يقدم ابن عمّي وابنتي؛ يعني عليّاً وفاطمة 8.

قال: قال أبو اليقظان: فحدّثنا رسول الله ﷺ ونحن معه بقباء، عمّا أرادت قريش من المكر به ومبيت عليّ 7 على فراشه، قال: أوحى الله ﷻ إلى جبرئيل وميكائيل 8 أنّي قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه؟ فكلاهما كرهما الموت، فأوحى الله إليهما: عبدّي ألا كُنتما مثل وليّ عليّ بن أبي طالب،

١. القلائص: جمع قُلوص، وهي الناقة الشابة، وفري الأرض: سارها وقطعها.

٢. الأصه: أي أداره على الشيء الذي يرومه منه.

أخيت بينه وبين نبيي فأثره بالحياة على نفسه، ثم ظل - أو قال: رقد - على فراشه يفديه بمهجته، اهبطا إلى الأرض كلاكما فاحفظاه من عدوه؛ فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجعل جبرئيل يقول: بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب والله ﷺ يباهي بك الملائكة! قال: فأنزل الله ﷻ في علي 7: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ).

قال أبو عبيدة: قال أبي وابن أبي رافع: ثم كتب رسول الله 9 إلى علي بن أبي طالب 7 كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه وقلة التلوم^١، وكان الرسول إليه أبا واقد الليثي، فلما أتاه كتاب رسول الله 9 تهيأ للخروج والهجرة، فأذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين، فأمرهم أن يتسللوا ويتخفّفوا إذا ملأ الليل بطن كل واحد إلى ذي طوى، وخرج علي 7 بفاطمة بنت رسول الله 9 وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب - وقد قيل هي ضباعة - وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله 9 وأبو واقد رسول رسول الله 9 فجعل يسوق بالرواحل فاعنف بهم، فقال علي صلوات الله عليه: ارفق بالنسوة يا أبا واقد، إتهن من الضعائف. قال: إني أخاف أن يدركننا الطالب - أو قال: الطلب - فقال علي 7: اربع عليك^٢، فإن رسول الله 9 قال لي: يا علي، إتهم لن يصلوا من الآن إليك بما تكرهه. ثم جعل - يعني علياً 7 - يسوق بهن سوقاً رقيقاً وهو يرتجز ويقول:

ليس إلا الله فارفع ظنك
يكفيك رب الناس ما أهمك

وسار فلما شارف ضجنان أدركه الطلب، وعددهم سبعة فوارس من قریش مستلثمين^٣، وثامنهم مولى لحرب بن أمية يدعى جناحاً، فأقبل علي 7 على أيمن

١. التلوم: الانتظار والتمكث.

٢. أي توقف وتحبس.

٣. استلثم الرجل: لبس اللأمة، وهي أداة الحرب وعدتها.

وأبي واقد، وقد تراءى القوم، فقال لهما: أنيخا الإبل وأعقلاها؛ وتقدّم حتّى أنزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم 7 منتضياً سيفه، فاقبلوا عليه فقالوا: أظننت أنك يا عُدرًا ناجٍ بالنسوة؟! ارجع لا أباً لك. قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راعماً، أو لترجعن بأكثرك شعراً وأهون بك من هالك؛ ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروا، فحال عليّ 7 بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه، فراغ عليّ 7 عن ضربته وتحتله عليّ 7 فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه حتّى مسّ كاتبة فرسه^٢، فكان 7 يشدّ على قدمه شدّ الفرس، أو الفارس على فرسه، فشدّ عليهم بسيفه وهو يقول:

خلّوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدّع عنه القوم وقالوا له: اغن عنا نفسك يابن أبي طالب. قال: فإنّي منطلق إلى ابن عمّي رسول الله 9 بيثرب، فمن سرّه أن أفري لحمه وأريق دمه فليتعقّبني أو فليدن منّي. ثمّ أقبل على صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما: أطلقا مطاياكما.

ثمّ سار ظاهراً قاهراً حتّى نزل ضجنان، فتلوّم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين وفيهم أمّ أيمن مولاة رسول الله 9، فظلّ ليلته تلك هو الفواطم - أمّه فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت رسول الله 9 وفاطمة بنت الزبير - طوراً يصلّون وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتّى طلع الفجر فصلّى 7 بهم صلاة الفجر، ثمّ سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل لا يفتر عن ذكر الله، والفواطم كذلك وغيرهم ممّن صحبه حتّى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم بقوله تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا

١. أي يا غادر.

٢. كاتبة الفرس: المنسج أو مقدّمه حيث تقع عليه يد الفارس. وقيل: أعلى الظهر.

وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ ^١ إِلَىٰ قَوْلِهِ: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ) ^٢ الذكر عليّ، والأنثى الفواطم المتقدم ذكرهن، وهنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير (بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ) ^٣ يقول: عليّ من فاطمة - أو قال: الفواطم - وهنّ من عليّ (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَآخَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَوَدُّوا فِي سَبِيلِي وَقَتُلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَذْلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) ^٤ وتلا ٩: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ).

قال: وقال: يا عليّ، أنت أوّل هذه الأمّة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرة إلى الله ورسوله، وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبّك - والذي نفسي بيده - إلّا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يبغضك إلّا منافق أو كافر. ^٥

الطوسي قال: روي عن أبي جعفر ٧ أنّه قال: نزلت في عليّ ٧ حين بات على فراش رسول الله ﷺ لما أرادت قريش قتله، حتّى خرج رسول الله ﷺ وفات المشركين أغراضهم، وبه قال عمر بن شبّه. ^٦

ابن شهر آشوب قال: نزل قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) في عليّ ٧ حين بات على فراش رسول الله ﷺ رواه إبراهيم الثقفي والفلكي الطوسي بالإسناد عن الحكم عن السديّ وعن أبي مالك عن ابن عباس ورواه

١. سورة آل عمران / ١٩١.

٢. سورة آل عمران / ١٩٥.

٣. سورة آل عمران / ١٩٥.

٤. سورة آل عمران / ١٩٥.

٥. أمالي الطوسي، المجلس السادس عشر، ح ٣٧ / (٤٧٢-٤٦٣)، رقم ١٠٣١.

٦. التبيان ٢ / ١٨٣.

أبو الفضل الشيباني بإسناده عن زين العابدين 7 وعن الحسن البصري عن أنس وعن أبي زيد الأنصاري عن أبي عمرو بن العلاء ورواه الثعلبي عن ابن عباس والسدي ومعبد أئها نزلت في علي 7 بين مكة والمدينة لما بات على فراش رسول الله ١.6 وقال ابن شهر آشوب: الثعلبي في تفسيره وابن عقب في ملحمة وأبو السعادات في فضائل العشرة والغزالي في الإحياء وفي كيمياء السعادة أيضًا بروايتهم عن أبي اليقظان وجماعة من أصحابنا ومن ينتمي إلينا نحو ابن بابويه وابن شاذان والكليني والطوسي وابن عقدة والبرقي وابن فياض والعبدي والصفواني والثقفى بأسانيدهم عن ابن عباس وأبي رافع وهند بن أبي هاله أنه قال رسول الله 6 أوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه فكلاهما كرها الموت فأوحى الله إليهما إلا كتتما مثل وليي علي ابن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد نبيي فأثره بالحياة على نفسه ثم ظل أو رقد على فراشه يقيه بمهجته اهبطا إلى الأرض جميعًا فاحفظاه من عدوه فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجله وجعل جبرئيل يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله يباهي به الملائكة فأنزل الله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) ٢.

قال ورام بن أبي راس المالكي: بات علي بن أبي طالب 7 على فراش رسول الله 6 فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل إني آخيت بينكما وجعلت عمر الواحد منكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فأوحى الله ﷻ إليهما أفلا كتتما مثل علي بن أبي طالب 7 آخيت بينه وبين محمد 6

١. المناقب ٢/ ٦٤.

٢. المناقب ٢/ ٦٤.

فبات على فراشه يفديه بنفسه فيؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله تعالى (مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ^١ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ).

قال الطبرسي: روي السدي عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب حين هرب النبي ﷺ عن المشركين إلى الغار ونام علي 7 على فراش النبي ﷺ، ونزلت الآية بين مكة والمدينة، وروي أنه لما نام علي فراشه قام جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجله ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة. ٢.

قال الطبرسي: قيل: نزلت في أمير المؤمنين 7 حين بات علي فراش رسول الله ﷺ 6 وهرب النبي إلى الغار. ٣.

قال الديلمي: روي أبو سعيد الخدري قال لما خرج رسول الله ﷺ إلى الغار أوحى الله ﷻ إلى جبرائيل وميكائيل إني قد أخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فكلاهما اختارا حب الحياة فأوحى الله ﷻ إليهما أفلا كنتم مثل علي بن أبي طالب أخيت بينه وبين محمد ﷺ 6 فبات علي فراشه يقيه بنفسه اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبرائيل ينادي من مثلك بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة وأنزل الله ﷻ في حقه (مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ^٢ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ). ٤.

١. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ١/ ١٧٣ المعروف بمجموعة ورام.

٢. مجمع البيان ٢/ ٣٠١.

٣. جوامع الجامع ١/ ١١٤.

٤. إرشاد القلوب ٢/ ٢٢٤.

أقول: قد اعترف جماعة كثيرة من أعلام العامة بهذه المنقبة لمولانا أمير المؤمنين 7 ونزول الآية الشريفة في حقه منهم:

- أحمد بن حنبل في مسنده.^١
- أبو بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الإصفهاني في كتابه ما نزل من القرآن في عليّ.^٢
- أبو إسحاق أحمد الثعلبي في تفسيره: الكشف والبيان.^٣
- الطبرسي في تفسيره.^٤
- النيشابوري في تفسيره المطبوع بهامش تفسير الطبري.^٥
- القرطبي في تفسيره.^٦
- الفخر الرازي في تفسيره.^٧
- أبو حيان الأندلسي في تفسيره.^٨
- أبو الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأمير في أسد الغابة في معرفة الصحابة.^٩
- أحمد بن جعفر اليعقوبي في تاريخه.^{١٠}
- أحمد بن علي الخطيب في تاريخ بغداد.^{١١}
- ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي 7 أمير المؤمنين.^{١٢}

١. مسند أحمد بن حنبل ١/ ٣٤٨.
٢. ما نزل من القرآن في عليّ / ٢٢٣ و ٢٢٤.
٣. الكشف والبيان ٢/ ١٢٥.
٤. تفسير الطبري ٩/ ١٤٠.
٥. تفسير النيشابوري المطبوع بهامش تفسير الطبري ٢/ ٢٩١.
٦. تفسير القرطبي ٣/ ٢١.
٧. تفسير الفخر الرازي ٥/ ٢٠٤.
٨. تفسير أبو حيان الأندلسي ٢/ ١١٨.
٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤/ ٢٥.
١٠. تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٩.
١١. تاريخ بغداد ١٣/ ١٩١.
١٢. تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي 7 أمير المؤمنين ١/ (١٥٥-١٥٣).

- أحمد بن عبدالله الطبري في ذخائر العقبى.^١
- الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل.^٢
- الموفق الخوارزمي في المناقب.^٣
- الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين.^٤
- ابن أبي الحديد معتزلي في شرح نهج البلاغة.^٥
- وقال الأخير نقلاً من أبي جعفر الإسكافي المتوفى عام ٢٤٠ - وهو من مشايخ المعتزلة - أنه قال: «حديث الفراش قد ثبت بالتواتر فلا يحجده إلا مجنون أو غير خالط لأهل الملة».^٦
- أقول: قد كتبت توضيحاً في ذيل هذه الآية الشريفة في كتابي المطبوع^٧ بالفارسية «ولايت وامامت»^٨ واستفدت منه خلافة بلا فصل أمير المؤمنين ٧ لرسول الله ٦ منها فراجع إن شئت.
- والحمد لله على أول النعم.

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)

الآية الشريفة تتضمن جميع المعارف الإسلامية والكمالات الإنسانية وتنهى عن اتباع جميع القبائح العقلية والشرعية وتبين طريق التحفظ على الوحدة الدينية في

١. ذخائر العقبى / ٨٧.

٢. شواهد التنزيل / ١ / ١٠١.

٣. المناقب الخوارزمي / ١٢٧، ح ١٤١.

٤. المستدرک على الصحيحين ٣ / ٤.

٥. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ٣ / ٢٧٠.

٦. شرح نهج البلاغة ٣ / ٢٧٠.

٧. طبع في عام ١٣٧٠ هـ. ش بقم المقدسة.

٨. ولايت وامامت / ٩٤.

المجتمع الإنساني وهو الدخول في السلم والاقتصار على ما ذكره الله من القول وما أراد من طريق العمل.

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا) خطاب للمؤمنين.

(أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ) دعوة من الجميع بالدخول إلى (السِّلْمِ) وهو التسليم لله سبحانه، لأنَّ بعد الإيمان بالله يجب على المؤمنين أن يسلموا الأمر إليه واقعاً لا ادعاءً. (كَافَّةً) حال من الضمير الفاعلي في (أَدْخُلُوا). أي جميعاً. ولكل فردٍ فردٍ. (و) استئنافية. (لَا تَتَّبِعُوا) فعل نهي وفاعله.

(خُطُوتٍ) مفعول به، أي آثار، جمع خطوة: تتبّع الأثر.

(الشَّيْطَانِ) مضاف إليه. والمراد بها جميع «ما يدعو إليه من أمر الدين بأن يزين شيئاً من طرق الباطل بزينة الحق ويسمى ما ليس من الدين باسم الدين فيأخذ به الإنسان من غير علم»^١.

(إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) سبب النهي عن اتباع خطوات الشيطان وتعليل عقلي له، لأنَّ العاقل لا يتبع عدوّه المبين في العداوة. «والعجب من الإنسان مع أنّه يلعن الشيطان لا ينفك عن اقتفاء أثره وتتبع خطواته...»^٢.

الروايات

حسنة عبدالله بن عجلان عن أبي جعفر 7 في قول الله ﷻ (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) قال في ولايتنا. ٣

١. الميزان ١٠١/٢.

٢. مواهب الرحمن ٢٥٧/٣.

٣. الكافي ١/٤١٧، ح ٢٩.

ورواها فرات الكوفي في تفسيره^١ والعياشي في تفسيره^٢.

عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله ٧ يقول (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) قال: أ تدري ما السلم؟ قال: قلت: أنت أعلم، قال: ولاية علي والأئمة الأوصياء من بعده، قال: و (خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) والله ولاية فلان وفلان.^٣

وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله ٧ في قوله (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) قال: هي ولاية الثاني والأول.^٤

عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله ٧ قالوا: سألناهما عن قول الله (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً) قال: أمروا بمعرفتنا.^٥

روى جابر عن أبي عبد الله ٧ قال: السلم: هو آل محمد :، أمر الله بالدخول فيه، وهم حبل الله الذي أمر بالإعتصام به، قال الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)^٦.

عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد ٧ عن أبيه ٧ عن جده ٧ قال: قال أمير المؤمنين ٧: ألا إن العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فُضِّلَ به النبيون إلى خاتم النبيين والمرسلين في عترة خاتم النبيين والمرسلين، فأين يُتاه بكم؟ وأين

١. تفسير فرات الكوفي / ٦٦، ح ٣٦.

٢. تفسير العياشي / ١ / ٢١٣، ح ٣٠٠.

٣. تفسير العياشي / ١ / ٢١٣، ح ٢٩٧.

٤. تفسير العياشي / ١ / ٢١٤، ح ٣٠٢.

٥. تفسير العياشي / ١ / ٢١٣، ح ٢٩٨.

٦. سورة آل عمران / ١٠٣.

٧. تفسير العياشي / ١ / ٢١٣، ح ٣٠١.

تذهبون؟ يا معاشر مَنْ نُسخَ مَنْ أَصاب السفينة، فهذا مثل ما فيكم، فكما نجا في هاتيك منهم مَنْ نجا، وكذلك ينجو في هذه منكم مَنْ نجا، ورهن ذمتي، وويل لمن تخلف عنهم، إثمهم فيكم كأصحاب الكهف، ومثلهم باب حِطَّة، وهم باب السِّلْم، فد(أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ). ١.

فراوات الكوفي: قال حدثني جعفر بن أحمد والحسين بن سعيد وجعفر بن محمد الفراري قالوا: حدثنا محمد بن مروان قال: حدثنا عامر عن رياح بن أبي رياح عن شريك في قوله تعالى (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) قال: في ولاية علي ابن أبي طالب ٢. 7

وروا نحوها في تفسيره. ٣

الطوسي عن أبي محمد الفحام، قال حدثنا محمد بن عيسى بن هارون، قال حدثني أبو عبد الصمد إبراهيم، عن أبيه، عن جده محمد بن إبراهيم، قال سمعت الصادق جعفر بن محمد : يقول في قوله (تعالى) (أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً)، قال في ولاية علي بن أبي طالب 7 (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) قال لا تتبعوا غيره. ٤

رواها ابن شهر آشوب في المناقب ° والطبري في بشارة المصطفى 6 لشيعه المرتضى ٦. خبر الفضيل بن يسار عن أبي جعفر 7 في حديث: وفي قوله (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) قال: هي ولايتنا. ٧

١. تفسير العياشي ١/ ٢١٤، ح ٣٠٣.

٢. تفسير فراوات الكوفي / ٦٦، ح ٣٤.

٣. تفسير فراوات الكوفي / ٦٦، ح ٣٥.

٤. أمالي الطوسي، المجلس الحادي عشر، ح ٣٨ / ٢٩٩، رقم ٥٩١.

٥. المناقب ٣ / ٩٦.

٦. بشارة المصطفى 6 لشيعه المرتضى / ١٩٧.

٧. مختصر البصائر / ٢٠٣، ح ٢٨.

(فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ﴿٢٠٩﴾

«أنزل الله تعالى هذه الآية وقد علم أنه سيزل الزاللون من الناس فتقدم في ذلك وأوعد فيه لكي تكون الحجة على خلقه»^١.

(فَ) تفریع على (لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ). (إِنْ) شرطية.
(زَلَلْتُمْ) فعل ماض وفاعله. فعل الشرط، الزلة: العثرة واضطراب القدم.
وهي هنا اتباع (خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) ومن أظهر مصاديقها المعاصي لا سيما الكبيرة منها.

(مِنْ بَعْدِ) جار ومجرور متعلق بـ(زَلَلْتُمْ). (مَا) مصدرية.
(جَاءَتْكُمْ) فعل ماض ومفعول به مقدم. (الْبَيِّنَاتُ) فاعل.
(فَ) واقعة في جواب الشرط. (أَعْلَمُوا) فعل أمر وفاعله. جواب الشرط.
(أَنَّ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد. (اللَّهُ) اسم الجلالة، اسم (أَنَّ).
(عَزِيزٌ) غير مغلوب في أمره.
(حَكِيمٌ) «لا يتعدى عما تقتضيه حكمته من القضاء في شأنكم فيقضي فيكم ما تقتضيه حكمته ويجريه فيكم من غير أن يمنع عنه مانع»^٢.

رواية

معتبرة الفضل بن شاذان في ما سأل المأمون علي بن موسى الرضا 7 أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والإختصار فكتب 7 في آخره: ... وتحريم الخمر

١. التبيان ٢/ ١٨٧.

٢. الميزان ٢/ ١٠٢.

قليلها وكثيرها، وتحريم كل شراب مسكر قليله وكثيره، وما أسكر كثيره فقليله حرام، والمضطر لا يشرب الخمر؛ لأنها تقتله.

وتحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، وتحريم الطحال فإنه دم، وتحريم الجري والسمك الطافي والمارماهي والزمير، وكل سمك لا يكون له فلس.

واجتناب الكبائر، وهي قتل النفس التي حرم الله تعالى، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به من غير ضرورة، وأكل الربا بعد البيئة، والسحت، والميسر وهو القمار، والبخس في المكيال والميزان، وقذف المحصنات، واللواط، وشهادة الزور، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، ومعونة الظالمين والركون إليهم، واليمين الغموس، وحبس الحقوق من غير عسر، والكذب، والكبر، والإسراف والتبذير، والخيانة، والاستخفاف بالحج، والمحاربة لأولياء الله تعالى، والاشتغال بالملاهي، والإصرار على الذنوب.^١

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ

وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)

«بيان لقوله تعالى: (أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)»^٢ المتضمن للتوعيد فيكون احتجاجاً آخر لعل الناس يرتدعون به عن العناد واللجاج ويتركون متابعة الشيطان ويدخلون

١. عيون أخبار الرضا ٧/٢٤٦، ح ٧٤٨، طبعة آل البيت .:

٢. سورة البقرة / ٢٠٩.

في الصراط المستقيم بأحسن أسلوب في بيان الحجة»^١.

(هَلْ) استفهام انكاري بمعنى النفي.

(يَنْظُرُونَ) فعل مضارع وفاعله، أي ينتظرون، والنظر بمعنى الانتظار في كلام

العرب شائع. نَظَرْتُه: إِنْتَظَرْتُه. وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة.

(إِلَّا) أداة حصر. (أَنْ) مصدرية ناصبة.

(يَأْتِيهِمْ) فعل مضارع منصوب ومفعول به مقدم. «إتيانه تعالى إليهم ارتفاع

الموانع بينهم وبين قضائه فيهم»^٢.

(اللَّهُ) فاعل، بحذف المضاف وهو «عذاب» أو «أمر»، «وحذف المضاف

وإقامة المضاف إليه مقامه كثير في المحاورات الفصيحة»^٣.

(فِي ظُلَلٍ) جار ومجرور متعلق بـ(يَأْتِيهِمْ)، (ظُلَلٍ): جمع ظلة. وهي ما يستظل

ويتستر به.

(مِنَ الْعَمَامِ) جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من (ظُلَلٍ). الغمام: السحاب

الأيض الرقيق.

(وَ) عاطفة. (الْمَلِيكَةُ) معطوف على (اللَّهُ).

(وَ) عاطفة أو حالية.

(قُضِيَ) فعل ماض مبني للمجهول، حذف فاعله «لإظهار الكبرياء على ما

يفعله الأعظم في الإخبار عن وقوع أحكامهم وصدور أوامرهم»^٤.

(الْأَمْرُ) نائب فاعل. يعني حضر زمان القضاء وفصل الأمر فيقضي بالحق ولا

١. مواهب الرحمن ٣/ ٢٥٩.

٢. الميزان ٢/ ١٠٤.

٣. مواهب الرحمن ٣/ ٢٦٠.

٤. الميزان ٢/ ١٠٥.

رادّ لقضائه.

(وَ) عاطفة. (إِلَى اللَّهِ) جار ومجرور متعلق بـ(تُرْجَعُ).

(تُرْجَعُ) فعل مضارع مبني للمجهول. (الْأُمُورُ) نائب فاعل.

والحاصل: «هذه الآية تتضمن الوعيد الذي ينبىء عنه قوله سبحانه في الآية السابقة: (أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، ومن الممكن أن يكون وعيدًا بما سيستقبل القوم في الآخرة يوم القيامة كما هو ظاهر قوله تعالى في نظير الآية: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ)¹، ومن الممكن أن يكون وعيدًا بأمر متوقع الحصول في الدنيا كما يظهر بالرجوع إلى ما في سورة يونس بعد قوله تعالى (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ)²، وما في سورة الروم بعد قوله تعالى: (فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا)³، وما في سورة الأنبياء وغيرها على أن الآخرة آجلة هذه العاجلة وظهور تام لما في هذه الدنيا، ومن الممكن أيضًا أن يكون وعيدًا بما سيقع في الدنيا والآخرة معًا، وكيف كان فقوله في ظلل من الغمام يشتمل من المعنى على ما يناسب مورده».

الروايات

خبر عمرو بن أبي شيبه عن أبي جعفر 7 قال: سمعته يقول ابتداءً منه: إن الله إذا بدأ له أن يبين خلقه ويجمعهم لما لا بدّ منه، أمر مُناديًا ينادي فتجتمع الإنس والجن في أسرع من طرفة عين، ثم أذن للسماء الدنيا فتنزل، وكانت من وراء الناس، وأذن للسماء الثانية فتنزل، وهي ضعف التي تليها، فإذا رآها أهل السماء الدنيا، قالوا: جاء ربنا، وهوأت يعني أمره، حتّى تنزل كل سماء، تكون كلّ واحدة منها من وراء

١. سورة النحل / ٣٣.

٢. سورة يونس / ٤٧.

٣. سورة الروم / ٣٠.

الأخرى، وهي ضعف التي تليها، ثم ينزل أمر الله: (فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَأْتِكُنَّ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) ثم يأمر الله منادياً ينادي الحديث. ١

عن أبي حمزة عن أبي جعفر 7 قال: قال: يا أبا حمزة كأني بقائم أهل بيتي قد علا نجفكم، فإذا علا فوق نجفكم نشر رأيه رسول الله 6، فإذا نشرها انحطت عليه ملائكة بدر. ٢

عن جابر قال: قال أبو جعفر 7 في قول الله تعالى (فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَأْتِكُنَّ وَقُضِيَ الْأَمْرُ) قال ينزل في سبع قباب من نور لا يعلم في أيها، هو حين ينزل في ظهر الكوفة فهذا حين ينزل. ٣

الظاهر أن المراد بها بيان كيفية نزول أمر صاحب الزمان بعد ظهوره ﷺ.

العياشي رفعه وقال: قال أبو جعفر 7 أنه نازل في قباب من نور حين ينزل بظهر الكوفة على الفاروق بهذا حين ينزل وأما (قُضِيَ الْأَمْرُ) فهو الوسم على الخرطوم يوم يوسم الكافر. ٤

خبر عبدالواحد بن علي قال: قال أمير المؤمنين [علي بن أبي طالب] 7 أنا أودي من النبيين إلى الوصيين ومن الوصيين إلى النبيين وما بعث الله نبياً إلا وأنا اقضي دينه وأنجز عداوته ولقد اصطفاني ربي بالعلم والظفر ولقد وفدت إلى ربي اثنتي عشرة وفادة فعرفني نفسه وأعطاني مفاتيح الغيب. ثم قال: يا قنبر من على الباب [بالباب] قال ميثم التمار: ما تقول إن أحدثك فإن أخذته كنت مؤمناً وإن تركته كنت كافراً. [ثم] قال: أنا الفاروق الذي أفرق بين الحق والباطل أنا أدخل أوليائي الجنة

١. تفسير القمي ٧٧/٢.

٢. تفسير العياشي ١/٢١٤، ح ٣٠٥.

٣. تفسير العياشي ١/٢١٤، ح ٣٠٤.

٤. تفسير العياشي ١/٢١٤، ح ٣٠٦.

وأعدائي النار أنا قال الله (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ).^١

حسنة فضال قال: سألت الرضا 7 عن قول الله ﷻ (كَأَلَّا إِلَهُمَّ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُوبُونَ)^٢ فقال إن الله تعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه فيه عباده ولكنه يعني إلههم عن ثواب ربهم محبوبون قال وسألته عن قول الله ﷻ (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)^٣ فقال: إن الله تعالى لا يوصف بالمجيء والذهاب تعالى عن الانتقال إنما يعني بذلك وجاء أمر ربك والملك صفا صفا قال وسألته عن قول الله ﷻ (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ) قال: يقول (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ) وهكذا نزلت: قال: وسألته عن قوله تعالى (سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ)^٤ وعن قوله (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ)^٥ وعن وقوله (وَمَكْرُوا اللَّهَ) ^٦ وعن قوله (يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ)^٧ فقال إن الله تعالى لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر الخديعة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.^٨

أي: (أَنْ يَأْتِيَهُمْ) أمر (اللَّهُ) بسبب (وَالْمَلَائِكَةُ) يعني بحيث يخفى على البعض أو الكل.

١. تفسير فرات الكوفي / ٦٧، ح ٣٧.

٢. سورة المطففين / ١٥.

٣. سورة الفجر / ٢٢.

٤. سورة التوبة / ٧٩.

٥. سورة البقرة / ١٥.

٦. سورة آل عمران / ٥٤.

٧. سورة النساء / ١٤٢.

٨. عيون أخبار الرضا 7 / ١، ١٢٥، ح ١٩.

ورواها في معاني الأخبار^١ والتوحيد^٢.

الطوسي قال: قرأ أبو جعفر ٧ (وَأَلْمَلَيْكَهٗ) بالخفض والباقون بضمها^٣.
وذكر نحوها في مجمع البيان^٤.

(سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا

جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ﴿٢١١﴾

«هذه بنو إسرائيل في مراكم ومنظركم وهي الأمة التي آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة والملك، ورزقهم من الطيبات، وفصلهم على العالمين، سلهم كم آتيناكم من آية بينة؟ وانظر في أمرهم من أين بدئوا وإلى أين كان مصيرهم؟ حرّقوا الكلم عن مواضعه، ووضعوا في قبال الله وكتابه وآياته أموراً من عند أنفسهم بغياً بعد العلم، فعاقبهم الله أشد العقاب بما حل فيهم من اتخاذ الأنداد، والاختلاف وتشتت الآراء، وأكل بعضهم بعضاً، وذهاب السودد، وفناء السعادة، وعذاب الذلة والمسكنة في الدنيا، ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون»^٥.

(سَلِّ) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» أصله إسأل فحذفت ألف الوصل من الأوّل والهمزة من الوسط للتخفيف، والخطاب للرسول الأعظم ٦ أو لكل قارئ.

١. معاني الأخبار / ١٣.

٢. التوحيد / ١٦٣.

٣. التبيان / ٢ / ١٨٨.

٤. مجمع البيان / ٢ / ٣٠٣.

٥. الميزان / ٢ / ١١٠.

(بَنَى إِسْرَءِيلَ) مفعول به ومضاف إليه.
 (كَمْ) مفعول به ثان مقدم لـ (ءَاتَيْنَهُمْ)، اسم استفهام أو خبرية.
 (ءَاتَيْنَهُمْ) فعل ماض وفاعله ومفعول به.
 (مِنْ ءَايَةٍ) حرف جر ومجروره متعلق بـ (ءَاتَيْنَهُمْ)، (مِنْ) بياني.
 (بَيِّنَةٍ) نعت لـ (ءَايَةٍ). «الآيات البينات ما ذكرها الله تعالى: من قلب عصا موسى حية، ويده البيضاء، وفلقه البحر، وتغريق عدوهم من فرعون وأصحابه، وتظليله عليهم الغمام، وإنزال المن والسلوى، وذلك من آيات الله التي أتى بها بني إسرائيل، فخالفوا جميع ذلك، وقتلوا أنبياءه، ورسله، وبدلوا عهده، ووصيته إليهم»^١.
 (وَ) استئنافية. (مَنْ) اسم شرط جازم، مبتدأ.
 (يُبَدِّلُ) فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «هو»، فعل الشرط أي يغيّر بالكفران والجحود ويضعها في غير موضعها.
 (نِعْمَةً أَلَلَهُ) مفعول به ومضاف إليه.
 (مِنْ بَعْدِ) جار ومجرور متعلق بـ (يُبَدِّلُ). (مَا) مصدرية.
 (جَاءَتْهُ) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هي» عائذ إلى (نِعْمَةً أَلَلَهُ) ومفعول به والضمير المفعولي عائذ إلى (مِنْ). (مَا) المصدرية وما بعدها بتأويل مصدر في محل جر بالإضافة، تقديره: (مِنْ بَعْدِ) مجيئي (نِعْمَةً أَلَلَهُ) له.
 (فَ) واقعة في جواب الشرط. (إِنَّ) حرف مشبه بالفعل، تأكيد.
 (أَلَلَهُ) اسم (إِنَّ). (شَدِيدُ) خبر (إِنَّ). (الْعِقَابِ) مضاف إليه.
 «وهذه السنة الجارية من الله سبحانه: من يبدل نعمة وأخرجها إلى غير مجراها فإن الله يعاقبه، والله شديد العقاب، وعلي هذا فقوله: ومن يبدل نعمة الله إلى قوله

العقاب من قبيل وضع الكلي موضع الجزئي للدلالة على الحكم، سنة جارية»^١.

الروايات

خبر علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبد الله 7 (وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ) ٢ بولاية الشياطين (عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَن) ٣ وقرأ أيضًا (سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَ ءَاتَيْنَهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ) فمنهم من آمن ومنهم من جحد ومنهم من أقر ومنهم من بدل (وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ٤.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله 7 في قوله (سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَ ءَاتَيْنَهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ) فمنهم من آمن ومنهم من جحد ومنهم من أقر ومنهم من أنكر ومنهم (مَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ) ٥.

خبر الشعبي قال سئل الحسن بن علي 7 عن هذه الآية (اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) ٦ خاصة هي أم عامة قال نزلت في قوم خاصة فتعقيب عامة ثم جاء التخفيف بعد اتقوا الله ما استطعتم، ف قيل: يا ابن رسول الله فيمن نزلت هذه الآية؟ فنكت الأرض ساعة ثم رفع بصره ثم نكس رأسه ثم رفع فقال: لما نزلت هذه الآية (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) ٧ فقال بعض القوم ما أنزل الله هذا إنما يريد أن يرفع بضبع ابن عمه قالوها حسداً وبغضاً لأهل بيت النبي 6

١. الميزان ٢/ ١١٠.

٢. سورة البقرة / ١٠٢.

٣. سورة البقرة / ١٠٢.

٤. الكافي ٨/ ٢٩٠، ح ٤٤٠.

٥. تفسير العياشي ١/ ٢١٥ ح ٣٠٧.

٦. سورة آل عمران / ١٠٢.

٧. سورة الشورى / ٢٣.

فأنزل الله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ تُخْتِمَ عَلَى قَلْبِكَ) ^١ ولا تعد هذه المقالة ولا يشق عليك ما قالوا قبل من فان الله (يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) ^٢ فشق ذلك على رسول الله ﷺ وحزن على ما قالوا وعلم أن القوم غير تاركين الحسد والبغضاء فنزلت هذه الآية (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۚ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَايِعَتِ اللَّهِ تَجَحَّدُونَ) ^٣ فلما نزلت هذه الآية (يَتَأْتِيَ الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ^٤ قال: يوم غدير خم: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَإِنَّ عَلِيًّا مَوْلَاهُ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فوقع في قلوبهم ما وقع، تكلموا فيما بينهم سرًا حتى قال أحدهما لصاحبه من يلي بعد النبي ﷺ ومن يلي بعدك هذا الأمر لا نجعلها في أهل البيت أبدا فنزل (وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ثم نزلت (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) * وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) إلى قوله (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ^٥ فلما قبض النبي ﷺ مضوا على رأيهم في أهل بيت نبيهم وعلى ما تعاقدوا عليه في حياته ونبذوا آيات الله ﷻ ووصي رسوله وأهل بيته وراء ظهورهم كأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. ^٦

١. سورة الشورى / ٢٤.

٢. سورة الشورى / ٢٤.

٣. سورة الأنعام / ٣٣.

٤. سورة المائدة / ٦٧.

٥. آل عمران / (١٠٥-١٠٢).

٦. بشارة المصطفى ﷺ لشيعته المرتضى ١٩٦/ ٧.

(زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا

فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ﴿٢١٢﴾

هذه الآية في موضع التعليل للآية السابقة «وإن الملاك في ذلك تزين الحياة الدنيا لهم فإنها إذا زينت لإنسان دعتة إلى هوى النفس وشهواتها، وأنست كل حق وحقيقة، فلا يريد الإنسان إلا نيلها: من جاء ومقام ومال وزينة، فلا يلبث دون أن يستخدم كل شيء لأجلها وفي سبيلها، ومن ذلك الدين فيأخذ الدين وسيلة يتوسل بها إلى التميّزات والتعيّنات، فينقلب الدين إلى تميز الزعماء والرؤساء وما يلائم سؤددهم وراثستهم، وتقرب التبعة والمقلدة المرتوسين وما يجلب به تماثل رؤسائهم وساداتهم كما نشاهده في أمتنا اليوم، وكنا شاهدناه في بني إسرائيل من قبل»^١.

(زَيْنَ) فعل ماض مبني للمجهول. «الزينة: معروفة، وهي إما نفسانية كالعلوم والمعارف الحقّة، أو بدنية كالجمال ونحوه، أو خارجية كالمال والجاه ونحوهما. والقسم الأول: إما دنيوية، أو دنيوية وأخروية معاً، كالمعارف الحقّة والاعتقادات الحسنة والأخلاق الفاضلة.

وبالجملة الزينة إما واقعية حقيقية، أو وهمية خيالية، التي هي ما سوى ما ينفع في الآخرة.

ثم إن الزينة المستعملة في القرآن الكريم.

تارة: تنسب إلى الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ)^٢.

١. الميزان ٢/ ١١٠.

٢. سورة الحجرات / ٧.

وأخرى: إلى الشيطان قال تعالى: (وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ^١.
وثالثة: تستعمل من دون أن تنسب إلى أحد، قال تعالى: (زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ) ^٢٣.

(لِلَّذِينَ) جار وفي محل جر متعلق بـ(زَيْنَ).
(كَفَرُوا) فعل ماضٍ وفاعله. «ظاهر الكفر في القرآن هو السّتر أعم من أن يكون كفرًا اصطلاحيًا أو كفرًا مطلقًا في مقابل الإيمان المطلق فتزين الحياة الدنيا لا يختص بالكفار اصطلاحًا بل كل مَنْ ستر حقيقة من الحقائق الدينية، وغير نعمة دينية فهو كافر زينت له الحياة الدنيا فليتهيأ لشديد العقاب» ^٤.
(الْحَيَوَةُ) نائب فاعل. (الدُّنْيَا) نعت لـ(الْحَيَوَةُ). (و) عاطفة.
(يَسْخَرُونَ) فعل مضارع وفاعله. الخرية: فيها استهزاء واستخفاف.
(مِنَ الَّذِينَ) جار ومجرور متعلق بـ(يَسْخَرُونَ).
(ءَامَنُوا) فعل ماضٍ وفاعله. (و) استئنافية.
(الَّذِينَ) اسم موصول، مبتدأ.
(اتَّقَوْا) فعل ماضٍ وفاعله، «تبدیل الإيمان بالتقوى في هذه الجملة لكون الإيمان لا ينفع وحده لو لا العمل» ^٥.
(فَوْقَهُمْ) ظرف مكان متعلق بخبر ومضاف إليه.
(يَوْمَ) مفعول فيه، ظرف زمان، متعلق بخبر. (الْفَيْمَةِ) مضاف إليه.

١. سورة الأنعام / ٤٣.

٢. سورة الرعد / ٣٣.

٣. مواهب الرحمن / ٣ / ٢٦٦.

٤. الميزان / ٢ / ١١٠.

٥. الميزان / ٢ / ١١١.

(وَ) استئنافية. (اللَّهُ) مبتدأ.

(يَرْزُقُ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى (اللَّهُ). خبر.

(مَنْ) مفعول به. (يَشَاءُ) تعرب اعراب (يَرْزُقُ).

(بَغَيْرِ) جار ومجرور متعلق بمفعول (يَشَاءُ).

(حِسَابٍ) مضاف إليه. يعني: «أَنَّهُ تَعَالَى (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) مِنْ عِبَادِهِ كَلًّا حَسَبِ

الْأَهْلِيَّةِ وَالْإِسْتِحْقَاقِ (بَغَيْرِ حِسَابٍ)... وَإِنَّمَا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي خَتَامِ هَذِهِ

الْآيَةِ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الدُّنْيَا بِجَمِيعِ جِهَاتِهَا وَشُؤُونِهَا تَحْتَ إِرَادَتِهِ الرَّبُّوِيَّةِ

الْقِيُومِيَّةِ...»^١.

الروايات

خبر عبدالله بن سليمان قال: سمعت أبا عبدالله يقول: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَسَّعَ فِي

أَرْزَاقِ الْحَمَقَى لِيَعْتَبَرَ الْعُقْلَاءُ وَيَعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَ يُنَالُ مَا فِيهَا بِعَمَلٍ وَلَا حِيلَةٍ.^٢

رواها الصدوق^٣ والطوسي^٤.

الطوسي بإسناده إلى وصية النبي ﷺ لأبي ذرٍّ أَنَّهُ قَالَ فِيهَا: يَا أَبَا ذَرٍّ الدَّرَجَةُ فِي

الْجَنَّةِ فَوْقَ الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَأَنَّ الْعَبْدَ لِيَرْفَعَ بَصْرَهُ فَيَلْمَعَ لَهُ نُورٌ يَكَادُ

يُخْطَفُ بِصَرِّهِ، فَيَفْرَحُ فَيَقُولُ: مَا هَذَا؟ فَيَقَالُ: هَذَا نُورُ أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ، فَيَقُولُ: هَذَا أَخِي

فُلَانٌ، كُنَّا نَعْمَلُ جَمِيعًا فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ فَضَّلَ عَلَيَّ هَكَذَا! فَيَقَالُ: إِنَّهُ كَانَ أَفْضَلُ مِنْكَ

عَمَلًا، ثُمَّ يَجْعَلُ فِي قَلْبِهِ الرِّضَا حَتَّى يَرْضَى، الْحَدِيثُ.^٥

١. مواهب الرحمن ٣/ ٢٧٠.

٢. الكافي ٩/ ٥٥٤، ح ١٠ (١٢/ ٥).

٣. علل الشرائع ٩٢، ح ١.

٤. التهذيب ٦/ ٣٢٢، ح ٥.

٥. أمالي الطوسي، المجلس التاسع عشر، ح ١/ ٥٢٩، رقم ١١٦٢.

قال الطبرسي: ... لأنّ التكليف لا يتمّ إلّا مع الشهوة فإنّ الإنسان إنّما يكلف بأن يدعى إلى شيء تنفر نفسه عنه أو يزجر عن شيء تتوق نفسه إليه، وهذا معنى قول النبي ٦: حُفَّت الجنة بالمكانة وحُفَّت النار بالشهوات.^١

ابوالفتوح الرازي رفعه عن أبي القاسم عبيد الله بن أحمد الطائي عن أبيه عن الرضا ٧ عن آبائه : عن أمير المؤمنين ٧ عن رسول الله ٦ أنّه قال: مَنْ استذلّ مؤمناً أو مؤمنة أو حقره لفقره وقلة ذات يده شهّره الله يوم القيامة وفضحه.^٢ أقول: ذكر هذه الرواية الثعلبي في تفسيره^٣ عن علي بن الحسين ٨ مع هذه الزيادة: «ومن بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله عليّ تلّ من نار حتّى يخرج مما قال فيه، وإنّ المؤمن أعظم عند الله وأكرم عليه من ملك مقرب وليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة، وإنّ الرجل المؤمن ليُعرف في السماء كما يعرف الرجل أهله وولده». أقول: ورواها القرطبي في تفسيره^٤.

ابوالفتوح الرازي رفعه عن إبراهيم بن أدهم قال: حدّثنا عباد بن كثير بن قيس، قال: جاء رجل عليه بزة^٥ له فقعد إلى رسول الله ٦ فجاء رجل عليه خلق^٦ له فقعد إلى رسوله الله ٦، قال: ألقى بثيابه فضمّها إليه، فقال رسول الله ٦: أكلّ هذا تقدّراً من أخيك المسلم، أكنت تحشى أن يصيبه من عناك أو يصيبك من فقره شيء، فقال للنبي: معذرة إلى الله وإلى رسوله، إنّ النفس لأمارّة وشيطان يكيدني، أشهد يا رسول الله أنّ نصف مالي له، فقال الرجل: ما أريد ذلك، فقال النبي ٦:

١. مجمع البيان ٢/ ٣٠٥.

٢. روض الجنان ٣/ ١٧٣.

٣. الكشف والبيان ٢/ ١٣١.

٤. تفسير القرطبي ٣/ ٢٩.

٥. اللباس الفاخرة النظيفة.

٦. الثوب الخلق القديم.

ولم؟ قال: لا يفسد قلبي كما أفسد قلبه.^١

رواها الثعلبي في تفسيره.^٢

ابوالفتوح الرازي قال: وفي الخبر عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا أباذر إرفع بصرك إلى أرفع رجل تراه في المسجد، فنظرت فإذا رجل جالس وعليه حلّة، فقلت: هذا، فقال: يا أباذر ارفع بصرك إلى أوضع رجل تراه في المسجد، فنظرت فإذا رجل ضعيف عليه أخلاق، فقلت: هذا، فقال ﷺ: والذي نفسي بيده لهذا عند الله يوم القيامة أفضل من قراب الأرض من هذا.^٣

يعني: أنه أفضل من الآخر بالأرض وما فيها والوجود ورواها أحمد في مسنده^٤ والثعلبي في تفسيره.^٥

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ﴿٢١٣﴾

كان الناس «في أول اجتماعه أمة واحدة، ثم ظهر فيه بحسب الفطرة الاختلاف

١. روض الجنان ٣/ ١٧٣.

٢. الكشف والبيان ٢/ ١٣٢.

٣. روض الجنان ٣/ ١٧٤.

٤. مسند أحمد ٥/ ١٧٠.

٥. الكشف والبيان ٢/ ١٣٢.

في اقتناء المزايا الحيوية، فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطارئة، والمشاجرات في لوازم الحياة فألبست القوانين الموضوعية لباس الدين، وشفّعت بالتبشير والانداز: بالثواب والعقاب، وأصلحت بالعبادات المندوبة إليها يبعث النبيين، وإرسال المرسلين، ثم اختلفوا في معارف الدين أو أمور المبدء والمعاد، فاختل بذلك أمر الوحدة الدينية، وظهرت الشعوب والأحزاب، وتبع ذلك الاختلاف في غيره، ولم يكن هذا الاختلاف الثاني إلا بغياً من الذين أوتوا الكتاب، وظلماً وعتواً منهم بعد ما تبين لهم أصوله ومعارفه، وتمت عليهم الحجة، فالإختلاف إختلافان: إختلاف في أمر الدين مستند إلى بغى الباغين دون فطرتهم وغريزتهم، وإختلاف في أمر الدنيا وهو فطري وسبب لتشريع الدين، ثم هدى الله سبحانه المؤمنين إلى الحق المختلف فيه بإذنه، (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ١.

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) النوع الإنساني في بدء أمره كان على الإتحاد والإتفاق ولا إختلاف بينهم بالمشاجرة في أمور الحياة.

(فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) ثم حصل بينهم الإختلاف والمنازعة في أمور الدنيا (فَبَعَثَ اللَّهُ) الأنبياء لأجل حلّ هذا الإختلاف والمشاجرة بجعل القوانين الدينية والبشارة لمن أقامها والإنذار لمن تركها.

(وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) وأنزل الله إلى الأنبياء الكتب السماوية لأجل حلّ خلافاتهم بالتشريع الإلهي وبالكتاب السماوي. وأول كتاب سماوي متضمن للشريعة كتاب نوح النبي 7.

(لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) أنزل الكتب السماوي (بِالْحَقِّ) لأجل حكومة قوانينها على حلّ خلافات الناس ومشاجراتهم على وفقها.

(وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ) ثم بعد نزول الكتب السماوية والشرائع الإلهية والقوانين الشرعية، اختلفوا في أمر الدين وأحكامه وشرائعه وهذا الاختلاف الثاني لا يكون إلا من قِبَل الذين نزل الكتب السماوية فيهم وبينهم.

(مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْيَقِينُ) وبعد مجي البينات والأدلة الواضحة لهم ومع ذلك اختلفوا في الدين وأحكامه وشرائعه.

(بَغْيًا بَيْنَهُمْ) وهذا الخلاف الثاني لا يكون إلا بسبب البغي والظلم بين من (جَاءَتْهُمْ الْيَقِينُ).

(فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ) فهدى الله المؤمنين بسبب إيمانهم واعتقادهم إلى الحق المبين (بِإِذْنِهِ) ومشيته التي لا تكون إلا بعدله وحكمته.

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) هذه الجملة بمنزلة التعليل لقوله (بِإِذْنِهِ) والمعنى إنما هداهم الله (بِإِذْنِهِ) لأنَّ له أن يهديهم و (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) وقد شاء أن يهدي الذين آمنوا (إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). وفي هذه الآية بحوث كثيرة لانطيل الكلام حولها فإن شئت راجع الميزان^١ ومواهب الرحمن^٢.

الروايات

خبر يعقوب بن شعيب أنه سأل أبا عبد الله 7 عن قول ﷺ (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) فقال: كان الناس قبل نحو أمة ضلال فبدا الله فبعث المرسلين وليس كما يقولون لم يزل وكذبوا يفرق الله في ليلة القدر ما كان من شدة أو رخاء أو مطر بقدر ما

١. الميزان ٢ (١٥٧-١١١).

٢. مواهب الرحمن ٣ / (٣٠٠-٢٧٦).

يشاء الله ﷻ أن يقدر إلى مثلها من قابل.^١

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر 7 في قول الله (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) فقال: كان هذا قبل نوح كانوا ضلّالا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.^٢

عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله 7 عن قول الله (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) قال كان هذا قبل نوح أمة واحدة فبدا لله فأرسل الرسل قبل نوح، قلت: أعلی هدى كانوا أم على ضلالة؟ قال: بل كانوا ضلّالا، كانوا لا مؤمنين ولا كافرين ولا مشركين.^٣

عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله 8 عن قوله (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ) قال: كانوا ضلّالا فبعث الله فيهم أنبياء ولو سألت الناس لقالوا: قد فرغ من الأمر.^٤

عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله 7 عن هذه الآية (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) قال: قبل آدم وبعد نوح ضلّالا فبدا لله فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، أما إنك إن لقيت هؤلاء قالوا: إن ذلك لم يزل وكذبوا إنما هو شيء بدأ الله فيه.^٥

عن مسعدة بن أبي عبد الله 7 في قول الله (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) فقال كان ذلك قبل نوح، قيل فعلى هدى كانوا قال بل

١. الكافي ٨/٨٢، ح ٤٠.

٢. تفسير العياشي ١/٢١٦، ح ٣١١.

٣. تفسير العياشي ١/٢١٥، ح ٣٠٩.

٤. تفسير العياشي ١/٢١٥، ح ٣٠٨.

٥. تفسير العياشي ١/٢١٦، ح ٣١٠.

كانوا ضلّالاً، وذلك أنّه لما انقضى آدم وصلح ذريته بقي شيث وصيه لا يقدر على إظهار دين الله الذي كان عليه آدم وصالح ذريته، وذلك أنّ قابيل تواعده بالقتل كما قتل أخاه هابيل، فسار فيهم بالتقية والكتمان، فازدادوا كل يوم ضلّالاً حتّى لم يبق على الأرض معهم إلّا من هو سلف ولحق الوصي بجزيرة في البحر يعبد الله، فبدا لله تبارك وتعالى أنّ يبعث الرسل ولو سئل هؤلاء الجهال لقالوا قد فرغ من الأمر وكذبوا إنّما [هي] شيء يحكم به الله في كل عام، ثمّ قرأ (فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) ١ فيحكم الله تبارك وتعالى ما يكون في تلك السنة من شدة أو رخاء أو مطر أو غير ذلك قلت أفضلاً كانوا قبل النبيين أم على هدى قال لم يكونوا على هدى كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها لا تبديل لخلق الله، ولم يكونوا ليهتدوا حتّى يهديهم الله أ ما تسمع يقول إبراهيم: (لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) ٢ أي ناسياً للميثاق. ٣

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين ٧ أنّه قال في خطبة طويلة: واصطفى الله سبحانه من ولده (أي من ولد آدم ٧) أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجعلوا حقّه وانّخذوا الأنداد معه واجتالّتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، لِيَسْتَأْذُوهُمْ ميثاق فطرته ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْبِئِ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِم بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرْوَهُمُ آيَاتِ الْمَقْدَرَةِ الْخُطْبَةِ. ٤

الطوسي قال: روي عن أبي جعفر ٧ أنّه قال: كانوا قبل نوح أمة واحدة على

١. سورة الدخان / ٤.

٢. سورة الأنعام / ٧٧.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢١٦، ح ٣١٢.

٤. نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

٣٧٢..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثاني

فطرة الله لا مهتدين ولا ضلّالاً، فبعث الله النبيين. ١

رواها الطبرسي في مجمع البيان. ٢

أبو الفتوح الرازي رفعه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: صلّوا على
أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني. ٣

رواها الثعلبي في تفسيره. ٤

أبو الفتوح الرازي رفعه عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث: كان تورات
موسى عبر مثل: عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح وعجباً لمن أيقن بالنار كيف
يضحك وعجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف اطمأن إليها، الحديث. ٥

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ
الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ

مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) ﴿٣١٤﴾

«إِنَّ سُنَّةَ اللَّهِ قَدْ جَرَتْ فِي أَنْصَارِ الْحَقِّ أَنْ يَدْفَعُوا ثَمَنَهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَنْ يَتَحَمَّلُوا فِي سَبِيلِهِ الْأَذَى وَالْمَكَارَهَ وَيَصْبِرُوا عَلَى الْمَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ...
وَقَدْ لَاقَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَجْلِ الْحَقِّ أَلْوَأناً مِنَ الْأَذَى، فَصَبَرُوا... فَهَلْ تَصْبِرُونَ

١. التبيان ٢/ ١٩٥.

٢. مجمع البيان ٢/ ٣٠٧.

٣. روض الجنان ٣/ ١٧٨.

٤. الكشف والبيان ٢/ ١٣٣.

٥. روض الجنان ٣/ ١٧٩.

أنتم كما صبروا: أم أنكم تريدون أن تدخلوا الجنة بلا ثمن، وقد أبى صاحبها ومالكها إلا أن يكون ثمنها الإيمان والإخلاص والصبر على الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس»^١.

(أَمْ) منقطعة تفيد الإضراب بمعنى «بل» مضافاً إلى إفادة الإستفهام والترديد.
(حَسِبْتُمْ) فعل ماضٍ وفاعله، خطاباً للمؤمنين. (أَنْ) مصدرية ناصبة.
(تَدْخُلُوا) فعل مضارع منصوب بـ«ان» وفاعله. (الْجَنَّةَ) مفعول به.
(وَ) حالية. (لَمَّا) حرف نفي وجزم وقلب وتوقع.
(يَأْتِكُمْ) فعل مضارع مجزوم بـ«لما» ومفعول به، الإتيان مجاز في الحصول.
(مَثَلُ) فاعل، المثل: المشابهة في الهيئة والحالة، والمراد به هنا الوصف الذي كان عليه من سبق.

(الَّذِينَ) اسم موصول، مضاف إليه.
(خَلَوْا) فعل ماضٍ وفاعله. وهم الأمم السابقة.
(مِنْ قَبْلِكُمْ) جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ(خَلَوْا).
(مَسَّيْهِمْ) فعل ماضٍ ومفعول به. المس واللمس واحد.
(الْبَاسَاءِ) فاعل. «(الْبَاسَاءِ): هو الشدة المتوجهة إلى الإنسان في خارج نفسه كالمل والجاه والأهل والأمن الذي يحتاج إليه في حياته»^٢.
(وَ) عاطفة.

(الضَّرَّاءِ) معطوف على (الْبَاسَاءِ)، «(الضَّرَّاءِ): هي الشدة تصيب التي الإنسان في نفسه كالجرح والقتل والمرض»^٣.

١. التفسير الكاشف ١/ ٣١٩.

٢. الميزان ٢/ ١٥٩.

٣. الميزان ٢/ ١٥٩.

(و) استئنافية.

(زُلْزِلُوا) فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله. أي أزعجوا بالخافة من العدو واضطربوا في نظام معاشهم.

(حَتَّى) حرف غاية، يعني هذه الشدائد أدت إلى أن....

(يَقُولُ) فعل مضارع منصوب بـ«أَنْ» مضمرة بعد (حَتَّى).

(الرَّسُولُ) فاعله. «ال» للجنس. (وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) من تبعته.

(مَتَى) استفهام مستعمل في استبطاء زمان.

(نَصَرَ اللَّهُ) ودعاء وطلب من (الرَّسُولُ) والمؤمنين للنصر الذي وعدهم الله

سبحانه به.

(أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) من الرسول والمؤمنين.

الروايات

خبر أبي بكر بن محمد قال: سمعت أبا عبد الله 7 يقرأ وزلزلوا ثم (زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) ١.

صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج قال: ذكر عند أبي عبد الله 7 البلاء وما يخص الله ﷻ به المؤمن، فقال: سئل رسول الله 7: مَنْ أَشَدَّ النَّاسَ بَلَاءً فِي الدُّنْيَا؟ فقال: النَّبِيُّونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ وَيَتَلَى الْمُؤْمِنُ بَعْدَ عَلَى قَدَرِ إِيْمَانِهِ وَحَسَنَ أَعْمَالِهِ فَمَنْ صَحَّ إِيْمَانُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَمَنْ سَخَفَ إِيْمَانُهُ وَضَعَفَ عَمَلُهُ قَلَّ بَلَاؤُهُ ٢.

معتبرة حمزة بن حمران عن أبي جعفر 7 قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن

١. الكافي ٨/ ٢٩٠، ح ٤٣٩.

٢. الكافي ٢/ ٢٥٢، ح ٢.

أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار.^١

عن محمد بن سنان قال: حدثني المعافي بن إسماعيل قال لما قتل الوليد خرج من هذه العصابة نفر بحيث أحدث القوم قال: فدخلنا على أبي عبد الله 7 فقال ما الذي أخرجكم من غير الحج والعمرة قال: فقال القائل منهم الذي شئت الله من كلمة أهل الشام وقتلهم خليفتهم، واختلافهم فيما بينهم قال: قال ما تجدون أعينكم إليهم فأقبل يذكر حالاتهم أليس الرجل منكم يخرج من بيته إلى سوقه فيقضي حوائجه ثم يرجع لم يختلف إن كان لمن كان قبلكم أتى هو على مثل ما أنتم عليه ليؤخذ الرجل منهم، فيقطع يديه ورجليه وينشر بالمنشير ويصلب على جذع النخلة ولا يدع ما كان عليه، ثم ترك هذا الكلام ثم انصرف إلى آية من كتاب الله (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)^٢.

خبر خالد العاقولي في حديث له عن أبي عبد الله 7 أنه قال: فما تمدون أعينكم فما تستعجلون أليست آمنين؟ أليس الرجل منكم يخرج من بيته فيقضي حوائجه ثم يرجع لم يختطف؟ إن كان من قبلكم من هو على ما أنتم عليه ليؤخذ الرجل منهم فتقطع يده ورجلاه ويصلب على جذوع النخل وينشر بالمنشار ثم لا يعدو ذنب نفسه ثم تلا هذه الآية (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)^٣.

١. الكافي ٢/ ٨٩، ح ٧.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢١٧، ح ٣١٣.

٣. الغيبة / ٢٧٦ (٤٥٨ من الطبعة الحديثة).

القطب الراوندي قال: قيل لعلي بن الحسين 7 صف لنا خروج المهدي وعرفنا دلائله وعلاماته فقال يكون قبل خروجه خروج رجل يقال له عوف السلمي بأرض الجزيرة ويكون مأواه تكريت وقتله بمسجد دمشق ثم يكون خروج شعيب بن صالح بسمرقند ثم يخرج السفيناني الملعون بالواد اليابس وهو من ولد عتبة بن أبي سفين فإذا ظهر السفيناني أخذ في المهدي ثم يخرج بعد ذلك وقال ما تستعجلون بخروج القائم فو الله ما لباسه إلا الغليظ وما طعامه إلا الشعير الجشيب وما هو إلا السيف والموت تحت ظل السيف فما تمدون أعينكم أستم آمين لقد كان من قبلكم من هو على ما أنتم عليه يؤخذ فيقطع يده ورجله ويصلب ثم تلا (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا) ١.

ابن أبي الحديد قال: قال أبو مخنف: وطاف علي 7 على أصحابه وهو يقرأ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) ثم قال أفرغ الله علينا وعليكم الصبر وأعز لنا ولكم النصر وكان لنا ولكم ظهيرا في كل أمر ثم رفع مصحفا بيده فقال من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه وله الجنة فقام غلام شاب اسمه مسلم عليه قباء أبيض فقال أنا أخذه فنظر إليه علي وقال يا فتى إن أخذته فإن يدك اليمنى تقطع فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع ثم تضرب بالسيف حتى تقتل فقال لا صبر لي على ذلك فنادى علي ثانية فقام الغلام وأعاد عليه القول وأعاد الغلام القول مرارا حتى قال الغلام أنا أخذه وهذا الذي ذكرت في الله قليل فأخذه وانطلق فلما خالطهم ناداهم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فضر به رجل فقطع يده اليمنى

فتناوله باليسرى فضربه أخرى فقطع اليسرى فاحتضنه فضربه باسيا فمهم حتى قتل.^١
ابوالفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: حُفَّت الجنة بالمكاره
وحُفَّت النار بالشهوات.^٢

ابوالفتوح الرازي قال: وفي الخبر: أن لقمان قال لابنه: يا بني إن الله تعالى يُجَرِّبُ
العبد الصالح بالمحن والبلاء كما يجرب الذهب بالنار.^٣

ابوالفتوح الرازي رفعه عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه سأل النبي ﷺ: أيُّ
الناس أشدَّ بلاءً فقال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل من الناس، فيبتلي الرجل على حسب
دينه فإن كان صلب الدين اشتدَّ بلاؤه وإن كان في دينه رقة فهي على حسب ذلك، ولا
يبرح البلاء عن العبد حتى يدعه يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة.^٤
رواها الثعلبي في تفسيره.^٥

(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَلِلْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) ﴿٢١٥﴾

«نزلت في عمرو بن الجموع وكان شيخاً كبيراً ذا مالٍ، فقال: يا رسول الله بماذا
أتصدق وعلى من أتصدق؟ فأنزل الله»^٦. هذه الآية.

١. شرح نهج البلاغة ٩/ ١١١.

٢. روض الجنان ٣/ ١٨٦.

٣. روض الجنان ٣/ ١٨٦.

٤. روض الجنان ٣/ ١٨٥.

٥. الكشف والبيان ٢/ ١٣٦.

٦. الكشف البيان المعروف بتفسير الثعلبي ٢/ ١٣٦؛ وروض الجنان ٣/ ١٨٧.

(يَسْأَلُونَكَ) فعل مضارع وفاعله ومفعول به. الضمير الفاعلي عائد إلى المؤمنين والمفعولي عائد إلى رسول الله ﷺ. والسؤال: طلب الجواب.
(مَاذَا) اسم استفهام، مفعول به مقدم (يُنْفِقُونَ) يعني «أَيُّ شَيْءٍ» (يُنْفِقُونَ).
أو (مَا) استفهامية، مبتدأ و (ذَا) بمعنى الذي، خبر. وجملة (يُنْفِقُونَ) صلة الموصول. يعني (مَا) الذي (يُنْفِقُونَ).
(يُنْفِقُونَ) فعل مضارع وفاعله. (قُلْ) أنت يا محمد ﷺ في جوابهم.
(مَا) اسم شرط جازم، مفعول به مقدم (أَنْفَقْتُمْ).
(أَنْفَقْتُمْ) فعل ماض وفاعله. فعل الشرط، الإنفاق: إخراج ما كان من المال من عين أو نقد.

(مَنْ خَيْرٍ) جار ومجرور، متعلق بحال محذوفة من (مَا) الشرطية. و (مَنْ) بياني وتقديره: حال كونه (مَنْ خَيْرٍ). والمراد من الخير هو المال بقرينة قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) ١.

(فَ) واقعة في جواب الشرط.
(لِلْوَالِدَيْنِ) جار ومجرور متعلق بمحذوف يفسره (مَا أَنْفَقْتُمْ)، أي فأنفقوه (لِلْوَالِدَيْنِ) «ل» للملك. ومنه يظهر أن السؤال عن الإنفاق المستحبي لا الوجوبي لعدم إعطاء الحقوق الواجبة الشرعية للعمودين أي الوالدين وإن علو والأولاد وإن نزلوا لأنهما واجبا النفقة.
(وَ) عاطفة.
(الْأَقْرَبِينَ) معطوف على (لِلْوَالِدَيْنِ). والمراد بهم أرحام المعطي.

(وَالْيَتَامَى) اليتيم: انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه.
 (وَالسَّكِينِ) وهم الفقراء.
 (وَأَبْنِ السَّبِيلِ) وهو المسافر المنقطع عن أهله وماله ووطنه.
 (و) عاطفة. (مَا) شرطية.
 (تَفْعَلُوا) فعل مضارع مجزوم. فعل الشرط.
 (مِنْ خَيْرٍ) جار ومجرور متعلق بـ (تَفْعَلُوا). (فَ) واقعة في جواب الشرط.
 (إِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) أي (إِنَّ اللَّهَ) «يجازي عليه من غير أن يضيع منه شيء» لأنه
 عليهم لا يخفى عليه شيء^١.

الروايات

صحيحة صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الرضا 7 قال: دخل عليه مولى له
 فقال له: هل أنفقت اليوم شيئاً؟ قال: لا والله، فقال أبو الحسن 7: فمن أين يخلف
 الله علينا، أنفق ولو درهماً واحداً.^٢
 صحيحة زرارة قال: سمعت أبا عبد الله 7 يقول: ما من عبد يمنع درهماً في
 حقّه إلا أنفق إثنين في غير حقّه، وما رجل يمنع حقاً من ماله إلا طوّقه الله ﷻ به حية
 من نار يوم القيامة.^٣
 ورواها الصدوق في الفقيه.^٤
 صحيحة هشام بن الحكم عن أبي عبد الله 7 قال: مَنْ منع حقّاً لله ﷻ أنفق في

١. التبيان ٢/ ٢٠١.

٢. الكافي ٤/ ٤٤.

٣. الكافي ٣/ ٥٠٤.

٤. من لا يحضره الفقيه ٢/ ٦.

باطل مثليه. ١

صحيحة ابن محبوب ومعاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله 7 يقول: إنّ ممّا أوحى الله إلى موسى 7 وأنزل عليه في التوراة: إنّني أنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخلق وخلقته الخير وأجريته على يدي من أحبّ، فطوبى لمن أجرته على يديه، وأنا الله لا إله إلا أنا، خلقت الخلق وخلقته الشرّ وأجريته على يدي من أريده، فويل لمن أجرته على يديه. ٢

صحيحة زرارة عن أبي جعفر 7 قال: قال رسول الله 6: إنّ الله يحبّ من الخير ما يعجل. ٣

صحيحة هشام بن سالم عن أبي عبد الله 7 قال: إذا هممت بشيء من الخير فلا تؤخره، فإنّ الله ربما إطلع على العبد وهو على شيء من الطاعة فيقول: وعزتي وجلالي لا أعدّ بك بعدها أبداً، وإذا هممت بسيئة فلا تعملها، فإنّه ربما إطلع الله على العبد وهو على شيء من المعصية فيقول: وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً. ٤

صحيحة أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر 7 قال: إنّ أسرع الخير ثواباً البرّ، وإنّ أسرع الشرّ عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه أو يغيّر الناس بما لا يستطيع تركه، أو يوذّي جلسيه بما لا يعنيه. ٥

صحيحة زرارة قال: سمعت أبا عبد الله 7 يقول: إنّما الشحيح من منع حق الله وأنفق في غير حق الله ﷻ. ٦

١. الكافي ٣/٥٠٦.

٢. الكافي ١/١٥٤، ح ١.

٣. الكافي ٢/١٤٢، ح ٤.

٤. الكافي ٢/١٤٣، ح ٧.

٥. الكافي ٢/٤٥٩، ح ١.

٦. معاني الأخبار ٢٤٦، ح ٦.

صحيحة الثمال عن أبي جعفر 7 قال: أربيع من كنّ فيه من المؤمنين أسكنه الله في أعلى عليين في غرف فوق غرف في محلّ الشرف كلّ الشرف: من أوى اليتيم ونظر له فكان له أباً، ومن رحم الضعيف وأعانه وكفاه، ومن أنفق على والديه ورفق بهما وبرّهما ولم يحزنهما، ومن لم يفرّق بمملوكه وأعانه على ما يكلفه ولم يستسعه فيما لا يطيق.^١

ابن مسعود عن رسول الله ﷺ 6 أنّه قال: اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمنّ يقول أمّك وأباك وأختك وأخاك وأدناك فأداناك وأختك.^٢

الأمدي رفعه إلى أمير المؤمنين 7 أنّه قال: إنكم إلى إنفاق ما اكتسبتم أجوح منكم إلى اكتساب ما تجمعون.^٣

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ﴿٢٦﴾

بعد ذكر إنفاق المال في الآية السابقة، ورد في بذل النفس لإعلاء كلمة الحقّ والجهاد في سبيل الله ونصرة الدين والآية دالة على وجوب الجهاد وفرضه على الكفاية وإذا قام به من في قيامه غنى عن الباقي سقط عنهم.

(كُتِبَ) أي فُرِضَ، ولم يظهر الفاعل صوّناً لمقامه عن الهتك والاستخفاف أن يقع الكتابة المنسوبة إليه صريحاً مورداً لكرهة المؤمنين.

١. أمالي الطوسي، المجلس السابع، ح ٢١/ ١٨٩، رقم ٣١٩.

٢. روض الجنان ٣/ ١٨٧.

٣. غرر الحكم، ح ٣٨٢٧.

(عَلَيْكُمْ) والضمير عائد إلى المسلمين المؤمنين سوى مَنْ أخرج الدليل نحو قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ) ١. (الْقِتَالُ) والجهاد مع الكفار ومحاربتهم. (و) حاله. (هُوَ) أي (الْقِتَالُ). (كُرْهٌ) المشقة التي يدركها الإنسان من نفسه طبعًا أو تعلّمًا، وعدم الرغبة إلى الشيء.

(لَكُمْ) أي للمؤمنين لأنّ القتال متضمن لإزهاق الأرواح وإفناء النفوس وتعب الأبدان وتوارد الآلام والخسارات المالية وارتفاع الأمن والرفاهية والرخص والبُعد عن الأهل والوطن وغير ذلك ممّا يستكرهه الإنسان في حياته. (و) عاطفة. عطف على (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ). (عَسَى) مستعمل في معنى الترجي لا للمتكلم بل للمخاطب أو مقام التخاطب، يعني يرجوه الله للمخاطب أو السامع. (أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا) نحو القتال والعبادات المالية والبدنية والأمراض والخسارات المالية والبلاء والفتن والمحن وغيرها. (و) حاله. (هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) حال لـ (شَيْئًا). أي (خَيْرٌ لَّكُمْ) في الواقع ونفس الأمر والعالم الحقيقي. (و) عاطفة.

(عَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ) تحبونه لعدم علمكم بالحقائق والوقائع والمصالح والمفاسد وتطابق إداركم مع الأوهام والخيالات والشهوات والنفسانيات.

(وَ) استثنائية. (اللَّهُ يَعْلَمُ) حقائق الأمور والمصالح الواقعية.

(وَ) عاطفة.

(أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) -ها إلاً ما علمكم الله وكشف عن حقيقتها ومصلحتها
فعليكم أن تسلموا إليه سبحانه الأمر وأطاعوه بالإطلاق.

الروايات

الكليني بإسناده عن أمير المؤمنين 7 أنه قال: أما بعد فإنَّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه وسَوَّغَهُم كرامة منه لهم ونعمة ذخرها والجهاد هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنَّته الوثيقه فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلِّ وشمله البلاء وفارق الرضا وديث بالصغار والقماء وضرب على قلبه بالأسداد وأدبيل الحق منه بتضييع الجهاد وسئم الخسف ومنع النصف، ألا وإنِّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً وقلت لكم: أغزوهم قبل أن يغزوكم فو الله ما غزى قوم قط في عُقر دارهم إلا ذلُّوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان الحديث.^١

صحيحه عمر بن أبان عن أبي عبدالله 7 قال: قال رسول الله 6: الخير كله في السيف وتحت ظلَّ السيف ولا يقيم الناس إلا السيف، والسيوف مقاليد الجنة والنار.^٢

عن جميل بن دراج قال سألت أبا عبدالله 7 عن قول الله (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) و (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ)^٣ قال: فقال: هذه كلها يجمع

١. الكافي ٥/٤، ح ٦.

٢. الكافي ٥/٢، ح ١.

٣. سورة البقرة / ١٨٣.

الضلال والمنافقين وكل من أقر بالدعوة الظاهرة.^١

القاضي نعمان المصري رفعه عن علي 7 أنه قال: الجهاد فرض على جميع المسلمين لقول الله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) فإن قامت بالجهاد طائفة من المسلمين وسع سائرهم التخلف عنه ما لم يحتج الذين يلون الجهاد إلى المدد فإن احتاجوا لزم الجميع أن يمدّوهم حتى يكتفوا قال الله تعالى: (وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً)^٢ فإن دهم أمر يحتاج فيه إلى جماعتهم نفروا كلهم قال الله ﷻ (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)^{٣.٤}

ابوالفتوح الرازي رفعه عن ابن عباس قال: كنتُ ردف النبي ﷺ فقال: يا ابن عباس أرض عن الله بما قدر وإن كان خلاف هواك، إنه مثبت في كتاب الله، قلت: يا رسول الله أين؟ وقد قرأت القرآن! قال: مكانين: (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ)^٥. رواها الثعلبي^٦ والطبري^٧.

١. تفسير العياشي ١/ ١٨٢، ح ١٨٠.

٢. سورة التوبة / ١٢٢.

٣. سورة التوبة / ٤١.

٤. دعائم الإسلام ١/ ٣٤١.

٥. روض الجنان ٣/ ١٩٢.

٦. الكشف والبيان ٢/ ١٣٨.

٧. تفسير الطبري ٢/ ٤٧٠.

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)



الآية الشريفة تشمل عدة أحكام من القتال.
 (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) يسألون رسول الله عن القتال في الأشهر الحرم وهن: رجب الأصب وذو القعدة الحرام وذو الحجة الحرام ومحرم الحرام.
 (قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) أي (قُلْ) في جوابهم إن القتال في الشهر الحرام كبير إثمه وعُدَّ من الكبائر.
 (وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أي ومنعهم لكم أيها المسلمون (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) يعني العبادة والنسك وخاصة الحج.
 (وَكُفْرٌ بِهِ) يعني والكفر بـ(سَبِيلِ اللَّهِ) فيكون كفرًا في العمل دون الاعتقاد.
 (وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) والصد عن المسجد الحرام أو الكفر به وهو إلغاء احترامه، والأول أظهر.
 (وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ) أي وإخراج رسول الله والمسلمين من المسجد الحرام وهم أهله.

(أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ) إثمًا ومعصيةً ويُعدُّ من أكبر الكبائر.
 (وَالْفِتْنَةُ) وهي هنا ما فعله المشركون من إخراج رسول الله والمؤمنين من

المهاجرين وهم أهل (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) .
 (أَكْبَرُ مَنْ أَلْقَتِلَ) معصية وإثماً، «فلا يحقّ للمشرّكين أن يطعنوا المؤمنين وقد فعلوا ما هو أكبر مما طعنوا به»^١.
 (وَلَا يَزَالُونَ) الكفار.
 (يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ) وعدواتهم لكم ما داموا أنتم على إيمانكم والثبات في دينكم وهذه العلة أي الدين (يُقْتَلُونَكُمْ) لـ (يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ) .
 (إِنْ أَسْتَطَعُوا) إستبعاد لما يريدونه وإشارة إلى عدم الوصول إلى غرضهم مهما جاهدوا في ذلك لأنّ الحق لا يزول.
 (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) تهديد للمرتد بحبط العمل وخلود النار.

شأن نزولها

بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن جحش وهو ابن عمّة النبي ﷺ في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس ستة عشر شهراً من مقدمه المدينة، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين: سعد بن أبي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الأسدي وعتبة بن غزوان السلمي وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبدالله وخالد بن بكر وكتب بإمرة عبدالله بن جحش كتاباً وقال: سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين، فإذا نزلت منزلاً فافتح الكتاب وقرأه على أصحابك، ثم امض لما أمرك، ولا تُكرهن أحداً من أصحابك على السير معك، فسار عبدالله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة
فترصد بها عير قريش لعلك أن تأتيها منه بخبر، فلما نظر عبدالله ابن جحش قال:
سمعا وطاعة ثم قال ذلك لأصحابه وقال: إنه قد نهاني أن استكره أحدا منكم، فمن
كان يريد الشهادة فليطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فإني ماض لأمر رسول الله ﷺ.

ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد حتى إذا كان بمعدن
فوق الفرع يقال له: نجوان أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا
يتعقبانه فاستأذنا أن يتخلفا في طلب بعيرهما، فأذن لهما فتخلفا في طلبه، ومضى عبدالله
ببقيتهم حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف، فبينما هم كذلك إذ مر بهم عير لقريش
تحمل زبيبا وأديما وتجارة من تجار الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان
وعثمان بن عبدالله بن المغيرة ونوفل بن عبدالله المحزوميان، فلما رأوا أصحاب
رسول الله ﷺ خافوهم، فقال عبدالله بن جحش: إن القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا
رأس رجل منكم فليعرض لهم فإذا رأوه محلوفا أمنوا، وقالوا: قوم عمار، فحلقوا
رأس عكاشة ثم أشرف عليهم وقالوا: قوم عمار لا بأس عليكم فأمّنوهم.

وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون أنه من جمادى وهو من
رجب، فتشاور القوم بينهم وقالوا: لئن تركتموهم هذه الليلة لتدخلن الحرم فليمنعن
منكم فأجمعوا أمرهم في مواجهة القوم فرمى واقد بن عبدالله^١ السهمي عمرو بن
الحضرمي بسهم فقتله، فكان أول قتيل من المشركين واستأسرا الحكم وعثمان^٢ فكانا
أول أسيرين في الإسلام وأفلت الآخرا فاعجزاهم، واستاق المؤمنون العير

١. في تاريخ المدينة: التميمي.

٢. الحكم بن كيسان وعثمان بن عبدالله.

والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام، شهرًا يأمن فيه الخائف ويندعر فيه الناس لمعايشهم، فسفك فيه الدماء، وأخذ فيه الحرائر، وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين، وقالوا: يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه، وتفاءلت اليهود بذلك وقالوا: واقد: وقدت الحرب وعمرؤا: عمرت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب.

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لابن جحش وأصحابه: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، ودفعتم العير والأسيرين فأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا، فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أن قد هلكوا وسقوا في أيديهم وقالوا: يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أي رجب أمسينا أم في جمادى، وأكثر الناس في ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية فأخذ رسول الله العير فعزل منها الخمس، فكان أول خمس في الإسلام، وقسم الباقي بين أصحاب السرية، فكان أول غنيمة في الإسلام، وبعث أهل مكة في فداء أسيرهم فقال: بل نوقفهم حتى يقدم سعد وعتبة وإن لم يقدما قتلناهما، فلما قدما فداهم.

وأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدًا، وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة ومات فيها كافرًا، وأما نوفل فضرِب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق على المسلمين، فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعًا، وقتله الله وحجب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله ﷺ: «خذوه^١ فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية^٢» فهذا سبب نزول قوله: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ)^٣.

١. كذا في الأصل الصحيح: لا تأخذه.

٢. أسباب نزول الآيات / ٤٤.

٣. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٢ / (١٤٠-١٣٨).

الإحباط

قد بحثنا حول إحباط الأعمال في العقائد من بحث المعاد في أربعة محاضرات تفصيلاً فراجعها إن شئت.

الروايات

قال الطوسي: روى أصحابنا أنه (أي القتال في الشهر الحرام) على التحريم فيمن يرى لهذه الأشهر حرمة فإنهم لا يتدعون فيه بالقتال، وكذلك في الحرم وإنما أباح تعالى للنبي ﷺ قتال أهل مكة وقت الفتح ولذلك قال ﷺ: «إن الله أحلها في هذه الساعة ولا يحلها لأحد بعدى إلى يوم القيامة»، ومن لا يرى ذلك، فقد نسخ في جهته وجاز قتاله أي وقت كان.^١

وروا نحوها الطبرسي في مجمع البيان^٢ وأبوالفتوح الرازي في روض الجنان^٣.

قال في نهج البيان عن أبي جعفر ٧: الفتنة هاهنا الشرك.^٤

قال ابن شهر آشوب: لما كان بعد سبعة أشهر من الهجرة نزل جبرئيل بقوله (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ)^٥ الآية وقلد في عنقه سيفاً وفي رواية لم يكن له غمد فقال له حارب بهذا قومك حتى يقولوا لا إله إلا الله أهل السَّيْرِ إنَّ جميع ما غزى النبي ﷺ بنفسه ست وعشرون غزوة على هذا النسق البواط العُشيرة بدر الأولى بدر الكبرى السويق ذي أمرة أحد نجران بنو سليم الأسد بنو النضير ذات الرقاع بدر الآخرة دومة الجندل والخنديق بنو قريظة بنو الحيات بنو قرد بنو المصطلق الحديبية خيبر الفتح حنين

١. التبيان ٢/ ٢٠٧.

٢. مجمع البيان ٢/ ٣١٢.

٣. روض الجنان ٣/ ٢٠١.

٤. نهج البيان مخطوط ١/ ٥٢؛ ونقل عنه في البرهان ١/ ٤٥٤، ح ٢.

٥. سورة الحج ٣٩.

الطائف تبوك ويلحق بها بنو قينقاع قاتل في تسع وهي بدر الكبرى وأحد والخذق وبني قريظة وبني المصطلق وبني لحيان وخيبر والفتح وحنين والطائف. وأما سراياه فست وثلاثون أولها سرية حمزة لقي أبا جهل بسيف البحر في ثلاثين من المهاجرين وفي ذي القعدة بعث سعد بن أبي وقاص في طلب عير ثم عبيدة بن الحارث بعد سبعة أشهر في ستين من المهاجرين نحووا لرحمة إلى أبي سفيان فتراموا بالإحياء ابن إسحاق وغزا في ربيع الآخر إلى قريش وبني ضمرة وكرز بن جابر الفهري حتى بلغ بواط السنة الثانية في صفر غزا ودان حتى بلغ الأبواء وفي ربيع الآخر غزوه العشرة من بطن ينبع ووادع فيها بني مدلج وضمرة وغاز كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فاستخلف على المدينة زيد بن حارثة وخرج حتى بلغ وادي سفوان بدر الأولى وحامل لوائه علي 7 ثم بعث في آخر رجب عبدالله بن جحش في أصحابه ليرصد قريشا فقتل واقد بن عبدالله التميمي لعمر بن الجموح الحضرمي وهرب الحكم بن كيسان وعثمان بن عبدالدار واخوه واستأمن الباقون واستاقوا العير إلى النبي 7 فقال والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام وذلك تحت النخلة فسمي غزوة النخلة فنزل (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) الآية فأخذ العير وفدى الأسيرين ثم غزا بدر الكبرى وهو يوم الفرقان كما قوله (أَخْرَجَكَ رُبُّكَ) ١ السورة وقوله (قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ) ٢ وبدر ما بين مكة والمدينة وقال الشعبي والثمالى بئر منسوبة إلى بدر الغفاري وقال الواقدي هو اسم الموضع وذلك أن النبي 7 خرج سابع عشر شهر رمضان ويقال ثالثه في ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا في عدة أصحاب طالوت منهم ثمانون راكبا أو سبعون ويقال سبعة وسبعين رجلا من المهاجرين ومائتي وثلاثين رجلا من

١. سورة الأنفال / ٥.

٢. سورة آل عمران / ١٣.

الأنصار وكان المقداد فارساً فقط يعتقب النفر على البعير الواحد وكان بين النبي 7 وبين أبي مرثد الغنوي بعير ويقال فرس وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف قاصداً إلى أبي سفيان وعتبة بن أبي ربيعة في أربعين من قريش أو سبعين فاخبر بالنبي 7 فأخذوا أعلى الساحل واستصرخوا إلى أهل مكة على لسان ضمضم بن عمرو الغفاري قال عروة رأيت عاتكة بنت عبدالمطلب في منامها راكبا أقبل حتى وقف بالأبطح وصرخ انفروا يا آل عدي إلى مصارعكم ثم نادى على ظاهر الكعبة ثم نادى على أبي قبيس ثم أرسل صخرة فارفضت فما بقي في مكة إلا دخل منها فلذة قال ابن قتيبة خرجوا تسع مائة وخمسين ويقال ألف ومائتان وخمسون ويقال ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فارس يقودونها والقيان يضربن بالدفوف ويتغنين بهجاء المسلمين ولم يكن من قريش بطن إلا خرج منهم ناس إلا من بني زهرة وبني عدي بن كعب أخرج فيهم طالب كرها فلم يوجد في القتلى والأسرى وشاور النبي أصحابه في لقاءهم أو الرجوع فقال أبو بكر وعمر كلاهما فاجلسهما ثم قال المقداد وسعد بن معاذ كلاهما فدعا لهما وسر الحديث^١.

القطب الراوندي قال: فمنها أنه بعث رسول الله 6 عبدالله بن جحش إلى نخلة وقال كن بها حتى تاتينا بخبر من أخبار قريش ولم يأمره بقتال وذلك في الشهر الحرام وكتب له كتابا وقال له أخرج أنت وأصحابك حتى إذا سريت يومين فافتح كتابك وانظر فيه وامض لما أمرتك فلما سار يومين وفتح الكتاب فإذا فيه أمض حتى تنزل نخلة فأتنا من أخبار قريش بما يصل إليك منهم فقال لأصحابه سمعنا وطاعة لما قرأ الكتاب من له رغبة في الشهادة فليطلق معي فمضى معه القوم حتى إذا نزلوا نخلة مر بهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن المغيرة ابنا عبدالله معهم

تجارة قدموا بها من الطائف أدمٌ وزيب فلما رآهم القوم أشرف لهم واقد بن عبدالله وكان قد حلق رأسه فقالوا عمار ليس عليكم منهم بأس وائتمر أصحاب رسول الله ﷺ وهو آخر يوم من رجب فقالوا لئن قتلتموهم إنكم لتقتلوهم في الشهر الحرام ولئن تركتموهم ليدخلوا هذه الليلة مكة فاجتمع القوم على قتلهم فرمى واقد بن عبدالله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأمن عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان وهرب المغيرة بن عبدالله فاعجزهم فاستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله ﷺ فقال والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام وأوقف الأسيرين والعير ولم يأخذ منها شيئاً وسقط في أيدي القوم فظنوا أنهم قد هلكوا وقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام فأنزل الله تعالى جل ذكره (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فِتَالِ فِيهِ) الآية فلما نزل ذلك أخذ رسول الله العير وفدى الأسيرين وقال المسلمون أيطمع لنا أن نكون غزاة فأنزل الله تعالى فيهم (إِنَّ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) ١ وكانت هذه قبل بدر بشهرين. ٢

(إِنَّ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ

رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

لما ذكر الله في الآية السابقة العذاب والعقاب يناسب أن يذكر بعدها الثواب والرحمة ليكون العبد بين الخوف والرجاء.

١. سورة البقرة / ٢١٨.

٢. قصص الأنبياء / ٣٣٩، ح ٤١٦، فصل في مغازي رسول الله ﷺ ٦.

(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بالله ورسوله محمد ﷺ والمعاد وغيرها من العقائد الحقة.

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا) من مكة إلى المدينة أو من الباطل إلى الحق أو من الشهوات إلى العقل أو من الحيوانية إلى الإنسانية أو من السيئات إلى الحسنات أو من الخلق إلى الحق كما حكي الله عن نبيه لوط 7: (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ١. وسرّ تكرير (الَّذِينَ) للعناية الخاصة بالهجرة والجهاد.

(وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) الجهاد: استفراغ الوسع في مدافعة العدو وهو على أقسام: مجاهدة العدو المقاتل ومجاهدة النفس الأمّارة وهي بنفسها مجاهدة إبليس وقد عبّر عن الأوّل بالجهاد الأصغر وعن الثاني بالجهاد الأكبر.

(أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) أي انهم يأملون ويطلبون ولا ييأسون (رَحِمَتَ اللَّهِ) في الدنيا والآخرة والرحمة «محيطه بهم بسبب أعمالهم الصالحة فيكون طلبهم طلباً عملياً لا مجرد» ٢ الآمال والأمانى. و (رَحِمَتَ اللَّهِ) تصل إلى العبد بالإيمان والعمل الصالح والجهاد في مرضات الله.

(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وعدّ وتثبيت لرجائهم، «أي والله يغفر لهم سيئاتهم السابقة ورحيم بهم من حيث أعمالهم الصالحة» ٣.

شأن نزولها

ذكر جندب بن عبد الله وعروة بن الزبير: أن هذه الآية نزلت في قصة عبد الله بن جحش وأصحابه لما قاتلوا في رجب، وقتل واقد التميمي بن الحضرمي، ظنّ قوم أنهم

١. سورة العنكبوت / ٢٦.

٢. مواهب الرحمن ٣/ ٣٢٦.

٣. مواهب الرحمن ٣/ ٣٢٦.

إن سلموا من الإثم فليس لهم أجره، فأنزل الله الآية فيهم - بالوعد^١.

الروايات

خبر سليمان بن خالد عن أبي جعفر 7 قال: قال رسول الله 6: ألا أنبئكم بالمؤمن؟ من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم، وأموالهم، ألا أنبئكم بالمسلم؟ من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السيئات وترك ما حرم الله والمؤمن حراماً على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعة^٢.

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله 7 أن النبي 9 بعث بسرية^٣ فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس^٤.

مرفوعة أبي ذر قال: دخلت المسجد الحرام والنبي 6 جالس، فجلست إليه فقال: إن للمسجد تحية وتحيّة ركعتان، قم يا أباذر فاركعهما، فقممت فركعتهما وجلست إليه، فقلت: يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة، ما الصلاة؟ قال: الصلاة خير موضوع استكثر أم استقل.

قلت: فأئي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت.

قلت: فأئي الليل أفضل؟ قال: جوف الليل الغابر.

قلت: فأئي المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً.

قلت: فأئي المسلمين أسلم؟ قال: من سلم الناس من يده ولسانه.

١. التبيان ٢/ ٢٠٩.

٢. الكافي ٣/ ٥٩٥، ح ١٩ (٢/ ٢٣٥).

٣. السرية: طائفة من الجيش. (النهاية).

٤. الكافي ٩/ ٣٧٨، ح ٣ (٥/ ١٢).

قلت: فأَيُّ الهجرة أفضل؟ قال: من هجر السيئات، الحديث^١.
روا نحوها الشيخُ الصدوقُ مسندًا في معاني الأخبار^٢ والخصال^٣ ونقل عنها المجلسي في بحار الأنوار^٤.

الطبرسي قال: ثم رجع رسول الله ﷺ من العشيرة إلى المدينة فلم يقيم بها عشر ليالٍ حتَّى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتَّى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر وهي غزوة بدر الأولى وحامل لوائه علي ابن أبي طالب واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وفاته كرز فلم يدركه فرجع رسول الله ﷺ وأقام جمادى ورجب وشعبان وكان بعث بين ذلك سعد بن أبي وقاص في ثمانية رهط فرجع ولم يلق كيدا ثم بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش إلى نخلة وقال كن بها حتَّى تأتينا بخبر من أخبار قريش ولم يأمره بقتال وذلك في الشهر الحرام وكتب له كتابا وقال أخرج أنت وأصحابك حتَّى إذا سرت يومين فافتح كتابك وانظر ما فيه وامض لما أمرتك فلما سار يومين وفتح الكتاب فإذا فيه أن امض حتَّى تنزل نخلة فتاتينا من أخبار قريش بما يصل إليك منهم فقال لأصحابه حين قرأ الكتاب سمعنا وطاعة من كان له رغبة في الشهادة فليطلق معي فمضى معه القوم حتَّى نزلوا النخلة فمر بهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان والمغيرة ابنا عبد الله معهم تجارة قدموا بها من الطائف أدُمّ وزبيب فلما رأهم القوم أشرف لهم واقد بن عبد الله وكان قد حلق رأسه فقال عمار ليس عليكم منهم بأس واتمروا أصحاب رسول الله ﷺ وهي آخر يوم من رجب فقالوا لئن قتلتموهم أنكم لتقتلوهن في الشهر الحرام ولئن تركتموهن

١. الغايات / ١٧٧ ونقل عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت : ١٢ / ٢٠، ح ٨.

٢. معاني الأخبار / ٣٣٢، ح ١.

٣. الخصال / ٢ / ٥٢٣، ح ١٣.

٤. بحار الأنوار / ٧٤ / ٧٢.

ليدخلن هذه الليلة مكة فليمنعنّ منكم فأجمع القوم على قتلهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأمن عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب المغيرة فاعجزهم واستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله فقال لهم والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام وأوقف الأسيرين والعير ولم يأخذ منها شيئاً وأسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام فأنزل الله سبحانه (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) ^١ الآية فلما نزل ذلك أخذ رسول الله ﷺ المال وفداء الأسيرين وقال المسلمون نطمع لنا أن يكون غزاة فأنزل الله فيهم (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا) إلى قوله (أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) الآية وكانت هذه قبل بدر بشهرين. ^٢

في هذا المجال راجع سيرة ابن هشام ^٣ والطبقات الكبرى ^٤ وتاريخ الطبري ^٥ ودلائل النبوة للبيهقي ^٦.

الراوندي قال: وقوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) ^٧ كان بعث رسول الله ﷺ بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليرصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واستأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنون من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وعظم ذلك

١. سورة البقرة / ٢١٧.

٢. إعلام الوری / ١ / ١٦٥.

٣. سيرة ابن هشام / ٢ / ٢٥٢.

٤. الطبقات الكبرى / ٢ / ١٠.

٥. تاريخ الطبري / ٢ / ٤١٠.

٦. دلائل النبوة / ٣ / ١٨.

٧. سورة البقرة / ٢١٧.

على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا وظن قوم منهم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فأنزل الله فيهم (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وسبيل الله قتال العدو ويقال جاهدت العدو إذا حملت نفسك على المشقة في قتاله. وقال قتادة القتال في الشهر الحرام منسوخ بقوله وقتلوه حتى لا تكون فتنة وبقوله فاقتلوا المشركين وقال عطاء هو باق على التحريم. وروى أصحابنا أنه باق على التحريم فيمن يرى لهذه الأشهر حرمة وأما من لا يرى لها حرمة فإنه يجوز قتاله أي وقت كان أمّا في الحرم فلا يبدأ بقتال أحد من الكفار كائنا من كان. والمعنى يسألك الكفار والمؤمنون عن القتال في الشهر الحرام قل قتال فيه إثم كبير وما فعل قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون أكبر عند الله مما فعلته السرية في القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن. قال الحسن السائلون هم أهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام وهذا قول أكثر المفسرين وقال البلخي هم أهل الإسلام سألوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه. والفتنة الإخراج أو الشرك.^١

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ
وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) ﴿٢١٩﴾

ذكر سبحانه في هذه الآية وما بعدها «بعض الأحكام الشرعية والتكاليف
الإلهية التي لها دخل عظيم في تنظيم حياة الإنسان الفردية والاجتماعية كما أن لها تأثيراً
كبيراً في تهذيب النفوس واصلاح الأخلاق...»^١.
(يَسْأَلُونَكَ) قد مرّ في الآيتين السابقتين.^٢
(عَنِ الْخَمْرِ) وهو كلُّ مايع مَسْكِر، من مصدر خمر الشيء بمعنى ستره
وغطاه والوجه فيه أنّ هذا الشراب يستر العقل ويغطيه ولا يميّز بين الحسن والقبيح
والخير والشرّ، ومراتب السكر في أنواع الخمر مختلفة.
(وَالْمَيْسِرِ): القمار مأخوذ من الميسر وهو السهولة لأنّ المقام يكتسب مالاً بلا
مشقة وبسهولة.

(قُلْ) في جواب هذين السؤالين. (فِيهِمَا) يعني في (الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ).
(إِثْمٌ) أي ذنب وعقاب ويستتبع الشفاء والحرمان في أمور أخرى ويفسد
سعادة الحياة في جهاتها الأخرى.
(كَبِيرٌ) نعت لِـ (إِثْمٌ). (و) عاطفة.
(مَنْفَعٌ لِلنَّاسِ) والمراد بها «ما يقصده النسا بها من الاستفادات المالية بالبيع

١. مواهب الرحمن ٣/ ٣٤٣.

٢. سورة البقرة / ٢١٥ و ٢١٧.

والشرى والعمل والتفكه والتلهي»^١.

(وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) أي إثم الخمر والميسر (أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) ولا يقل «منافعها» لأن العدد لا تأثير له في الكبر.

(وَيَسْأَلُونَكَ) يا رسول الله. (مَاذَا) اسم استفهام، مفعول به مقدم.

(يُنْفِقُونَ) على نحو الاستحباب لا الوجوب. (قُلْ) يا رسول الله.

(الْعَفْوُ) أي انفقوا (الْعَفْوُ) وهو الزيادة، أو التوسط في الإنفاق.

(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ) وأحكامه في (الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) المحرمان

والإنفاق الاستحبابي.

(لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) «في أمر الدارين وما يرتبط بكم من حقيقتها، وأن الدنيا

دارٌ خلقها الله لكم لتحيا فيها وتكسبوا ما ينفعكم في مقركم وهو الدار الآخرة التي ترجعون فيه إلى ربكم فيجازيكم بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا»^٢.

الروايات

خبر ابن أبي عمير عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله 7 في قول الله ﷻ

(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ) قل العفو قال: العفو الوسط.^٣

رواها في تفسير العياشي^٤ مرفوعاً عن جميل بن دراج.

خبر الوشاء عن أبي الحسن 7 قال: سمعته يقول: الميسر هو القمار.^٥

١. الميزان ٢/ ١٩٦.

٢. الميزان ٢/ ١٩٧.

٣. الكافي ٤/ ٥٢، ح ٣.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢١٩، ح ٣١٧.

٥. الكافي ٥/ ١٢٤، ح ٩.

عن علي بن يقطين قال سأل المهدي أبا الحسن 7 عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله فإن الناس يعرفون النهي ولا يعرفون التحريم فقال له أبو الحسن بل هي محرمة، قال في أي موضع هي محرمة بكتاب الله يا أبا الحسن؟ قال: قول الله تبارك وتعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) ١ فاما قوله (مَا ظَهَرَ مِنْهَا) فيعني الزنا المعلن، ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر في الجاهلية، وأما قوله (وَمَا بَطَنَ) يعني ما نكح من الآباء فإن الناس كانوا قبل أن يبعث النبي 6 إذا كان للرجل زوجة ومات عنها تزوجها ابنه من بعده إذا لم يكن أمه، فرحم الله ذلك، وأما الإثم فإنها الخمر بعينها وقد قال الله في موضع آخر (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ) فأما الإثم في كتاب الله فهي الخمر، والميسر فهي النرد والشطرنج وإثمهما كبير كما قال الله وأما قوله (الْبَغْيَ) فهو الزنا سرًا قال: فقال المهدي: هذه والله فتوى هاشمية. ٢

رواها الكليني بسنده في الكافي ٣ مع زيادة.

معتبرة موسى بن القاسم البجلي عن محمد بن علي بن جعفر بن محمد عن أبيه عن أخيه موسى عن أبيه جعفر : قال: النرد والشطرنج من الميسر. ٤
عن عامر بن السمط عن علي بن الحسين 8 قال: الخمر من ستة أشياء: التمر والزبيب والحنطة والشعير والعسل والذرة. ٥
معتبرة محمد بن عيسى قال: سمعته يقول: كتب إليه إبراهيم بن عنبسة - يعني

١. سورة الأعراف / ٣٣.

٢. تفسير العياشي ٢/ ١٤٦، ح ٣٨.

٣. الكافي ٦/ ٤٠٦، ح ١.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢١٨، ح ٣١٥.

٥. تفسير العياشي ١/ ٢١٨، ح ٣١٦.

إلى علي بن محمد 7 - إن رأى سيدي ومولاي أن يخبرني عن قول الله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) الآية فما الميسر جعلت فداك؟ فكتب: كل ما قومر به فهو الميسر وكل
مسكر حرام.^١

عن عبدالرحمن قال: سألت أبا عبدالله 7 عن قوله (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ
الْعَفْوُ) قال: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)^٢ قال:
هذه بعد هذه هي الوسط.^٣

عن يوسف عن أبي عبدالله 7 - أو أبي جعفر 7 - في قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ
مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ) قال: الكفاف.^٤

العياشي قال: وفي رواية أبي بصير: القصد.^٥

الطوسي قال: الميسر: قال ابن عباس وعبدالله بن مسعود والحسن ومجاهد
وقتادة وابن سيرين: هو القمار وهو الظاهر في رواياتنا.^٦

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٧ مع زيادة: حتى قالوا: أن لعب الصبيان بالجوز هو قمار.
قال الطوسي: روي عن أبي جعفر 7 أن العفو: ما فضل عن قوت السنة،
فُنسخ ذلك بآية الزكاة. وروي عن أبي عبدالله 7 أن العفو هاهنا: الوسط.^٨

١. تفسير العياشي ١/ ٢١٨، ح ٣١٤.

٢. سورة الفرقان / ٦٧.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢١٩، ح ٣١٨.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢١٩، ح ٣١٩.

٥. تفسير العياشي ١/ ٢١٩، ح ٣٢٠.

٦. التبيان ٢/ ٢١٢.

٧. مجمع البيان ٢/ ٣١٦.

٨. التبيان ٢/ ٢١٤.

رواهما الطبرسي في مجمع البيان.^١

أبو الفتح الرازي رفعه عن عبدالله بن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: ملعون من لعب بالإشتريق - يعني شطرنج - والناظر إليه كآكل لحم الخنزير.^٢

الرازي رفعه عن النبي ﷺ أنه قال: من لعب بالنردشير فكأنها غمس يده في لحم الخنزير ودمه.^٣

الثعلبي رفعه عن جعفر بن محمد ٧ عن أبيه ٧ أن علياً ٧ قال في النرد والشطرنج: هي من الميسر.^٤

الروايات في حرمة القمار واللعب بالشطرنج والنرد كثيرة فإن شئت راجع وسائل الشيعة^٥ ومستدرک الوسائل^٦ وغيرهما من كتب الأخبار.

(فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ
وَأِنْ خُلِيطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ^٧ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَأَعْنَتَكُمْ^٨ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)



الآية الشريفة تتضمن حكم الإهتمام بشؤون اليتامى وإصلاح أمورهم.
(فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) متعلق بقوله: (تَتَفَكَّرُونَ) في الآية السابقة.

١. مجمع البيان ٣١٦/٢.

٢. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ١٥١/٢.

٣. روض الجنان ٢١٤/٣.

٤. روض الجنان ٢١٤/٣.

٥. وسائل الشيعة ١٦٤/١٧ و ٣١٨.

٦. مستدرک الوسائل ١١٨/١٣ و ٢٢٢.

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ) في معاشرتهم ومخالطتهم ومراودتهم وشؤونهم وأموارهم. واليتيم: من لا أب له.

(قُلْ) يا رسول الله في جوابهم.

(إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ) يعني لا بدّ في أمور اليتامى مراعاة الإصلاح الحقيقي لا الصوري في أموالهم بالتنمية وفي نفوسهم بالتربية.

(وَإِنْ تَخَاطَبُوهُمْ فَاِحْذَرُوا كُفْرَهُمْ) يعني مخالطة الولي لهم لا بدّ أن يكون على الأخوة وهي المساواة المجعولة بين المؤمنين بإلغاء جميع الصفات المميّزة من الاستضعاف والاستكبار والفقر والغنى والضعيف والقوي، وهذه الأخوة إذا تحققت جلبت الخير والسعادة والاخلاص بين أفراد المجتمع الديني.

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) «إعلام منه تعالى بأنّه لم يكن أمر اليتامى إلى الناس فقط بل جعل نفسه الأقدس مشرفاً عليهم لعناية خاصة بهم... وهذا من باب ذكر السبب وإرادة المسبّب...»^١.

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ) «(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) لأوقعكم في المشقة والكلفة في أمر اليتامي ولكن (مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)^٢ وهو يريد لعباده اليسر ولا العسر... تدلّ على أنّ في الحكم نوعاً من التخفيف والتسهيل»^٤. ف «الإعانات: الضيق في التكليف»^٥.

(إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) «أي يفعل بعزّته ما يحبّ ولا يدفعه عنه دافع، (حَكِيمٌ)

١. مواهب الرحمن ٣/ ٣٥٢.

٢. سورة الحج / ٧٨.

٣. إشارة إلى الآية الشريفة (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) سورة البقرة / ١٨٥.

٤. مواهب الرحمن ٣/ ٣٥٢.

٥. التفسير الكاشف ١/ ٣٣١.

ذو حكمة في ما أمركم به من أمر اليتامى وغيره»^١.

الروايات

صحیحة عبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله 7 أنه لما أنزلت (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)^٢ أخرج كل من كان عنده یتیم وسألوا رسول الله 6 في إخراجهم، فأنزل الله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى) الآية.^٣

معتبرة بل صحیحة عبدالله بن يحيى الكاهلي قال قيل لأبي عبدالله 7 إنا ندخل على أخ لنا في بيت أيتام ومعهم خادم لهم فنقعد على بساطهم ونشرب من مائهم ويخدمنا خادمتهم وربما طعمنا فيه الطعام من عند صاحبنا وفيه من طعامهم فما ترى في ذلك؟ فقال: إن كان في دخولكم عليهم منفعة لهم فلا بأس وإن كان فيه ضرر فلا، وقال 7: بل الانسان على نفسه بصيرة فأنتم لا تخفى عليكم وقد قال الله ﷻ (وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ).^٤
ورواها الشيخ في التهذيب^٥ والعياشي في تفسيره^٦.

موثقة سماعة قال: سألت أبا عبدالله 7 عن قول الله ﷻ (وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) قال: يعني اليتامى إذا كان الرجل يلي لأيتام في حجره فليخرج من ماله على قدر ما يخرج لكل انسان منهم فيخالطهم ويأكلون جميعاً ولا يرزأن من أموالهم شيئاً

١. التبيان ٢/ ٢١٧.

٢. سورة النساء / ١٠.

٣. تفسير القمي ١/ ٧٢.

٤. الكافي ٥/ ١٢٩، ح ٤.

٥. التهذيب ٦/ ٣٣٩.

٦. تفسير العياشي ١/ ٢٢٠، ح ٣٢٣.

إنما هي النار.^١

رواها العياشي في تفسيره^٢ والشيخ في التهذيب^٣. لا يزرأن: أي لا يصيين.

صحيحة أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله ٧ في قول الله ﷻ: (وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) ٤ فقال: ذلك رجل يجبس نفسه عن المعيشة فلا بأس أن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم فإن كان المال قليلا فلا يأكل منه شيئا قال قلتك أرايت قول الله ﷻ (وَأِنْ تَحَالَطُواْ عَنْكُمْ) قال: تخرج من أموالهم بقدر ما يكفيهم وتخرج من مالك قدر ما يكفيك ثم تنفقه، قلت: أرايت إن كانوا يتامى صغارا وكبارا وبعضهم أعلى كسوة من بعض وبعضهم أكل من بعض ومالهم جميعا؟ فقال: أما الكسوة فعلى كل انسان منهم ثمن كسوته وأما [اكل] الطعام فاجعلوه جميعا فإن الصغير يوشك أن يأكل مثل الكبير.^٥

رواها الشيخ في التهذيب^٦ وروا العياشي مثلها عن زرارة في تفسيره^٧.

عن محمد الحلبي قال قالت لأبي عبد الله ٧: قول الله (وَأِنْ تَحَالَطُواْ عَنْكُمْ) وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) قال: تخرج من أموالهم قدر ما يكفيهم وتخرج من مالك قدر ما يكفيك ثم تنفقه.

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر ٧ مثله.^٨

١. الكافي ٥/١٢٩، ح ٢.

٢. تفسير العياشي ١/٢١٩، ح ٣٢٢.

٣. التهذيب ٦/٣٤٠.

٤. سورة النساء / ٦.

٥. الكافي ٥/١٣٠، ح ٥.

٦. التهذيب ٦/٣٤١.

٧. تفسير العياشي ١/٢١٩، ح ٣٢١.

٨. تفسير العياشي ١/٢٢١، ح ٣٢٦.

عن محمد بن مسلم قال سألته عن الرجل بيده الماشية لابن أخ له يتيم في حجره
أ يخلط أمرها بأمر ماشيته؟ قال: فإن كان يليط حوضها ويقوم على هنائها ويرد نادتها
فليشرب من ألبانها غير مجتهد للحلاب، ولا مضر بالولد، ثم قال (مَنْ كَانَ غَنِيًّا
فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) ^١ (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ). ^٢

روا الكليني مثلها بسند معتبر عن حنان بن سدير في الكافي. ^٣

عن علي عن أبي عبد الله ^٧ قال: سألته عن قول الله في اليتامي (وَأِنْ تَحَالَطُوهُمْ
فَإِحْوَئُهُمْ) قال: يكون لهم التمر واللبن ويكون لك مثله على قدر ما يكفيك ويكفيهم،
ولا يخفى على الله المفسد من المصلح. ^٤

عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي الحسن موسى ^٧ قال: قلت له: يكون
لليتيم عندي الشيء وهو في مجري أنفق عليه منه، وربما أصيب مما يكون له من الطعام،
وما يكون مني إليه أكثر؟ فقال: لا بأس بذلك، إن الله يعلم المفسد من المصلح. ^٥
الطوسي بإسناده إلى المجاشعي عن الصادق ^٧ عن آبائه : عن علي ^٧
قال: سمعت رسول الله ^٦ يقول: من عال يتيمًا حتى يبلغ أشده أوجب الله ^٦ له
بذلك الجنة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار. ^٦

أبو منصور الطبرسي بإسناده عن الإمام العسكري ^٧ عن آبائه : عن
رسول الله ^٦ أنه قال: أشد من يتم اليتيم الذي انقطع عن أمه وأبيه يتم يتيم انقطع

١. سورة النساء/٦.

٢. تفسير العياشي ١/٢٢١، ح ٣٢٥.

٣. الكافي ٥/١٣٠، ح ٤.

٤. تفسير العياشي ١/٢٢١، ح ٣٢٧.

٥. تفسير العياشي ١/٢٢١، ح ٣٢٨.

٦. أمالي الطوسي، المجلس الثامن عشر، ح ٦٢/٥٢٢، رقم ١١٥٥.

عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرايع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشداه وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى.^١

والروايات بهذا المضمون في كتابه الاحتجاج متعددة.

وقد ذكرت أربعين رواية حول اليُثم في كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت^٢ : فإن شئت فراجع.

(وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُوْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُوْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ

وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) ﴿٣١﴾

بيان لحكم فقهي وهو عدم جواز نكاح المشركات للمسلمين، والمشركين للمسلمات.

(وَلَا تَنْكِحُوا) ولا تتزوجوا.

(الْمُشْرِكَةُ حَتَّىٰ يُوْمِنَ) ويدخلن في الإسلام بأداء الشهادتين.

(وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ) يعني الزواج بالملوكة المؤمنة خير من الزواج بالحرّة المشركة، لأنّ الإيثار بالله تعالى من أفضل الصفات.

١. الاحتجاج ١/ ١٦.

٢. موسوعة أحاديث أهل البيت : ٢٨٨ / ١٢.

(وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) حسننها وجمالها وحسبها ونسبها ومالها.
 (وَلَا تُنْكِحُوا) نساءكم وبناتكم وأخواتكم. (الْمُشْرِكِينَ) رجالهم.
 (حَتَّى يُؤْمِنُوا) ويدخلون في الإسلام بأداء الشهادتين.
 (وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ) يعني الزواج بالمملوك المؤمن خير من الزواج بالحرّ المشرك لما مرّ.

(وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) حسنه وحسبه ونسبه وماله ومقامه وجاهه.
 (أُولَئِكَ) اشارة إلى المشركين والمشركات، بيان لحكمة هذا التحريم.
 (يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) لا اعتقاد الباطل والسلوك في سبيل الضلال رسخت فيهم الملكات الرذيلة المزيّنة للكفر والفسوق وأنهم من شأنهم الدعوة إلى ما يوجب الدخول إلى النار.

(وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ) استخلف بدلاً عن المؤمنين اسم الجلالة للدلالة على «أنّ المؤمنين في دعوتهم بل في مطلق شؤونهم الوجودية إلى ربهم لا يستقلون في شيء من الأمور دون ربهم تبارك وتعالى وهو وليهم كما قال سبحانه (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) ٢٠١

(وَالْمَغْفِرَةِ): (الْمَغْفِرَةِ) معطوف على (الْجَنَّةِ) وهي مغفرة ما كانوا عليه من الشرك.

(بِإِذْنِهِ) أي بأمره فيكون ظرفاً مستقراً حالاً من (الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ) أي حاصلتين بإرادته ومشيته تعالى التي هي سبب لأمره تعالى لهذا الحكم التحريمية.
 (وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) أي أنّه تعالى ينزل الأحكام الشرعية

١. سورة آل عمران / ٦٨.

٢. الميزان ٢ / ٢٠٥.

«ويوضحها للناس لأجل أن يتذكروا ما فطر الله في أنفسهم من قبول التوحيد والحق والحقيقة والمعارف الواقعية»^١.

شأن نزولها

قال الطبرسي: نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي بعثه رسول الله إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان قويا شجاعا فدعته امرأة يقال لها عناق إلى نفسها فأبى وكانت خلة^٢ في الجاهلية فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال حتى أستأذن رسول الله فلما رجع استأذن في التزوج بها فنزلت الآية^٣.

الروايات

صحيححة الحسن بن جهم قال قال لي أبو الحسن الرضا ٧ يا أبا محمد ما تقول في رجل يتزوج نصرانية على مسلمة قلت جعلت فداك وما قولي بين يديك قال لتقولن فإن ذلك يعلم به قولي قلت لا يجوز تزويج النصرانية على مسلمة ولا غير مسلمة قال ولم قلت لقول الله ﷻ (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ) قال فما تقول في هذه الآية (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) ٤ قلت: فقلوه: (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ) نسخت هذه الآية، فتبسّم ثم سكت^٥.

صحيححة معاوية بن وهب وغيره عن أبي عبد الله ٧ في الرجل المؤمن يتزوج

١. مواهب الرحمن ٣/ ٣٧٠.

٢. الظاهر سقوط الضمير من اللفظة وإن الصواب «خلته» ويؤيده ما في أسد الغابة حيث قال: «وكانت صديقة له في الجاهلية» (الشعراني).

٣. مجمع البيان ١/ ٤٠٨، طبعة مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية.

٤. سورة المائدة / ٥.

٥. الكافي ٥/ ٣٥٧، ح ٦.

اليهودية والنصرانية قال: إذا أصاب المسلمة فما يصنع باليهودية والنصرانية؟ فقلت له: يكون له فيها الهوى، فقال: إن فعل فليمنعها من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، واعلم أن عليه في دينه غضاضة^١.

القاضي نعمان المصري رفعه وقال: روينا عن جعفر بن محمد 7 عن أبيه عن آبائه عن علي : أنه قال إنما أحل الله نساء أهل الكتاب للمسلمين إذا كان في نساء الإسلام قلة فلما كثر المسلمات قال الله ﷻ (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ) وقال (وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)^٢.

خبر علي بن الحسين المرتضى في رسالة المحكم والمتشابه نقلا من تفسير النعماني بإسناده عن علي 7 قال وأما الآيات التي نصفها منسوخ ونصفها متروك بحاله لم ينسخ وما جاء من الرخصة في العزيمة ف قوله تعالى (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) وذلك أن المسلمين كانوا ينكحون في أهل الكتاب من اليهود والنصارى وينكحونهم حتى نزلت هذه الآية نهيا أن ينكح المسلم من المشرك أو ينكحونه ثم قال تعالى في سورة المائدة ما نسخ هذه الآية فقال: (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ) ° فاطلق الله مناكحتهن بعد أن كان نهى وترك قوله (وَلَا تُنْكِحُوا

١. الغضاضة: المنقصة.

٢. الكافي ٥/٣٥٦، ح ١.

٣. سورة الممتحنة / ١٠.

٤. دعائم الإسلام ٢/٢٤٩، ح ٩٤٢.

٥. سورة المائدة / ٥.

الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا) على حاله لم ينسخه.^١
 الطبرسي عند قوله تعالى: (وَالْحَصْنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ)^٢ قال: روي أبو
 الجارود عن أبي جعفر ٧ أنه منسوخ بقوله تعالى (وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ)
 وبقوله (وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)^٣.

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا
 تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)

ذكر الله حكم الإعتزال من النساء في زمان دورتهن من الحيض.
 (و) عطف على أول الآية السابقة. (يَسْأَلُونَكَ) يا رسول الله ٦.
 (عَنِ الْمَحِيضِ) «مصدر حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً فهي حائض»^٥
 وهي الدورة الشهرية للنساء.
 (قُلْ) لهم. (هُوَ) أي الحيض.
 (أَذَى) «الأذى: هو الطاريء على الشيء غير الملائم لطبعه فينطبق عليه معنى
 الضرر بوجه»^٦.

١. المحكم والمتشابهة / ٣٤ وقتل عنه في وسائل الشيعة ٥٣٨/٢٠، ح ٦.

٢. سورة المائدة / ٥.

٣. سورة الممتحنة / ١٠.

٤. مجمع البيان ١٦٢/٣.

٥. التبيان ٢٢٠/٢.

٦. الميزان ٢٠٧/٢.

وكونه (أذى) لأن «هذا الدم خارجاً عن مزاج الدم الطبيعي لفساده، فلا يصلح لتغذية الجنين أو تهيئة اللبن للإرضاع، فيرفضه الرحم إلى الخارج مصحوباً بآلام بدنية ونفسية، فيكون أذى للنساء، كما أن لهذا الدم أحكاماً خاصة يصعب عليهنّ تحملها، وهو أذى للزوج لأنه يجرم عليه مدة الحيض أهمّ الاستمتاع، إذ الرحم مشغول بتطهيره وتنقيته والوقاع يضرّه، بل هو أذى للنطفة إذا فرض انعقادها في زمان الحيض. وقد كشف العلم الحديث عن كثير مما يتعلق بهذا الدم»^١.

(ف) تفريع الحكم على العلة.

(أَعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) أي «اجتنبوا الجماع في الفرج»^٢ و «لا يحرم منها غير موضع الدم فقط. ومن وطىء الحائض في أول الحيض، كان عليه دينار، وإن كان في وسطه، فنصف دينار، وفي آخره ربع دينار»^٣. والمراد بالمحيض هنا زمان الحيض وفي الأول المعنى المصدري.

(وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ) تأكيد على أن معنى الاعتزال هو عدم المجامعة فقط.

(حَتَّى) للغايه وهي غاية الاعتزال.

(يَطْهَرْنَ) «قرأ أهل الكوفة إلّا حفصاً «حَتَّى يَطْهَرْنَ» بتشديد الطاء والهاء والباقون بالتخفيف»^٤ ومعناه بالتشديد: «يغتسلن في قول الحسن والفراء وقال مجاهد وطاووس معناه يتوضأن وهو مذهبن»^٥. ومعناه بالتخفيف: «ينقطع الدم عنهن»^٦

١. مواهب الرحمن ٣/ ٣٧٧.

٢. التبيان ٢/ ٢٢٠.

٣. التبيان ٢/ ٢٢٠.

٤. التبيان ٢/ ٢١٩.

٥. التبيان ٢/ ٢٢١.

٦. التبيان ٢/ ٢٢١.

«وعندنا يجوز وطئ المرأة إذا انقطع دمها وطهرت وإن لم تغتسل، إذا غسلت فرجها»^١.

(فَإِذَا تَطَهَّرْنَ) أي إغتسلن على قراءة أهل الكوفة، ويتوضأن على قراءة التخفيف كما مرّ.

(فَأَتَوْهُنَّ) أي فلا محذور في جماعهنّ ومعناه الإباحة وإن كان في صيغة الأمر لأنّه في مقام الحظر.

(مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) أي «من حيث أمركم الله بتجنّبه في حال الحيض وهو الفرج»^٢.

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّيْنِ) وصيغة المبالغة (الَّتَوَّيْنِ) تفيد مطلوبة الاستمرار وكثرتها مطلقاً من كبائر الذنوب وصغائرها ومن كل الغفلات والتوجهات إلى غيره تعالى.

(وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) يشمل جميع مراتب التطهر وكثرته من حيث النوع والعدد لمطلوبة الطهارة ذاتاً عن العقائد الباطلة والأعمال الطالحة والقذارات والنجاسات الظاهرة والباطنة.

الروايات

خبر سلام بن المستنير قال كنت عند أبي جعفر 7 فدخل عليه حمran بن أعين وسأله عن أشياء فلما همّ حمran بالقيام قال لأبي جعفر 7 أخبرك أطل الله بقاءك لنا وامتنعنا بك أنا نأتيك فما نخرج من عندك حتّى ترقّ قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال ثمّ نخرج من عندك فإذا صرنا مع

١. التبيان ٢/ ٢٢١.

٢. التبيان ٢/ ٢٢٢.

الناس والتجار أحببنا الدنيا قال فقال أبو جعفر 7 إنّها هي القلوب مرة تصعب ومرة تسهل ثم قال أبو جعفر 7 أما إنّ أصحاب محمد 6 قالوا يا رسول الله نخاف علينا النفاق قال فقال ولم تخافون ذلك قالوا إذا كنا عندك فذكرتنا ورغبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأننا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأننا لم نكن على شيء أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقا فقال لهم رسول الله 6 كلا إنّ هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء ولو لا أنّكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقا حتى يذنبوا ثم يستغفروا الله فيغفر الله لهم إنّ المؤمن مفتن تواب أما سمعت قول الله ﷻ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) وقال (وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) ٢.١

رواها العياشي في تفسيره. ٣

خبر جميل بن دراج عن أبي عبد الله 7 قال في قول ﷻ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) قال كان الناس يستنجون بالكرسف والأحجار ثم أحدث الوضوء وهو خلق كريم فأمر به رسول الله 6 وصنعه وأنزل الله في كتابه ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)). ٤

روا مثلها العياشي في تفسيره. ٥

١. سورة هود/ ٩٠.

٢. الكافي ٢/ ٤٢٣، ح ١.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢٢٢، ح ٣٣٠.

٤. الكافي ٣/ ١٨، ح ١٣.

٥. تفسير العياشي ١/ ٢٢٢، ح ٣٢٩.

حسنة عبد الملك بن عمرو قال: سألت أبا عبد الله 7 ما لصاحب المرأة الحائض منها؟ فقال: كل شيء ما عدا القبل بعينه.^١

خبر عذافر الصيرفي قال: قال أبو عبد الله 7: ترى هؤلاء المشوهين خلقهم؟ قال: قلت: نعم، قال: هؤلاء الذين آباؤهم يأتون نساءهم في الطمث.^٢

رواها الصدوق في علل الشرايع.^٣

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر 7 في المرأة ينقطع عنها دم الحيض في آخر أيامها، قال: إذا أصاب زوجها شبق فليأمرها فلتغتسل فرجها ثم يمسه إن شاء قبل أن تغتسل.^٤

عن أبي خديجة عن أبي عبد الله 7 قال كانوا يستنجون بثلاثة أحجار لأنهم كانوا يأكلون البسر وكانوا يبعرون بعرا فأكل رجل من الأنصار الدباء فلان بطنه واستنجد بالماء فبعث إليه النبي 6 قال فجاء الرجل وهو خائف أن يكون قد نزل فيه أمر فيسوءه في استنجائه بالماء قال فقال رسول الله هل عملت في يومك هذا شيئاً فقال: نعم يا رسول الله إني والله ما حملني على الاستنجاء بالماء إلا أنني أكلت طعاماً فلان بطني، فلم تغن عني الحجارة شيئاً فاستنجيت بالماء، فقال رسول الله 6 هنيئاً لك فإن الله قد أنزل فيك آية (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) فكنت أول من صنع ذا أول التوابين وأول المتطهرين.^٥

١. الكافي ٥/٣٨، ح ١.

٢. الكافي ٥/٥٣٩، ح ٥.

٣. علل الشرايع ١/٨٢، ح ١.

٤. الكافي ٥/٥٣٩، ح ١.

٥. تفسير العياشي ١/٢٢٣، ح ٣٣١.

رواها الصدوق بإسناده إلى أبي خديجة في علل الشرايع.^١

عن عيسى بن عبدالله قال: قال أبو عبدالله 7: إمراة تحيض يحرم على زوجها أن يأتيها في فرجها لقول الله تعالى (وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) فيستقيم الرجل أن يأتي إمراة وهي حائض فيما دون الفرج.^٢

عن عيسى بن أبي عبدالله قال سئل أبو عبدالله 7 عن أختين مملوكتين تنكح إحداهما أيجل له الأخرى فقال ليس ينكح الأخرى إلا دون الفرج، وإن لم يفعل فهو خير له نظير تلك المرأة تحيض فتحرم على زوجها أن يأتيها في فرجها، لقول الله (وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) قال (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ)^٣ يعني في النكاح فيستقيم الرجل أن يأتي إمراة وهي حائض فيما دون الفرج.^٤

قال الصدوق: وكان الناس يستنجون بالأحجار فأكل رجل من الأنصار طعاما فلان بطنه فاستنجى بالماء فأنزل الله تبارك وتعالى فيه (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) فدعاه رسول الله 6 فخشى الرجل أن يكون قد نزل فيه أمر يسوؤه فلما دخل قال له رسول الله 6 هل عملت في يومك هذا شيئا قال نعم يا رسول الله أكلت طعاما فلان بطني فاستنجيت بالماء فقال له أبشر فان الله تبارك وتعالى قد أنزل فيك (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) فكنت أنت أول التوابين وأول المتطهرين ويقال: إن هذا الرجل كان البراء بن معرور الأنصاري.^٥

حسنة الحسين بن مصعب عن أبي عبدالله 7 قال جرت في البراء بن معرور

١. علل الشرايع / ٢٨٦، ح ١.

٢. تفسير العياشي / ١ / ٢٢٤، ح ٣٣٢.

٣. سورة النساء / ٢٣.

٤. تفسير العياشي / ١ / ٣٨٣، ح ٧٨.

٥. من لا يحضره الفقيه / ١ / ٣٠، ح ٥٩.

الأنصاري ثلاث من السنن أما أولاهن فإنّ الناس كانوا يستنجون بالأحجار فأكل البراء بن معرور الدباء فلان بطنه فاستنجدى بالماء فأنزل الله ﷻ فيه (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) فجرت السنة في الاستنجاء بالماء حضرته الوفاة كان غائبا عن المدينة فأمر أن يحول وجهه إلى رسول الله ﷺ وأوصى بالثلث من ماله فنزل الكتاب بالقبلة وجرت السنة بالثلث.^١

خبر إبراهيم بن عبدالرحمن الأملي قال: حدثني موسى بن جعفر عن أبيه جعفر ابن محمد ٧ قال: سئل أبي ٧ عما حرم الله ﷻ من الفروج في القرآن وعما حرمه رسول الله ﷺ ٦ في سنته فقال الذي حرم الله ﷻ أربعة وثلاثون وجها سبعة عشر في القرآن وسبعة عشر في السنة فأما التي في القرآن فالزنا قال الله ﷻ (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى) ٢ ونكاح امرأة الأب قال الله ﷻ (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) ٣ و (أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرِّضَاعِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) ٤ والحائض حتى تطهر قال الله ﷻ (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) والنكاح في الإعتكاف قال الله ﷻ (وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ) ٥ وأما التي في السنة فالمواقعة في شهر رمضان نهارا وتزويج الملاعنة بعد اللعان والتزويج في العدة والمواقعة في الإحرام

١. الخصال ١/ ١٩٢، ح ٢٦٧.

٢. سورة الإسراء / ٣٢.

٣. سورة النساء / ٢٢.

٤. سورة النساء / ٢٣.

٥. سورة البقرة / ١٨٧.

والمحرم يتزوج أو يزوج والمظاهر قبل أن يكفر وتزويج المشركة وتزويج الرجل امرأة قد طلقها للعدة تسع تطليقات وتزويج الأمة على الحرية وتزويج الذمية على المسلمة وتزويج المرأة على عمتها وخالتها وتزويج الأمة من غير إذن مولاهما وتزويج الأمة على من يقدر على تزويج الحرية والجارية من السبي قبل القسمة والجارية المشتركة والجارية المشتراة قبل أن يستبرئها والمكاتبة التي قد أدت بعض المكاتبه.^١

معتبرة أبي جميلة عن أبي جعفر 7 قال: إنّ بنات الأنبياء صلوات الله عليهم لا يطمثن، إنما الطمث عقوبة، وأول من طمئت سارة.^٢

معتبرة أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر 7 قال: الحيض من النساء نجاسة رماهن الله بها، قال: وقد كنّ النساء في زمن نوح إنما تحيض المرأة في كلّ سنة حيضة حتى خرجن نسوة من حجابهنّ وهنّ سبعمأة امرأة فانطلقن فلبسن المعصفرات من الثياب وتحلّينّ وتعطرن ثمّ خرجن فتفرقن في البلاد فجلس مع الرجل وشهدن الأعياد معهم وجلس في صفوفهم فرماهنّ الله بالحيض عند ذلك في كل شهر، أولئك النسوة بأعيانهنّ فسالت دماهنّ فخرجن من بين الرجال وكنّ يحضن في كل شهر حيضة، قال: فاشغلهنّ الله تبارك وتعالى بالحيض وكثر شهوتهنّ، قال: وكان غيرهنّ من النساء اللواتي لم يفعلن مثل فعلهنّ كنّ يحضن في كل سنة حيضة، قال: فتزوج بنو اللاتي يحضن في كل شهر حيضة بنات اللاتي يحضن في كل سنة حيضة، قال: فامتزج القوم فحضن بنات هؤلاء وهؤلاء في كل شهر حيضة، قال: وكثر أولاد اللاتي يحضن في كل شهر حيضة لاستقامة الحيض، وقلّ أولاد اللاتي لا يحضن في السنة إلا حيضة

١. الخصال ٢/ ٥٣٢، ح ١٠.

٢. علل الشرايع / ٢٩٠، ح ١.

لفساد الدم، قال فكثير نسل هؤلاء وقل نسل أولئك.^١

خبر مقرر عن أبي عبدالله ⁷ قال: سأل سلمان رحمه الله عليه علياً صلوات الله عليه عن رزق الولد في بطن أمه، فقال: إن الله تبارك وتعالى حبس عليه الحيضة فجعلها رزقه في بطن أمه.^٢

معتبرة عبدالله بن أبي يعفور قال: سألت أبا عبدالله ⁷ عن الرجل يأتي المرأة في دبرها قال لا بأس إذا رضيت قلت فأين قول الله ﷻ (فَاتَّوهُبْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) قال هذا في طلب الولد فاطلبوا الولد من حيث أَمَرَكُمُ اللَّهُ تعالى يقول (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاتَّوُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) ^{٤.٣} رواها في الاستبصار.^٥

(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاتَّوُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) ﴿٢٢٣﴾

تذييل لقوله تعالى: (فَاتَّوهُبْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) ^٦ قصد به إرفاق المؤمنين. (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ) الحَرْث: الزراعة، أي زوجاتكم محلّ الزرع لأولادكم. (فَ) تفريعية.

١. علل الشرايع / ٢٩٠، ح ٢.

٢. علل الشرايع / ٢٩١، ح ١، باب ٢١٩.

٣. سورة البقرة / ٢٢٣.

٤. التهذيب ٧ / ٤١٤، ح ٢٩.

٥. الاستبصار ٣ / ٢٤٢.

٦. سورة البقرة / ٢٢٢.

(أَتُوا حَرَثَكُمْ) أي يجوز إتيان محروثكم، والمراد بالحرث الثاني المحروث لأنه مفعول لفعل (أَتُوا).

(أَنْتِ شِئْتُمْ) أنتِ هنا داله على التوسعة في إتيان النساء من حيث المكان والزمان وعلى التقديرين يقيد بمحل الحيض وزمانه.
(و) عاطفة.

(قَدِّمُوا أَنْفُسَكُمْ) بالاستيلاد وانجاب الأولاد لبقاءكم وبقاء المجتمع الإنساني أو «عاملوا النساء معاملة إذا ظهرت يوم عرض الأعمال تكون زيناً لكم ولا تكون شيناً»^١.

(وَاتَّقُوا اللَّهَ) في إتيان النساء ومراعاة حقوقهنَّ وحقوق أولادهنَّ.
(وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ) في يوم القيامة تلاقون عرض الأعمال وميزانه ويحضرون في محكمة الله، ويحكم بينكم بالعدل.
(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالنجاة في محكمة الله في يوم القيامة. ولكن (الْمُؤْمِنِينَ) الذين يلتزمون بلوازم إيمانهم في مقام العمل ومراعاة حقوق النساء والزوجات والأولاد وغيرهنَّ.

الروايات

علي بن إبراهيم القمي رفعه عن الصادق 7 أن ه قال: (أَنْتِ شِئْتُمْ): أي متى شِئْتُمْ في الفرج.^٢

صحيحة علي بن الحكم قال: سمعت صفوان بن يحيى يقول: قلت للرضا 7: إن رجلاً من مواليك أمرني أن أسألك عن مسألة هابك واستحيى منك أن يسألك،

١. مواهب الرحمن ٣/ ٣٨٥.

٢. تفسير القمي ١/ ٧٣.

قال: وما هي؟ قلت: الرجل يأتي امرأته في دبرها؟ قال: ذلك له، قال: قلت له: فأنت تفعل؟ إننا لا نفعل ذلك.^١

ورواها الشيخ بسنده الصحيح في التهذيب.^٢

عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن الرضا 7 أنه قال أي شيء يقولون في إتيان النساء في أعجازهن قلت بلغني أن أهل المدينة لا يرون به بأسا، قال إن اليهود كانت تقول إذا أتى الرجل من خلفها خرج ولده أحول، فأنزل الله (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) يعني من خلف أو قدام خلافا لقول اليهود، ولم يعن في أدبارهن.

عن الحسن بن علي عن أبي عبدالله 7 مثله.^٣

رواها الشيخ بسنده الصحيح في التهذيب^٤ والاستبصار^٥.

عن عبدالله بن أبي يعفور قال سألت أبا عبدالله 7 عن إتيان النساء في أعجازهن قال لا بأس ثم تلا هذه الآية (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ).^٦

رواها الشيخ في التهذيب^٧ بسند صحيح من دون تلاوة الآية الشريفة.

عن زرارة عن أبي جعفر 7 قال سألت عن قول الله (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) قال من قبل.^٨

عن صفوان بن يحيى عن بعض أصحابنا قال سألت أبا عبدالله 7 عن قول

١. الكافي ٥/٥٤٠، ح ٢.

٢. التهذيب ٧/٤١٥، ح ٣٥.

٣. تفسير العياشي ١/٢٢٤، ح ٣٣٦.

٤. التهذيب ٧/٤١٥، ح ٣٢٢ و ٧/٤٦٠، ح ٤٩.

٥. الاستبصار ٣/٢٤٤، ح ١١.

٦. تفسير العياشي ١/٢٢٤، ح ٣٣٣.

٧. التهذيب ٧/٤١٥، ح ٣٤.

٨. تفسير العياشي ١/٢٢٥، ح ٣٣٧.

(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِعْتُمْ) فقال من قدامها ومن خلفها في القبل. ١
عن أبي بصير عن عبدالله 7 قال سألته عن الرجل يأتي أهله في دبرها، فكره
ذلك وقال وإياكم ومحاش النساء وقال إنها معنى (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي
شِعْتُمْ) أي ساعة شئتم. ٢

الفتح بن يزيد الجرجاني قال: كتبت إلى الرضا في مثله، فورد منه الجواب:
سألت عمّن أتى جاريتَه في دُبُرِها، والمرأة لُعبَةٌ لا تُؤذى، وهي حرثٌ كما قال الله
تعالى. ٣

عن زرارة عن أبي جعفر 7 في قول الله (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي
شِعْتُمْ) قال حيث شاء. ٤

خبر يونس بن عمار قال: قلت: لأبي عبدالله أو لأبي الحسن 8 إنّي ربما اتيتُ
الجارية من خلفها يعني دبرها، وتفززت فجعلت على نفسي إن عدت إلى امرأة هكذا
فعليّ صدقة درهم، وقد ثقل ذلك عليّ، قال: ليس عليك شيءٌ وذلك لك. ٥

١. تفسير العياشي ١/ ٢٢٤، ح ٣٣٥.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٢٥، ح ٣٣٨.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢٢٥، ح ٣٣٩.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢٢٤، ح ٣٣٤.

٥. التهذيب ٧/ ٢٤٤، ح ٧.

(وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا

وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ﴿٢٢٤﴾

بيان لبعض أحكام الأيمان.

(وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ) لا تحلفوا بالله ولا تقسموا به.

(عُرْضَةً) أي العلة أو الحجة أو المبتدلة في كلِّ حقٍّ وباطلٍ يعني لا تبذل يمينك في كلِّ حقٍّ وباطل وهذا الأخير «هو المروي عن أئمتنا :١» كما يأتي.

(لِأَيْمَانِكُمْ) الأيمان: جمع يمين، اليمين والقسم والحلف واحد.

(أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ) «بيان لأيمانكم، أي لا تجعلوا الله في معرض الحلف به في هذه الأمور الثلاثة التي هي مرضية له تعالى، فضلاً عما لا يكون مرضياً له، أو شككتكم في أنه مرضي له تعالى، فتشمل الآية الحلف على ترك البرِّ والتقوى والإصلاح بين الناس بالأولى».

وإنما ذكر سبحانه هذه الأمور لأن سائرهما يرجع إليها، أو لأنها أهم الأمور النظامية الاجتماعية، أو لأنها مورد النذور والأيمان بين الناس غالباً، فتشمل الآية غيرها بالأولى»^٢.

(وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) «أي: أن الله سميع لأيمانكم وجميع أقوالكم، عليم بنياتكم وأحوالكم، ولا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض، وفي الآية نوع من التهديد، وفيها إرشاد إلى مراقبة الإنسان لأقواله ونياته»^٣.

١. التبيان ٢/٢٢٦.

٢. مواهب الرحمن ٣/٤٠٤.

٣. مواهب الرحمن ٣/٤٠٤.

الروايات

حسنة بل معتبرة إسحاق بن عمار عن أبي عبدالله 7 في قول الله ﷻ (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ) قال: إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل علي يمين أن لا أفعل.^١

رواها الشيخ في التهذيب.^٢

صحيحة أبي أيوب الخزاز قال: سمعت أبا عبدالله 7 يقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فإنه ﷻ يقول (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ).^٣

رواها العياشي في تفسيره^٤ مع زيادة متن الحديث السابق. ورواها الصدوق في الفقيه^٥.

خبر أبي سلام المتعبد انه سمع أبا عبدالله 7 يقول لسدير: يا سدير من حلف بالله كاذبا كفر ومن حلف بالله صادقا أثم إن الله ﷻ يقول (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ).^٦

رواها الصدوق في الفقيه^٧ والمفيد في الاختصاص^٨ والشيخ في التهذيب^٩.

صحيحة إسماعيل بن سعد الأشعري عن أبي الحسن الرضا 7 في حديث قال: سألته عن رجل أحلفه السلطان بالطلاق أو غير ذلك فحلف، قالك لا جناح

١. الكافي ٢/ ٢١٠، ح ٦.

٢. التهذيب ٨/ ٢٨٩.

٣. الكافي ٧/ ٤٣٤، ح ١.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢٢٦، ح ٣٤٣.

٥. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٣٦٢، ح ٢٨١.

٦. الكافي ٧/ ٤٣٤، ح ٤.

٧. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٣٧٣، ح ٤٣١١.

٨. الاختصاص ٢٥.

٩. التهذيب ٨/ ٢٨٢.

عليه، وعن رجل يخاف على ماله من السلطان فيحلف لينجوبه منه، قال: لا جناح عليه، وسألته هل يحلف الرجل على مال أخيه، كما يحلف على ماله؟ قال: نعم.^١

ورواها الشيخ في التهذيب.^٢

عن منصور بن حازم عن أبي عبدالله ٧ ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر ٧ في قول الله (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ) قال: يعني الرجل يحلف أن لا يكلم أخاه وما أشبه ذلك أو لا يكلم أمه.^٣

عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبدالله ٧ عن قول الله تبارك وتعالى لا إله غيره (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا) قال: هو قول الرجل لا والله وبلى والله.^٤

عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبدالله ٨ (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ) قالوا: هو الرجل يصلح بين الرجل فيحمل ما بينهما من الإثم.^٥ القاضي نعمان المصري رفعه عن جعفر بن محمد ٧ أنه قال في قول الله تبارك (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ) قال هو الرجل يحلف أن لا يكلم أخاه أو أباه أو أشبه ذلك من قطيعة رحم أو ظلم أو إثم فعليه أن يفعل ما أمر الله به ولا حنث عليه إن حلف أن لا يفعله.^٦

موثقة زرارة قال: قلت لأبي جعفر ٧: نمر بالمال على العشار فيطلبون منا أن

١. الكافي ٧/٤٤٠، ح ٤.

٢. التهذيب ٨/٢٨٥.

٣. تفسير العياشي ١/٢٢٦، ح ٣٤٢.

٤. تفسير العياشي ١/٢٢٥، ح ٣٤٠.

٥. تفسير العياشي ١/٢٢٥، ح ٣٤١.

٦. دعائم الإسلام ٢/٩٩، ح ٣١٧.

٤٢٦..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثاني

نحلف لهم ويخلّون سبيلنا، ولا يرضون منا إلاّ بذلك، قال: فاحلف لهم، فهو أحلّ من التمر والزبد.^١

رواها أحمد بن محمد بن عيسى في نوادره.^٢

قال الطوسي: لا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة في كل حق وباطل، لأن تبرّوا في الحلف بها، واتقوا المآثم فيها... وهو المروي عن أئمتنا ٣.:

(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ

بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ^٣ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)



«استئناف بياني لأن الآية السابقة لما أفادت النهي عن التسرع بالحلف إفادة صريحة أو التزامية، كانت نفوس السامعين بحيث يهجم بها التفكير والتطلع إلى حكم اليمين التي تجري على الألسن. ومناسبتها لما قبله ظاهرة لا سيما إن جعلت قوله: (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ) نهياً عن الحلف»^٤.

(لَا يُؤَاخِذُكُمْ) «المؤاخذه مفاعلة من الأخذ بمعنى العدّ والمحاسبة، يقال: أخذه بكذا أي عدّه عليه ليعاقبه أو يعاقبه... فالمفاعلة هنا للمبالغة في الأخذ إذ ليس فيه حصول الفعل من الجانبين والمؤاخذه باليمين هي الإلزام بالوفاء بها وعدم الحنث...»^٥ يعني عدم الكفاره وعدم العقاب.

١. من لا يحضره الفقيه ٣/٣٦٣، ح ٤٢٨٦.

٢. النوادر ٧٣/١٥٢.

٣. التبيان ٢/٢٢٦.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢/٣٦١.

٥. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢/٣٦١.

(اللَّهُ) تبارك وتعالى.

(بِاللَّغْوِ) «اللغو: هو الكلام الذي لا فائدة فيه وكلُّ يمين جرت مجرى ما لا فائدة فيه حتَّى صارت بمنزلة ما لم يقع فهي لغو»^١.

(فِي أَيْمَانِكُمْ) والمراد (بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) «هو اليمين الذي لا يعقد صاحبه على شيء من قول: لا والله وبلى والله»^٢.

بعبارة أخرى: «الحلف الخالي عن القصد الاستعمالي الجدِّي، الذي تدور عليه المحاورات المتعارفة بين الناس، فإنَّه إذا لم يحرز ذلك لا يترتب الأثر على الكلام، بلا فرق بين الإخباريات والإنشائيات والوضعيات والأحكام مطلقاً»^٣.

واليمين الذي لا كفارة فيه هو اليمين على الماضي بالفعل أو الترك إذا كان كاذباً فيه وإن كان حراماً وكذلك إذا حلف على مال ليقطعه كاذباً فلا كفارة عليه وكان حراماً ويجب عليه التوبة ويسمى اليمين الغموس.

(و) عاطفة. (لَكِنْ) حرف استدراك.

(يُؤَاخِذُكُمْ) الله سبحانه. (ي) حرف جر.

(مَا) موصولة، في محل جر، جار ومجرور متعلق بـ(يُؤَاخِذُكُمْ).

(كَسَبَتْ) «الكسب هو اجتلاب المنافع بالعمل بصنعة أو حرفة أو نحوهما وأصله في اقتناء ما يرتفع به حوائج الإنسان المادية ثم استعير لكل ما يجتلبه الإنسان بعمل من أعماله من خير أو شر ككسب المدح والفخر وحسن الذكر بحسن الخلق والخدمات النوعية وكسب الخلق الحسن والعلم النافع والفضيلة بالأعمال المناسبة لها،

١. التبيان ٢/ ٢٢٩.

٢. الميزان ٢/ ٢٢٣.

٣. مواهب الرحمن ٣/ ٤٠٥.

وكسب اللوم والذم، واللعن والطعن، والذنوب والآثام، ونحوها بالأعمال المستتعبة لذلك، فهذا هو معنى الكسب والاكتساب، وقد قيل في الفرق بينهما أن الاكتساب اجتلاب الإنسان المنفعة لنفسه، والكسب أعم مما يكون لنفسه أو غيره مثل كسب العبد لسيده وكسب الولي للمولى عليه ونحو ذلك. وكيف كان فالكاسب والمكتسب هو الإنسان لا غير»^١.

(قُلُوبُكُمْ) أي «يؤاخذكم بما نوت قلوبكم في الأيمان من المخالفة العمدية والكذب والحنث»^٢.

(وَاللَّهُ) اشارة إلى كراهة اللغو من اليمين فإنه لا ينبغي صدوره من المؤمن لما يأتي من اسمين من أسماء الله الحسنى.

(غَفُورٌ) مبالغة في التجاوز والغفران عن الذنب.

(حَلِيمٌ) يستمهل ويترك التعجيل في العقوبة.

الروايات

معتبرة مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله 7 قال: سمعته يقول: في قول الله ﷻ (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ)، قال: اللغو قول الرجل لا والله وبلى والله ولا يعقد على شيء^٣.

رواها الشيخ في التهذيب^٤.

عن أبي الصباح قال: سألت أبا عبد الله 7 عن قول الله (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ

١. الميزان ٢/ ٢٢٣.

٢. مواهب الرحمن ٣/ ٤٠٥.

٣. الكافي ٧/ ٤٤٣، ح ١.

٤. التهذيب ٨/ ٢٨٠.

فِي أَيَّمَنِكُمْ) قال: هو لا والله وبلى والله وكلا والله، لا يعقد عليها أو لا يعقد على شيء.^١

القاضي نعمان المصري قال: جعفر بن محمد ٧ أنه قال في قول الله ﷻ (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) قال هو قول الرجل لا والله وبلى والله ولا يعقد قلبه على شيء ما كان.^٢

اللغو في هذه الآية هو ما يجري على عادة اللسان: من «لا والله» و «بلى والله» من غير عقد على يمين يقتطع بها مال، يظلم بها أحد، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله ٣.٨

شيخ أبو الفتوح الرازي رفعه عن رسول الله ٦ أنه قال: من نذر فيما لا يملك فلا نذر له ومن حلف على معصية فلا يمين له.^٤

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه عن رسول الله ٦ أنه قال: من حلف على قطيعة رحم أو معصية فبرء أن يحنث فيها ويرجع عن يمينه.^٥ وعنه ٦: لا يمين في غَضَبٍ.^٦

١. تفسير العياشي ١/٢٢٦، ح ٣٤٤.

٢. دعائم الإسلام ٢/٩٥، ح ٣٠٠.

٣. التبيان ٢/٢٢٨.

٤. روض الجنان ٣/٢٥٠.

٥. روض الجنان ٣/٢٥٠.

٦. روض الجنان ٣/٢٥٠.

(لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

الإيلاء هو الحلف على ترك وفاء الزوجة الدائمة المدخول بها أبداً أو مدّة تزيد عن أربعة أشهر للإضرار بها وانعقد هذا اليمين ويترتب عليه آثاره ولا يعتبر فيه ما يعتبر في غيره من كون متعلّقة مباحاً تساوى طرفاه أو كان راجحاً ديناً أو ديناً.

ثم إن صبرت المرأة مع امتناعه عن الواقعة فلا كلام وإلا فلها المرافعة إلى الحاكم فيحضره وينظر أربعة أشهر فإن رجع وواقعها في هذه المدّة فهو وإلا أجبره على أحد الأمرين: إمّا الرجوع أو الطلاق فإن فعل أحدهما وإلا ضيق عليه وحبسه حتى يختار أحدهما ولا يجبره على أحدهما معيّناً. ومتى وطئها الزوج بعد الإيلاء لزمته الكفارة سواء كان في مدّة التربّص أو بعدها أو قبلها لأنّه قد حنث اليمين على كلّ حال وإن جاز له هذا الحنث بل وجب بعد انقضاء المدّة ومطالبتها وأمر الحاكم به تخييراً^١.
(لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ) (لِّلَّذِينَ) يحلفون، الإيلاء والإلية: الحلف.

(مِن) «تعديّة الإيلاء بمن لتضمينه معنى الابتعاد ونحوه فيفيد وقوع الحلف على الاجتناب عن المباشرة»^٢.

(نِّسَائِهِمْ) أي أزواجهم. (تَرَبُّصُ) أي الانتظار.

(أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) حدّد الانتظار بـ(أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) فإنّها الأمد المضروب للمباشرة الواجبة شرعاً.

١. راجع وسيلة النجاة ٢/ ٥٤٢، القول في الإيلاء، لآية الله السيّد أبو الحسن الإصفهاني ١.

٢. الميزان ٢/ ٢٢٦.

(ف) تفريعية. (إن) شرطية.

(فَاءُ) أي رجعوا عن حلفهم إلى الوفاء بحق المرأة في المباشرة.

(ف) واقعة في جواب الشرط.

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) جواب الشرط، (غَفُورٌ رَحِيمٌ) بعد الرجوع والمباشرة وأداء الكفارة لأن الكفارة، حكم شرعي لا يقبل المغفرة وكفارته كفارة اليمين. الواردة في الآية ٨٩ من سورة المائدة.

الروايات

صحيحة بريد بن معاوية قال: سمعت أبا عبد الله 7 يقول في الإيلاء: إذا آلى الرجل أن لا يقرب إمرأته ولا يمسه ولا يجمع رأسه ورأسها فهو في سعة ما لم تمض الأربعة الأشهر فإذا مضت أربعة أشهر وقف فأما أن يفبيء فيمسه وأما أن يعزم على الطلاق فيخلي عنها حتى إذا حاضت وطهرت من حيضها طلقها تطليقه قبل أن يجامعها بشهادة عدلين ثم هو أحق برجعته ما لم تمض الثلاثة الأقراء.^١

صحيحة حماد بن الحلبي قال سألت أبا عبد الله 7 عن الرجل يهجر امرأته من غير طلاق ولا يمين سنة لم يقرب فراشها قال: ليأت أهله، وقال: أيما رجل آلى من امرأته - والإيلاء أن يقول: لا والله لا، جامعك كذا وكذا ويقول والله لأغضنك - ثم يغاضها فإنه يتربص بها أربعة أشهر ثم يؤخذ بعد الأربعة الأشهر فيوقف فإن فاء - والإيفاء أن يصلح أهله - فإن الله غفور رحيم فإن لم يفبيء جبر على أن يطلق ولا يقع بينهما طلاق حتى يوقف وإن كان أيضًا بعد الأربعة الأشهر يجبر على أن يفبيء أو يطلق.^٢

١. الكافي ٦/ ١٣٠، ح ١.

٢. الكافي ٦/ ١٣٠، ح ٢.

خبر أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله ⁷ يقول: إذا آلى الرجل من امرأته والإيلاء أن يقول: والله لا أجامعك كذا وكذا ويقول والله لأغيضك ثم يغاضبها ثم يتربص بها أربعة أشهر فإن فاء والإيفاء أن يصلح أهله أو يطلق عند ذلك ولا يقع بينهما طلاق حتى يوقف وإن كان بعد الأربعة الأشهر حتى يفى أو يطلق.^١

معتبرة بل صحيحة بريد بن معاوية عن أبي جعفر وأبي عبد الله ⁸ أنهما قالوا: إذا آلى الرجل أن لا يقرب امرأته فليس لها قول ولا حق في الأربعة الأشهر ولا إثم عليه في كفها عنها في الأربعة الأشهر فإن مضت الأربعة الأشهر قبل أن يمسه فسكتت ورضيت فهو في حل وسعة فإن رفعت أمرها، قيل له: إما أن تفيء فتمسها وإما أن تطلق وعزم الطلاق أن يخلى عنها فإذا حاضت وطهرت طلقها وهو أحق برجعها ما لم تمض ثلاثة قروء فهذا الإيلاء الذي أنزله الله تبارك وتعالى في كتابه وسنة رسول الله ^{٢.6}

صحيحة أبي الصباح الكناني قال: سألت أبا عبد الله ⁷ عن رجل آلى من امرأته بعد ما دخل بها، فقال: إذا مضت أربعة أشهر وقف وإن كان بعد حين فإن فاء فليس بشيء وهي امرأته وإن عزم الطلاق فقد عزم وقال الإيلاء أن يقول الرجل لإمرأته والله لأغيضنك ولأسوءنك ثم يهجرها ولا يجامعها حتى تمضي أربعة أشهر فإذا مضت أربعة أشهر فقد وقع الإيلاء ينبغي للإمام أن يجبره على أن يفى أو يطلق فإن فاء فإن الله غفور رحيم وإن عزم الطلاق فإن الله سميع عليم وهو قول الله ³ في كتابه.

١. الكافي ٦/١٣١، ح ٣.

٢. الكافي ٦/١٣١، ح ٤.

٣. الكافي ٦/١٣٢، ح ٧.

صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله 7 قال: سألته عن الإيلاء ما هو؟ فقال: هو أن يقول الرجل لإمرأته: والله لا أجامعك كذا وكذا ويقول والله لأغيضنك فيتربص بها أربعة أشهر ثم يؤخذ فيوقف بعد الأربعة الأشهر فإن فاء وهو أن يصلح أهله فإن الله غفور رحيم وإن لم يف جبر على أن يطلق ولا يقع طلاق فيما بينهما ولو كان بعد الأربعة الأشهر ما لم يرفعه إلى الإمام.^١

صحيحة أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله 7 قال: لا يقع الإيلاء إلا على امرأة قد دخل بها زوجها.^٢

خبر محمد بن سليمان عن أبي جعفر الثاني 7 قال: قلت له جعلت فداك كيف صارت عدة المطلقة ثلاث حيض أو ثلاثة أشهر وصارت عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا فقال أما عدة المطلقة ثلاثة قروء فلاستبراء الرحم من الولد وأما عدة المتوفى عنها زوجها فان الله ﷻ شرط للنساء شرطا وشرط عليهم شرطا فلم يجابهن فيما شرط لهن ولم يجز فيما اشترط عليهم شرط لهن في الإيلاء أربعة أشهر إذ يقول الله ﷻ (لِّلَّذِينَ يُؤْلَوْنَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ) فلم يجوز لأحد أكثر من أربعة أشهر في الإيلاء لعلمه تبارك وتعالى أنه غاية صبر المرأة من الرجل وأما ما شرط عليهن فإنه أمرها أن تعتد إذا مات عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا فأخذ منها له عند موته ما أخذ لها منه في حياته عند إيلائه قال الله تبارك وتعالى (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)^٣ ولم يذكر الشعرة الأيام في العدة إلا مع الأربعة أشهر وعلم أن غاية صبر المرأة الأربعة أشهر في ترك الجماع فمن ثم أوجب عليها ولها.^٤

١. الكافي ٦/١٣٢، ح ٩.

٢. الكافي ٦/١٣٣، ح ١.

٣. سورة البقرة / ٢٣٤.

٤. الكافي ٦/١١٣، ح ١.

رواهما البرقي في المحاسن^١ والصدوق في علل الشرايع^٢ والشيخ في التهذيب^٣.
 حسنة حماد بن عثمان عن أبي عبد الله ٧ قال: في المولى إذا أبى أن يطلق قال:
 كان أمير المؤمنين ٧ يجعل له خطيرة من قصب ويحبسه فيها ويمنعه من الطعام
 والشراب حتى يطلق^٤.

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر ٧ قال: قلت له جعلت فداك كيف
 صارت عدة المطلقة ثلاث حيضات أو ثلاثة أشهر، وصارت عدة المتوفى عنها زوجها
 أربعة أشهر وعشرا فقال أمّا عدة المطلقة ثلاثة قروء فلاجل استبراء الرحم من الولد
 وأمّا عدة المتوفى عنها زوجها فإنّ الله شرط للنساء شرطا وشرط عليهن شرطا فلم يجز
 فيما شرط لهن ولم يجز فيما شرط عليهن، أمّا ما شرط لهن ففي الإيلاء أربعة أشهر إذ
 يقول (لِلَّذِينَ يُؤْثِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ) فلن يجوز لأحد أكثر من أربعة أشهر
 في الإيلاء لعلمه تبارك وتعالى انها غاية صبر المرأة من الرجل، وأمّا ما شرط عليهن
 فإنّه أمرها أن تعتد إذا مات زوجها أربعة أشهر وعشرا فأخذ له منها عند موته ما أخذ
 لها منه في حياته^٥.

الروايات في هذا المجال كثيرة فراجع إن شئت إلى كتاب الطلاق من كتب الأخبار.

١. المحاسن ٢/ ٣٠٢.

٢. علل الشرايع ٢/ ٥٠٧، ح ١.

٣. التهذيب ٨/ ١٤٣.

٤. الكافي ٦/ ١٣٣، ح ١٠.

٥. تفسير العياشي ١/ ٢٣٨، ح ٣٩١.

(وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ﴿٢٢٧﴾

تتمة الآية السابقة.

(وَ) عاطفة.

(إِنْ) شرطية. معطوف على (إِنْ) الشرطية في الآية السابقة.

(عَزَمُوا) أي أرادوا.

(الطَّلَاق) والفراق بينه وبين زوجته. وأوقعوا الطلاق بالشرائط المعتبرة فيه.

يعني وقع الطلاق بينهما.

(فَ) واقعة في جواب الشرط.

(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) جواب الشرط، يعني (إِنَّ اللَّهَ) يسمع الطلاق الواقع بينهما

الصادر من الزوج و (عَلِيمٌ) به. ويكون الطلاق بعد الإيلاء نافذ وصحيح وحيث لم يحنث في هذه الحالة فلا كفارة عليه بجهة الإيلاء.

الروايات

صحيحة صفوان بن مهران عن أبي عبد الله 7 قال: قال رسول الله 6:

تَزَوَّجُوا وَزَوَّجُوا أَلَا فَمَنْ حَظَّ أَمْرِي مُسْلِمٍ إِنْفَاقَ قِيَمَةِ أَيْمَةٍ وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ بَيْتٍ يَعْمُرُ فِي الْإِسْلَامِ بِالنِّكَاحِ وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ بَيْتٍ يُخْرَبُ فِي الْإِسْلَامِ بِالْفِرْقَةِ - يعني الطلاق - ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ 7: إِنَّ اللَّهَ ﷻ إِنَّمَا وَكَّدَ فِي الطَّلَاقِ وَكَرَّرَ فِيهِ الْقَوْلَ مِنْ بَغْضِهِ الْفِرْقَةَ ١.

و «إِنْفَاقَ قِيَمَةِ أَيْمَةٍ» يعني من سعادة المسلم أن تخطب إليه نساؤه من بناته وإخواته ولا

يكسدن كساد السلع التي لا تنفق.

معتبرة ابن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبدالله 7 قال: ما من شيء مما أحله الله ﷻ أبغض إليه من الطلاق وإن الله يُبغض المِطْلَاقَ الذَّوَاقَ. ١
خبر أبي خديجة عن أبي عبدالله 7 قال: إن الله ﷻ يحب البيت الذي فيه العرس ويبغض البيت الذي فيه الطلاق، وما من شيء أبغض إلى الله ﷻ من الطلاق. ٢
صحيحة محمد الحلبي قال: قلت لأبي عبدالله 7: الرجل يطلق امرأته وهي حائض، قال: الطلاق على غير السنة باطل، قلت: فالرجل يطلق ثلاثاً في مقعد، قال: يرد إلى السنة. ٣

خبر الحسن بن الفضل الطبرسي رفعه إلى الصادق 7 أنه قال: تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش. ٤

الروايات في ذم الطلاق متعددة فإن شئت راجع كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت ° :
وغيرها من كتب الأخبار.

١. الكافي ٦/٥٤، ح ٢.

٢. الكافي ٦/٥٤، ح ٣.

٣. الكافي ٦/٥٨، ح ٣.

٤. مكارم الأخلاق / ١٩٧.

٥. موسوعة أحاديث أهل البيت : ٦/٢٩٨.

(وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)



هذه الآية وما بعدها في بيان بعض أحكام الطلاق.
(و) عاطفة. عطف على قوله: (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ...).
(الْمُطَلَّقَاتُ) الطلاق معروف وفي الشرع الفراق والسراح بين الزوجين والتخلية عن وثائق الزوجية والنكاح.
(يَتَرَبَّصْنَ)، التربص: الانتظار والحبس، (يَتَرَبَّصْنَ): ينتظرون ويحبس ويمسكن.

(بِأَنْفُسِهِنَّ) أي يحبسنها عن الزواج وهو حبس المروءة نفسها عن الازدواج.
(ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) جمع القرء وهو لفظ يطلق على الطهر والحيض معاً «وروه عن علي 7 أنه الحيض»^١.
(وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) من ولد لأن المرأة الحامل عدتها وضع حملها كما قال تعالى: (وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ)^٢.
(إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) ترغيب وحث لمطاوعة الحكم والتثبت عليه وإشارة إلى أن مراعاة هذا الحكم من لوازم الإيمان (بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ).

١. التبيان ٢/ ٢٣٧.

٢. سورة الطلاق / ٤.

(وَيُعُولُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ) البعولة جمع بعل وهو الزوج والضمير عائد إلى المطلقات الرجعيات.

(فِي ذَلِكَ) دي في العدة.

(إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا) أي إن قصد الإصلاح والمعاشرة بالمعروف في رجوعه والعود في حياته الزوجية.

(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) أي لهن من الحقوق على الرجال مثل ما للرجال عليهن.

(وَاللرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) أي للزوج على الزوجة منزلة في الفضل والتفوق والقيام بالمصالح العائلية.

(وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) في أحكامه وقوانينه يلاحظ فيها الحكمة وقوي على مَنْ لم يراعاها.

الروايات

صحيححة زرارة عن أبي جعفر 7 قال: المطلقة إذا رأت الدم من الحيضة الثالثة فقد بانت منه.^١

صحيححة زرارة عن أبي عبدالله 7 قال: المطلقة تبين عند أول قطرة من الحيضة الثالثة، قال: قلت: بلغني أنّ ربيعة الرأي قال: من رأيي أنّها تبين عند أول قطرة، قال: كذب ما هو من رأيه إنّما هو شيءٌ بلغه عن علي 7.^٢

صحيححة إسماعيل الجعفي عن أبي جعفر 7 قال: قلت له: رجل طلق امرأته،

١. الكافي ٦/ ٨٧، ح ٢.

٢. الكافي ٦/ ٨٧، ح ٣.

قال: هو أحقّ برجعتهما ما لم تقع في الدم من الحيضة الثالثة.^١
 موثقة زرارة عن أبي جعفر ٧ قال: أوّل دم رأته من الحيضة الثالثة فقد بآنت منه.

حين بن زياد عن ابن سماعه عن صفوان عن ابن مسكان عن زرارة مثله.^٢
 صحيحة زرارة قال: قلت لأبي جعفر ٧: إني سمعت ربيعة الرأي يقول: إذا رأأت الدم من الحيضة الثالثة بآنت منه، وانما القرء ما بين ال حيضتين، وزعم أنه إنّما أخذ ذلك برأيه، فقال أبوجعفر ٧: كذب لعمرى ما قال ذلك، ولكنّه أخذه عن علي ٧، قال: قلت له: وما قال فيها علي ٧، قال: كان يقول إذا رأأت الدم من الحيضة الثالثة فقد انقضت عدّتها ولا سبيل له عليها وإنّما القرء ما بين الحيضتين وليس لها أن تزوّج حتّى تغتسل من الحيضة الثالثة.

الحسن بن محمّد بن سماعه قال: كان جعفر بن سماعه يقول: تبين عند أوّل فطرة من الدم ولا تحل للأزواج حتّى تغتسل من الحيضة الثالثة.

وقال الحسن بن محمّد بن سماعه: تبين عند أوّل فطرة من الحيض الثالث ثمّ إن شاءت تزوّجت وإن شاءت لا.

وقال علي بن إبراهيم: إن شاءت تزوّجت وإن شاءت لا، فإنّ تزوّجت لم يدخل بها حتّى تغتسل.^٣

معتبرة عبدالرحمن بن أبي عبدالله قال: سألت أبا عبدالله ٧ عن المرأة إذا طلقها زوجها متى تكون هي أملك بنفسها؟ فقال: إذا رأأت الدم من الحيضة الثالثة فهي

١. الكافي ٦/٨٧، ح ٤.

٢. الكافي ٦/٨٧، ح ٦.

٣. الكافي ٦/٨٨، ح ٩.

أملك بنفسها، قلت: فإن عجل الدم عليها قبل أيام فرشها، فقال: إذا كان الدم قبل عشرة أيام فهو أملك بها، وهو من الحيضة التي طهرت منها، وإن كان الدم بعد العشرة الأيام فهو من الحيضة الثالثة وهي أملك بنفسها.^١

خبر محمد بن مسلم عن أبي جعفر ٧ قال: سألته عن الرجل يطلق امرأته متى تبين منه، قال: حين يطلع الدم من الحيضة الثالثة تملك نفسها، قلت: فلها أن تتزوج في تلك الحال؟ قال: نعم ولكن لا تمكّن من نفسها حتى تطهر من الدم.^٢

الرواية صحيحة الإسناد إن كان المراد بالبعض علي بن الحكم وضعيفة الإسناد إن كان المراد به عبدالله لأنه مهمل.

صحيحة زرارة قال: سمعت ربيعة الرأي يقول: من رأيي أن الأقراء التي سمي الله ﷻ في القرآن إنّها هو الطهر فيما بين الحيضتين، فقال: كذب لم يقله برأيه ولكنه إنّما بلغه عن علي صلوات الله وسلامه عليه، فقلت: أصلحك الله أكان علي ٧ يقول ذلك؟ فقال: نعم إنّما القدر: الطهر يقرى فيه الدم فيجمعه فإذا جاء المحيض دفعه.^٣

صحيحة زرارة عن أبي جعفر ٧ قال: القرء هو ما بين الحيضتين.^٤

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر ٧ قال: القرء هو ما بين الحيضتين.^٥

صحيحة زرارة عن أبي جعفر ٧ قال: العدة والحيض النساء إذا ادّعت صدقت.^٦

١. الكافي ٦/٨٨، ح ١٠.

٢. الكافي ٦/٨٨، ح ١١.

٣. الكافي ٦/٨٩، ح ١.

٤. الكافي ٦/٨٩، ح ٢.

٥. الكافي ٦/٨٩، ح ٣.

٦. الكافي ٦/١٠١، ح ١.

روا الشيخ صدرها في التهذيب.^١

صحيحة الحلبي عن أبي عبدالله ٧ قال: طلاق الحلبي واحدة وأجلها أن تضع حملها وهو أقرب الأجلين.^٢

خبر ضريس الكناسي عن أبي عبدالله ٧ قال: إن امرأة أتت رسول الله ٦ لبعض الحاجة فقال لها: لعلك من المسوفات، قالت: وما المسوفات يا رسول الله؟ قال: المرأة التي يدعوها زوجها لبعض الحاجة فلا تزال تسوّفه حتى ينعس زوجها وينام فتلك لا تزال الملائكة تلعنها حتى يستيقظ زوجها.^٣
رواها الصدوق في الفقيه.^٤

حسنة موسى بن بكر عن أبي عبدالله ٧ قال: ثلاثة لا يرفع لهم عمل: عبد أبى، وامرأة زوجها عليها ساخط، والمسبل إزاره خيلاء.^٥
عن أبي بصير عن أبي عبدالله ٧ في قوله (وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصُ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) يعني لا يحل لها أن تكتُم الحمل إذا طلقت وهي حبلى، والزوج لا يعلم بالحمل، فلا يحل لها أن تكتُم حملها وهو أحق بها في ذلك الحمل ما لم تضع.^٦

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر ٧ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ٦ فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: تطيعه ولا

١. التهذيب ١/٣٩٨.

٢. الكافي ٦/٨٢، ح ٨.

٣. الكافي ٥/٥٠٨، ح ٢.

٤. من لا يحضره الفقيه ٣/٤٤٢، ح ٤٥٣٦.

٥. الكافي ٥/٥٠٧، ح ٣.

٦. تفسير العياشي ١/٢٣٠، ح ٣٥٨.

تعصيه ولا تصدق من بيتها شيئاً إلا بإذنه ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها، فقالت: يا رسول الله من أعظم الناس حقاً على الرجل؟ قال: والداه، قالت: فمن أعظم الناس حقاً على المرأة؟ قال: زوجها، قالت: فما لي من الحق عليه مثل ما له علي؟ قال: لا ولا من كل مائة واحدة، فقالت: والذي بعثك بالحق نبياً لا يملك رقبتني رجل أبداً.^١

رواها الكليني في الكافي^٢ بسنده الصحيح.

خبر سعد بن عمر الجلاب قال: قال أبو عبدالله 7: أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق لم تقبل منها صلاة حتى يرضى عنها.^٣

رواها الكليني في الكافي^٤ مع زياده.

صحيحة جميل بن دارج عن أبي عبدالله 7 أنه قال: أيما امرأة قالت لزوجها ما رأيت قط من وجهك خيراً فقد حبط عملها.^٥

صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله 7 قال: إن رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله 6 خرج في بعض حوائجه وعهد إلى امرأته عهداً ألا تخرج من بيتها حتى يقدم، قال: وإن أباه مرض فبعثت المرأة إلى رسول الله 6 فقالت: إن زوجي خرج وعهد إلي أن لا أخرج من بيتي حتى يقدم، وإن أبي مريض فتأمرني أن

١. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٤٣٨، ح ٤٥١٣.

٢. الكافي ٥/ ٥٠٦، ح ١.

٣. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٤٣٩، ح ٤٥١٩.

٤. الكافي ٥/ ٥٠٧، ح ٢.

٥. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٤٤٠، ح ٤٥٢٤.

أعوذه؟ فقال: لا إجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قال: فمات فبعثت إليه فقالت: يا رسول الله إنَّ أبي قد مات فتأمرني أن أصلي عليه؟ فقال: لا إجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قال: فدفن الرجل فبعث إليها رسول الله ﷺ أن الله قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك.^١

الطبرسي رفعه عن الصادق ٧ أنه قال: قد فوّض الله إلى النساء ثلاثة أشياء الحيض والطهر والحمل.^٢

(أَطْلَقُ مَرَّتَانِ فإِمْسَاكِ مَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنِ وَلَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ تَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ﴿٢٢٩﴾

كان للعرب في الجاهلية طلاق ولكن لم له عدد معين «فربما طلق الرجل امرأته مائة مرة وراجعها وتكون المرأة بذلك ألعوبة بيد الرجل يضارها بالطلاق والرجوع متى شاء...»^٣.

(أَطْلَقُ) الذي يجوز فيه الرجوع.
(مَرَّتَانِ) الوقوع مرة بعد الأخرى والتكرار. (فَ) تفريعية.

١. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٤٤١، ح ٤٥٣٢.

٢. مجمع البيان ٢/ ٣٢٦ وفي المطبوعة: «فرض» والصحيح ما ضبطناه.

٣. التفسير الكاشف ١/ ٣٤٦.

(إِمْسَاكٌ) الإمساك خلاف الطلاق يعن البقاء على الزوجية.

(بِمَعْرُوفٍ) «أي على وجه جميل سائغ في الشرع لا على وجه الإضرار بهن»^١.

(أَوْ) حرف عطف.

(تَسْرِحٌ) مأخوذ من السرح وهو الانطلاق وسرحت العبد إذا أعتقته.

(بِإِحْسَنِ) من حسن الأخلاق وأداء المهر والنفقة. (وَ) عاطفة.

(لَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا) حَرَّمَ اللهُ «أن يأخذ الزوج من

الزوجة شيئاً مما آتاها، فإنه من الظلم والغصب، وهو خلاف الإحسان المأمور به، بل

الإحسان إليهن أن يمتنعن بشيء، كما قال تعالى: (فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا)^٢،

ليكون قد تدارك بذلك ما فات عن المرأة من مزايا الحياة الزوجية. والمراد من (مَّا

آتَيْتُمُوهُنَّ)، هو المهر أو ملكها إيَّاه»^٣.

(إِلَّا) أداة استثناء وما بعدها استثناء من عدم جواز الأخذ.

(أَنْ تَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) من الحقوق الزوجية بسبب النفور فيعدى إلى

معصية الله بتركها.

(فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) إشارة إلى أَنَّ الخوف يكون خوفًا عاديًا أو

عرفيًا.

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) «نفى الجناح عنهما مع أَنَّ النهي في قوله:

(وَلَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا) «النخ»، إنما تعلق بالزوج فلأن حرمة الأخذ على الزوج

توجب حرمة الأعطاء على الزوجة من باب الإعانة على الإثم والعدوان إلَّا في طلاق

١. التبيان ٢/ ٢٤٣.

٢. سورة الأحزاب / ٤٩.

٣. مواهب الرحمن ٤/ ١٢.

الخلع فيجوز توافقهما على الطلاق مع الفدية، فلا جناح على الزوج أن يأخذ الفدية، ولا جناح على الزوجة أن تعطي الفدية وتعين على الأخذ فلا جناح عليهما فيما افتدت به»^١.

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) هذه الأحكام الفقهية المذكورة في هاتين الآيتين.
(فَلَا تَعْتَدُوهَا) فلا تتجاوزوا عن هذه الأحكام الشرعية لتتم السعادة لزوم مراعاتها بين الزوجين.
(وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ومن يتجاوز أحكام الله ولا يهتم بمراعاتها (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) في حق أنفسهم وفي حق أزواجهم.

الروايات

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر ٧ قال: طلاق السنة يطلقها تطليقة يعني على طهر من غير جماع بشهادة شاهدين ثم يدعها حتى تمضي أقرأؤها فإذا مضت أقرأؤها فقد بانت منه وهو خاطب من الخطاب إن شاءت نكحته وإن شاءت فلا وإن أراد أن يراجعها أشهد على رجعتها قبل أن تمضي أقرأؤها فتكون عنده على التطليقة الماضية قال وقال أبو بصير عن أبي عبد الله ٧ هو قول الله ﷻ (الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَلِمَّا كُنْتُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنٍ) التطليقة الثانية التسريح بإحسان.^٢

ورواها الشيخ في التهذيب.^٣

حسنة عبد الرحمن بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله ٧ يقول: إذا أراد الرجل أن يتزوج المرأة فليقل: أقررت بالميثاق الذي أخذ الله (إِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ

١. الميزان ٢/ ٢٣٤.

٢. الكافي ٦/ ٦٤، ح ١.

٣. التهذيب ٨/ ٢٥، ح ٨٢.

بِحَسَنِ^١.

ورواها العياشي في تفسيره.^٢

صحيحة أبي بصير قال: سألت أبا جعفر 7 عن الطلاق الذي لا يحل له حتى تنكح زوجاً غيره، فقال: أخبرك بما صنعتُ أنا بامرأة كانت عندي وأرادت أن أطلقها فتركها حتى إذا طمئت وطهرت طلقها من غير جماع وأشهدت على ذلك شاهدين، ثم تركتها حتى إذا كادت أن تنقضي عدتها راجعتها ودخلت بها وتركها حتى إذا طمئت وطهرت ثم طلقها على طهر من غير جماع بشاهدين ثم تركها حتى إذا كان قبل أن تنقضي عدتها راجعتها ودخلت بها حتى إذا طمئت وطهرت طلقها على طهر بغير جماع بشهود وإنما فعلت ذلك بها أنه لم يكن لي بها حاجة.^٣

صحيحة أبي بصير: قال قلت لأبي عبد الله 7: امرأة التي لا تحل لزوجها الثالثة فهي التي لا تحل لزوجها حتى تنكح زوجاً غيره ويذوق عسيلتها.^٤

خبر عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله 7 قال: سألت عن رجل قال لآخر أخطب لي فلانة فما فعلت شيئاً مما قاوت من صداق أو ضمنت من شيء أو شرطت فذلك لي رضا وهو لازم لي ولم يشهد على ذلك فذهب فخطب له وبذل عنه الصداق وغير ذلك مما طالبوه وسألوه فلما رجع أنكر ذلك كله قال يغرم لها نصف الصداق عنه وذلك أنه هو الذي ضيع حقها فلما لم يشهد لها عليه بذلك الذي قال له حل لها أن تتزوج ولا تحل للأول فيما بينه وبين الله ﷻ إلا أن يطلقها لأن الله تعالى يقول (فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِحَسَنِ) فإن لم يفعل فإنه ماثوم فيما بينه وبين الله ﷻ وكان الحكم الظاهر حكم

١. الكافي ٥/٥٠١، ح ٥.

٢. تفسير العياشي ١/٢٣٠، ح ٣٦٢.

٣. الكافي ٦/٧٥، ح ١.

٤. الكافي ٦/٧٦، ح ٣.

الإسلام وقد أباح الله ﷻ لها أن تتزوج.^١

رواها الشيخ في التهذيب^٢ والراوندي في فقه القرآن^٣.

خبر الحسن بن علي بن فضال قال: سألت الرضا^٧ عن العلة التي من أجلها لا تحل المطلقة للعدة لزوجها حتى تنكح زوجا غيره فقال ان الله ﷻ إنما اذن في الطلاق مرتين فقال ﷻ (الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ) يعني في التطليقة الثالثة فلدخوله فيما كره الله ﷻ له من الطلاق الثالث حرمها عليه فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره لئلا يوقع الناس الاستخفاف بالطلاق ولا يضاروا النساء.^٤

ورواها الصدوق بسند معتبر في عيون أخبار الرضا^٥ وعلل الشرايع^٦.

عن زرارة عن أبي جعفر^٧ قال: لا ينبغي لمن أعطى الله شيئا أن يرجع فيه، وما لم يُعْطِ لله وفي الله، فله أن يرجع فيه، نَحْلَةٌ^٧ كانت أو هَبَّةً، جَرَتْ أو لم تَجْر، أليس الله يقول (وَلَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا)، وقال (إِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا)^٨.

رواها الشيخ بسنده الصحيح في التهذيب^{١٠} مع زياده وفي الاستبصار^{١١}.

١. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٨٥، ح ٣٣٨٤.

٢. التهذيب ٦/ ٢١٣، ح ٣.

٣. فقه القرآن ١/ ٣٩٠.

٤. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٥٠٢، ح ٤٧٦٤.

٥. عيون أخبار الرضا ٧/ ٨٥، ح ٢٧.

٦. علل الشرايع ٢/ ٥٠٧.

٧. النحلة: العطية.

٨. سورة النساء / ٤.

٩. تفسير العياشي ١/ ٢٣٢، ح ٣٦٨ وفي المطبوعة يسقط يظهر من بحار الأنوار ١٠٣/ ١٨٨، ح ٣.

١٠. التهذيب ٩/ ١٥٢، ح ١.

١١. الاستبصار ٤/ ١١٠.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله 7 قال: المرأة التي لا تحل لزوجها حتى تنكح زوجها غيره التي يطلق ثم يراجع ثم يطلق ثم يراجع ثم يطلق الثالثة، فلا تحل له حتى تنكح زوجها غيره إن الله جل وعز يقول (الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنِ) والتسريح هو التطليقة الثالثة.^١

عن أبي بصير عن أبي عبد الله 7 قال: سألته عن المختلعة كيف يكون خلعتها؟ فقال: لا يحل خلعتها حتى تقول والله لا أبرّ لك قسماً ولا أطيع لك أمراً ولا وطن فراشك ولا دخلن عليك بغير إذنك فإذا هي قالت ذلك حل خلعتها. وحلّ له ما أخذ منها من مهرها وما زاد، وهو قول الله (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَآ فِيمَا أَفْتَدَت بِهٖ) وإذا فعل ذلك فقد بانت منه بتطليقة وهي أملك بنفسها، إن شاءت نكحته، وإن شاءت فلا فإن نكحته فهي عنده على ثنتين.^٢

عن أبي القاسم الفارسي قال: قلت للرضا 7: جعلت فداك إن الله يقول في كتابه (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنِ) وما يعني بذلك؟ قال: أما الإمساك بالمعروف فكف الأذى وإجباء النفقة، وأما التسريح بإحسان فالطلاق على ما نزل به الكتاب.^٣

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر 7 في قول الله تبارك وتعالى (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) فقال: إن الله غضب على الزاني فجعل له جلد مائة فمن غضب عليه فزاد فأنا إلى الله منه بريء، فذلك قوله (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا).^٤

١. تفسير العياشي ١/ ٢٣٠، ح ٣٦٣.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٣٢، ح ٣٦٩.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢٣٢، ح ٣٦٧.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢٣٢، ح ٣٧٠.

القاضي نعمان المصري قال: روي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه أن علياً : قال: الخلع جائز إذا وضعه الرجل على موضعه وذلك أن تقول له امرأته إنني أخاف أن لا أقيم حدود الله فيك فأنا أعطيتك كذا وكذا فيقول هو وإنني أخاف أيضاً أن لا أقيم حدود الله فيك فما تراضيا عليه من ذلك جاز لهما قال جعفر بن محمد 7 إذا قالت المرأة لزوجها لا أطيع لك أمراً ولا أبر لك قسماً ولا أغتسل من جنابة ولا وطن فراشك ولا دخلن عليك بغير إذنك أو تقول من القول ما تتعدى فيه مثل هذا مفسراً أو مجملًا أو تقول لا أقيم حدود الله فيك جاز له أن يخلعها على ما تراضيا عليه مما أعطاهما وغيره يأخذ منها من ذلك ما اتفقا عليه ويخلعها والخلع تطليقة بائنة وليس له عليها رجعة إلا أن يتفقا على عقد نكاح مستقبل فتكون عنده على ما بقي من الطلاق وذلك لقول الله ﷻ (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ تَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) ١.

صحیحة أبي عبيدة عن أبي جعفر 7 قال لا يرجع الرجل فيما يهب لامرأته ولا امرأة فيما تهب لزوجها حازا أو لم يحازا أليس الله يقول (أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا) وقال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئاً وهذا يدخل في الصداق والهبة. ٢.

الشيخ رفعه عن النبي 6 أن رجلاً سأله فقال: الطلاق مرتان فأين الثلاثة؟ فأجابه: أو تسريحاً بحسان. ٣.

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه عن عقبة بن عامر عن رسول الله 6 أنه قال:

١. دعائم الإسلام ٢/٢٦٩، ح ١٠١٣.

٢. التهذيب ٧/٤٦٣، ح ٦٦.

٣. التبيان ٢/٢٤٤.

ألا أدلكم على التيسر المستعار؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: هو المحلل والمحلل له.^١
ابن أبي جمهور الإحصائي رفعه وقال: وروي عروة عن قتادة قال كان الطلاق
في صدر الإسلام بغير عدد وكان الرجل يطلق امرأته ما شاء من واحد إلى عشر فنزل
قوله تعالى (أَطْلَقْ مَرَّتَانِ فَمَا مَسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ).^٢

(فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)

«بيان لحكم التطليقة الثالثة وهو الحرمة حتى تنكح زوجاً غيره»^٣.
(ف) تفريع على قوله: (أَطْلَقْ مَرَّتَانِ) في الآية السابقة. (إن) شرطية.
(طَلَّقَهَا) للمرة الثالثة. (ف) واقعة في جواب الشرط.
(لَا تَحِلُّ لَهُ) يحرم على الزوج عقدها ووطئها.
(مِنْ بَعْدُ) أي من بعد ثلاث تطليقات. (حَتَّى) حرف غاية.
(تَنْكِحَ) عقدًا وطأً. (زَوْجًا غَيْرَهُ) أي غير الزوج الأول.
(فَإِنْ طَلَّقَهَا) الزوج الثاني. (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) على المرأة والزوج الأول.
(أَنْ يَتَرَاجَعَا) أن يعقد الزوج الأول على المرأة بالتوافق من الجانبين، يعني (فَلَا

١. روض الجنان ٣/ ٢٨١.

٢. عوالي اللآلي ٣/ ٣٧١، ح ٢.

٣. الميزان ٢/ ٢٣٥.

جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا) الزوجان إلى حياتهما الزوجية بعقد شرعي مستأنف بعد طلاق الزوج الثاني لها.

(إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) «الرجوع إلى الحياة الزوجية الجديدة مشروط بما إذا ظنَّ كل واحد من الزوجين أن يقوم بحقوق الآخر»^١ من الحقوق الزوجية. (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) الأحكام الشرعية المرتبطة بالطلاق والخلع والإيلاء ونحوها من (حُدُودِ اللَّهِ) التي (يُبَيِّنُهَا) الله (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) لأنَّ أهل العلم هم الذين يدركون مصالحها وآثارها وخصوصياتها. وضع الظاهر (اللَّهِ) موضع المضمرة لبيان أن الحدود في المقام غير الحدود السابقة.

«وفي الآية من عجيب الإيجاز ما يبهت العقل، فإن الكلام على قصره مشتمل على أربعة عشر ضميراً مع اختلاف مراجعها واختلاطها من غير أن يوجب تعقيداً في الكلام، ولا إغلاقاً في الفهم.

وقد اشتملت هذه الآية والتي قبلها على عدد كثير من الأسماء المنكرة والكنيات من غير ردائة في السياق كقوله تعالى: (فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ)، أربعة أسماء منكرة، وقوله تعالى: (مِمَّا آتَيْنَاهُمْ هُنَّ شَيْئًا) كني به عن المهر، وقوله تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ)، كني به عن وجوب كون الخوف جارياً على مجرى العادة المعروفة، وقوله تعالى: (فِيمَا أَفْتَدَتْ بِهِ)^٢، كني به عن مال الخلع، وقوله تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا)، أريد به التطليقة الثالثة، وقوله تعالى: (فَلَا تَحِلُّ لَهُ)، أريد به تحريم العقد والوطىء، وقوله تعالى: (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ)، أريد به العقد والوطىء معاً كناية مؤدبة، وقوله تعالى:

١. مواهب الرحمن ٤/ ٣٤.

٢. سورة البقرة / ٢٢٩.

(أَنْ يَتَرَجَّعَا)، كني به عن العقد.

وفي الآيتين حسن المقابلة بين الإمساك والتسريح، وبين قوله: (أَنْ يَتَرَجَّعَا) يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ^١ وبين قوله: (إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ)، والتفنن في التعبير في قوله: (فَلَا تَعْتَدُوهَا)^٢ وقوله: (وَمَنْ يَتَعَدَّ)^٣.

الروايات

خبر إسحاق بن عمار قال: سألت أبا عبد الله^٧ عن رجل طلق امرأته طلاقاً لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره فتزوجها عبد ثم طلقها هل يهدم الطلاق قال نعم لقول الله ﷻ (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) وقال: هو أحد الأزواج^٤. رواها الأشعري في النوادر^٥ والعياشي في تفسيره^٦ وروا مثلها القاضي نعمان المصري في دعائم الإسلام^٧.

خبر الحسن الصيقل قال: سألت أبا عبد الله^٧ عن رجل طلق امرأته طلاقاً لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، ويزوجها رجل متعة أيجل له أن ينكحها؟ قال: لا حتى تدخل في مثل ما خرجت منه^٨.

رواها الشيخ نحوها في التهذيب^٩ بسنده الموثق والعياشي في تفسيره^{١٠} مع زيادة يأتي كلها

١. سورة البقرة / ٢٢٩.

٢. سورة البقرة / ٢٢٩.

٣. الميزان ٢ / ٢٣٥.

٤. الكافي ٥ / ٤٢٥، ح ٣.

٥. النوادر / ١١٢.

٦. تفسير العياشي ١ / ٢٣٤، ح ٣٧٧.

٧. دعائم الإسلام ٢ / ٢٩٧، ح ١١١٧.

٨. الكافي ٥ / ٤٢٥، ح ٢.

٩. التهذيب ٨ / ٣٣، ح ١٠٢.

١٠. تفسير العياشي ١ / ٢٣٣، ح ٣٧٣.

آنفًا.

خبر أبي حاتم عن أبي عبد الله 7 قال: سألته عن الرجل يطلق امرأته الطلاق الذي لا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره ثم تزوجها رجل آخر ولم يدخل بها، قال: لا، حتى يذوق عُسيلتها.^١

أي: حتى يدخل بها، شبه الجماع بالعسل أو لذته بحلاوة العسل.

عن سماعة بن مهران قال: سألته عن المرأة التي لا تحل لزوجها (حتى تنكح زوجًا غيره) قال: هي التي تطلق ثم تراجع ثم تطلق الثالثة فهي التي لا تحل لزوجها (حتى تنكح زوجًا غيره) وتذوق عُسيلته ويذوق عُسيلتها، وهو قول الله (الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ)^٢ أن تُسرح بالتطليقة الثالثة.^٣

عن الحسن بن زياد قال: سألته عن رجل طلق امرأته فتزوجت بالمتعة أ تحل لزوجها الأول قال: لا لا تحل له حتى تدخل في مثل الذي خرجت من عنده، وذلك قوله (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ^٤ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ^٥ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) والمتعة ليس فيها طلاق.^٤

رواها الشيخ بسنده الموثق في التهذيب^٥ والاستبصار^٦.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله 7 قال: سألته عن الطلاق الذي لا تحل له (حتى تنكح زوجًا غيره) قال: هو الذي يطلق ثم يرجع - والرجعة هو الجماع - ثم يطلق ثم يرجع ثم يطلق الثالثة (فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) وقال: الرجعة

١. الكافي ٥/ ٤٢٥، ح ٤.

٢. سورة البقرة / ٢٢٩.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢٣١، ح ٣٦٦.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢٣٣، ح ٣٧٣.

٥. التهذيب ٨/ ٣٤، ح ١٠٣.

٦. الاستبصار ٣/ ٢٧٥.

الجماع وإلا فهي واحدة.^١

عن العبد الصالح قال: سألته عن رجل طلق امرأته عند قُرئها تطليقةً ثم تراجعها ثم طَلَّقها عند قُرئها الثالثة فبانت منه أله أن يراجعها؟ قال: نعم، قلت: قبل أن تزوج زوجاً غيره؟ قال: نعم، قلت له: فرجل طلق امرأته تطليقة، ثم راجعها ثم طَلَّقها ثم راجعها ثم طَلَّقها، قال: لا تحل له (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ).^٢

عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر 7 عن الطلاق التي لا تحل له (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ)؟ قال لي: اخبرك بما صنعت أنا بإمرأة كانت عندي فأردت أن اطلقها فتركها حتى إذا طمشت وطهرت طَلَّقْتُها من غير جماع بشاهدين، ثم تركتها حتى إذا كادت أن تنقضي عدتها راجعتها ودخلت بها ومَسَّسْتُها وتركها حتى طمشت وطهرت، ثم طَلَّقْتُها غير جماع بشاهدين، ثم تركتها حتى إذا كادت أن تنقضي عدتها راجعتها ودخلت بها ومَسَّسْتُها ثم تركها حتى طمشت وطهرت ثم طَلَّقْتُها بشهود من غير جماع وإنما فعلت ذلك بها لأنه لم يكن لي بها حاجة.^٣

عن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله 7 قال: إذا قال الرجل لإمرأته أنت طالقة ثم راجعها ثم قال: أنت طالقة ثم راجعها ثم قال أنت طالقة، لم تحل له (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) فان طَلَّقها ولم يُشْهَد فهو يتزوجها إذا شاء.^٤

عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله 7 في رجل طلق امرأته ثم تركها حتى انقضت عدتها، ثم تزوجها ثم طَلَّقها من غير أن يدخل بها حتى فعل ذلك بها ثلاثاً

١. تفسير العياشي ١/ ٢٣٤، ح ٣٧٤.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٣٣، ح ٣٧١.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢٣٣، ح ٣٧٢.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢٣٤، ح ٣٧٥.

قال: لا تحل له (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) ١.

عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله 7 عن أمير المؤمنين 7 قال: إذا أراد الرجل الطلاق طَلَّقَهَا في قبل عدَّتْها في غير جماع فإنه إذا طَلَّقَهَا واحدة ثم تركها حتى يخلو أجلها وشاء أن يخطُب مع الخطَّاب فعل، فإن راجعها قبل أن يخلو الأجل أو العدة فهي عنده على تطليقة، فإن طَلَّقَهَا الثانية فشاء أيضًا أن يخطُب مع الخطَّاب، إن كان تركها حتى يخلو أجلها، وإن شاء راجعها قبل أن ينقضي أجلها فإن فعل فهي عنده على تطليقتين، فإن طَلَّقَهَا ثلاثًا (فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) وهي تَرِث وتورث ما كانت في الدم في التطليقتين الأولتين ٢.

خبر أبي بصير عن أبي عبدالله 7 قال: سألته عن الذي تطلق ثم تراجع ثم تطلق ثم تراجع ثم تطلق؟ قال: لا تحل له (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ)، والتي يطلقها الرجل ثلاثًا فيتزوجها رجل آخر فيطلقها على السنة ثم ترجع إلى زوجها الأول فيطلقها ثلاث مرات على السنة وتنكح زوجًا غيره فيطلقها ثم ترجع إلى زوجها الأول فيطلقها ثلاث مرات على السنة، ثم تنكح فتلك التي لا تحل له أبدًا والملاعنة لا تحل له أبدًا ٣.

معتبرة الحسن بن فضال قال سألت الرضا 7: عن العلة التي من أجلها لا تحل المطلقة للعدة لزوجها (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ)، فقال: إن الله تبارك وتعالى إنما أذن في الطلاق مرتين فقال الله ﷻ: (الطَّلِقْ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ) ٤ يعني في التطليقة الثالثة ولدخوله فيما كرهه الله ﷻ له من الطلاق الثالث حرمها عليه (فَلَا تَحِلُّ

١. تفسير العياشي ١/ ٢٣٤، ح ٣٧٦.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٣٥، ح ٣٧٨.

٣. الخصال ٢/ ٤٢١، ح ١٨.

٤. سورة البقرة / ٢٢٩.

لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) لئلا يوقع الناس الاستخفاف بالطلاق ولا يضاروا النساء.^١

الطوسي قال في ذيل قوله تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ) المعنى فيه التطبيقية الثالثة على ما روي عن أبي جعفر ٧. ٢. ورواها الطبرسي في مجمع البيان.^٣

(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَلَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا
آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ
يَعْظُمُكُمْ بِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

تبينت «أحكاماً أخرى في الطلاق، فذكر سبحانه وتعالى أنه يجب معاملة النساء المطلقات معاملة متعارفة، وحسن المعاشرة معهن، وأرشد الإنسان إلى أن مصلحته الائتجار بأوامر الله والانتهاض عن نواهيه، وإلا كان ظالماً لنفسه. ونهاه عن الإضرار والإعتداء. وتوعّد على مَنْ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا، وأمره بالتقوى»^٤.
(و) عاطفة، عطف على قوله: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ)^٥.

١. علل الشرايع / ٥٠٧، ح ٢.

٢. التبيان ٢ / ٢٤٨.

٣. مجمع البيان ٢ / ٣٣٠.

٤. مواهب الرحمن ٤ / ٣٨.

٥. سورة البقرة / ٢٢٨.

(إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) بِأَيِّ دَلِيلٍ كَانَ.

(فَبَلَغْنَ) «البلوغ» كما يستعمل في الوصول إلى الغاية يستعمل أيضًا في الإشراف عليها والاقتراب منها» والدليل عليه الجملة الآتية.

(أَجْلَهُنَّ) أي عدتهن، يعني قبل تماميتها.

(فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) يعني الرجوع إليهن والإبقاء على الزوجية وتعايش معهن بما يستحسنه العقل والشرع.

(أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) أو تركهن على حالهن حتى تنقضي عدتهن مع إعطائهن من حقوقهن من النفقة والمهر من دون إضرارهن في شيء من ذلك.

(وَلَا تُقْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا) «نهي عن الرجوع بقصد الإضرار، أي ولا تراجعوهن تريدون بذلك إضرارهن وإيذاءهن لتعتدوا عليهن بالاستيلاء على أموالهن وغيره، كما كان يفعل في الجاهلية»^١.

(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) بيان حكمة النهي عن الإمساك للضرار من أن من يفعله فقد أوقع نفسه في الغضب الإلهي بمعصيته سبحانه.

(وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا) وعيد وتهديد لمن يتعدى حدود الله في الحقوق الزوجية والاستهزاء بها يتحقق بعدم العمل بها أو التعدي عليها أو الإقتصار على ظواهرها من دون اختلاطها بالأخلاق الفاضلة والمعارف الإلهية.

(وَأَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ) من النعم الإلهية التكوينية أو التشريعية وهي دين الله الذي أنزله على محمد ﷺ وهو الإسلام بما فيه من العقائد الحقة والأحكام الفقهية والأخلاق الفاضلة ومن جملتها نعمة الرحمة والمحبة والألفة والمودة بين الزوجين في حياتهما الزوجية.

١. مواهب الرحمن ٤/ ٣٩.

(وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ) أي (أَذْكُرُوا نِعْمَتَ) إنزال القرآن (عَلَيْكُمْ) وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي لا يحرف.
 (وَالْحِكْمَةَ) وهي العلم بحقائق الأشياء كما هي.
 (يَعْظُمُ بِهِ) أي (يَعْظُمُ) الله بالقرآن.
 (وَاتَّقُوا اللَّهَ) بامتنال أوامره والإنهاء عن نواهيه خصوصاً بالنسبة إلى الأحكام الزوجية والطلاق.

(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) تعليل للأمر بالتقوى لأنه تعالى حاضر مراقب وأن الشاهد هو الحاكم في يوم القيامة كما قال أمير المؤمنين 7: اتقوا معاصي الله في الحَلَوَاتِ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ.^١

الروايات

عن أبي عبد الله 7 قال سألته عن قول الله (وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا) قال: الرجل يُطَلَّقُ حَتَّى إِذَا كَادَتْ أَنْ يَخْلُو أَجْلَهَا رَاجِعَهَا ثُمَّ طَلَّقَهَا ثُمَّ رَاجِعَهَا يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فَنَهَى اللَّهُ عَنْهُ.^٢

رواها الصدوق في الفقيه.^٣

عن زرارة وحران ابني أعين ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر 7 وأبي عبد الله 7، قالوا: سألناهما عن قوله (وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا) فقالا: هو الرجل يطلق المرأة تطليقة واحدة ثم يدعها حتى إذا كان آخر عِدَّتِهَا رَاجِعَهَا ثُمَّ يَطْلُقُهَا أُخْرَى فَيَتْرَكُهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ.^٤

١. نهج البلاغة، الحكمة ٣١٥.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٣٥، ح ٣٨٠.

٣. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٥٠١، ح ٤٧٦١.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢٣٥، ح ٣٧٩.

عن عمرو بن جُمَيْع رفعه إلى أمير المؤمنين 7 أنه قال: مكتوب في التوراة: من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله ساحباً، من أصبح يشكو مصيبةً نزلت به، فقد أصبح يشكو الله، ومن أتى غنياً فتواضع لغناؤه ذهب الله بثُلثي دينه، ومن قرأ القرآن من هذه الأمة ثم دخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً، ومن لم يستشِر يندم، والفقر الموت الأكبر^١.

رواها الرضي في نهج البلاغة ولكن في روايته بعد «آيات الله هزواً» هكذا ورد: «ومن لهج قلبه بحب الدنيا ألتا ط قلبه منها ثلاث: هم لا يُعْبَهُ، وحرص لا يُزَكُّهُ، وأمل لا يُدْرِكُهُ»^٢.

القاضي نعمان المصري رفعه عن علي وجعفر بن محمد 8 أنها قالوا في قول الله تعالى: (وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضَرَارًا لِّتَعْتَدُوا) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ (قالا: هو الرجل يريد أن يطلق امرأته فيطلقها واحدة ثم يدعها حتى إذا كاد أن يخلو أجلها راجعها وليس له بها حاجة ثم يطلبها كذلك ويراجعها حتى إذا كان أجلها أن يخلو ولا حاجة له بها إلا ليطول العدة عليها ويضر في ذلك بها فنهى الله ﷻ عن ذلك^٣.

معتبرة الحسن بن زياد عن أبي عبد الله 7 قال: لا ينبغي للرجل أن يطلق امرأته ثم يراجعها وليس له فيها حاجة ثم يطلقها، فهذا الضرار الذي نهى الله ﷻ عنه، إلا أن يطلق ثم يراجع وهو ينوي الإمساك^٤.

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه عن رسول الله 6 أنه قال: ملعون من ضار مسلماً أو مأكراً^٥.

١. تفسير العياشي ١/ ٢٣٥، ح ٣٨١.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٨.

٣. دعائم الإسلام ٢/ ٢٩٤، ح ١١٠٨.

٤. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٥٠١، ح ٤٧٦٢.

٥. روض الجنان ٣/ ٢٨٢.

(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا
بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكُمْ
أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ﴿٣٣﴾

خطاب لأولياء النساء ومن يجري مجراهم ممن لا يسعهن مخالفتهم والآية نفت
الولاية على المطلقات.

(و) عطف على أول الآية السابقة.

(إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) أي خرجن من عدتهن وبلغن إلى انتهائهن
وكملنهن.

(ف) تفرعية على انتهاء عدتهن.

(لَا تَعْضُلُوهُنَّ) العضل: المنع، أي لا تمنعهن، نهي لأولياء الزوجة ومن يجري
مجراهم عن منعها.

(أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ) أن تنكح زوجها الأول ثانياً بعد انقضاء العدة سخطاً
ولجاً كما يتفق كثيراً، أو أن تنكح مطلق الأزواج الأعم من الزوج السابق (الأول)
وغیره.

«كما أنها تردع عن عادة سيئة كانت في الجاهلية، حيث يتحكم الرجال في
تزويج النساء بمحض إرادتهم فقط، وربما يمنعون من التزويج بعد الطلاق لجأاً
وعناداً، وقد نهى سبحانه وتعالى عن هذه العادة»^١.

(إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ) «يدل على أن للمرأة أن تزوج نفسها بمن ترضى به،

ويرضى بها من غير ولي»^١.

(ذَلِكَ) إشارة إلى ما مرّ من هذا الحكم من نفي الولاية. إفراد الكاف مع اسم الإشارة «التفات» إلى خطاب المفرد عن خطاب الجمع ثمّ التفات عن خطاب المفرد إلى خطاب الجمع، والأصل في هذا الكلام خطاب المجموع أعني خطاب رسول الله ﷺ وأُمَّته جميعاً لكن ربما التفت إلى خطاب الرسول ﷺ وحده في غير جهات الأحكام... ورعاية لحال من هو ركن في هذه المخاطبة وهو رسول الله ﷺ فإنه هو المخاطب بالكلام من غير واسطة، وغيره مخاطب بوساطته، وأمّا الخطابات المشتملة على الأحكام فجميعها موجهة نحو المجموع، ويرجع حقيقة هذا النوع من الالتفات الكلامي إلى توسعة الخطاب بعد توضيحه وتضييقه بعد توسعته فليتدبر فيه»^٢.

(يُوعَظُ) فعل مضارع مبني للمجهول.

(بِهِ) جار ومجرور متعلّق بـ(يُوعَظُ). والجملة (يُوعَظُ بِهِ) خبر (ذَلِكَ).

والضمير عائد إلى هذا الحكم.

(مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أي من كان مؤمناً بالله والمعاد يتقبَّل هذه الأحكام الشرعية الفقهية ويعمَلُ بها طاعةً لله ورجاءً لمثوبته.

ودين الله وهو التوحيد يدعو إلى نبذ كلِّ اختلافٍ وافتراقٍ و«يدعو إلى الاتحاد

دون الافتراق ويقضي بالوصل دون الفصل»^٣.

(ذَلِكَ) إشارة إلى الإلتعاض والعمل بأحكام الله في الحياة الزوجية بعامة

١. التفسير الكاشف ١/ ٣٥٤.

٢. الميزان ٢/ ٢٣٨.

٣. الميزان ٢/ ٢٣٨.

٤٦٢..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثاني

ومعاملة المطلقات بخاصة»^١. «التفات من خطاب المفرد إلى خطاب الجمع لبيان كثرة الإهتمام بالمراد تصريحاً بالتعميم وإعلاماً بالفضل العظيم»^٢.

(أَزَكَّى) من الزكاة وهي النمو الحاصل عن بركة الله وأعم من التنمية المعنوية والجسدية.

(لَكُمُ) أي لكل من (يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) منكم. لأن «الزواج بقصد الإنسانية والتعاون على الخير ينتج النماء والزكاة في الرزق، والطهر في الخلق، والعفة في العرض، والنجاح في النسل، أما إذا ساء القصد والمعشر فعاقبته الفقر والفسق، والبلاء والشقاء في حياة الآباء والأبناء»^٣.

(وَأَطَهَّرُ) من الطهارة. لأن الزواج يوجب طهارة نفس الزوجين من دنس الآثام.

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ) مصالح هذه الأحكام الشرعية.

(وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) هذه المصالح إلا بتعليم من الله تعالى.

الروايات

صحیحة شعيب العقرقوفي عن أبي عبد الله 7 قال: قال رسول الله 6: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد.^٤

معتبرة بل صحیحة عبد الأعلى بن أعین عن أبي عبد الله 7 قال: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْلِسُ مَجْلَسًا يَنْتَقِصُ فِيهِ إِمَامٌ أَوْ يَعَابُ فِيهِ مُؤْمِنٌ.^٥

١. التفسير الكاشف ١/ ٣٥٤.

٢. مواهب الرحمن ٤/ ٤٧.

٣. التفسير الكاشف ١/ ٣٥٥.

٤. الكافي ٢/ ٣٦٤، ح ٢.

٥. الكافي ٢/ ٣٧٧، ح ٩.

ورواها أيضًا في الكافي^١.

خبر ابن القداح عن أبي عبدالله 7 قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقوم مكان ربيبة^٢.

حسنة أبي بكر الحضرمي عن أبي عبدالله 7 قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع أن يقرأ في دبر الفريضة بـ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)^٣ فإنه مَنْ قرأها جمع الله له خير الدنيا والآخرة وغفر له ولوالديه وما ولد^٤.

خبر زرارة عن أبي عبدالله 7 قال: جاءت فاطمة 3 تشكو إلى رسول الله 6 بعض أمرها فاعطاها رسول الله 6 كُرِيسَةً وقال تعلّمي ما فيها فإذا فيها، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت^٥.

معتبرة مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله 7 قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يستعملن أجيرًا حتّى يعلمه ما أجره ومن استأجر أجيرًا ثمّ حبسه عن الجمعة تبوّأ بإثمه وإن هو لم يحبسه إشتراكاً في الأجر^٦.

خبر جراح المدائني عن أبي عبدالله 7 قال: قال رسول الله 6: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يأكل على مائدة يشرب عليها الخمر^٧.

خبر إسحاق بن عبدالعزيز وجميل وزرارة عن أبي عبدالله 7 قال: ممّا علّم

١. الكافي ٢/ ٣٧٨، ح ١١.

٢. الكافي ٢/ ٣٧٧، ح ١٠.

٣. سورة الإخلاص / ١.

٤. الكافي ٢/ ٦٢٢، ح ١١.

٥. الكافي ٢/ ٦٦٧، ح ٦.

٦. الكافي ٥/ ٢٨٩، ح ٤.

٧. الكافي ٦/ ٢٦٨، ح ٢.

رسول الله 6 فاطمة 3 أن قال لها: يا فاطمة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.^١

خبر زرارة عن أبي جعفر 7 قال: مما علّم رسول الله 6 عليًا 7 قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.^٢

معتبرة رفاعه بن موسى عن أبي عبدالله 7 قال: قال رسول الله 6: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحّمّام إلّا بمئزر.^٣

موثقة سماعة عن أبي عبدالله 7 قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرسل حليلته إلى الحّمّام.^٤

معتبرة السكوني عن أبي عبدالله 7 قال: قال رسول الله 6: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك عانته فوق أربعين يومًا ولا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تدع ذلك منها فوق عشرين يومًا.^٥

صحيحة زرارة قال: قال أبو جعفر 7: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبيتن إلّا بوتر.^٦

١. الكافي ٦/٢٨٥، ح ١.

٢. الكافي ٦/٢٨٥، ح ٢.

٣. الكافي ٦/٤٩٧، ح ٣.

٤. الكافي ٦/٥٠٢، ح ٣٠.

٥. الكافي ٦/٥٠٦، ح ١١.

٦. التهذيب ٢/٣٤١، ح ٢٦٨.

(﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۚ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۚ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾)

بيان بعض أحكام الأولاد.

(و) استثنائية. (الْوَالِدَاتُ) من المطلقات والزوجات، مبتدأ.
(يُرْضِعْنَ) فعل مضارع مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة، ونون النسوة ضمير متصل فاعل. خبر. الرضع: مصّ الثدي لشرب اللبن منه.
(أَوْلَدَهُنَّ) مفعول به. (حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) أي أربعة وعشرون شهراً.
(لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ) «دلالة على أن الحضانة والإرضاع حق للوالدة المطلقة موكل إلى اختيارها، والبلوغ إلى آخر المدة أيضاً من حقها فإن شاءت إرضاعه حولين كاملين فلها ذلك وإن لم تشأ التكميل فلها ذلك، وأمّا الزوج فليس له في ذلك حق إلا إذا وافقت عليه الزوجة بتراض منهما»^١.

(وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ) وعلى الأب.

(رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) أي يجب على الأب إطعام أم الولد وكسوتها مادامت في الرضاعة إذا كانت مرضعة على نحو المتعارف من حالها.

(لَا تُكَلِّفُ) فعل مضارع منفي مبني للمجهول. (نَفْسٌ) نائب فاعله.
(إِلَّا) أداة حضر.

(وُسَعَهَا) مفعول به والضمير عائد إلى (نَفْسٌ). يعني (لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا) ما
تَسَع قدرتها وتقدر على تحمله، تعليل عام يشمل جميع التكاليف الإلهية.
(لَا تُضَارُّ) فعل نهي، المضارّة: الضرار من الجانبين.
(وَلَدَةٌ يُولَدُهَا) من أخذ الولد منها وإرضاع الأجنبية له أو ترك وطئها لأجل
رضاعها.

(وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُ) يعني أن تمنع الزوجة عن رؤية الزوج ولده أو أن تمنع
من وطئها لأجل الرضاع.
(وَعَلَى الْوَارِثِ) أي (عَلَى) وارث الأب.
(مِثْلُ ذَلِكَ) أي (مِثْلُ) ما على الأب من الرزق والكسوة وهما النفقة
للمرضعة الأم.

(فَ) تفريع على الحكم بإرضاع الولد وحق المجعول للزوجة.
(إِنْ أَرَادَا) الوالدة والوالد.
(فَصَالًا) الفصال: الفطام وهو فصل الصبي على الرضاع.
(عَنْ تَرَضُّ مِثْلَهَا) فمن الجائز أن يتراضيا على فصال الولد من غير جناح
عليهما، لأن الرضاع والحضانة من حق الأم ولم يكن واجباً عليها.
(وَتَشَاوُرٍ) معطوف على (عَنْ تَرَضُّ مِثْلَهَا)، التشاور: استخراج الرأي بمراجعة
البعض مع البعض في لحاظ مصلحة الطفل.
(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) في الفصال، الجناح: الميل عن الاستقامة.
(وَإِنْ أَرَدْتُمْ) (إِنْ) أراد الوالد. (أَنْ تَسْرَضُوا أَوْلَادَكُمْ) من غير أم الولد.
(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) في هذا الإسترضاع.

(إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً تَيْتَمٌ) إِلَى الْأُمِّ مَا تَسْتَحِقُّهَا تَسْلِيمًا إِلَيْهَا.
(بِالْعُرُوفِ) أَي عَلَى نَحْوِ الْمَتَعَارِفِ وَبِحَيْثُ لَا يَزَاحِمُ فِي هَذَا الْإِسْتِرْضَاعِ حَقَّ
الْأُمِّ.

(وَأَتَّقُوا اللَّهَ) فِي مِرَاعَاةِ أَحْكَامِ الْأَوْلَادِ.
(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أَي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُكُمْ وَنِيَّاتُكُمْ «وَيَسْتَفَادُ
مِنْهُ الْحُضُورُ الْعِلْمِي فِي الْجَزْئِيَّاتِ فَضْلًا عَنِ الْكُلِّيَّاتِ»^١.

الروايات

صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله 7 قال الحبل المطلق ينفق عليها حتى تضع
حملها وهي أحق بولدها أن ترضعه بما تقبله امرأة أخرى إن الله ﷻ يقول (لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ
بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ^٢ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) قال كانت المرأة ممن ترفع يدها إلى
زوجها إذا أراد مجامعتها فتقول لا أدعك لآتي أخاف أن أحمل على ولدي ويقول
الرجل لا أجامعك إنني أخاف أن تعلقني فأقتل ولدي فنهى الله ﷻ أن تضار المرأة
الرجل وأن يضار الرجل المرأة وأما قوله وعلى الوارث مثل ذلك فانه نهى أن يضار
بالصبي أو يضار أمه في رضاعه وليس لها أن تأخذ في رضاعه فوق حولين كاملين وإن
أرادا فصلا عن تراض منهما قبل ذلك كان حسنا والفصال هو الفطام.^٣

ورواها العياشي في تفسيره.^٣

صحيحة أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله 7 قال: سألته عن قول الله ﷻ (لَا
تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ) فقال: كانت المراضع مما يدفع إحداهن الرجل
إذا أراد الجماع تقول لا أدعك إنني أخاف أن أحبل فأقتل ولدي هذا الذي أرضعه وكان

١. مواهب الرحمن ٤ / ٦١.

٢. الكافي ٦ / ١٠٣، ح ٣.

٣. تفسير العياشي ١ / ٢٣٦، ح ٣٨٤ و ١ / ٢٣٧، ح ٣٨٧.

الرجل تدعوه المرأة فيقول أخاف أن أجامعك فأقتل ولدي فيدعها ولا يجامعها فنهى الله ﷺ عن ذلك أن يضار الرجل المرأة الرجل.^١

ورواها الشيخ في التهذيب^٢ ورواها القمي بسنده الصحيح في تفسيره^٣.

صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله 7 نحوه [وزاد] وأما قوله (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) فإنه نهى أن يضار بالصبي أو يضار أمه في رضاعه وليس لها أن تأخذ في رضاعه فوق حولين كاملين فان أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور قبل ذلك كان حسنا والفصال هو الفطام.^٤

ورواها في الفقيه^٥.

معتبرة بل صحيحة داود بن الحصين عن أبي عبد الله 7 قال: (وَالْوَالِدَتُ يُرَضَّعُ) قال: ما دام الولد في الرضاع فهو بين الأبوين بالسوية فإذا فطم فالأب أحق به من الأم فإذا مات الأب فالأم أحق به من العصبية فإن وجد الأب من يرضعه بأربعة دراهم وقالت الأم لا أرضعه إلا بخمسة دراهم فإن له أن ينزعه منها إلا أن ذلك خير له وأرفق به أن يترك مع أمه.^٦

ورواها بسنده الصحيح في الفقيه^٧ والشيخ في التهذيب^٨ والإستبصار^٩ والعياشي في

١. الكافي ٦/٤١، ح ٦.

٢. التهذيب ٧/٤١٨ و ٨/١٠٧.

٣. تفسير القمي ١/٧٦.

٤. الكافي ٦/٤١، ذيل ح ٦.

٥. من لا يحضره الفقيه ٣/٥١٠، ح ٤٧٤٨.

٦. الكافي ٦/٤٥، ح ٤.

٧. من لا يحضره الفقيه ٣/٤٣٤، ح ٤٥٠١.

٨. التهذيب ٨/١٠٤.

٩. الإستبصار ٣/٣٢٠.

تفسيره^١.

خبر حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله 7 يقول: لا رضاع بعد فطام، قال: قلت: جعلتُ فداك وما الفطام؟ قال: الحولان اللذان قال الله ﷻ^٢.
إشارة إلى هذه الآية الشريفة.

عن محمد بن مسلم عن أحدهما قال: سألته عن قوله (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) قال: هو في النفقة على الوارث مثل ما على الوالد.

عن جميل عن سورة عن أبي جعفر 7 مثله^٣.

عن أبي الصباح قال: سئل أبو عبد الله 7 عن قول الله (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) قال: لا ينبغي للوارث أن يضار المرأة فيقول: لا أدع ولدها يأتيها ويضار ولدها إن كان لهم عنده شيء ولا ينبغي له أن يُقَرَّ عليه^٤.

عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله 7 عن قول الله (لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ) قال: الجماع^٥.

القاضي نعمان المصري رفعه عن علي 7 أنه قال في قول الله ﷻ (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) الآية قال نهى الله ﷻ أن يضار بالصبي أو يضار بأمه في رضاعه وليس لها أن تأخذ في رضاعه فوق حولين كاملين فإن أرادا فصلا عن تراض منهما كما قال الله ﷻ كان ذلك إليهما والفصال الفطام ولا ينبغي للوارث أن يضار المرأة فيقول لا أدع ولدها يأتيها قال أبو جعفر في قول الله ﷻ وعلى الوارث مثل ذلك قال هو في النفقة^٦.

١. تفسير العياشي ١/ ٢٣٦، ح ٣٨٢.

٢. الكافي ٥/ ٤٤٣، ح ٣.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢٣٦، ح ٣٨٥.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢٣٧، ح ٣٨٦.

٥. تفسير العياشي ١/ ٢٣٦، ح ٣٨٤.

٦. دعائم الإسلام ٢/ ٢٩٠، ح ١٠٩١.

القاضي نعمان المصري رفعه عن علي 7 أنه قال: في قول الله ﷻ (لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۖ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) قال 7: علي وارث الصبي الذي يرثه إذا مات أبوه ما على أبيه من نفقته ورضاعه.^١

قال القاضي نعمان المصري ورووا أن عمر أراد أن يحد امرأة جاءت بولد لسته أشهر فقال له علي 7 الولد يلحق بزوجها وليس عليها حد قال له ومن أين قلت ذلك يا أبا الحسن قال: من كتاب الله ﷻ قال الله ﷻ (وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)^٢ وقال تعالى (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) فصار أقل الحمل ستة أشهر فأمر عمر بالمرأة أن يخلى سبيلها والحق الولد بأبيه وقال لو لا علي لهلك عمر فلم يعدوا أيضًا هذا عليه بل رأوه من فضله. وأراد أن يرحم حاملا فقال له علي فما سبيلك على ما في بطنها فرجع عن رجمها وقال قوم منهم معاذ له هذا فقال أيضًا لو لا معاذ لهلك عمر ولو كان مثل هذا من صاحب شرطة لقاموا على من أقامه لذلك حتى يعزلوه فكيف من جلس مجلس رسول الله 6 وادعى إمامة المسلمين يجهل مثل هذا ويقر بجهله فيعد له ذلك من التواضع والفضل وللتواضع موضع يحمد أهله فيه ولو تتبعنا ما جاء من مثل هذا من أئمتهم لخرج عن هذا الكتاب. وقد اجتمع الناس على عثمان وفيهم المهاجرون والأنصار وذكروا من أحداثه ما يطول ذكره فلم يروا ذلك شيئاً وهو عندهم إمام مأخوذ قوله. ويأخذون عن معاوية وهو عند أكثرهم على ضلال ومن أهل البغي وكذلك يأخذون عن مروان بن الحكم وعمر بن العاص ومن هو في مثل حالهما ويحتجون في ذلك بان رسول الله 6 فيما زعموا قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وإنما قال رسول الله 6 الأئمة من أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم

١. دعائم الإسلام ٢/٢٥٦، ح ٩٧٥.

٢. سورة الأحقاف / ١٥.

اهتديتم ولو كان كما قالت العامة أصحابي وهم كل من رآه وصحبه كما زعموا لكان هذا القول يبيح قتلهم أجمعين لأنهم قد تجاوزوا بعده واختلفوا وقتل بعضهم بعضا ولو أن مقتديا اقتدى بواحد منهم لحل له قتل الطائفة التي قاتلها علي على قولهم ثم يبدو له فيقتدي بآخر من الطائفة الأخرى فيحل له قتل الطائفة الأولى والطائفة التي هو فيها ولن يأمر الله تعالى ولا رسوله ﷺ بالإقتداء بقوم مختلفين لا يعلم المأمور بالإقتداء بهم من يقتدي به منهم وهذا قول بين الفساد ظاهر فساده يغني عن الإحتجاج على قائله. وأمر الفتيا بعد ذلك عندهم مقصور على أبي حنيفة ومالك والشافعي وهؤلاء أكابر من أخذوا عنه ومن بسط لهم الكتب ودون الدواوين واحتج على من خالفه من القائلين. فأما أبو حنيفة فروى عنه أصحابه أبو يوسف القاضي يعقوب بن إبراهيم والحسن بن زياد اللؤلؤي وهما من أجل من أخذ عنه عند العامة قالوا قال أبو حنيفة علمنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه عنه. وأما مالك فروى عنه صاحبه اشهب بن عبدالعزيز وهو من أجل أصحابه عندهم قال كنت عند مالك يوما فسئل عن البتة فقال هي ثلاث فأخذت ألواحي لأكتب عنه فقال ما تصنع قلت أكتب ما قلت قال لا تفعل فعسى أني أقول بالعشي أنها واحدة. وأما الشافعي فروى عنه أصحابه أنه نهى عن تقليده وتقليد أمثاله عن أهل الفتيا.^١

ورواها العلامة الحلي في كشف اليقين.^٢

الصدوق بإسناده إلى الرضا ^٧ عن آبائه : عن رسول الله ﷺ ^٦ أنه قال: ليس للصبي لبنٌ خير من لبن أمه.^٣

١. دعائم الإسلام ١/ ٨٦.

٢. كشف اليقين / ٦٢.

٣. عيون أخبار الرضا ٧ / ٢٤، ح ٦٩.

قال المفيد: وروي عن يونس عن الحسن أن عمر أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمعها فقال له أمير المؤمنين 7 إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله عز اسمه يقول (وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) ١ ويقول تعالى (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ) فإذا تمت المرأة الرضاعة سنتين وكان (حَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) كان الحمل منها ستة أشهر فحلى عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك يعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ عنه إلى يومنا هذا. ٢

ورواها ابن شهر آشوب في المناقب. ٣

الشيخ الطوسي قال: وعن أبي جعفر 7 وأبي عبد الله 7: [في معنى قوله تعالى: (لَا تُضَارَّ وَلِدَةٌ بِوَلَدِهَا)] أي لا يترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع، (وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ) يعني لا تمتنع نفسها من الأب خوف الحمل فيضر ذلك بالأب. ٤

رواها الطبرسي في مجمع البيان. ٥

الشيخ الطوسي قال: قد روي في أخبارنا: أن على الوارث كائناً من كان النفقة. ٦

رواها في مجمع البيان. ٧

الشيخ الطوسي قال: في الآية دلالة على أن الولادة لستة أشهر تصح، لأنه إذا ضم إلى الحولين كان ثلاثين شهراً، وروي عن علي 7 وابن عباس ذلك. ٨

١. سورة الأحقاف / ١٥.

٢. الإرشاد ١ / ٢٠٦.

٣. المناقب ٢ / ٣٧١.

٤. التبيان ٢ / ٢٥٨.

٥. مجمع البيان ٢ / ٣٣٥.

٦. التبيان ٢ / ٢٥٩.

٧. مجمع البيان ٢ / ٣٣٥.

٨. التبيان ٢ / ٢٦٠.

قال ابن شهر آشوب: كان الهيثم في جيش فلما جاءت امرأته بعد قدومه بستة أشهر بولد فانكر ذلك منها وجاء به عمر وقص عليه فأمر برجمها فأدركها عليٌّ من قبل أن ترجم ثم قال لعمر: أربع على نفسك أتتها صدقت إن الله تعالى يقول: (وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) ^١ وقال: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) فالحمل والرضاع (ثَلَاثُونَ شَهْرًا) فقال عمر: لو لا علي لهلك عمر وخلي سبيلها وألحق الولد بالرجل. ^٢

رواها ابن طاوس في الطرائف. ^٣

خبر المقتبس بن عبدالرحمن عن أبيه عن جده قال: كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ مع عمر بن الخطاب فأرسله في جيش فغاب ستة أشهر ثم قدم وكان مع أهله ستة أشهر فعلمت منه فجاءت بولد لسته أشهر فانكره فجاء بها إلى عمر فقال يا أمير المؤمنين كنت في البعث الذي وجهتني فيه وتعلم أنني قدمت منذ ستة أشهر وكنت مع أهلي وقد جاءت بغلام وهو ذا وتزعم أنه مني فقال لها عمر ما ذا تقولين أيتها المرأة فقالت والله ما غشيني رجل غيره وما فجرت وإنه لابنه وكان اسم الرجل الهيثم فقال لها عمر أحق ما يقول زوجك قالت قد صدق يا أمير المؤمنين فأمر بها عمر أن ترجم فحفر لها حفيره ثم أدخلها فيه فبلغ ذلك عليا ^٧ فجاء مسرعا حتى أدركها وأخذ بيديها فسلها من الحفيرة ثم قال لعمر أربع على نفسك إتتها قد صدقت إن الله ﷻ يقول في كتابه (حَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) ^٤ فقال في الرضاع (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) فالحمل والرضاع ثلاثون شهرا وهذا الحسين ولد لسته أشهر فعندها

١. سورة الأحقاف / ١٥.

٢. المناقب ٢ / ٣٦٥.

٣. الطرائف ٢ / ٥١٦.

٤. سورة الأحقاف / ١٥.

قال عمر لو لا علي لهلك عمر.^١

قال الإربلي: أن عمر اتي بامرأة وضعت لسته أشهر فهمم برجمها فبلغ ذلك عليا فقال ليس لك عليها رجم فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه يسأله فقال علي (وَأَلْوَلِدَتْ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) وقال وحمله وفصاله ثلاثون شهرا فسته أشهر حملة وحولان تمام الرضاعة لاحد عليها وإن شئت لا رجم عليها قال فخلي عنها.^٢

(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا^٣
فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ

بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

بيان عدّة الوفاة وأنها أربعة أشهر وعشرًا سواء كانت الزوجة مدخولًا بها أو غير مدخول فإن كانت حُبلى فعدتها أبعد الأجلين من وضع الحمل أو مضي الأربعة أشهر وعشرة أيام.

(و) عطف على قوله: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ)^٣.
(الَّذِينَ) مبتدأ.

(يُتَوَفَّوْنَ) فعل مضارع مبني للمجهول، التوفي: الإماتة، الوفاة: هي تمام مدّة

١. تأويل الآيات الباهرة ٢/ ٥٨١، ح ٦.

٢. كشف الغمة ١/ ١١٨.

٣. سورة البقرة / ٢٢٨.

الحياة. ومادة «وفي» تأتي بمعنى التمام والإتمام. التوفي: أخذ الشيء كاملاً وافياً، ومن مات فقد استوفى عمره.

(مِنْكُمْ) «من» حرف جر بياني والضمير عائد إلى المسلمين، جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من (الَّذِينَ) تقديره: حال كونهم (مِنْكُمْ).

(و) عاطفة. (يَذْرُونَ) فعل مضارع وفاعله. أي يتركون. (أَزْوَاجًا) مفعول به. زوجات.

(يَتَرَبَّصْنَ) فعل مضارع وفاعله. خبر (الَّذِينَ). التربص: الانتظار. (بأنفسهن) جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ(يَتَرَبَّصْنَ)، أي حبس (أنفسهن) من الإزدواج والزينة وغيرهما.

(أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) مفعول به أو ظرف زمان ومضاف إليه. (وَعَشْرًا) معطوف على (أَرْبَعَةَ)، أي عشرة أيام حذفت لدلالة الكلام عليه. (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) أي إذا أتممن عدتهن.

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) لا سبيل لأحد عليهنّ ولهنّ الاختيار فلا إثم عليهنّ. (فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ) في أن يخترن الأزواج. وما فعلن من استعمال الزينة والخروج من البيت والتعرض للخطبة والازدواج فإنّ جميع ذلك جائز لهنّ بعد انقضاء العدة.

(بِالْمَعْرُوفِ) فإنّ لهنّ حقاً في ذلك معروفاً في الشرع وليس لأحد من قرابة الميت أن ينهي عن المعروف استناداً إلى بعض العادات المبنية على الجهالة والعمى أو الشح والحسد.

(وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) عليم بالأعمال رقيب عليها وهو مطلع عليكم اطلاع ذي الخبرة بالنسبة إلى ما يكون خبيراً فيه.

الروايات

خبر محمد بن سليمان عن أبي جعفر الثاني 7 قال: قلت له جعلت فداك كيف صارت عدة المطلقة ثلاث حيض أو ثلاثة أشهر وصارت عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا فقال أما عدة المطلقة ثلاثة قروء فلاستبراء الرحمن من الولد وأما عدة المتوفى عنها زوجها فإن الله ﷻ شرط للنساء شرطا وشرط عليهن شرطا فلم يجابهن فيما شرط لهن ولم يجز فيما اشترط عليهن شرطا لهن في الايلاء أربعة أشهر إذ يقول الله ﷻ (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ) ١ فلم يجوز لأحد أكثر من أربعة أشهر في الايلاء لعلمه تبارك وتعالى أنه غاية صبر المرأة من الرجل وأما ما شرط عليهن فإنه أمرها أن تعتد إذا مات عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا فأخذ منها له عند موته ما أخذ لها منه في حياته عند ايلائه قال الله تبارك وتعالى (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) ولم يذكر العشرة الأيام في العدة إلا مع الأربعة أشهر وعلم أن غاية صبر المرأة الأربعة أشهر في ترك الجماع فمن ثم أوجب عليها ولها ٢.

رواها البرقي في المحاسن ٣ والصدوق في علل الشرايع ٤.

معتبرة محمد بن مسلم قال: جات امرأة إلى أبي عبد الله تستفتيه في المبيت في غير بيتها وقد مات زوجها، فقال: إن أهل الجاهلية كان إذا مات زوج المرأة أحدثت عليه امرأته ٥ اثني عشر شهرا فلما بعث الله محمدا 6 رحم ضعفهن فجعل عدتهن أربعة

١. سورة البقرة / ٢٢٦.

٢. الكافي ٦ / ١١٣، ح ١.

٣. المحاسن ٢ / ٣٠٢.

٤. علل الشرايع / ٥٠٧.

٥. أحدثت المرأة: امتناعها عن الزينة والخضاب بعد وفاة زوجها.

أشهر وعشرًا وأنتن لا تصبرن على هذا.^١

صحيحة أبي بصير عن أبي عبدالله 7 قال: سألته عن المرأة يتوفى عنها زوجها وتكون في عدتها أخرج في حق؟ فقال: إن بعض نساء النبي سألته فقالت: إن فلانة توفى عنها زوجها فتخرج في حق ينوبها؟ فقال لها رسول الله 6: أف لكن قد كنتن من قبل أن أبعث فيكن وأن المرأة منكن إذا توفي عنها زوجها أخذت بصرّة^٢ فرمت بها خلف ظهرها ثم قالت: لا امتشط ولا أكتحل ولا أختضب حولًا كاملاً، وإنما أمرتكن بأربعة أشهر وعشرًا ثم لا تصبرن، لا تمتشط ولا تكتحل ولا تختضب ولا تخرج من بيتها نهارًا ولا تبيت عن بيتها، فقالت: يا رسول الله فيكيف تصنع إن عرض لها حق؟ فقال تخرج بعد زوال الليل وترجع عند المساء فتكون لم تبت عن بيتها، قلت له: فتحج؟ قال: نعم.^٣

معتبرة زرارة عن أبي جعفر 7 قال: إن مات عنها زوجها - يعني وهو غائب - فقامت البينة على موته فعدتها من يوم يأتيها الخبر أربعة أشهر وعشرًا لأن عليها أن تحدد عليه في الموت أربعة أشهر وعشرًا فتمسك عن الكحل والطيب والإصباغ.^٤

صحيحة الحلبي عن أبي عبدالله 7 قال: إن لم يكن قد دخل بها وقد فرض لها مهرًا فلها نصف ما فرض لها ولها الميراث وعليها العدة.^٥

عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبدالله 7 قال لما نزلت هذه الآية (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) جئن النساء يخاصمن

١. الكافي ٦/١١٧، ح ١٠.

٢. البصرّة: رجميع ذوات الخُفّ والظلف جمعه بَعَرَات، والظاهر أنها كناية عن الإعراض عن الزوج.

٣. الكافي ٦/١١٧، ح ١٣.

٤. الكافي ٦/١١٢، ح ٦.

٥. الكافي ٦/١١٨، ح ٤.

رسول الله ﷺ وقلن لا نصبر، فقال لهن رسول الله ﷺ كانت إحداكن إذا مات زوجها أخذت بعة فآلقتها خلفها في دويرها في خدرها ثم قعدت، فإذا كان مثل ذلك اليوم من الحول أخذتها ففتتها ثم اكتحلت بها ثم تزوجت فوضع الله عنكن ثمانية أشهر.^١

عن معاوية قال: سألته عن قول الله (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ)^٢ قال: منسوخة نسختها آية (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) ونسختها آية الميراث.^٣

عن أبي بصير عن أبي جعفر ^٧ قال: سألته عن قوله (مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ)^٤ قال منسوخة نسختها (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) ونسختها آية الميراث.^٥

عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله ^٧ قال: سمعته يقول: في امرأة تُتَوَفَّى عنها زوجها لم يمسها. قال: لا تنكح حتى تعتد أربعة أشهر وعشراً عدّه المتوفى عنها زوجها.^٦

علي بن الحسين المرتضى في رسالة المحكم والمتشابه نقلا من تفسير النعماني بإسناده عن علي ^٧ في بيان الناسخ والمنسوخ قال ومن ذلك أنّ العدة كانت في الجاهلية على المرأة سنة كاملة وكان إذا مات الرجل ألقت المرأة خلف ظهرها شيئا

١. تفسير العياشي ١/ ٢٣٧، ح ٣٨٨.

٢. سورة البقرة / ٢٤٠.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢٤٧، ح ٤٢٨.

٤. سورة البقرة / ٢٤٠.

٥. تفسير العياشي ١/ ٢٣٨، ح ٣٩٠.

٦. تفسير العياشي ١/ ٢٣٨، ح ٣٨٩.

بعرة أو ما يجري مجراها وقالت البعل أهون علي من هذه ولا أكتحل ولا أمتشط ولا
أطيب ولا أتزوج سنة فكانوا لا يخرجونها من بيتها بل يجرون عليها من تركة زوجها
سنة فأنزل الله في أول الإسلام (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ
مَّتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ) ^١ فلما قوي الإسلام أنزل الله تعالى (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ
وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) إلى
آخر الآية. ^٢

قال الشيخ الطوسي: هذه الآية ناسخة لقوله (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ
أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ) ^٣ وإن كانت مقدمة عليه في التلاوة
وعدة كل متوفى عنها زوجها: أربعة أشهر وعشراً، سواء كانت مدخولاً بها أو غير
مدخول، حرة كانت أو أمة، فإن كانت حبلٍ فعدتها أبعد الأجلين من وضع الحمل أو
مضي الأربعة أشهر وعشرة أيام وهو المروي عن علي ^٤. ٧.
رواها أبو الفتوح الرازي في روض الجنان. ^٥

١. سورة البقرة / ٢٤٠.

٢. رسالة المحكم والمتشابه / ٩؛ ونقل عنه في وسائل الشيعة ٢٢/ ٢٣٧، ح ٤؛ وبحار الأنوار
١٠١/ ١٩١.

٣. سورة البقرة / ٢٤٠.

٤. التبيان ٢/ ٢٦١.

٥. روض الجنان ٣/ ٢٩٧.

(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلَّمَ اللَّهُ أَنْكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي

أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٦٥﴾

بيان بعض أحكام العدة وما يحفظ به نظام الأسرة وحقوق الزوجية.
(و) عاطفة. عطف على قوله: (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) في الآية السابقة.

(لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) أي (لَا) إثم (عَلَيْكُمْ).

(فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ) «التعريض هو الميل بالكلام إلى جانب ليفهم المخاطب أمراً مقصوداً للمتكلم لا يريد التصريح به، من العرض بمعنى الجانب فهو خلاف التصريح»^١ والفرق بين التعريض والكناية والأول عام يشمل غير ما عرّض به نحو قولك للمرأة: «أريد التزويج وأحب امرأة من حالها ومن أمرها وشأنها فيذكر بعض الصفة التي هي عليها»^٢. والثاني لا يقصد فيه غير المكنى عنه نحو قولك لها: سَعَدَ مَنْ تَزَوَّجَ بِكَ.

(مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ) الخطبة: طلب المرأة للنكاح.

(أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ) الإكنان من الكن: وهو ما يحفظ به الشيء، تقول:

كنت الشيء: إذا سترته. أكنه كُنَّا إذا أضمرته لأنك سترته في نفسك.

١. الميزان ٢/ ٢٤٣.

٢. التبيان ٢/ ٢٦٥.

ومعنى هذه الفقرة: «أو يخفي في نفسه الرغبة في الزواج بها ولا يظهرها إلا بعد انتهاء العدة»^١.

(عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ) تعليل لنفي الجناح عن الخطبة والتعريض أو الإكناح في النفس من أن ذكركم إياهن أمر تقتضي به غريزتك الفطرية ولا ينهى الله عنه لأنه الشريعة مبني على أساس الفطرة والدين الإسلامي دين فطري. (وَلَيْكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا) أي (لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ) على الزواج أو الجماع (سِرًّا). والسر في مقابل الجهر أو الإعلان.

(إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا) «أي (إِلَّا) أن يكون ما وعدتموهن في السر موافقاً للمعروف والحياء والحشمة والأدب بحيث لو كان ذلك في العلن لما كان فيه عيب ولا يستحي منه»^٢.

(وَلَا تَعَزِّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ) لا تثبتوا ولا توقعوا ولا تجروا عقد النكاح بحيث يترتب عليه الأثر.

(حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ): حتى تنقضي مدة العدة، «فمن أوجد العقد عليها في العدة مع العلم بها يكون العقد باطلاً وتحرم عليه المرأة أبداً كما فصل في السنة المقدسة»^٣.

(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ) تأكيد في الترغيب والتخدير عن مخالفة أحكام الله بأحاطته الفعلية بضمائر القلوب وسرائرها لأنه عالم بالسرائر والضمائر والبواطن.

١. مواهب الرحمن ٤ / ٧٢.

٢. مواهب الرحمن ٤ / ٧٣.

٣. مواهب الرحمن ٤ / ٧٤.

(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) ترغيب في التوبة والرجوع إليه تعالى وأنه لا يعجل في عقوبة العصاة.

الروايات

صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله 7 قال: سألت عن قول الله ﷻ (وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا) قال: هو الرجل يقول للمرأة قبل أن تنقضي عدتها أو اعدك بيت آل فلان ليعرض لها بالخطبة ويعني بقوله (إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا) التعريض بالخطبة (وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) ١.

خبر أبي حمزة قال سألت أبا الحسن 7 عن قول الله ﷻ (وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا) قال: يقول الرجل أو اعدك بيت آل فلان يعرض لها بالرفث ويرفث يقول الله ﷻ (أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا) والقول المعروف التعريض بالخطبة على وجهها وحلها (وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) ٢.

رواها الشيخ في التهذيب ٣.

صحيحة عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله 7 عن قول الله ﷻ (وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا) وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ) فقال: السر أن يقول الرجل موعدك بيت آل فلان ثم يطلب إليها أن لا تسبقه بنفسها إذا انقضت عدتها قلت فقوله (إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا) هو طلب الحلال في غير أن يعزم عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ٤.

١. الكافي ٥/٤٣٤، ح ١.

٢. الكافي ٥/٤٣٥، ح ٣.

٣. التهذيب ٧/٤٧١، ح ٩٤.

٤. الكافي ٥/٤٣٤، ح ٢.

رواها العياشي في تفسيره.^١

صحيحة عبدالرحمن بن أبي عبدالله عن أبي عبدالله 7 في قول الله ﷻ: (إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا) قال: يلقتها فيقول إني فيك لراغب وإني للنساء لمكرم فلا تسبقيني بنفسك والسر لا يخلو معها حيث وعداها.^٢

عن أبي بصير عن أبي عبدالله 7 (لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا) قال: هو الرجل يقول للمرأة قبل أن تنقضي عدتها: أوعِدك بيت آل فلان لترفت ويرفت معها.^٣
عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله 7 قول الله (أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا) قال: يقول الرجل للمرأة وهي في عدتها يا هذه ما أحب إلى ما أسرك، ولو قد مضى عدتك لا تفويتني إن شاء الله فلا تسبقيني بنفسك، وهذا كله من غير أن يعزموا عقدة النكاح.^٤

عن أبي بصير عن أبي عبدالله 7 في قول الله (وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا) قال المرأة في عدتها تقول لها قولاً جميلاً ترغبها في نفسك، ولا تقول إني أصنع كذا وأصنع كذا القبيح من الأمر في البضع وكل أمر قبيح.^٥
عن رفاعه عنه 7 (قَوْلًا مَّعْرُوفًا) قال: تقول خيراً.^٦

القاضي نعمان المصري رفعه عن جعفر بن محمد 7 أنه قال في قول الله ﷻ (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ) إلى قوله (أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا)

١. تفسير العياشي ١/٢٣٩، ح ٣٩٢ و ٣٩٥.

٢. الكافي ٥/٤٣٥، ح ٤.

٣. تفسير العياشي ١/٢٣٩، ح ٣٩٤.

٤. تفسير العياشي ١/٢٤٠، ح ٣٩٧.

٥. تفسير العياشي ١/٢٤٠، ح ٣٩٦.

٦. تفسير العياشي ١/٢٣٩، ح ٣٩٣.

فقال 7: لا ينبغي للرجل أن يخطب المرأة في عدتها.^١

الثعلبي قال: روي ابن المبارك عن عبدالرحمن بن سليمان عن خالته أن سكينه بنت حنظلة قالت: دخل عليّ أبو جعفر محمد بن علي وأنا في عدتي فقال: يا بنت حنظلة، أنا من قد علمت من قرابتي من رسول الله ﷺ وحق جدّي عليّ وقدمه في الإسلام، فقالت: غفر الله لك يا أبا جعفر، أخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنك؟ فقال: أو لقد فعلت إنما أجزتك بقرابتي من رسول الله ﷺ وموضعي، قد دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة وتوفي عنها زوجها، فلم يزل رسول الله ﷺ يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصور في يده من شدة تحامله على يده فما كانت تلك خطبة.^٢

رواها الشيخ أبو الفتوح الرازي في روض الجنان.^٣

صحيحة زرارة قال: سألت أبا جعفر 7 ما عدّة المتعة إذا مات عنها الذي تمتع بها؟ قال: أربعة أشهر وعشرًا، قال: ثم قال: يا زرارة كل النكاح إذا مات الزوج فعلى المرأة حرّة كانت أو أمة، أو على أيّ وجه كان النكاح منه متعة أو تزويجًا أو ملك يمين فالعدة أربعة أشهر وعشرًا، وعدة المطلقة ثلاثة أشهر، والأمة المطلقة عليها نصف ما على الحرّة، وكذلك المتعة عليها مثل ما على الأمة.^٤

١. دعائم الإسلام ٢/٢٠٣، ح ٧٤٤.

٢. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي ٢/١٨٦.

٣. روض الجنان ٣/٣٠٠.

٤. التهذيب ٨/١٥٧، ح ١٤٤.

(لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً
وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ) ﴿٢٣٦﴾

بيان حكم الطلاق قبل الدخول بالزوجة «فذكر ما يجب على الزوج في هذه الحالة من العطاء إلى الزوجة المطلقة إن لم يفرض لها مهرًا معينًا وطلقها قبل المس والمباشرة، ولهذه العطية أثرها النفسي في المرأة التي انفصلت عنها عقدة الحياة الزوجية وذقت ألم الفراق ومرارة العتاب، كما حفظ تعالى استطاعة الزوج فيها، فعلى الغني بقدر غناه، وعلى الفقير حسب ما يستطيع»^١.

(لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) أي لا مانع ولا إشكال.

(إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ) من أزواجكم.

(مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ) المس: اللمس وهو هنا كناية عن الواقعة والمباشرة الجنسية.

(أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً) الفريضة هنا الصداق والمهر وبفرضها: تسمية المهر والصداق.

يعني: عدم الجماع مع الزوجة وعدم الدخول بها، أو عدم ذكر المهر لها لا يمنع عن صحة الطلاق.

(وَمَتَّعُوهُنَّ) التمتع: إعطاء المتعة، والمتعة والمتاع: ما يُتَمَتَّعُ به أي يُتَمَتَّعُ به.

(عَلَى الْمَوْسِعِ) أي من كان على سعة من المال.

(قَدَرُهُ) يعني على قدر امكانياته وطاقته.

(وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ) أي من كان على ضيق المعاش والماديات وقلة النفقات على قدر طاقته ووسعه.

(مَتْنًا) مفعول مطلق قوله: (مَتَّعُوهُنَّ)، وهو بمعنى ما يتمتع به أو التمتع.
(بِالْمَعْرُوفِ) أي ما تعارف عليه الناس على اختلاف طبقاتهم في القدرة المالية وحالاتهم.

(حَقًّا) صفة (مَتْنًا). يعني أنَّ المتعة هي حق واجب على الزوجة غير المدخولة بها وغير المفروضة لها.

(عَلَى الْحَسَنِ) أي على المطلقين لقوله تعالى: (تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ) ^١ ولقوله ﷺ: (سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) ^٢ فأوجب الإحسان على المسرحين وهم المطلقون فهم المحسنون تعظيماً لشأنهم وترغيباً وتحريضاً إلى الإحسان.

وقد ورد في روايات أهل البيت : تفسير حكم المتعة بالوجوب في صورة عدم الدخول بها وعدم جعل الصداق لها وفي غيرها مستحب كما يأتي.

الروايات

خبر محمد بن سنان عن أبي الحسن 7 في قول الله ﷻ (وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) ^٣ قال القوام هو المعروف (عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتْنًا بِالْمَعْرُوفِ ^ط حَقًّا عَلَى الْحَسَنِ) على قدر عياله ومؤونتهم التي هي صلاح له ولهم و (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَنَهَا) ^{٤، ٥}.

١. سورة البقرة / ٢٢٩.

٢. سورة البقرة / ٢٣١.

٣. سورة الفرقان / ٦٧.

٤. سورة الطلاق / ٧.

٥. الكافي ٤ / ٥٦، ح ٨.

صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله 7 في قول الله ﷻ (وَلَمَّا طَلَّقْتَ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ^ط حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ^١) قال متاعها بعد ما تنقضي عدتها (عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ) وكيف لا يمتعها وهي في عدتها ترجوه ويرجوها ويحدث الله ﷻ بينهما ما يشاء وقال إذا كان الرجل موسعاً عليه متع امرأته بالعبد والأمة والمقتر يمتع بالحنطة والشعير والزبيب والثوب والدرهم، وأن الحسن بن علي 7 متع امرأة بأمة ولم يطلق امرأة إلا متعها^٢.

ورواها العياشي في تفسيره^٣ والشيخ في التهذيب^٤.

صحيحة عبد الله بن سنان وموثقة سماعة جميعاً عن أبي عبد الله 7 أنه قال في قول الله ﷻ (وَلَمَّا طَلَّقْتَ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ^ط حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ^٥) قال: متاعها بعد ما تنقضي عدتها (عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ) قال: كيف يمتعها في عدتها وهي ترجوه ويرجوها ويحدث الله ما يشاء أما إن الرجل الموسع يمنع المرأة بالعبد والأمة ويمتع الفقير بالحنطة [بالتمر] والزبيب والثوب والدرهم، وأن الحسن بن علي 7 متع امرأة طلقها بأمة ولم يكن يطلق امرأة إلا متعها.

صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله مثله إلا أنه قال: وكان الحسن بن علي 7 يمتع نساءه بالأمة^٦.

صحيحة حفص بن البختري عن أبي عبد الله 7 في الرجل يطلق امرأته

١. سورة البقرة / ٢٤١.

٢. الكافي / ٦ / ١٠٥، ح ٣.

٣. تفسير العياشي / ١ / ٢٤٨، ح ٤٣١.

٤. التهذيب / ٨ / ١٣٩، ح ٨٣.

٥. سورة البقرة / ٢٤١.

٦. الكافي / ٦ / ١٠٥، ح ٤.

أَيَمَّتْهَا؟ قال: نعم أما يحب أن يكون من المحسنين، أما يحب أن يكون من المتقين.^١

ورواها العياشي في تفسيره.^٢

صحيحة الحلبي قال: المختلعة لا تمتع.^٣

واضمارها لا يضر حيث كان مضمراً الحلبي.

معتبرة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله قال: عدّة المختلعة عدّة المطلقة وخلعها

طلاقها، قال: وسألته هل تمتع بشيء؟ قال: لا.^٤

عن محمد بن مسلم قال: سألت عن الرجل يريد أن يطلق امرأته قال: يمتّعها

قبل أن يطلقها، قال الله في كتابه (وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ، وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ).^٥

رواها الشيخ بسنده الصحيح في التهذيب.^٦

عن ابن بكير قال: سألت أبا عبدالله ٧ عن قوله (وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ،

وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ) ما قدر الموسع والمقتّر قال: كان علي بن الحسين ٧ يمتّع براحلته

يعني حملها الذي عليها.^٧

رواها الحميري في قرب الإسناد^٨ بسنده الموثق.

عن أبي الصباح عن أبي عبدالله ٧ قال: إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل

بها فلها نصف مهرها، وإن لم يكن سمي لها مهراً فمتاع بالمعروف (عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ،

١. الكافي ٦/١٠٤، ح ١.

٢. تفسير العياشي ١/٢٤٠، ح ٣٩٨.

٣. الكافي ٦/١٤٤، ح ٣.

٤. الكافي ٦/١٤٤، ح ٥.

٥. تفسير العياشي ١/٢٤١، ح ٤٠٣.

٦. التهذيب ٨/١٤٢، ح ٩١.

٧. تفسير العياشي ١/٢٤١، ح ٤٠٢.

٨. قرب الإسناد/١٧٤، ح ٦٣٧.

وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ^١، وليس لها عِدَّة، وتزوّج مَنْ شَاءَتْ فِي سَاعَتِهَا.

رواها الصدوق في الفقيه^٢ بسنده المعتبر.

قال الحلبي: متاعها بعد ما تنقضي عدتها (عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ)^٣.

عن الحلبي عن أبي عبدالله ٧ قال: الْمَوْسِعُ يُمَتِّعُ بِالْعِدِّ وَالْأَمَّةُ، وَيُمَتِّعُ الْمُعْسِرُ بِالْحِنْطَةِ وَالزَّبِيبِ وَالشُّوبِ وَالِدِرَاهِمِ^٤.

عن الحلبي عن أبي عبدالله ٧ قال: إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ٧ مَتَّعَ امْرَأَةً طَلَّقَهَا أَمَةً، وَلَمْ يَكُنْ يُطَلِّقُ امْرَأَةً إِلَّا مَتَّعَهَا بِشَيْءٍ^٥.

خبر أبي حمزة عن أبي جعفر ٧ قال: سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَرِيدُ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، قَالَ: يُمَتِّعُهَا قَبْلَ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ (وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ)^٦.

قال الشيخ الطوسي: ومتعة التي لم يدخل بها ولا يسمى لها صداق على قدر الرجل والمرأة، قال ابن عباس والشعبي والربيع: خادم أو كسوة أو رزق وهو المروي عن أبي جعفر ٧ وأبي عبدالله ٧^٧.
رواها الطبرسي في مجمع البيان^٨.

١. تفسير العياشي ١/ ٢٤٠، ح ٣٩٩.

٢. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٥٠٥، ح ٤٧٧٣.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢٤٨، ح ٤٣٢.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢٤٠، ح ٤٠٠.

٥. تفسير العياشي ١/ ٢٤١، ح ٤٠١.

٦. التهذيب ٨/ ١٤١، ح ٨٨.

٧. التبيان ٢/ ٢٦٩.

٨. مجمع البيان ٢/ ٣٤٠.

قال الشيخ: وفي وجوب المتعة لكل مطلقة خلاف... وقال سعيد بن المسيب: المتعة التي لم يسم لها صداق خاصة وهو المروي عن أبي جعفر 7 وأبي عبد الله 7. وقد روي أيضًا أنها لكل مطلقة وذلك على وجه الاستحباب.^١

رواهما الطبرسي في مجمع البيان.^٢

القاضي نعمان المصري قال: روي عن جعفر بن محمد 6 عن أبيه عن آبائه عن علي 7 أنه كان يقضي للمطلقة بالمتعة ويقول بيان ذلك في كتاب الله ثم (عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ).^٣

القاضي نعمان المصري قال: وعن جعفر بن محمد 7 أنه قال: متعة النساء فريضة وليس في المتعة شيء موقت كما قال الله ﷻ (عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ).^٤

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه عن رسول الله 6 أنه قال: لا تُطْلَقُوا نساءكم إلا عن رغبة فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات.^٥
وعنه 6: إِنَّ اللَّهَ يُبْعِضُ كُلَّ مِطْلَاقٍ مِذْوَاقٍ.^٦
وعنه 6: أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقِ.^٧

١. التبيان ٢/٢٦٩.

٢. مجمع البيان ٢/٣٤٠.

٣. دعائم الإسلام ٢/٢٩٣، ح ١١٠٠.

٤. دعائم الإسلام ٢/٢٩٣، ح ١١٠٢.

٥. روض الجنان ٣/٣٠٤.

٦. روض الجنان ٣/٣٠٤.

٧. روض الجنان ٣/٣٠٤.

(وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

بيان للقسم آخر من أقسام المطلقات وهو أن يكون الطلاق قبل الدخول بهنّ وقد فرض لهنّ الصداق فتستحق المرأة نصف المهر المسمى.
 (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ) أي وإن أوقعتم الطلاق.
 (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ) قبل الدخول بهنّ.
 (وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً) وسميتم لهنّ المهر.
 (فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) فيجب عليكم تأدية (نِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) من المهر.
 (إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ) أي (إِلَّا أَنْ) تعفو المطلقات عن النصف كلّاً أو بعضاً من الصداق.

(أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) أي (أَوْ يَعْفُوا) ولي الزوجة الصغيرة الذي جعل الله في يده عقدة النكاح وهو الأب أو الجد للأب.
 ولكن لا يجب العفو على الزوجة المطلقة ولا على وليها.
 (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) «والعفو على أيّ حال (أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) لأنّ من أعرض عن حقه الثابت شرعاً فهو على الإعراض عمّا ليس له بحق من محارم الله سبحانه أقوى وأقدر»^١.
 (وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) الفضل هو الزيادة في المكارم والمحامد، والمراد بهذه

الجملة، الترغيب في الإحسان والفضل بالعفو عن الحقوق والتسهيل والتخفيف من الزوج للزوجة وبالعكس.

(إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) أي أن أعمالكم ظاهرة وغير خفية لدى من يحيط بها وهو الله تعالى وأنه سبحانه يجازيكم بها. زيادة في الترهيب والترغيب. ورد في هذه الآية والآية السابقة حكم صورتان من الصور الأربعة والباقي منهما:

الأولى: أن يكون الطلاق بعد الواقعة وبعد فرض الصداق فتستحق الزوجة المطلقة تمام صداقها وهو المهر المسمى.

الثانية: أن يكون الطلاق بعد الواقعة وقبل فرض الصداق والمهر لها فيجب على الزوج مهر مثلها من أخواتها وأقوامها ومن تكون مثلها.

الروايات

خبر معاوية بن وهب عن أبي عبد الله 7 قال: يأتي على الناس زمان عَصُوض يَعْضُ كل امرئ على ما في يديه وينسى الفضل وقد قال الله ﷻ (وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) يَنْبَرِي في ذلك الزمان قوم يعاملون المضطرين هم شرار الخلق.^١ روا العياشي نحوها في تفسيره^٢ والشيخ في التهذيب^٣.

موثقة أبي بصير وساعة جميعاً عن أبي عبد الله 7 في قول الله ﷻ (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) قال: هو الأب أو الأخ أو الرجل يوصى إليه والذي

١. الكافي ٥/٣١٠، ح ٢٨.

٢. تفسير العياشي ١/٢٤٤، ح ٤١٦.

٣. التهذيب ٧/١٨، ح ٨٠.

يجوز أمره في مال المرأة فيبتاع لها فتجيز فإذا عفا فقد جاز.^١

ورواها الصدوق في الفقيه^٢ بأسانيد الصحيح والمعتبر وروا نحوها العياشي في تفسيره^٣.

صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله ٧ في رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها قال عليه نصف المهر إن كان فرض لها شيئاً وإن لم يكن فرض لها فليمتّعها على نحو ما يمتّع مثلها من النساء قال: وقال في قول الله ﷻ (أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) قال: هو الأب والأخ والرجل يوصى إليه والرجل يجوز أمره في مال المرأة فيبيع لها ويشترى لها فإذا عفا فقد جاز.^٤

ورواها الشيخ في التهذيب.^٥

خبر نجية العطار قال: سافرت مع أبي جعفر ٧ إلى مكة فأمر غلامه بشيء فخالفه إلى غيره فقال أبو جعفر ٧: والله لأضربنك يا غلام، قال: فلم أره ضربه فقلت: جعلت فداك إنك حلفت لتضربن غلامك فلم أرك ضربته، فقال: أليس الله ﷻ يقول: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى).^٦

موثقة أبي بصير عن أبي عبد الله ٧ قال: إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فقد بانت منه وتزوّج إن شاءت من ساعتها وإن كان فرض لها مهرًا فلها نصف المهر وإن لم يكن فرض لها مهرًا فليمتّعها.^٧

عن أبي بصير عن أبي جعفر ٧ في قول الله (أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ

١. الكافي ٦/١٠٦، ح ٢.

٢. من لا يحضره الفقيه ٣/٥٠٦، ح ٧٧٨.

٣. تفسير العياشي ١/٢٤٣، ح ٤١٤ و ١/٢٤٢، ح ٤١٠.

٤. الكافي ٦/١٠٦، ح ٣.

٥. التهذيب ٨/١٤٢، ح ٩٢.

٦. الكافي ٧/٤٦٠، ح ٤.

٧. الكافي ٦/١٠٦، ح ١.

(النِّكَاح) قال هو الأب والدخ والموصى إليه والذي يجوز أمره في مال المرأة فيبتاع لها ويشترى، فأى هؤلاء عفا فقد جاز. ١

عن إسحاق بن عمار قال: سألت جعفر بن محمد 7 عن قول الله (إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ) قال: المرأة تعفو عن نصف الصداق، قلت (أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) قال أبوها إذا عفا جاز له وأخوها إذا كان يقيم بها وهو القائم عليها، فهو بمنزلة الأب يجوز له، وإذا كان الأخ لا يقيم بها ولا يقوم عليها لم يجز عليها أمره. ٢
عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر 7 في قوله (أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) الذي يعفو عن الصداق أو يحطّ بعضه أو كله. ٣

عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله في قوله (إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) قال: هو الولي والذين يعفون عن الصداق أو يحطّون عنه بعضه أو كله. ٤

عن رفاعه عن أبي عبد الله 7 قال: (الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) هو الولي الذي أنكح يأخذ بعضاً ويدع بعضاً وليس له أن يدع كله. ٥

رواها أيضاً في تفسير العياشي ٦ والشيخ في التهذيب ٧ بسنده الصحيح.

عن بعض بني عطية عن أبي عبد الله 7 في مال اليتيم يَعْمَلُ به الرجل، قال:

١. تفسير العياشي ١/٢٤٢، ح ٤٠٨.

٢. تفسير العياشي ١/٢٤٣، ح ٤١٢.

٣. تفسير العياشي ١/٢٤٣، ح ٤١٣.

٤. تفسير العياشي ١/٢٤٢، ح ٤٠٧.

٥. تفسير العياشي ١/٢٤٢، ح ٤٠٩.

٦. تفسير العياشي ١/٢٤٣، ح ٤١١.

٧. التهذيب ٧/٣٩٢، ح ٤٨.

يُنِيلُهُ مِنَ الرِّبْحِ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) ١.

صحيفة محمد بن أبي عمير عن غير واحد من أصحابنا عن أبي عبد الله 7 في رجل قبض صداق إبنته من زوجها ثم مات هل لها أن تطالب زوجها بصداقها أو قبض أبيها قبضها فقال 7 إن كانت وكلته بقبض صداقها من زوجها فليس لها أن تطالبه وإن لم تكن وكلته فلها ذلك ويرجع الزوج على ورثة أبيها بذلك إلا أن تكون حينئذ صبية في حجره فيجوز لأبيها أن يقبض صداقها عنها ومتى طلقها قبل الدخول بها فلا يبيها أن يعفو عن بعض الصداق ويأخذ بعضا وليس له أن يدع كله وذلك قول الله ﷻ (إِلَّا أَنْ يَعْفُوتِ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) يعني الأب والذي توكله المرأة وتوليها أمرها من أخ أو قرابة أو غيرهما ٢.

ورواها الشيخ الطوسي في التهذيب ٣.

في صحيفة الرضا 7 بإسناده قال: حدثني أبي محمد بن علي بن الحسين عن الحسين بن علي : قال: خطبنا أمير المؤمنين 7 قال سيأتي على الناس زمان عَصُوفٌ يَعُصُّ الْمَوْسِرَ عَلَى مَا فِي يَدِهِ وَلَمْ يُوَثِّرْ بِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) وسيأتي على الناس زمان يقوم الأشرار وينسوا الأخيار ويبيع المضطرّ وقد نهى رسول الله 6 عن بيع الغرر قبل أن يُدرك فاتقوا الله ﷻ أيها الناس وأصلحوا ذات بينكم واحفظوني في أهلي ٤.

رواها الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا 7 ٥.

١. تفسير العياشي ١/ ٢٤٤، ح ٤١٥.

٢. من لا يحضره الفقيه ٣/ ٨٨، ح ٣٣٨٧.

٣. التهذيب ٦/ ٢١٥.

٤. صحيفة الإمام الرضا 7 / ٨٣، ح ١٩٠.

٥. عيون أخبار الرضا 7 / ٤٥، ح ١٦٨.

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين 7 انه قال: يأتي على الناس زمان عضوض بعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله سبحانه (وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) تنهّد فيه الأشرار وتُستذلّ الأخيار ويبيع المضطرون وقد نهى رسول الله 6 عن بيع المضطرين^١.

ورواها أيضًا في خصائص الأئمة^٢.

قال الشيخ الطوسي في قوله تعالى (أَوْ يَعْفُوا أَلَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ) قال مجاهد والحسن وعلقمة إنّه الولي، وهو المروي عن أبي جعفر 7 وأبي عبدالله 7، غير أنّه لا ولاية لأحد عندنا إلّا الأب أو الجد على البكر غير البالغ، فأما من عداها فلا ولاية له إلّا بتولية منهما، روى عن علي 7.

وعن سعيد بن المسيب وشريح بن حماد وإبراهيم بن أبي حذيفة وابن شبرمه: أنّه الزوج، وروي ذلك أيضًا في أخبارنا غير أنّ الأوّل أظهر وهو المذهب^٣. وذكر مثل ذلك الطبرسي في مجمع البيان^٤.

(حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِتِينَ)

بيان ما هي أكبر العبادات «التي لها دخل تكميل الحقيقة الإنسانية، وهي الصلاة التي دعا إليها جميع الأنبياء، وبها يتشرف المصلي بالتكلم مع الحي القيوم، وهي

١. نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٨.

٢. خصائص الأئمة / ١٢٤.

٣. التبيان ٢ / ٢٧٣.

٤. مجمع البيان ٢ / ٣٤١.

إسراء النفوس إلى الملكوت الأعلى، ومعراج أرواح المتعبدين إلى قاب قوسين أو أدنى، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتبعث النفوس الغافلة إلى التذكر بجلال الله ﷻ وجماله، وتذكير الإنسان إلى مكانته الحقيقية، وتجعله مراقباً لنفسه لتطهيرها من رذائل الأخلاق وتحليتها بفواضلها، وتمكّنها على تحمل المصاعب والآلام في طريق الاستكمال^١.

(حَفِظُوا) أي واطبوا على الشيء واقبلوا عليه مرّة بعد أخرى.

«الحفظ: ضبط الشيء في النفس»^٢، وحفظ كل شيء بحسبه.

(عَلَى الصَّلَوَاتِ) حث «على مراعات (الصَّلَوَاتِ) ومواقيتهنّ وألا يقع فيها

تضييع وتفريط»^٣.

(و) عاطفة.

(الصَّلَاةَ الْوُسْطَى)، (الْوُسْطَى): تأنيث الأوسط، يصح إطلاقه على ما يقع

وسطاً بين الاثنين أو أكثر وقد اختلفوا في تعيينها وفي مذهب أهل البيت : أنّها صلاة الظهر. كما يأتي في الروايات.

(و) عاطفة.

(فُؤُومُوا) القيام بأمر كناية عن تقلّده والتلبّس بفعله عن استقامة وثبّت ولا

يختص بحالة دون أخرى بل في جميع الحالات لا سيّما في العبادات.

(لِلَّهِ) لام للغاية.

(فَبَيْنَيْنِ) أي خاضعين خاشعين مخلصين لله تعالى.

١. مواهب الرحمن ٤ / ٨٩.

٢. التبيان ٢ / ٢٧٥.

٣. التبيان ٢ / ٢٧٥.

الروايات

خبر ابن مسلم عن أبي جعفر 7 قال: كان رسول الله 6 يقرأ (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) وصلاة العصر (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ).

ثم قال: وبهذا الإسناد عن أبي بصير عن أبي عبد الله مثله.^١

صحيحة زرارة قال: سألت أبا جعفر 7 عما فرض الله ﷺ من الصلاة، فقال: خمس صلوات في الليل والنهار، فقلت: فهل ساهن وبينهن في كتابه؟ قال: نعم قال الله تعالى لنبية 6 (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) ^٢ ودلوها زوالها ففيها بين دلوك الشمس إلى غسق الليل أربع صلوات ساهن الله وبينهن ووقتتهن وغسق الليل هو انتصافه ثم قال تبارك وتعالى (وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا) ^٣ فهذه الخامسة، وقال الله تعالى في ذلك: (أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ) ^٤ وطرفاه المغرب والغداة (وَزُلْفَى مِنَ اللَّيْلِ) ^٥ وهي صلاة العشاء الآخرة وقال تعالى (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) وهي صلاة الظهر وهي أول صلاة صلاها رسول الله 6 وهي وسط النهار ووسط الصلاتين بالنهار صلاة الغداة وصلاة العصر وفي بعض القراءة (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) صلاة العصر (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) قال: ونزلت هذه الآية يوم الجمعة ورسول الله 6 في سفره فقنت فيها رسول الله 6 وتركها على حالها في السفر والحضر وأضاف للمقيم ركعتين وإنما وضعت الركعتان اللتان اضافهما النبي 6 يوم الجمعة للمقيم 6

١. كتاب القراءة / ٢١، ح ٩٤ و ٩٥.

٢. سورة الإسراء / ٧٨.

٣. سورة الإسراء / ٧٨.

٤. سورة هود / ١١٤.

٥. سورة هود / ١١٤.

وتركها على حالها في السفر والحضر وأضاف للمقيم ركعتين وإنما وضعت الركعتان اللتان أضافهما النبي ﷺ يوم الجمعة للمقيم لمكان الخطبتين مع الإمام فمن صلى يوم الجمعة في غير جماعة فليصلها أربع ركعات كصلاة الظهر في سائر الأيام.^١ رواها الصدوق في الفقيه^٢ والعلل^٣ ومعاني الأخبار^٤ والشيخ في التهذيب^٥ ونحوها في دعائم الإسلام^٦.

عن زرارة عن أبي جعفر ٧ قال (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) والوسطى هي أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ، وهي وسط صلاتين بالنهار صلاة الغداة وصلاة العصر (قُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ) في الصلاة الوسطى وقال نزلت هذه الآية يوم الجمعة ورسول الله ﷺ في سفر، فقنت فيها وتركها على حالها في السفر والحضر، وأضاف لمقامه ركعتين وإنما وضعت الركعتان اللتان أضافهما يوم الجمعة للمقيم لمكان الخطبتين مع الإمام، فمن صلى الجمعة في غير الجماعة فليصلها أربعاً كصلاة الظهر في سائر الأيام، قال قوله (وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ) قال مطيعين راغبين.^٧ عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله ٧ قال (الصَّلَاةُ الْوُسْطَى) الظهر (وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ) اقبال الرجل على صلاته ومحافظته على وقتها حتى لا يلهيه عنها ولا يشغله شيء.^٨

١. الكافي ٣/ ٢٧١، ح ١.

٢. من لا يحضره الفقيه ١/ ١٩٥.

٣. علل الشرايع ٢/ ٢٥٤.

٤. معاني الأخبار ٣٣٢، ح ٥.

٥. التهذيب ٢/ ٢٤١.

٦. دعائم الإسلام ١/ ١٣١.

٧. تفسير العياشي ١/ ٢٤٤، ح ٤١٨.

٨. تفسير العياشي ١/ ٢٤٥، ح ٤٢٠.

روا ذيلها علي بن إبراهيم القمي بسند صحيح في تفسيره.^١

عن زرارة ومحمد بن مسلم انهما سالا أبا جعفر 7 عن قول الله (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) قال صلاه الظهر وفيها فرض الله الجمعة وفيها الساعة التي لا يوافقها عبد مسلم فيسأل خيراً إلا أعطاه الله إياها.^٢

رواها ابن طاوس في فلاح السائل.^٣

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر 7 قال: قلت له الصلاة الوسطى فقال (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) وصلاة العصر (وَقُومُوا لِلَّهِ قِنْتَيْنِ) والوسطى هي الظهر وكذلك كان يقرأها رسول الله ٤.6

وفي رواية ساعة (وَقُومُوا لِلَّهِ قِنْتَيْنِ) قال هو الدعاء.^٥

عن عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله 7 في قوله (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قِنْتَيْنِ) قال: الصلاة رسول الله وأmir المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين : والوسطى أمير المؤمنين 7 (وَقُومُوا لِلَّهِ قِنْتَيْنِ) طائعين للائمة ٦.:

خبر أبي يونس قال كتبت لعائشة مصحفاً فقالت: إذا مررت بآية الصلاة فلا تكتبها حتى أمليها عليك فلما مررت بها أملتها علي (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) وصلاة العصر.^٧

١. تفسير القمي ٧٩/١٥.

٢. تفسير العياشي ١/٢٤٥، ح ٤١٩.

٣. فلاح السائل / ٩٣.

٤. تفسير العياشي ١/٢٤٤، ح ٤١٧.

٥. تفسير العياشي ١/٢٤٥، ح ٤٢٢.

٦. تفسير العياشي ١/٢٤٦، ح ٤٢٣.

٧. معاني الأخبار / ٣٣١، ح ٢.

خبر عمرو بن نافع قال: كنت أكتب مصحف الحفصة زوجة النبي 6
فقلت: إذا بلغت هذه الآية فاكتب (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) وصلاة
العصر (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)، ثم قالت عائشة: سمعتها والله من رسول الله ١.6
قال الشيخ: في تعيين صلاه الوسطى: وقال زيد بن ثابت وابن عمر: أنها الظهر
وهو المروي عن أبي جعفر 7 وأبي عبدالله ٢.7

رواها الطبرسي في مجمع البيان. ٣

قال الشيخ فيم عن قوله تعالى (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) وقال ابن عباس: في رواية
داعين، ولذلك قال هي صلاة الصبح، لأنه لا صلاة فرض فيها قنوت إلا هي. وعني
أبي جعفر وأبي عبدالله 7 مثل ذلك إلا أنها قالوا: القنوت في كل ركعتين قبل
الركوع. ٤

قال الطبرسي: والقنوت هو الدعاء في الصلاة حال القيام وهو المروي عن أبي
جعفر 7 وأبي عبدالله ٥.7

١. معاني الأخبار / ٣٣١، ح ٤.

٢. التبيان / ٢ / ٢٧٥.

٣. مجمع البيان / ٢ / ٣٤٣.

٤. التبيان / ٢ / ٢٧٦.

٥. مجمع البيان / ٢ / ٣٤٣.

(فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا^ط فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا

عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) ﴿٢٣٨﴾

الآية الشريفة بمنزلة الشرط للآية السابقة يعني (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ)^١ إن لم تخافوا و (إِنْ خِفْتُمْ) فقدروا المحافظة بقدر ما يمكن من الصلاة بأيِّ نحو كانت وهذه صلاة الخوف.

(فَ) تفرع على (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ)^٢.

(إِنْ) شرطية، عطف الشرط على الآية السابقة يدل على تقدير شرط محذوف وهو عدم الخوف.

(خِفْتُمْ) الخوف: توقع المكروه. (فَ) واقعة في جواب الشرط.

(رِجَالًا) جمع راجل وهو الكائن على رجله واقفًا كان أو ماشيًا.

(أَوْ) عاطفة. (رُكْبَانًا) جمع راكب وكلُّ شيءٍ علا شيئًا فقد ركبه.

(فَ) تفرع.

(إِذَا) ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط.

(أَمِنْتُمْ) أي إذا زال الخوف ولم تخافوا شيئًا وجاء الأمن متجددًا.

(فَ) واقعة في جواب الشرط. (أَذْكُرُوا اللَّهَ) ذكرًا.

(كَمَا عَلَّمَكُمْ) مثل (مَا عَلَّمَكُمْ) في كيفية الصلاة والالتيان بها على نحو

الصلاة الاختياري المفروضة المكتوبة في حال الأمن.

١. سورة البقرة / ٢٣٨.

٢. سورة البقرة / ٢٣٨.

(مَا) موصولة، أي ضمن (مَا) (عَلَّمَكُمْ) من شرائع الدين.
(لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) «من قبيل وضع العام موضع الخاص دلالة على الإمتنان
بسعة النعمة والتعليم»^١.

الروايات

صحيحة عبدالرحمن بن أبي عبدالله قال: سألت أبا عبدالله 7 عن قول الله ﷻ
(فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) كيف يصلي وما يقول إذا خاف من سبع أو لص كيف
يصلي؟ قال: يكبر ويؤمى إيماء براسه^٢.

رواها الشيخ في التهذيب^٣ والعياشي في تفسيره^٤.

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر 7 قال في صلاة الخوف عند المطاردة
والمناوشة^٥: يصلي كل انسان منهم بالإيماء حيث كان وجهه وإن كانت المسابقة
والمعانقة وتلاحم القتال فإن أمير المؤمنين صلوات الله عليه صلى ليلة صفين وهي ليلة الهريز
لم تكن صلاتهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء عند وقت كل صلاة إلا التكبير
والتهيل والتسبيح والتحميد والدعاء فكانت تلك صلاتهم لم يأمرهم بإعادة
الصلاة^٦.

موثقة سماعة قال: سألت عن صلاة القتال، فقال: إذا التقوا فاقتتلوا فإن الصلاة
حينئذ التكبير وإن كانوا وقوفاً لا يقدر على الجماعة فالصلاة إيماء^٧.

١. الميزان ٢/ ٢٤٦.

٢. الكافي ٣/ ٤٥٧، ح ٦.

٣. التهذيب ٣/ ٢٩٩.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢٤٧، ح ٤٢٦.

٥. المناوشة: تداني الفريقين وأخذ بعضهم بعضاً في القتال.

٦. الكافي ٣/ ٤٥٧، ح ٢.

٧. الكافي ٣/ ٤٥٨، ح ٥.

زرارة عن أبي جعفر 7 قال: قلت له: أخبرني عن صلاة الموافقة، فقال: إذا لم تكن النصف من عدوك صليت إيماء راجلاً كنت أو راكباً فإن الله يقول (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) تقول في الركوع لك ركعت وأنت ربي، وفي السجود لك سجدت وأنت ربي إنما توجهت لك دابتك غير أنك توجه حين تكبر أول تكبيرة.^١

عن أبان بن منصور عن أبي عبد الله 7 قال: فات أمير المؤمنين والناس يوماً بصفين يعني صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فأمرهم أمير المؤمنين 7 أن يسبحوا ويكبروا ويهللوا، قال وقال الله (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) فأمرهم علي 7 فصنعوا ذلك ركباناً ورجالاً.

ورواه الحلبي عن أبي عبد الله 7 قال: فات الناس الصلاة مع علي 7 يوم صفين إلى آخره.^٢

ورواها في فقه الرضوي.^٣

عن محمد بن مسلم عن أحدهما قال: في الصلاة المغرب في السفر لا يضرك أن تؤخر ساعة ثم تصلّيها إن أحببت أن تصلّي العشاء الآخرة، وإن شئت مشيت ساعة إلى أن يغيب الشفق، إن رسول الله 6 صلى صلاة الهاجرة والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء الآخرين جميعاً، وكان يؤخر ويقدم إن الله تعالى قال (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)^٤ إنما عني وجوبها على المؤمنين لم يعن غيره، إنه لو كان كما يقولون لم يصل رسول الله 6 هكذا، وكان أعلم وأخبر [وكان كما يقولون] ولو كان الخيراً لأمر به محمد رسول الله 6، وقد فات الناس مع أمير المؤمنين 7 يوم

١. تفسير العياشي ١/٢٤٦، ح ٤٢٤.

٢. تفسير العياشي ١/٢٤٦، ح ٤٢٥.

٣. فقه الرضوي / ١٤٨.

٤. سورة النساء / ١٠٣.

صفيين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة، فأمرهم علي أمير المؤمنين فكبروا وهللوا وسبحوا رجالاً وركبانا لقول الله (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) فأمرهم علي 7 فصنعوا ذلك.^١

عن عبدالرحمن عن أبي عبدالله 7 في صلاة الزحف قال: يكبر ويهلل يقول: الله أكبر يقول الله (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا).^٢
رواها الصدوق بسنده الصحيح في الفقيه.^٣

القاضي نعمان المصري رفعه عن جعفر بن محمد علي 7 أنه سئل عن الصلاة عند شدة الخوف والجلاد حيث لا يمكن الركوع والسجود فقال يؤمئون إيماء على دوابهم ووقوفاً على أقدامهم وتلا قول الله ﷻ (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) فإن لم يقدروا على الإيماء مكان كل ركعة تكبيرة.^٤

علي بن الحسين المرتضى في رسالة المحكم والمتشابه نقلاً من تفسير النعماني بإسناده عن علي 7 في حديث قال: وأما الرخصة التي هي الإطلاق بعد النهي فمنه قوله تعالى (حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ)^٥ فالفريضة منه أن يصلي الرجل صلاة الفريضة على الأرض بركوع وسجود تام ثم رخص للخائف فقال سبحانه (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) ومثله قوله ﷻ (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ)^٦ ومعنى الآية أن الصحيح يصلي قائماً والمريض يصلي

١. تفسير العياشي ١/ ٤٣٨، ح ٢٦٠.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٤٧، ح ٤٢٧.

٣. من لا يحضره الفقيه ١/ ٤٦٥، ح ١٣٤١.

٤. دعائم الإسلام ١/ ١٩٩.

٥. سورة البقرة / ٢٣٨.

٦. سورة النساء / ١٠٣.

٥٠٦ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثاني

قاعدا ومن لم يقدر أن يصلي قاعدا صلّى مضطجعا ويومى نائما فهذه رخصة جاءت بعد العزيمة.^١

قال الشيخ الطوسي: وروي أنّ عليّا 7 صلّى ليلة الهريز خمس صلوات بالإيماء وقيل بالتكبير. وإنّ النبي 6 صلى يوم الأحزاب إيماء. وروي أنّه قضّاها بعد أن فاتت بالليل.^٢

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٣ من دون رواية القضاء.

تنبيه

قال الشيخ: والذي نقوله: إنّ الخائف إن صلى منفردًا صلاة شدّة الخوف صلى ركعتين يومى إيماء، ويكون سجوده أخفض من ركوعه وإن لم يتمكن كبر عن كل ركعة تكبيرة وهكذا صلاة شدّة الخوف إذا صلّوها جماعة.^٤

١. رسالة المحكم والمتشابه.

٢. التبيان ٢/ ٢٧٧.

٣. مجمع البيان ٢/ ٣٤٤.

٤. التبيان ٢/ ٢٧٨.

(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ
غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ
فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

تبينت هذه الآية حكم الزوجة اثناء عدّة الوفاة ولا بدّ من ملاحظتها مع ما ورد
في ما سبق من الآيات فيها أيضًا. وهي آية تشريع عدّة الوفاة الآية ٢٣٤ من هذه
السورة وآية الميراث وهي الآية ١٢ من سورة النساء الآية.

«وهذه الآية منسوخة بالحكم بالآية المتقدمة... بلا خلاف...»^١.

(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ) أي الذين يشرفون على الوفاة ويقربون إليها.

(مِنْكُمْ) أي من المؤمنين بالشرعة المقدسة.

(وَيَذَرُونَ) يعني يتركون. (أَزْوَاجًا) زوجات متعددة أو واحدة.

(وَصِيَّةً) مفعول مطلق مُقَدَّرٌ وتقديره: يوصون (وَصِيَّةً).

(لِأَزْوَاجِهِمْ) تنتفع بها (أَزْوَاجِهِمْ).

(مَتْنَعًا) منصوب بفعل مقدر وتقديره: يتمتعون (مَتْنَعًا).

(إِلَى الْحَوْلِ) أي يتمتعن به إلى تمام (الْحَوْلِ)، لأنّ عرب الجاهلية كانت

نسائهم يقعدن بعد موت أزواجهنّ حولًا كاملاً.

(غَيْرَ إِخْرَاجٍ) بدل من (مَتْنَعًا) بدل البعض من الكل. أي من غير إخراجهنّ

من بيوتهنّ.

(فَ) عاطفة. (إِنْ) شرطية.

(خَرَجَنَ) فعل الشرط، من عند أنفسهن بلا جبر وإكراه.

(فَ) واقعة في جواب الشرط.

(لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) أي فال إثم على ورثة الزوج.

(فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ) من حيث إختيار الزوج.

(مِنْ مَعْرُوفٍ) وما تختار بما يوافق حالهن من الزواج أو الذهاب والخروج من

بيت زوجه المتوفى.

(وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) أي «غالبٌ على أمره، يعاقب من خالفه، حكيم يراعي في

أحكامه مصالح العباد»^١.

رواية

عن أبي بصير قال سأله عن قول الله (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا

وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْوَلَدِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ) قال: هي منسوخة.

قلت: وكيف كانت؟ قال: كان الرجل إذا مات أنفق على امرأته من صلب المال

حولاً، ثم أخرجت بلا ميراث ثم نسختها آية الربع والثلث، فالمرأة تُنفق عليها من

نصيبتها.^٢

(وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) ﴿٢٤١﴾

والآية الشريفة يدور أن يكون المراد منه المتعة التي تقدمت في آية ٢٣٦ من هذه

السورة أو المهر كما في الآية ٢٣٧ أو نفقة المطلقة الرجعية والآخر هي القدر المتيقن

١. مواهب الرحمن ٤/ ١٠٧.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٤٧، ح ٤٢٩.

لأنَّ الأوَّلَينِ يستلزمان التكرار.^١

(و) عاطفة. (إ) لام الاستحقاق.

(لَمْطَلَقَتْ) «ال» يفيد الإستغراق فكانت هذه الآية قد زادت أحكامًا على

الآيات السابقة.

(مَتَّعٌ) وهو ما يتمتّع به.

(بِالْمَعْرُوفِ) أي «بالمعروف صحته»^٢. قدر ما يوصي به لها بالمعروف الذي لا

يضرّ بباقي الورثة»^٣.

(حَقًّا) نصب على المصدر - مفعول مطلق - وقع موقع الحال والعامل فيه

(بِالْمَعْرُوفِ) كأنه قيل عرف (حَقًّا).

(عَلَى الْمُتَّقِينَ) «تعليق ثبوت الحكم بوصف التقوى مشعر بالاستحباب»^٤.

الروايات

خبر أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر 7 أخبرني عن قول الله ﷻ (وَلَمْطَلَقَتْ

مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) ما أدنى ذلك المتاع إذا كان معسرا لا يجد قال خمار

أو شبهه.^٥

رواها العياشي في تفسيره^٦ والشيخ في التهذيب^٧ بسنده الصحيح.

١. مواهب الرحمن ٤/ ١٠٧.

٢. التبيان ٢/ ٢٨١.

٣. التبيان ٢/ ٢٨١.

٤. الميزان ٢/ ٢٤٧.

٥. الكافي ٦/ ١٠٥، ح ٥.

٦. تفسير العياشي ١/ ٢٤٧، ح ٤٣٠.

٧. التهذيب ٨/ ١٤٠، ح ٨٥.

خبر أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله 7 عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها؟ قال: عليه نصف المهر إن كان فرض لها شيئاً وإن لم يكن فرض لها شيئاً فليمتّعها على نحو ما يمتّع به مثلها من النساء.^١

رواها الشيخ في التهذيب.^٢

عن الحسن بن زياد عن أبي عبدالله 7 عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها قال: فقال إن كان سمي لها مهراً فلها نصف المهر ولا عدة عليها وإن لم يكن سمي لها مهراً فلا مهر لها ولكن يمتّعها فإن الله يقول في كتابه (وَلَمَّا طَلَّقْتَ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ).^٣

عن أبي عبدالله 7 وأبي الحسن موسى 7 قال: سألت أحدهما عن المطلقة مالها من المتعة؟ قال: على قدر مال زوجها.^٤

عن أحمد بن محمد عن بعض أصحابنا: إن متعة المطلقة فريضة.^٥

رواها الشيخ في التهذيب.^٦

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه عن أمير المؤمنين 7 أنه قال: لكل مؤمنة مطلقة حرة أو أمة متعة.^٧

أقول: قد مرّ منا روايات متعة المطلقة في ذيل الآية ٢٣٦ من سورة البقرة فراجعها إن شئت.

١. الكافي ٦/١٠٨، ح ١١.

٢. التهذيب ٨/١٤٢، ح ٩٣.

٣. تفسير العياشي ١/٢٤٨، ح ٤٣٤.

٤. تفسير العياشي ١/٢٤٨، ح ٤٣٣.

٥. تفسير العياشي ١/٢٤٩، ح ٤٣٥.

٦. التهذيب ٨/١٤١، ح ٨٩.

٧. روض الجنان ٣/٣٢٨.

(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) ﴿٢٤٢﴾

الآية تقول: مَنْ لا يعمل ولا يتعظ بأحكام الله وآياته فهو بمنزلة من لا عقل له. (كَذَلِكَ) «التشبيه وقع على البيان الذي تقدّم في الأحكام والحجج والمواظ والآداب وغير ذلك ممّا يحتاج الناس إلى عمله»^١.

(يُبَيِّنُ) «البيان: هو الأدلة التي يفرّق بها بين الحقّ والباطل»^٢.

(اللَّهُ) فاعل.

(لَكُمْ) جار ومجرور متعلّق بـ(يُبَيِّنُ) والضمير عائد إلى المؤمنين.

(آيَاتِهِ) مفعول به ومضاف إليه. من الأحكام الشرعية والمعارف الألهية.

(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يعني غاية إرسال الرسل وإنزال الشرائع الإلهية هي تعقل

الإنسان وتفكره، والتعقل عائد نفعه إلى الإنسان والله هو الغني.

الروايات

موثقة الحسن بن الجهم قال: سمعت الرضا 7 يقول: صديق كل امرء عقله وعدوّه جهله.^٣

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله 7 قال: قال رسول الله 6: إذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله فإنّها يجازي بعقله.^٤

المفيد رفعه إلى الصادق 7 انه قال: إذا أردت أن تختبر عقل الرجل في مجلس

١. التبيان ٢/ ٢٨١.

٢. التبيان ٢/ ٢٨٢.

٣. الكافي ١/ ١١، ح ٤.

٤. الكافي ١/ ١٢، ح ٩.

واحد فحدّثه من خلال حديثك بما لا يكون فإن أنكره فهو عاقل وإن صدّقه فهو أحمق.^١

الكراجكي رفعه إلى أمير المؤمنين 7 أنّه قال: من جانب هواه صح عقله.^٢
الأمدي رفعه إلى أمير المؤمنين 7 أنّه قال: ستة تختبر بها عقول الرجال:
المصاحبة والمعاملة والولاية والعزل والغنى والفقر.^٣
الروايات حول العقل كثيرة فإن شئت راجع إلى كتاب العقل والجهل من كتب الأخبار ومنها:
كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت^٤ .:

(﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ

وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾)

«لقد أطال المفسرون الكلام حول هذه الآية، وقال أكثرهم: أنّها تشير إلى قصة تاريخية، وسودوا الصفحات في تصوير هذه القصة [١] فبعضهم قال بما يتلخص: إنّ قومًا من بني إسرائيل أمروا بجهاد عدوهم، فخافوا الموت بالقتال، فخرجوا من ديارهم فرارًا من الموت، فأماهم الله ليعرفهم أنّه لا يُنجيهم من الموت شيء، ثمّ أحياهم ليعتبروا ويستوفوا ما بقي من أعمارهم... ومن أطرف ما قرأته في تفسيرها إنّ

١. الاختصاص / ٢٤٥.

٢. كنز الفوائد / ١ / ١٩٩.

٣. غرر الحكم، ح ٥٦٠٠.

٤. موسوعة أحاديث أهل البيت : ٢٢٦ / ٧.

أحد المفسرين قال: إنّ الموت نوعان: موت عقوبة، وهو الذي يحيا الميت بعده في هذه الدنيا، وموت أجل، وهو الذي لا حياة بعده إلّا في الآخرة.

[٢] وقال آخرون: فروا من مرض الطاعون، لا من جهاد عدوهم.

[٣] وفسر محيي الدين بن عربي الآية تفسيرًا صوفيًا على طريقته، حيث قال: إنّ الله أماتهم بالجهل، وأحياهم بالعلم والعقل.

[٤] وحمل الشيخ محمد عبده الآية - كما في تفسير المنار - على أنّها تمثيل للاعتبار والعظة، وليست إشارة إلى قصة واقعة حقيقة، وإنّ الهدف من هذه الإشارة هو بيان سنة الله في الأمم، وإنّ الأمة التي تجاهد، وتستमित في الدفاع عن حقها تحيا حياة طيبة، وإنّ الأمة التي تجبن وتستسلم للظلم تحيا حياة الذل والهوان، فقوله تعالى: (مُوتُوا). أي عيشوا بالاستعباد والإظطهاد، لجبنكم، لأن مثل هذا العيش موت لا حياة، وقوله: (أَحْيَهُمْ). أي عاشوا عيش الحرية والكرامة لجهادهم ودفاعهم عن حقهم.

هذا تلخيص موجز جدًا لرأي الشيخ محمد عبده الذي شرّحه بكلام طويل، وهو - كما ترى - من وحي وعيه النير، ورسالته الإصلاحية، لا من وحي دلالة اللفظ. ان رأيه هذا صحيح في ذاته، وإنساني من غير شك، ولكنه بعيد عن مدلول اللفظ...»^١.

وبالجملة: معناها: «الحضّ على الجهاد بأنّه لا ينفع - من الموت - فرار، ومن أمر الله لأنّه يجوز أن يعجله على جهة العقاب كما عجله لهؤلاء للإعتبار»^٢.

و «للتحريض على الجهاد والتذكير بأنّ الحذر لا يؤخّر الأجل وأنّ الجبان قد

١. التفسير الكاشف ١/ ٣٧٣.

٢. التبيان ٢/ ٢٨٣.

يلقى حتفه في مظنة النجاة»^١.

(أ) همزة استفهام تقرير تعجبي.

(لَمْ تَرَ) أي لم تخبر، لم تعلم، وقد ذكر الزمخشري إن لفظ (أَلَمْ تَرَ) جرى مجرى المثل. يؤتى به في مقام التعجيب.

(إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا) باختيارهم وفرّوا.

(مِنْ دِيَرِهِمْ) الديار جمع الدار وهي المنزل وتستعمل في البلد أيضًا.

(وَ) حالية.

(هُمْ أَلُوفٌ) وهم كثيرون، «الكثرة الموجبة للاستغراب ويضرب به المثل للكثرة»^٢.

(حَذَرَ أَلَمَوْتَ) مفعول به أو مفعول مطلق وتقديره: يحذرون الموت حذرًا. ويفرّون من الجهاد أو الطاعون.

(فَ) تفرعية. (قَالَ لَهُمُ اللَّهُ) تفريعًا على فرارهم.

(مُوتُوا) الأمر تكويني ولا ينافي كون موتهم واقعًا عن مجرى طبيعي وإنما عبّر بالأمر ليكون أدل على نفوذ القدرة وغلبة الأمر «فإن التعبير بالإنشاء في التكوينيات أقوى وأكد من التعبير بالإخبار كما أنّ التعبير بصورة الإخبار الدال على الوقوع في التشريعات أقوى وأكد من الإنشاء»^٣.

(ثُمَّ) حرف عطف للترتيب.

(أَحْيَيْهُمْ) يدلّ على أنّ الله (أَحْيَيْهُمْ) ليعيشوا فعاشوا بعد إحيائهم.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢/ ٤٥٣.

٢. مواهب الرحمن ٤/ ١١٣.

٣. الميزان ٢/ ٢٧٩.

(إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) «الفضل هو الزيادة الممدوحة عن حدّ الإقتصاد والإستحقاق وجميع عطاياه تبارك وتعالى ومواهبه فضل»^١.
 (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) «وضع الظاهر موضع المضمّر لبيان أن الأكثر من جميع الناس لا الطائفة السابقة الذين أحياهم الله تعالى»^٢.

الروايات

خبر عمر بن يزيد وغيره عن بعضهم عن أبي عبد الله 7 وبعضهم عن أبي جعفر 7 في قول الله ﷻ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) فقال: إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ الشَّامِ وَكَانُوا سَبْعِينَ أَلْفَ بَيْتٍ وَكَانَ الطَّاعُونَ يَقَعُ فِيهِمْ فِي كُلِّ أَوَانٍ فَكَانُوا إِذَا أَحْسَسُوا بِهِ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ الْأَغْنِيَاءُ لِقَوْتِهِمْ وَبَقِيَ فِيهَا الْفُقَرَاءُ لضعفهم فكان الموت يكثر في الذين أقاموا ويقل في الذين خرجوا فيقول الذين خرجوا لو كنا أقمنا لكثرت فينا الموت ويقول الذين أقاموا لو كنا خرجنا لقلّ فينا الموت قال فاجتمع رأيهم جميعاً أنه إذا وقع الطاعون فيهم وأحسّوا به خرجوا كلهم من المدينة فلما أحسّوا بالطاعون خرجوا جميعاً وتنحوا عن الطاعون حذر الموت فساروا في البلاد ما شاء الله ثم إنهم مروا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطاعون فنزلوا بها فلما حطوا رحلهم وأطمأنوا بها قال لهم الله ﷻ موتوا جميعاً فماتوا من ساعتهم وصاروا رميماً يلوح وكانوا على طريق المارة فكنتهم المارة فنحوهم وجمعهم في موضع فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له حَزَقِيل فلما رأى تلك العظام بكى واستعبر وقال يا رب لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمّتهم فعمروا بلادك وولدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك من خلقك فأوحى الله تعالى إليه

١. مواهب الرحمن ٤ / ١١٤.

٢. مواهب الرحمن ٤ / ١١٥.

أَفْتَحَبَّ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَأَحْيَاهُمْ قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ أَنْ قُلْ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ ﷻ أَنْ يَقُولَهُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ 7: وَهُوَ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ، فَلَمَّا قَالَ حَزْقِيلُ ذَلِكَ الْكَلَامَ نَظَرَ إِلَى الْعِظَامِ يَطِيرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَعَادُوا إِحْيَاءَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَسْتَبْحُونَ اللَّهَ عَزَّ وَكَبَّرُونَهُ وَيُهَلِّلُونَهُ، فَقَالَ حَزْقِيلُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، قَالَ عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ: فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ 7: فِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. ١.

روا نحوها القطب الراوندي في قصص الأنبياء ٢ بسنده الصحيح.

عن حمّان بن أعين عن أبي جعفر 7 قال: قلت له: حدثني عن قول الله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) قلت: أحياهم حتّى نظر الناس إليهم ثمّ أماتهم من يومهم أو ردّهم إلى الدنيا حتّى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء قال: بل ردّهم الله حتّى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء ولبثوا بذلك ما شاء الله ثمّ ماتوا بآجالهم. ٣.

ورواها بسنده المعتبر في مختصر بصائر الدرجات ٤ ومرسلاً في مجمع البيان ٥.

الصدوق بإسناده عن الحسن بن محمّد النوفلي فيما احتج الرضا 7 على أرباب الملل قال 7 للجاثليق فإنّ اليسع صنع مثل ما صنع عيسى 7 مشى على الماء وأحى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص، فلم يتخذه أمته ربّاً ولم يعبدّه أحد من دون الله ﷻ ولقد صنع حزقيل النبي 7 مثل ما صنع عيسى بن مريم فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل

١. الكافي ٨/ ١٩٨، ح ٢٣٧.

٢. قصص الأنبياء / ٢٤٢، ح ٢٨٤.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢٤٩، ح ٤٣٦.

٤. مختصر بصائر الدرجات / ١٠٥، ح ٢٢.

٥. مجمع البيان ٢/ ٣٤٧.

من بعد موتهم بستين سنة.

ثم التفت إلى رأس الجالوت، فقال له: يا رأس الجالوت أ تجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة إختارهم بخت نصر من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس، ثم انصرف بهم إلى بابل، فأرسله الله ﷻ إليهم، فأحياهم، ثم قال: يا يهودى خذ على هذا السفر من التوراة فتلا 7 علينا من التوراة آيات، فاقبل اليهودى يترجى لقراءته ويتعجب! ثم أقبل على النصراني فقال: يا نصراني، أ فهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟

قال: بل كانوا قبله فقال الرضا 7: لقد اجتمعت قريش على رسول الله 6، فقال له: اذهب إلى الجبابة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك: يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمد رسول الله 6: قوموا بإذن الله ﷻ.

فقاموا ينفضون التراب عن رؤسهم، فاقبلت قريش يسألهم عن أمورهم، ثم أخبرهم أنهم أن محمدًا قد بعث نبيًا، فقالوا: وددنا انا أدركناه فنؤمن به، ولقد أبرء الأكمه والأبرص والمجانين وكلمه البهائم والطير والجن والشیاطین، ولم نتخذه ربا من دون الله ﷻ، ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم، فمتى اتخذتم عيسى ربًا جاز لكم أن تتخذوا اليسع وحزقيل ربا؟! لأنهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم 7 من إحياء الموتى وغيره، إن قومًا من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون (وهم أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ)، فأماهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة، فلم يزالوا فيها حتى نخرت عظامهم وصاروا رميًا، فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل، فتعجب منهم ومن كثرة العظام البالية، فأوحى الله ﷻ إليه: أ تحب أن أحييهم لك فتندرهم؟ قال: نعم يا رب.

فأوحى الله ﷻ إليه: أن ناداهم فقال: أيتها العظام البالية قومي بإذن الله ﷻ،

فقاموا أحياءً أجمعون يَنْفُضُونَ التراب عن رءوسهم الحديث^١.

روا نحوها أبو منصور الطبرسي صاحب الاحتجاج في كتابه^٢.

ابن فهد الحلي بإسناده عن المعلّى أيضًا قال دخلت على أبي عبدالله 7 في صبيحة يوم النيروز فقال يا معلّى أتعرف هذا اليوم قلت لا ولكنه يوم تعظمه العجم وتبارك فيه قال كلاً والبيت العتيق الذي ببطن مكة ما هذا اليوم إلا لأمر قديم أفسره لك حتّى تعلمه قلت تعلمي هذا من عندك أحب إلى من أن تعيش اترابي ويهلك الله أعداءكم قال يا معلّى يوم النيروز هو اليوم الذي أخذ الله فيه ميثاق العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وأن يدينوا لرسله وحججه وأوليائه وهو أول يوم طلعت فيه الشمس وهبت فيه الرياح اللواقح وخلقت فيه زهرة الأرض وهو اليوم الذي إستوت فيه سفينة نوح على الجودي وهو اليوم الذي أحيا الله فيه القوم (الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) وهو اليوم الذي كسر فيه إبراهيم اصنام قومه وهو اليوم الذي حمل فيه رسول الله 6 عليا 7 على منكبيه حتّى رمى أصنام قريش من فوق البيت الحرام وهشمها الخبر بطوله^٣.

ورواها الجزائري في قصص الأنبياء^٤.

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه عن الصادق 7 أنّه سُئِلَ مِنَ الَّذِينَ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ بِالرَّجْعَةِ، فَقَالَ 7: من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً^٥.
ابن أبي جمهور الأحسائي رفعه إلى الصادق 7 في حديث طويل يذكر فيه

١. عيون أخبار الرضا 7 / ١٥٩ و ١٦٠.

٢. الاحتجاج 2 / ٤١٨.

٣. المهذب البارع 1 / ١٩٥.

٤. قصص الأنبياء / ٣١٥.

٥. روض الجنان 3 / ٣٣٥.

النوروز أنه قال: أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل سأل ربه أن يحيى القوم (الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ)، فأوحى إليه أن صبّ الماء في مضاجعهم فصبّ عليهم الماء في هذا اليوم، فعاشوا وهم ثلاثون ألفاً، فصار صبّ الماء في اليوم النوروز سنة ماضية لا يعرف سببها إلا الراسخون في العلم.^١

(وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

هذه الآية هي المقصود الأول وما قبلها تمهيد لها.

(و) عاطف على أول الآية السابقة. (قَتِّلُوا) فرض وإيجاب للجهاد.

(فِي سَبِيلِ اللَّهِ) «قد قيده تعالى هاهنا وسائر المواضع من كلامه بكونه في سبيل الله لئلا يسبق إلى الوهم ولا يستقر في الخيال أن هذه الوظيفة الدينية المهمة لإيجاد السلطة الدنيوية الجافة، وتوسعة المملكة الصورية، كما تخيله الباحثون اليوم في التقدم الإسلامي من الإجماعيين وغيرهم، بل هو لتوسعة سلطة الدين التي فيها صلاح الناس في دنياهم وآخرتهم»^٢.

(وَأَعْلَمُوا) للتنبيه على ما تحتوى عليه من معنى صريح وتعريض.

(أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) «تحذير للمؤمنين في سيرهم هذا السير أن لا يخالفوا بالقول [والفعل] إذا أمر الله ورسوله بشيء ولا يضمروا نفاقاً»^٣ لأنه تعالى سميع للمسموعات وعليم بالنيات.

١. عوالي اللآلي ٣/ ٤١، ح ١١٦؛ ونقل عنه في كنز الدقائق ١/ ٥٧٩؛ ونور الثقلين ١/ ٢٩٣، ح ٩٦٣.

٢. الميزان ٢/ ٢٨٤.

٣. الميزان ٢/ ٢٨٤.

الروايات

صحيحة عمر بن أبان عن أبي عبد الله 7 قال: قال رسول الله 6: الخير كله في السيف وتحت ظل السيف ولا يقيم الناس إلا السيف والسيوف مقاليد الجنة والنار.^١

صحيحة أبي حفص الكلبي عن أبي عبد الله 7 قال: إن الله ﷻ بعث رسوله بالإسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال، فالخير في السيف وتحت السيف والأمر يعود كما بدء.^٢

المراد بأبي حفص الكلبي هو عمر بن أبان الكوفي المذكور في سند الرواية السابقة وهو ثقة. و«الأمر يعود كما بدء» إشارة إلى دولة القائم ﷻ.

صحيحة سعد بن سعد عن أبي الحسن الرضا 7 قال: سألته عن قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «والله لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش»، قال: في سبيل الله.^٣

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله 7 قال: قال رسول الله 6 فوق كل ذي برٍّ برٌّ حتى يُقيل في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه برٌّ.^٤

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله 7 قال: قال رسول الله 6: للجنة بابٌ يقال له: باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم، ثم قال: فمن ترك الجهاد ألبسه الله ﷻ ذُلًّا وفقراً في

١. الكافي ٥/٢، ح ١.

٢. الكافي ٥/٧، ح ٧.

٣. الكافي ٥/٥٣، ح ١.

٤. الكافي ٥/٥٣، ح ٢.

معيشته ومحققاً في دينه، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَغْنَى أُمَّتِي بِسَنَابِكِ خَيْلِهَا ومراكزِ رماحها.^١
والروايات في هذا المجال متعددة فإن شئت راجع من كتب الأخبار.

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً

وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَضْطُّ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)



حثُّ على القرض ودعوة إليه وندب فيه.
(مَنْ) اسم استفهام، مبتدأ، والمراد بها هنا الطلب الندي.
(ذَا) اسم إشارة، خبر.
(الَّذِي) اسم موصول، عطف بيان لاسم الإشارة.
(يُقْرِضُ) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى (مَنْ). والقرض معروف «وهو تمليك مال لآخر بالضمان بأن يكون على عهده أداة بنفسه أو بمثله أو قيمته ويقال للملَّك المقرض وللمتملَّك المقرض والمستقرض»^٢.
(اللَّهُ) مفعول به. ترغيباً للمقرض. (قَرْضًا) مفعول مطلق.
(حَسَنًا) نعت لِـ(قَرْضًا). وهو «ما كان خالصاً لوجهه الكريم، خالياً عن شوائب الشرك والرياء وفاقدًا للمنّ والسعة، وما كان فيه منفعة عامّة ترجع إلى الصالح العام، وأن يتضمّن الخير وما يقربّه إلى ربِّ الكريم»^٣.
(فَ) واقعة في جواب التحضيض والطلب المؤكّد.

١. الكافي ٥/٢، ح ٢.

٢. وسيلة النجاة ٢/١١٥ لآية الله السيّد أبو الحسن الإصفهاني قدس.

٣. مواهب الرحمن ٤/١٢٥.

(يُضَعِّفُهُ) منصوب بـ «أن» مضمرة ويجوز الرفع عطفاً على (يُقَرِّضُ).
 (لَهُ) أي للمقرض. (أَضْعَافًا) واحدها ضِعْفٌ وهو أداء المثل وزيادة.
 (كَثِيرَةً) نعت لـ (أَضْعَافًا).
 (وَاللَّهُ يَقْبِضُ) القبض: الأخذ بالشيء إليك. وهو ينقص ما شاء.
 (وَيَبْصُطُ) البسط يقابل القبض. قلب سينه صاءً لمجاورية حرف «ط». وهو
 يزيد ما شاء.
 (و) حالة.

(إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فيوفّيهم جزاء ما أنفقوا وأقرضوه أحسن التوفية.

الروايات

خبر الخيري ويونس بن ظبيان قالا: سمعنا أبا عبد الله 7 يقول: ما من شيء أحب إلى الله من إخراج الدراهم إلى الإمام وإن الله ليجعل له الدرهم في الجنة مثل جبل أحد ثم قال إن الله تعالى يقول في كتابه (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِّفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) قال هو والله في صلة الإمام خاصة.^١

معتبرة حمران بن أعين عن أبي جعفر 7 قال: سمعته يقول: الإيمان ما استقر في القلب وأفضى به إلى الله ﷻ وصدقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره والإسلام ما ظهر من قول أو فعل وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها وبه حققت الدماء وعليه جرت الموارث وجاز النكاح واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج فخرجوا بذلك من الكفر وأضيفوا إلى الإيمان والإسلام لا يشرك الإيمان والإيمان يشرك الإسلام وهما في القول والفعل مجتمعان كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد

١. الكافي ١/ ٥٣٧، ح ٢.

ليس في الكعبة وكذلك الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان وقد قال الله ﷻ (قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) ١ فقول الله ﷻ أصدق القول قلت فهل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك فقال لا هما يجريان في ذلك مجرى واحد ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما وما يتقربان به إلى الله ﷻ قلت أليس الله ﷻ يقول (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالٍهَا) ٢ وزعمت أنهم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحج مع المؤمن قال أليس قد قال الله ﷻ (فِيضَعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله ﷻ لهم حسناتهم لكل حسنة سبعون ضعفا فهذا فضل المؤمن ويزيده الله في حسناته على قدر صحة إيمانه أضعافا كثيرة ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير قلت أ رأيت من دخل في الإسلام أليس هو داخلا في الإيمان فقال لا ولكنه قد أضيف إلى الإيمان وخرج من الكفر وسأضرب لك مثلا تعقل به فضل الإيمان على الإسلام أ رأيت لو بصرت رجلا في المسجد أنك تشهد أنك رأيت في الكعبة قلت لا يجوز لي ذلك قال فلو بصرت رجلا في الكعبة أنك شاهدت أنه قد دخل المسجد الحرام قلت: نعم. قال: وكيف ذلك. قلت: إنه لا يصل إلى دخول الكعبة حتى يدخل المسجد فقال قد أصبت وأحسن. ثم قال: كذلك الإيمان والإسلام. ٣

صحيحة فضيل بن يسار قال: قال أبو عبد الله ٧: ما من مؤمن أقرض مؤمنا يلتمس به وجه الله إلا حسب الله أجره بحساب الصدقة حتى يرجع إليه ماله. ٤

١. سورة الحجرات / ١٤.

٢. سورة الأنعام / ١٦٠.

٣. الكافي ٢/ ٢٦، ح ٥.

٤. الكافي ٤/ ٣٤، ح ٢.

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله 7 قال: قال رسول الله 6: الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وصلة الإخوان بعشرين وصلة الرحم بأربعة وعشرين.^١
عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن: قوله (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) قال: هي صلة الإمام.^٢

رواها القمي في تفسيره^٣ والصدوق في الفقيه^٤ وفي ثواب الأعمال^٥ بسنده الصحيح.
عن علي بن عمار قال: قال أبو عبد الله 7: لما نزلت هذه الآية (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا)^٦ قال رسول الله 6: رب زدني، فأنزل الله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)^٧ قال رسول الله 6: رب زدني فأنزل الله (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) والكثيرة عند الله لا يحصى.^٨

روا الصدوق نحوها في معاني الأخبار^٩ بسند معتبر والطبرسي مرسلاً في مجمع البيان^{١٠}.
عن محمد بن عيسى بن زياد قال: كنت في ديوان ابن عباد فرأيت كتاباً يُنسخُ فسألت عنه؟ فقالوا: كتاب الرضا إلى ابنه 7 من خراسان فسألتهم أن يدفعوه إليّ فدفعوه إليّ فإذا فيه: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أبقاك الله طويلاً وأعذك من عدوك يا

١. الكافي ٤/ ١٠، ح ٣.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٤٩، ح ٤٣٨.

٣. تفسير القمي ٢/ ٣٥١.

٤. من لا يحضره الفقيه ٢/ ٧٢.

٥. ثواب الأعمال / ٩٩.

٦. سورتا: النمل / ٨٩، القصص / ٨٤.

٧. سورة الأنعام / ١٦٠.

٨. تفسير العياشي ١/ ٢٤٩، ح ٤٣٧.

٩. معاني الأخبار / ٣٩٧، ح ٥٤.

١٠. مجمع البيان ٢/ ٣٤٩.

ولدي فداك أبوك، قد فسرتُ لك ما لي وأنا حيٌّ سويٌّ رجاء ان يُنميك^١ الله بالصلة لقرابتك ولموالي موسى وجعفر رضي الله عنهما، فأما سعيدة فإِثما امرأة قوية الجزم في النحل والصواب في دقة النظر وليس ذلك كذلك قال الله (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) وقال (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ) ^٢ وقد أوسع الله عليك كثيرًا يا بني فداك أبوك لا تستردني الأمور بحسبها فتحظى حظك والسلام. ^٣

خبر سليمان بن مهران قال: سألت أبا عبد الله ^٧ عن قول الله ﷻ (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) ^٤ فقال: يعني ملكه لا يملكها معه أحد والقبض من الله تبارك وتعالى في موضع آخر المنع والبسط منه الإعطاء والتوسيع كما قال ﷻ (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) يعني يعطي ويوسع ويمنع ويضيق والقبض منه ﷻ في وجه آخر الأخذ والأخذ في وجه القبول منه كما قال (وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) ^٥ أي يقبلها من أهلها ويثيب عليها، قلت: فقوله ﷻ (وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ) ^٦ قال: اليمين اليد واليد القدرة والقوة يقول ﷻ (وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ ۖ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) ^٧.

الطبرسي في قوله تعالى (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) الآية رفعه عن

١. يملك نسخة بدل وكذا يتمسك.

٢. سورة الطلاق / ٧.

٣. تفسير العياشي ١/ ٢٤٩، ح ٤٣٩.

٤. سورة الزمر / ٦٧.

٥. سورة التوبة / ١٠٤.

٦. سورة الزمر / ٦٧.

٧. سورة الزمر / ٦٧.

٨. التوحيد / ١٦١، ح ٢.

الكبي أنه قال في سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ قال: من تصدق بصدقة فله مثلاًها في الجنة فقال: أبو الدحداح الأنصاري واسمه عمرو بن الدحداح يا رسول الله إن إلي حديقتين إن تصدقت بإحديهما فإن لي مثليها في الجنة؟ قال: نعم، قال: وأم الدحداح معي؟ قال نعم، قال: الصبية معي؟ قال: نعم فتصدق بأفضل حديقته فدفعها إلى رسول الله ﷺ، فنزلت الآية فضاعف الله صدقته ألفي ألف وذلك قوله تعالى (أَضْعَافًا كَثِيرَةً) قال: فرجع أبو الدحداح فوجد أم الدحداح والصبية في الحديقة التي جعلها صدقته فقام على باب الحديقة وتحرّج أن يدخلها فنادى يا أم الدحداح، فقالت: لبيك يا أبا الدحداح، قال: إني قد جعلت حديقتي هذه صدقة واشتريت مثليها في الجنة وأم الدحداح معي والصبية معي، قال: بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت فخرجوا منها، وأسلموا الحديقة النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: كم من نخل متدلّ عذوقها لأبي الدحداح في الجنة.^١

رواها الثعلبي في تفسيره^٢ وأبو الفتوح الرازي في روض الجنان^٣ والكاشاني في منهج الصادقين^٤.

خبر معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله ﷺ ٧ عن قول الله ﷻ (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) قال: ذاك في صلة الرحم والرحم رحم آل محمد : خاصة.^٥

١. مجمع البيان ٢/ ٣٤٩.

٢. تفسير الثعلبي ٢/ ٢٠٧.

٣. روض الجنان ٣/ ٣٤٤.

٤. منهج الصادقين ٢/ ٥٥.

٥. تأويل الآيات الظاهرة ٢/ ٦٥٨، ح ٥؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢٤/ ٢٧٩، ح ٦ (١٠/ ٥٧٧).

(أَلَمْ تَر إِلَى الْآلِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ أَرْبَعُونَ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ

تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) ﴿٢٤٦﴾

هذه الآية وما بعدها «قصه قوم من بني إسرائيل طلبوا من نبيهم أن يبعث لهم قائدا يقودهم إلى الدفاع عن النفس والرجوع إلى الوطن والأهل، بعد أن اجتمع رأيهم على ذلك، وقد وعدهم نبيهم بالنصر إن هم وقوا بما عاهدوا عليه، ولكن وهن عزمهم وانفسخت إرادتهم وانعدم فيهم الثبات والاستقامة إلا قليلا منهم، ممن ألهمهم الله تعالى الرشد والصواب فبلغوا النصر.

وإنما ذكر سبحانه هذه القصة، ليعتبر بها من بعدهم من الأمم ويسيروا على هدى القرآن، حتى يصلوا إلى ما كتبه لهم من النصر والسعادة.

وقد ذكر سبحانه في هذه الآيات كل ما له دخل في القيادة الصحيحة والنظام الاجتماعي السعيد»^١.

(أَلَمْ تَر إِلَى) استئناف ثان من الآية (أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ...) ^٢. (الْمَلَأَ) الجماعة الأشراف من الناس. سميت بالملأ لكونها تملأ العيون عظمة وأبهة.

(مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ) من نسل يعقوب النبي ٧.

١. مواهب الرحمن ٤/ ١٣٤.

٢. سورة البقرة / ٢٤٣.

(مِنْ بَعْدِ مُوسَى) نَبِيَّهِمْ ٧ .

(إِذْ) ظرف زمان بمعنى «دين» متعلق بمحذوف تقديره «اذكر» أو متعلق بـ(تَر). .

(قَالُوا) هذه الملائكة من بني إسرائيل .

(لَيَنبِئَنَّ هُمْ) وهو شمويل كما هو المروي عن أبي جعفر ٧ . ١

(أَتَعَثَ لَنَا مَلِكًا) أي رئيسًا وقائدًا «ليرتفع به اختلاف الكلمة من بينهم وتجتمع به قواهم المتفرقة الساقطة عن التأثير ويقاثلوا تحت أمره في سبيل الله» ٢ .
(نُقْتَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أن طلبهم من نبيهم كان بعد تسلط الجالوت عليهم ونالوا منه الذلة والهوان والتشديد عن الديار والأهل فطلبوا من نبيهم الجهاد (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) على هذا الملك الجبار .

(قَالَ) لهم نبيهم . (هَلْ عَسَيْتُمْ) أي هل أتوقع منكم .

(إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) أي (إِنْ) وجب (عَلَيْكُمْ) الجهاد، والكتابة هي الفرض وإنما تكون من الله .

(أَلَا تَقَاتِلُوا) جبنًا وخوفًا وحُبًا للبقاء في الدنيا .

(قَالُوا) (أَلَمْ لَّا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ) .

(وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أي وما يمنعنا من الجهاد والقتال .

(وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا) ومن وطننا . (وَأَبْنَيْنَا) وأولادنا وأهلنا .

(فَ) تفريع على اقتراحهم أو على قول نبيهم (هَلْ عَسَيْتُمْ...) .

(لَمَّا كُتِبَ) أي وجب وفرض . (عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ) والجهاد .

١ . التبيان ٢ / ٢٨٨ .

٢ . الميزان ٢ / ٢٨٥ .

(تَوَلَّوْا) التولي: هو ترك العمل بالتكليف بلا عذر.
(إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) ثبتوا على ما عاهدوا عليه واستمرت عزائمهم على القتال في
سبيل الله.

(وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) الذين (تَوَلَّوْا) عن القتال والجهاد.
وفيه «دلالة ان قول نبيهم (هَلْ عَسَيْتُمْ...) إِنَّمَا كَانَ لَوْحِي مِنَ اللَّهِ سبحانه:
أَنَّهُمْ سَيَتَوَلَّوْنَ عَنِ الْقِتَالِ»^١.

الروايات

صحيحة أبي بصير عن أبي جعفر 7 أَنَّ بني إِسْرَائِيلَ بعد موسى عملوا
بالمعاصي وغيروا دين الله وعتوا عن أمر ربهم وكان فيهم نبي يأمرهم وينهاهم فلم
يطيعوه وروي أَنَّهُ إِرْمِيَا النَّبِيَّ فسلط الله عليهم جالوت وهو من القبط فاذلهم وقتل
رجالهم وأخرجهم من ديارهم وأخذ أموالهم واستعبد نساءهم ففزعوا إلى نبيهم
وقالوا سل الله أن يبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وكانت النبوة في بني إِسْرَائِيلَ في
بيت والملك والسلطان في بيت آخر لم يجمع الله لهم النبوة والملك في بيت واحد فمن
ذلك قالوا (أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فقال لهم نبيهم (هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ
عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا) قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا
وَأَبْنَانَا) وكان كما قال الله تبارك وتعالى (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ)
فقال (لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)^٢ فغضبوا من ذلك و (قَالُوا أَنَّى
يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ)^٣ وكانت النبوة

١. الميزان ٢/ ٢٨٦.

٢. سورة البقرة / ٢٤٧.

٣. سورة البقرة / ٢٤٧.

في ولد لاوي والملك في ولد يوسف وكان طالوت من ولد ابن يامين أخي يوسف
لأمه لم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة فقال لهم نبيهم (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ١
وكان أعظمهم جسماً وكان شجاعاً قوياً وكان أعلمهم إلا أنه كان فقيراً فعاوبه بالفقر
فقالوا لم يؤت سعة من المال (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ
سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) ٢ وكان
التابوت الذي أنزله الله على موسى فوضعت فيه أمه وألقته في اليم فكان في بني
إسرائيل يتبركون به فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده
من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيه فلم يزل التابوت بينهم حتى استخفوا به وكان
الصبيان يلعبون به في الطرقات فلم يزل بنو إسرائيل في عز وشرف ما دام التابوت
عندهم فلما عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت رفعه الله عنهم فلما سألوا النبي وبعث
الله إليهم طالوت ملكاً يقاتل معهم رد الله عليهم التابوت كما قال (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ
الْمَلَائِكَةُ) ٣ قال: البقية ذرية الأنبياء، وقوله (فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) ٤ فإن التابوت
كان يوضع بين يدي العدو وبين المسلمين فتخرج منه ريح طيبة لها وجه كوجه
الإنسان. ٥

١. سورة البقرة / ٢٤٧.

٢. سورة البقرة / ٢٤٨.

٣. سورة البقرة / ٢٤٨.

٤. سورة البقرة / ٢٤٨.

٥. تفسير القمي ١ / ٨٢.

ورواها الجزائري في قصص الأنبياء.^١

عن أبي بصير عن أبي جعفر ٧ في قوله (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) قال: كان القليل ستين ألفاً.^٢

رواها الصدوق بسند صحيح في معاني الأخبار.^٣

عن محمد الحلبي عن أبي عبد الله ٧ (أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِمَلِكٍ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِّنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَجْعَلْ لَّنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قال وكان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود والنبي يقيم له أمره وينبئه بالخبر من عند ربه فلما قالوا ذلك لنبِيِّهِمْ قال لهم أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَكُمْ وِفَاءٌ وَلَا صَدَقٌ وَلَا رَغْبَةٌ فِي الْجِهَادِ، فَقَالُوا إِنَّا كُنَّا نَهَابُ الْجِهَادَ إِذَا أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا فَلَا بَدَّ لَنَا مِنَ الْجِهَادِ وَنَطِيعُ رَبِّنَا فِي جِهَادٍ عَدُونَا، قَالَ (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) ٤ فَقَالَتْ عِظَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَمَا شَأْنُ طَالُوتَ يَمْلِكُ عَلَيْنَا وَلَيْسَ فِي بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَالْمَمْلَكَةِ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ النُّبُوَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ فِي آلِ اللّٰوِي وَيَهُودَا وَطَالُوتَ مِنْ سَبْطِ ابْنِ يَامِينَ بْنِ يَعْقُوبَ، فَقَالَ لَهُمْ (إِنَّ اللَّهَ آصَطَفَنُكُمْ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) ٥ وَالْمَلِكُ بِيَدِ اللَّهِ يَجْعَلُهُ حَيْثُ يَشَاءُ لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَخْتَارُوا وَ (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ) ٦ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ (فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ) ٧ وَهُوَ الَّذِي كُتِبَ تَهْزَمُونَ

١. قصص الأنبياء / ٣٣٠.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٥١، ح ٤٤١.

٣. معاني الأخبار / ١٥١، ح ١.

٤. سورة البقرة / ٢٤٧.

٥. سورة البقرة / ٢٤٧.

٦. سورة البقرة / ٢٤٨.

٧. سورة البقرة / ٢٤٨.

به من لقيتم، فقالوا إن جاء التابوت رضينا وسلّمنا.^١

المفيد رفعه وقال: من كلام أمير المؤمنين 7 لما على المسير إلى الشام لقتال معاوية بن أبي سفيان [قال]: بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله 6 اتقوا الله عباد الله وأطيعوه وأطيعوا إمامكم فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل ألا وإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقي ناكثاً لبيعتي طاعناً في دين الله ﷺ وقد علمتم أيها المسلمون ما فعل الناس بالأمس فجئتموني راغبين إليّ في أمركم حتى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني فالتويت عليكم لأبلو ما عندكم فراودتموني القول مراراً وراددتكموه وتكأكتم عليّ تكأكؤ الإبل على حياضها حرصاً على بيعتي حتى خفت أن يقتل بعضكم بعضاً فلما رأيت ذلك منكم روّيت في أمري وأمركم وقلت إن أنا لم أجبههم إلى القيام بأمرهم لم يصيبوا أحداً يقوم فيهم مقامي ويعدل فيهم عدلي. وقلت والله لأليّنهم وهم يعرفون حقي وفضلي أحب إليّ من أن يلوني وهم لا يعرفون حقي وفضلي فبسطت يدي لكم فبايعتموني يا معشر المسلمين وفيكم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان فأخذت عليكم عهد بيعتي وواجب صفقتي عهد الله وميثاقه وأشدّ ما أخذ على النبين من عهد وميثاق لئن لي ولتسمعن لأمرني ولتطيعوني وتناصحوني وتقاتلون معي كل باغ عليّ أو مارق إن مرق فأنعمتم لي بذلك جميعاً وأخذت عليكم عهد الله وميثاقه وذمة الله ورسوله فأجبتهموني إلى ذلك وأشهدت الله عليكم وأشهدت بعضكم على بعض وقمت فيكم بكتاب الله وسنة نبيه 6.

فالعجب من معاوية بن أبي سفيان ينازعني الخلافة ويحذني الإمامة ويزعم أنّه أحقّ بها منّي جرأة منه على الله وعلى رسوله بغير حق له فيها ولا حجة ولم يبايعه

١. تفسير العياشي ١/ ٢٥٠، ح ٤٤٠.

عليها المهاجرون ولا سلم له الأنصار والمسلمون. يا معشر المهاجرون والأنصار وجماعة من سمع كلامي أما أوجبتم لي على أنفسكم الطاعة أما بايعتموني على الرغبة أما أخذت عليكم العهد بالقبول لقولي أما كانت بيعتي لكم يؤمئذ أوكد من بيعة أبي بكر وعمر؟ فما بال من خالفني لم ينقض عليها حتى مضيا ونقض عليّ ولم يف لي؟! أما يجب لي عليكم نصحي ويلزمكم أمري؟ أما تعلمون أن بيعتي تلزم الشاهد عنكم والغائب؟ فما بال معاوية وأصحابه طاعينين في بيعتي؟ ولم لم يفوا بها لي وأنا في قرابتي وسابقتي وصهري أولى بالأمر ممن تقدمني؟ أما سمعتم قول رسول الله ﷺ يوم الغدير في ولايتي وموالياتي؟ فاتقوا الله أيها المسلمون وتحاثوا على معاوية القاسط الناكث وأصحابه القاسطين. واسمعوا ما أتلو عليكم من كتاب الله المنزل على نبيه المرسل لتتعظوا فإنه عظة لكم فانتفعوا بمواعظ الله وازدجروا عن معاصي الله فقد وعظكم الله بغيركم فقال لنبيه ﷺ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَاعُوا أَنفُسَهُمْ أَجْرًا لَّئِي لَنَّا مَلَكَ تَقْتِيلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأُتْبِئْنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ١.

أيها الناس إن لكم في هذه الآيات عبرة لتعلموا أن الله تعالى جعل الخلافة والإمرة من بعد الأنبياء في أعقابهم، وأنه فضل طالوت وقدمه على الجماعة باصطفائه إياه وزيادته بسطة في العلم والجسم فهل تجدون الله اصطفي بني أمية على بني هاشم!

وزاد معاوية عليّ بسطة في العلم والجسم! فاتقوا الله عباد الله وجاهدوا في سبيله قبل أن ينالكم سخطه بعصيانكم له قال الله سبحانه: (لُعِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ١ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) ٢ (يَتْلُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُنُكُمْ عَلَى نَجْوَىٰ تُجَارِكُم مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ * تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ٣.

اتقوا الله - عباد الله - وتحاثوا على الجهاد مع إمامكم، فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر إذا أمرتهم أطاعوني، وإذا استنھضتهم نهضوا معي لاستغنيت بهم عن كثير منكم وأسرعْتُ النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه فإنه الجهادُ المفروض. ٤

رواها أبو منصور الطبرسي في الإحتجاج. ٥

قال الشيخ الطوسي في اسم النبي المذكور: «قال وهب بن منية: هو شمويل، وهو المروي عن أبي جعفر ٧» ٦.

وقال الطبرسي: «وقيل: هو اشمويل - وهو بالعربية إسماعيل - عن أكثر

١. سورة المائدة / ٧٨ و ٧٩.

٢. سورة الحجرات / ١٥.

٣. سورة الصف / (١٢-١٠).

٤. الإرشاد / (٢٦٣-٢٦٠).

٥. الإحتجاج ١ / ١٧٢ و ١٧٣.

٦. التبيان ٢ / ٢٨٨.

المفسرين وهو المروي عن أبي جعفر ٧^١.

وكذلك قال الشيخ أبو الفتوح الرازي في روض الجنان.^٢

قال الجزائري: روي أنه لم غلب الأعداء على التابوت أدخلوه بيت الأصنام فأصبحت أصنامهم منكسة فأخرجوه ووضعوه في ناحية من المدينة فأخذهم وجع في أعناقهم وكل موضع وضعوه ظهر فيه بلاء وموت ووباء فأشير عليهم بأن يخرجوا التابوت فاجتمع رأيهم أن يأتوا به ويحملوه على عجلة ويشدوها إلى ثورين ففعلوا ذلك وأرسلوا الثورين فجاءت الملائكة وساقوا الثورين إلى بني إسرائيل. وقال ابن الأثير في الكامل لما انقطع إليا عن بني إسرائيل بعث الله اليسع وكان فيهم ثم قبض وعظمت فيه الأحداث وعندهم التابوت يتوارثونه فيه السكينة فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدّمون التابوت إلا انهزم العدو وكانت السكينة شبيهة برأس الهر فإذا صرخ في التابوت بصراخ الهر أيقنوا بالنصر. فلما عظم أحداثهم نزل بهم عدو فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت فاقتتلوا فغلبهم عدوهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا فمات ملكهم تحسرا ودخل العدو أرضهم ونهب وسبى وعادوا فملكوا على اضطراب من أمرهم واختلاف. وكان مدة ما بين وفاة يوشع إلى أن رجعت النوبة إلى أشموئيل ستين سنة. وكان من خبر أشموئيل أن بني إسرائيل لما طال عليهم البلاء وطمع فيه وأخذ التابوت عنهم فصاروا لا يلقون ملكا إلا خائفين. فقصدتهم جالوت ملك الكنعانيين وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين فظفر بهم وضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة فدعوا الله أن يعث لهم نبيا يقاتلون معه وكان سبط النوبة هلكوا ولم يبق منهم غير امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من

١. مجمع البيان ٢/ ٣٥٠.

٢. روض الجنان ٣/ ٣٤٩.

رغبة بني إسرائيل في ولدها فولدت غلاما سمته أشموئيل ومعناه سمع الله دعائي. وسبب تسميته أنها كانت عاقرا وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبغت عليها بكثرة أولادها فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولدا فرحم الله تعالى انكسارها وحاضت لوقتها وقربت زوجها فحملت فولدت غلاما سمته أشموئيل فأرسلته إلى بيت المقدس يتعلم التوراة وكفله شيخ من علمائهم. فلما بلغ بعثه الله تعالى نبيا إلى قومه فكذبوه تارة وأطاعوه أخرى فأقام يدير أمرهم أربعين سنة وكانت العمالة مع ملكهم جالوت قد عظمت مكانتهم في بني إسرائيل حتى كادوا يهلكونهم. فلما رأى بنو إسرائيل ذلك قالوا (أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فدعا الله فأرسل لهم طالوت. فلما قتل داود جالوت أعطاه طالوت ابنته وزوجها.^١ وذكر نحوها الشيخ أبو الفتوح الرازي في روض الجنان.^٢

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ^٣ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ^٤

وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

تتمة الآية السابقة وقصتها.

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ) (إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ)^٣ الذين (قَالُوا)^٤ (أَبْعَثْ لَنَا

١. قصص الأنبياء / ٣٣٣.

٢. روض الجنان ٣ / ٣٤٩.

٣. سورة البقرة / ٢٤٦.

٤. سورة البقرة / ٢٤٦.

مَلِكًا نُقْتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ١.

(إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) نسب نبيهم «بعث الملك إلى الله تنبيهه بما فات منهم إذ قالوا لنبيهم (أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقْتِلَ) ٢ ولم يقولوا: اسأل الله ان يبعث لنا ملكا» ٣.

(قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ) «التصريح باسم طالوت هو الذي أوجب منهم الاعتراض على ملكه وذلك لوجود صفتين فيه كانتا تنافيان عندهم الملك، وهما ما حكاهما الله تعالى من قولهم (أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ)، ومن المعلوم أنَّ قولهم هذا لنبيهم، ولم يستدلوا على كونهم أحق بالملك منه بشيء يدل على أنَّ دليله كان أمرًا بيِّنًا لا يحتاج إلى الذكر، وليس إلاَّ أنَّ بيت النبوة وبيت الملك في بني إسرائيل وهما بيتان مفتخران بموهبة النبوة والملك كانتا غير البيت الذي كان منه طالوت، وبعبارة أخرى لم يكن طالوت من بيت الملك ولا من بيت النبوة ولذلك اعترضوا على ملكه بأننا، وهم أهل بيت الملك أو الملك والنبوة معًا، أحق بالملك منه لأن الله جعل الملك فينا فكيف يقبل الانتقال إلى غيرنا، وهذا الكلام منهم من فروع قولهم بنفى البداء وعدم جواز النسخ والتغيير حيث قالوا: يد الله مغולה غلت أيديهم، وقد أجاب عنه نبيهم بقوله: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ) فهذه إحدى الصفتين المنافيتين للملك عندهم» ٤.

(وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ) والصفة الثانية ان طالوت كان فقيرًا.

(قَالَ) نبيهم.

١. سورة البقرة / ٢٤٦.

٢. سورة البقرة / ٢٤٦.

٣. الميزان ٢ / ٢٨٦.

٤. الميزان ٢ / ٢٨٦.

(إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ) الإصطفاء: الاختيار. أي (إِنَّ اللَّهَ) «إِخْتَارَهُ لِتَدْبِيرِ شُؤْنِكُمْ وَإِصْلَاحِ أُمُورِكُمْ وَتَحْقِيقِ طَلِبَاتِكُمْ»^١.
(وَزَادَهُ بَسْطَةً) أي سعة وقدرة.
(فِي الْعِلْمِ) بجميع مصالح حياة الناس ومفاسدها والعلم بخصوصيات الإدارة.

(وَالْجِسْمِ) والقدرة الجسمية على إجراء ما يراه من مصالح المملكة.
وقد نفى سعة المال فعهده من مقومات الملك من الجهل.
(وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ) أي «إِنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ نَصِيبٌ إِلَّا مَا آتَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُ»^٢ كما قال: (قُلِ اللَّهُمَّ مَنَّاكَ الْوَلِيُّ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنَزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)^٣.
(وَاللَّهُ وَاسِعٌ) في الفضل والتصرف والقدرة.
(عَلِيمٌ) بوجوه الحكمة وما يقتضيها.

الروايات

صحيحة أبي بصير عن أبي جعفر 7 في قول الله ﷻ (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ) قال لم يكن من سبط النبوة ولا من سبط المملكة (قَالَ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ) وقال: (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ)^٤

١. مواهب الرحمن ٤ / ١٤٠.

٢. الميزان ٢ / ٢٨٧.

٣. سورة آل عمران / ٢٦.

٤. سورة البقرة / ٢٤٨.

فجاءت به الملائكة تحمله وقال الله جل ذكره (إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي) ^١ فشربوا منه إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً منهم من اغترف ومنهم من لم يشرب فلما برزوا قال الذين اغترفوا (لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) ^٢ وقال الذين لم يغترفوا (كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) ^٣ ٤.

وروا نحوها العياشي في تفسيره. ^٥

الصدوق بإسناده إلى الرضا ^٧ في حديث طويل في وصف الإمامة وفضل الإمام: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَئِمَّةَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يُوَفِّقُهُمُ اللَّهُ وَيُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَحُكْمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ غَيْرُهُمْ فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ كُلِّ عِلْمٍ أَهْلَ زَمَانِهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى) ^٦ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) ^٦ وقوله ﷺ: (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) ^٧ وقوله ﷺ في طالوت: (إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) الحديث. ^٨

خبر عبدالعظيم بن عبدالله الحسني الرازي في منزله باري، عن أبي جعفر محمد ابن علي الرضا ^٧، عن آبائه :، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده علي بن

١. سورة البقرة / ٢٤٩.

٢. سورة البقرة / ٢٤٩.

٣. سورة البقرة / ٢٤٩.

٤. الكافي ٨/ ٣١٦، ح ٤٩٨.

٥. تفسير العياشي ١/ ٢٥٢، ح ٤٤٢.

٦. سورة يونس / ٣٥.

٧. سورة البقرة / ٢٦٩.

٨. عيون أخبار الرضا ^٧ ١/ ٢٢١.

أبي طالب 7، قال: قلت: أربعا أنزل الله (تعالى) تصديقي بها في كتابه، قلت: المرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم ظهر، فأنزل الله (تعالى) (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) ١، قلت: مَنْ جهل شيئا عاداه، فأنزل الله (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا بَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) ٢، قلت: قدر، أو قال: قيمة كل إمرئ ما يحسن، فأنزل الله في قصة طالوت (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ)، قلت: القتل يُقِلُّ القتل، فأنزل الله (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي آلَ لَبِ) ٣.٤

ابن شهر آشوب قال: روي عن الأئمة : في قوله تعالى: (وَنَجْعَلُهمُ الْوَارِثِينَ) ٥ وعنهم : في قوله تعالى: (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ) أنهما نزلتا فينا. ٦

الطبرسي رفعه عن أبي عبد الله 7 انه قال: كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير الجنود والنبي يقيم له أمره وينبئه بالخبر من عند ربه. ٧

١. سورة محمد ٣٠ / ٦.

٢. سورة يونس / ٣٩.

٣. سورة البقرة / ١٧٩.

٤. أمالي الشيخ الطوسي، المجلس السابع عشر، ح ٥٢ / ٤٩٤، رقم ١٠٨٣.

٥. سورة القصص / ٥.

٦. المناقب / ٤ / ٣٣٠.

٧. مجمع البيان ٢ / ٢٣٥١.

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾)

تتمة قصة مُلْك طالوت.

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ) أعاد الفعل للدلالة على أنه حديث آخر متأخر عن الأول.

(إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ) أي ملك طالوت. (أَنْ يَأْتِيَكُمُ) أي ينزل عليكم.

(التَّابُوتُ) وهو الصندوق الذي كان موسى يضع التوراة والألواح وما أنزل

الله على أنبياء بني إسرائيل فيه وكان الله قد رفعه إلى السماء بعد وفاة موسى سخطاً على بني إسرائيل كما قيل. وكان فيه شأن ديني عظيم عندهم.

(فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) أي ما تسكن إليه النفس وتطمئن به القلب.

(وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ) الرجل خاصته من أهله

ويدخل فيهم نفسه إذا اطلق فـ(ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ) هما وخاصتهما من أهلها

الذين يتبعهما في العلم بما أتياه.

(تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) حال عن التابوت تدل على أهميته وعظمته وقداسته بحيث لا

يليق بكل يد أن تلمسه ولا يمسسه إلا المطهرون من الأقدار المعنوية والمادية.

(إِنَّ فِي ذَلِكَ) إشارة إلى أدلة صدق جعل (طَالُوتَ مَلِكًا) من إتيانه بالتابوت

بالكيفية الخاصة وفيه دلالة على أنهم سألوا نبيهم آية على صدق ما أخبر به من مُلْك

طالوت.

(لَآيَةً لَّكُمْ) لـ (الْمَلَايِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ).

(إِنْ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ) بالله ونبيه وآياته.

الروايات

صحيحة علي بن أسباط: قال: قلت لأبي الحسن الرضا 7: جعلت فداك ما ترى أخذ برًا أو بحرًا، فإنَّ طريقنا مخوف شديد الخطر؟ فقال: أخرج برًا ولا عليك أن تأتي مسجد رسول الله 6 وتصلي ركعتين في غير وقت فريضة ثمَّ لتستخير الله مائة مرة ومرة ثمَّ تنظر فإن عزم الله لك على البحر فقل الذي قال الله ﷻ وقال اركبوا فيها (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسَلَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) ١ فإن اضطرب بك البحر فأتك على جانبك الأيمن وقل: بسم الله اسكن بسكينة الله وقرَّ بوقار الله واهدئ بإذن الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. قلنا: أصلحك الله ما السكينة؟ ربح تخرج من الجنة لها صورة كصورة الإنسان ورائحة طيبة وهي التي نزلت على إبراهيم فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الأساطين قيل له: هي من التي قال الله ﷻ (سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ) قال: تلك السكينة في التابوت وكانت فيه طشت تغسل فيها قلوب الأنبياء وكان التابوت يدور في بني إسرائيل مع الأنبياء ثمَّ أقبل علينا فقال: ما تابوتكم؟ قلنا: السلاح، قال: صدقتم هو تابوتكم وإن خرجت برًا فقل: الذي قال الله ﷻ (سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) ٢ فإنه ليس من عبد يقولها عند ركوبه فيقع من بعير أو دابة فيصيبه شيء بإذن الله ثمَّ قال: فإذا خرجت من منزلك فقل: بسم الله امنت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنَّ الملائكة تضرب وجوه الشياطين ويقولون قد سمى الله وآمن بالله وتوكل على الله وقال لا حول ولا قوة إلا بالله. ٣

١. سورة هود/ ٤١.

٢. سورة الزخرف/ ١٣ و ١٤.

٣. الكافي ٣/ ٤٧١، ح ٥.

ورواها الحميري في قرب الإسناد^١ بسنده الصحيح.

خبر عبدالله بن سليمان عن أبي جعفر ٧ أنه قرأ (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) قال: كانت تحمله في صورة البقرة.^٢

المراد بعبدالله بن سليمان هنا النخعي الكوفي وقال في نتائج التنقيح في شرح المكاسب، الخيارات: «حسنه الفاضل المجلسي»^٣. على هذا صارت الرواية حسنة سنداً.

خبر حريز عمن أخبره عن أبي جعفر ٧ في قول الله تبارك وتعالى (يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) قال: رضراض الألواح فيها العلم والحكمة.^٤

حسنة بل صحيحة عبدالله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبدالله ٧ يقول: إنما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل حيثما دار التابوت دار الملك، فأينما دار السلاح فينا دار العلم.^٥

ورواها محمد بن الحسن الصفار في كتابه بصائر الدرجات^٦، والمراد بالسلاح هنا سلاح رسول الله ٦ وقد وردت عدة من الروايات بأنه عند الأئمة : فراجع في هذا المجال الكافي^٧ وبصائر الدرجات^٨.

١. قرب الإسناد / ٣٧٢، ح ١٣٢٧ و ١٣٢٨.

٢. الكافي / ٨ / ٣١٧، ح ٤٩٩.

٣. نتائج التنقيح في شرح المكاسب، الخيارات / ٩٠، رقم ٦٧٩١.

٤. الكافي / ٨ / ٣١٧، ح ٥٠٠.

٥. الكافي / ١ / ٢٣٨، ح ٢.

٦. بصائر الدرجات / ١٨٣، ح ٣٤.

٧. الكافي / ١ / ٢٣٢، باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ٦ ومتاعه.

٨. بصائر الدرجات / ١٧٤، باب ما عند الأئمة : من سلاح رسول الله ٦ وآيات الأنبياء مثل عصا وخاتم سليمان والطست والتابوت والألواح وقميص آدم.

صحيحة صفوان عن أبي الحسن الرضا 7 قال: كان أبو جعفر 7 يقول: إنما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل حيثما دار التابوت أوتوا النبوة وحيثما دار السلاح فينا فثمَّ الأمر، قلت: فيكون السلاح مزايلًا للعلم؟ قال: لا. ١.
رواها الصفار في بصائر الدرجات ٢ والروايات في هذا المجال متعددة فإن شئت راجع الكافي ٣ وبصائر الدرجات ٤.

عن حريز عن رجل عن أبي جعفر 7 في قول الله (أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهَا آلُ مَرْيَمَ) قال: رضا ٥ الألواح فيها العلم والحكمة، العلم جاء من السماء فكتب في الألواح وجعل في التابوت. ٦.

عن أبي المحسن عن أبي عبد الله 7 أنه سئل عن قول الله (وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهَا آلُ مَرْيَمَ) فقال: ذرية الأنبياء. ٧.

عن العباس بن هلال عن أبي الحسن الرضا 7 قال سمعته وهو يقول للحسن: أي شيء السكينة عنكم؟ وقرأ: (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ) ٨ فقال له الحسن: جعلت فداك لا أدري فأني شيء هي؟ قال: ربح تخرج من الجنة طيبة لها صورة كصورة وجه الانسان، قال: فتكون مع الأنبياء، فقال له علي بن أسباط تنزل على

١. الكافي ١/٢٣٨، ح ٣.

٢. بصائر الدرجات / ١٨٣، ح ٣٣.

٣. الكافي ١/٢٣٨.

٤. بصائر الدرجات / ١٧٤.

٥. رضا الشيء: فُتِّتَهُ.

٦. تفسير العياشي ١/٢٥٢، ح ٤٤٣.

٧. تفسير العياشي ١/٢٥٢، ح ٤٤٤.

٨. سورة الفتح / ٢٦.

الأنبياء والأوصياء؟ فقال: تنزل على الأنبياء قال: وهي التي نزلت على إبراهيم 7 حيث بنى الكعبة فجعلت تأخذ كذا وكذا وبنى الأساس عليها، فقال له محمد بن علي قول الله (فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) قال: هي من هذا، ثم أقبل على الحسن فقال: أي شيء التابوت فيكم؟ فقال السلاح، فقال: نعم هو تابوتكم، فقال: فأني شيء في التابوت الذي كان في بني إسرائيل؟ قال: كان فيه ألواح موسى التي تكسرت والطست التي تغسل فيها قلوب الأنبياء.^١

صحيحة هشام عن الصادق 7 قال: إن داود 7 لما جعله الله ﷺ خليفة في الأرض وأنزل عليه الزبور أوحى الله ﷻ إلى الجبال والطير أن يسبحن معه وكان سببه أنه إذا صلى بنبي إسرائيل يقوم وزيره بعد ما يفرغ من الصلاة فيحمد الله ويسبحه ويكبره ويهلله ثم يمدح الأنبياء : نبيا نبيا ويذكر من فضلهم وأفعالهم وشكرهم وعبادتهم لله سبحانه وتعالى والصبر على بلائه ولا يذكر داود، فنادى داود ربه فقال يا رب قد أنعمت على الأنبياء بما أثنت عليهم ولم تثن علي، فأوحى الله ﷻ إليه هؤلاء عباد ابتليتهم فصبروا وأنا اثني عليهم بذلك فقال يا رب فابتلني حتى أصبر، فقال يا داود تختار البلاء على العاقبة إنني ابتليت هؤلاء وأنا لم أعلمهم وأنا ابتليك وأعلمك أن بلائي في سنة كذا وشهر كذا وفي يوم كذا، وكان داود 7 يفرغ نفسه لعبادته يوما ويقعد في محرابه يوما ويقعد لبني إسرائيل فيحكم بينهم، فلما كان اليوم الذي وعده الله ﷻ اشتدت عبادته وخلا في محرابه وحجب الناس عن نفسه وهو في محرابه يصلي فإذا طائر قد وقع بين يديه جناحه من زبرجد أخضر ورجلاه من ياقوت أحمر ورأسه ومنقاره من لؤلؤ وزبرجد فاعجبه جدا ونسي ما كان فيه، فقام ليأخذه فطار الطائر فوق على حائط بين داود وبين أوريا بن حنان وكان داود قد بعث أوريا في بعث

١. تفسير العياشي ١/ ٢٥٢، ح ٤٤٥.

فصعد داود 7 الحائط ليأخذ الطير وإذا امرأة اوريا جالسة تغتسل فلما رأت ظل داود نشرت شعرها وغطت به بدنها، فنظر إليها داود فافتتن بها ورجع إلى محرابه، ونسي ما كان فيه وكتب إلى صاحبه في ذلك البعث لما أن يصيروا إلى موضع كيت وكيت يوضع التابوت بينهم وبين عدوهم، وكان التابوت في بني إسرائيل كما قال الله ﷻ (فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) وقد كان رفع بعد موسى 7 إلى السماء لما عملت بنو إسرائيل بالمعاصي، فلما غلبهم جالوت وسألوا النبي أن يبعث إليهم ملكا يقاتل في سبيل الله بعث إليهم طالوت وأنزل عليهم التابوت وكان التابوت إذا وضع بين بني إسرائيل وبين أعدائهم ورجع عن التابوت إنسان كفر وقتل ولا يرجع أحد عنه إلا ويقتل. فكتب داود إلى صاحبه الذي بعثه أن يضع التابوت بينك وبين عدوك وقدم اوريا بن حنان بين يدي التابوت فقدمه وقتل، فلما قتل اوريا دخل عليه الملكان وقعدا ولم يكن تزوج امرأة اوريا وكانت في عدتها وداود في محرابه يوم عبادته فدخلا عليه الملكان من سقف البيت وقعدا بين يديه ففرع داود منهما فقالا (لَا تَخَفْ خَصَمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ) ١ ولداود حينئذ تسع وتسعون امرأة ما بين مهيرة إلى جارية، فقال أحدهما لداود (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِيَ نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) ٢ أي ظلمني وقهرني، فقال داود كما حكى الله ﷻ (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ) ٣ إلى قوله (وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) ٤ قال فضحك المستعدى عليه من الملائكة وقال قد حكم الرجل على نفسه فقال داود: أَتَضَحَّكُ وقد عصيت لقد هممت

١. سورة ص / ٢٢.

٢. سورة ص / ٢٣.

٣. سورة ص / ٢٤.

٤. سورة ص / ٢٤.

أن أهشيم فاك، قال فعرجا وقال الملك المستعدى عليه لو علم داود أنه أحق بهشم فيه مني، الحديث.^١

وأما انتساب قصة امرأة اوريا إلى نبي الله داود مردود جملة وتفصيلاً برواية أبي الصلت الهروي عن الرضا ٧ في مجلسه مع المأمون في عصمة الأنبياء بقوله: «وأما داود ٧، فما يقول من قبلكم فيه؟ فقال علي بن محمد بن الجهم: يقولون: إن داود ٧ كان في محرابه يصلي، فتصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير، فخرج الطير إلى الدار، فخرج في أثره، فطار الطير إلى السطح، فصعد في طلبه، فسقط الطير في دار أوريا بن حنان، فاطلع داود في أثر الطير، فإذا بامرأة أوريا تغتسل، فلما نظر إليها هواها وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدم أوريا أمام الحرب، فقدم، فظفر أوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود، فكتب إليه ثانية: أن قدمه أمام التابوت، فقدم، فقتل أوريا، فتزوج داود بامرأته.

قال: ف ضرب الرضا ٧ بيده على جبهته، وقال: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)^٢، لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته، حتى خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة، ثم بالقتل! فقال: يابن رسول الله فما كانت خطيئته؟

فقال: ويحك! إن داود إنما ظن أن ما خلق الله ﷻ خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله ﷻ إليه الملكين فتسورا المحراب، فقالا: (حَصَمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ)^٣ فعجل داود ٧ على المدعى عليه، فقال (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ)^٤.

ولم يسأل المدعي البيّنة على ذلك، ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم، لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع الله ﷻ يقول: (يٰۤاٰدُوْدُ اِنَّا جَعَلْنٰكَ خَلِيْفَةً فِى الْاَرْضِ

١. تفسير القمي ٢/ ٢٢٩.

٢. سورة البقرة / ١٥٦.

٣. سورة ص / ٢٢ و ٢٣.

٤. سورة ص / ٢٤.

فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ^١ إلى آخر الآية، فقال: يابن رسول الله، فما قصته مع أوريا؟ فقال الرضا 7: إن المرأة في أيام داوود 7 كانت إذا مات بعلمها أو قُتل لا تتزوج بعده أبداً، فأول من أباح الله ﷻ له أن يتزوج بامرأة قُتل بعلمها داوود 7، فتزوج بامرأة أوريا لما قُتل وانقضت عدتها منه، فذلك الذي شق على الناس من قبل أوريا^٢.

خبر سليم بن قيس قال خرج [أمير المؤمنين] علي بن أبي طالب 7 ونحن قعود في المسجد بعد رجوعه من صفين وقبل يوم النهروان فقعده [علي] واحتوشناه فقال له رجل يا أمير المؤمنين أخبرنا عن [من] أصحابك فقال سل فذكر قصة طويلة وقال إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول في كلام له طويل أن الله أمرني بحب أربعة [رجال] من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم و [أمرني أن أحبهم] والجنة تشتاق إليهم فليل من هم يا رسول الله فقال علي بن أبي طالب ثم سكت فقالوا من هم يا رسول الله فقال علي ثم سكت فقالوا من هم يا رسول الله فقال علي وثلاثة معه وهو إمامهم وقائدهم ودليلهم وهادهم لا يثنون [لا يثنون] ولا يضلون ولا يرجعون ولا يطول عليهم الأمد فتقسو قلوبهم سلمان وأبوذر والمقداد فذكر قصة طويلة ثم قال أدعوا لي عليا فأكببت [فأكببت] فقلت عليهم [عليه فأسر إلي] [لي] ألف [بألف] باب يفتح [لي] كل باب ألف باب ثم أقبل إلينا أمير المؤمنين وقال سلوني قبل أن تفقدوني فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنني لأعلم بالتوراة من أهل التوراة وإنني لأعلم بالإنجيل من أهل الإنجيل وإنني لأعلم بالقرآن من أهل القرآن والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما من فئة تبلغ ثمانين [ناس] رجلا إلى يوم القيامة [إلا] وأنا عارف بقائدها وسائقها وسلوني عن القرآن فإن في القرآن بيان كل شيء فيه علم الأولين والآخرين وإن القرآن لم يدع لقائل مقالا (وما

١. سورة ص/ ٢٦.

٢. عيون أخبار الرضا 7 ١/ ٢٤٩ و ٢٥٠ من طبعة آل البيت .:

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ^١ ليس بواحد رسول الله [٦] منهم أعلمه [علمه] الله إياه فعلمنيه رسول الله ٦ ثم لا تزال في عقبنا إلى يوم القيامة ثم قرأ أمير المؤمنين (بَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ) وأنا من رسول الله ٦ بمنزلة هارون من موسى والعلم في عقبنا إلى ان تقوم الساعة.^٢

رواها مختصراً الأسترآبادي في تأويل الآيات الظاهرة.^٣

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر ٧ قال: السكينة: الإيمان.^٤

معتبرة يونس بن عبدالرحمن عن أبي الحسن ٧ قال: سألته فقلت: جعلت فداك ما كان تابوت موسى؟ وكم كان سعته؟ قال: ثلاث أذرع في ذراعين، قلت: ما كان فيه؟ قال: عصى موسى والسكينة، قلت: وما السكينة؟ قال: روح الله يتكلم، كانوا إذا اختلفوا في شيء كلمهم وأخبرهم ببيان ما يريدون.^٥

صحيحة إسماعيل بن همام عن الرضا ٧ أنه قال لرجل: أي شيء السكينة عندكم؟ فلم يدر القوم ما هي، فقالوا: جعلنا الله فداك ما هي؟ قال: ريح تخرج من الجنة طيبه لها صورة كصورة الإنسان تكون مع الأنبياء :، وهي التي أنزلت على إبراهيم ٧ حين بنى الكعبة فجعلت تأخذ كذا وكذا وبنى الأساس عليها.^٦

قال الشيخ الطوسي: قيل إن التابوت كان في أيدي أعداء بني إسرائيل من العمالة الذين غلبوهم عليه - على قول ابن عباس ووهب - وروى ذلك عن

١. سورة آل عمران / ٧.

٢. تفسير فرائد الكوفي / ٦٧، ح ٣٨.

٣. تأويل الآيات الظاهرة / ٢، ٥٥٥، ح ١٠.

٤. معاني الأخبار / ٢٨٤، ح ١.

٥. معاني الأخبار / ٢٨٤، ح ٢.

٦. معاني الأخبار / ٢٨٥، ح ٣.

أبي عبدالله ١. 7

رواها الطبرسي في مجمع البيان.^٢

قال الشيخ الطوسي: روي عن علي 7 أنه قال: السكينة التي كانت فيه ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان.^٣

رواها في الطبرسي مجمع البيان^٤ وجامع الجوامع^٥ ونحوها في تفسير الثعلبي^٦ والرازي في روض الجنان^٧.

قال الشيخ الطوسي في السكينة: قال ابن عباس وقتادة والسُّدِّي: أنّها عصا موسى ورصاص للألواح وهو المروي عن أبي جعفر 7.^٨

رواها الطبرسي في مجمع البيان.^٩

قال الشيخ الطوسي: قال أبو جعفر 7: التابوت هو الذي وضعت أم موسى فيه موسى حين ألقته في اليم.^{١٠}

رواها الطبرسي في مجمع البيان.^{١١}

قال الشيخ أبو الفتوح الرازي: قال عبدالله بن عباس: إنّ التابوت وعصا

١. التبيان ٢/ ٢٩٢.

٢. مجمع البيان ٢/ ٣٥٣.

٣. التبيان ٢/ ٢٩٢.

٤. مجمع البيان ٢/ ٣٥٣.

٥. جامع الجوامع ١/ ١٣٦.

٦. تفسير الثعلبي ٢/ ٢١٣.

٧. روض الجنان ٣/ ٣٦٤.

٨. التبيان ٢/ ٢٩٣.

٩. مجمع البيان ٢/ ٣٥٣.

١٠. التبيان ٢/ ٢٩٣.

١١. مجمع البيان ٢/ ٣٥٣.

موسى في البحيرة الطبرية وأتتها يجران قبل يوم القيامة.

قال الرازي: وهذا في عهد صاحب الزمان عليه السلام على ما جاءت به الرواية عن

الصادقين ١.:

ذكرها الثعلبي في تفسيره. ٢.

ابن شهر آشوب قال: في حديث جابر بن يزيد الجعفي أنه لما شكت الشيعة إلى زين العابدين ٧ مما يلقونه من بني إمية دعا الباقر ٧ وأمره أن يأخذ الخيط الذي نزل به جبرئيل إلى النبي ٦ ويحركه تحريكا قال فمضى إلى المسجد فصلى فيه ركعتين ثم وضع خده على التراب وتكلم بكلمات ثم رفع رأسه فأخرج من كمه خيطا رقيقا يفوح منه رائحة المسك واعطاني طرفا منه فمشيت رويدا فقال قف يا جابر فحرك الخيط تحريكا لينا خفيفا ثم قال اخرج فانظر ما حال الناس قال فخرجت من المسجد فإذا صياح وصراخ وولولة من كل ناحية وإذا زلزلة شديدة وهذه ورجفة قد أخرجت عامة دور المدينة وهلك تحتها أكثر من ثلاثين ألف انسان ثم صعد الباقر ٧ المنارة فنادى بأعلى صوته إلا يا أيها الضالون المكذبون قال فظن الناس أنه صوت من السماء فخرؤا لوجوههم وطارأت أفئدتهم وهم يقولون في سجودهم الأمان الأمان وأتهم (يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ) ٣ يسمعون الصيحة بالحق ولا يرون الشخص ثم قرأ (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) ٤ قال فلما نزل منها وخرجنا من المسجد سألته عن الخيط قال هذا من البقية قلت وما البقية يا ابن رسول الله قال يا جابر (بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) ويضعه جبرئيل

١. روض الجنان ٣/ ٣٦٨.

٢. تفسير الثعلبي ٢/ ٢١٥.

٣. سورة ق/ ٤٢.

٤. سورة النحل/ ٢٦.

لدينا. ١

روا العلامة المجلسي الرواية بتمامها في بحار الأنوار^٢ نقلاً عن عيون المعجزات.
المجلسي نقلاً عن كتاب صفوة الأخبار قال في حديث: فقال ابن الكواء: فما قوله تعالى: (بَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) قال: هو عمامة موسى وعصاه، ورضراض الألواح، وإبريق من زمرد وطشت من ذهب، الحديث. ٣

(فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ^٤ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ^٥ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلِّقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) ﴿٢٤٩﴾

تتمة قصة طالوت.

(ف) عطف على أول الآية السابقة.

(لَمَّا فَصَلَ) أي اخرج الجنود عن مقرهم وسيرهم إلى الحرب.

(طَالُوتُ) وهو ملكهم المنتخب من الله تعالى.

١. المناقب ٤/ ١٨٣؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٤٦/ ٢٦٠، ح ٦١ (١٩/ ١٥٦).

٢. بحار الأنوار ٤٦/ ٢٧٤، ح ٨٠ (١٩/ ١٦٥).

٣. بحار الأنوار ٤٠/ ٢٨٤، ح ٤٥ (١٧/ ١٠١).

(بِالْجُنُودِ) جمع جند وهو العسكر. (قَالَ) طالوت.
(إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ) الإبتلاء: الإمتحان والاختبار لتمييز الصادق من الكاذب.

(بَنَهْرٍ) لغة في النَّهْر وهو مجرى الماء الفائض. (فَ) تفریعاً على الإبتلاء.
(مَنْ شَرِبَ مِنْهُ) أي من ماء النهر، بحيث يرتوي من الماء.
(فَلَيْسَ مِنِّي) أي (لَيْسَ) متصلاً بي ولا علاقة بيني وبينه. وأصل «من» في هذا التركيب للتبعيض.

(وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ) الطعم: تناول الغذاء وتستعمل في شرب الماء كما ورد عن النبي ﷺ: ماء زمزم طعام من الطعم وشفاء من السقم.^١ والمراد به هنا: الذوق، أي مَنْ لم يذقه.

(فَإِنَّهُ مِنِّي) ومن أصحابي وسيكون معي. (إِلَّا) أداة استثناء.
(مَنْ أَعْتَرَفَ) الإغتراف: الأخذ باليد.
(عُرْفَةً) المقدار الذي يجتمع في الكف.
(بِيَدِهِ) فلا بأس بشرب ما يجتمع في كفه.
(فَ) تفریعاً على نهيه من شرب الماء.
(شَرِبُوا مِنْهُ) من النهر حتّى يرتوا، فلم يصبروا على العطش.
(إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) اختلفوا في عددهم والمروي أنّ عددهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كما يأتي.

(فَلَمَّا جَاوَزَهُ) أي جاوز النهر. (هُوَ) أي طالوت.
(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ) من جنوده الصابرين المؤمنين الذين لم يطعموا والذين

١. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ٢/ ٤١.

لم يشربوا إلا غرفة بيده، فالذين شربوا وارتوا لم يجاوز النهر.
 (قَالُوا) المغترفون بأيديهم. (لَا طَاقَةَ) أي لا قوة ولا قدرة.
 (لَنَا) أي لجنودنا. (أَلْيَوْمَ) وهو يوم الحرب.
 (بِجَالُوتَ) وهو القائد المشرك الذي أذل اليهود وأخرجهم من ديارهم.
 (وَجُنُودِهِ) أي جنود جالوت.
 (قَالَ الَّذِينَ) وهم الذين لم يطعموا الماء ولا يذوقه.
 (يُظُنُّونَ) المراد بالظن هنا اليقين.
 (أَنَّهُمْ مُلْقُوا لِلَّهِ) أي استيقنوا بالموت وملاقاة الله تعالى.
 (كَمْ) خبرية، وأخذًا بالواقع في الإحتجاج بإراءة المصداق ليكون أقنع
 للخصم.
 (مِنْ فِتْنَةٍ) وهي جماعة متظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض أو طائفة من
 الناس.
 (قَلِيلَةٍ) من حيث العدد. (غَلَبَتْ) أي قهرت وظفرت.
 (فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ) من حيث العدد. (بِإِذْنِ اللَّهِ) أي بنصر الله.
 (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) بالمعية القيومية ولا يعقل معها الهزيمة فإنها من الخلف وفيه
 بشارة للصابرين في الدنيا والآخرة.

الروايات

عن أبي بصير عن أبي جعفر 7 في قول الله: (إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي) فشرّبوا منه إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم من اعترف ومنهم من لم يشرب فلما برزوا قال الذين اعترفوا (لَا طَاقَةَ لَنَا أَلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) وقال

الذين لم يفترقوا (كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) ١.
عن حماد بن عثمان قال: قال أبو عبد الله 7: لا يخرج القائم في أقل من الفئته،
ولا تكون الفئته أقل من عشرة آلاف ٢.

خبر ابن عباس 2 قال: إن لعلي بن أبي طالب 7 في كتاب الله اسماً لا يعرفه
الناس قلت وما هي؟ قال: سمّاه نهرًا فقال (إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ) كما ابتلى بني
إسرائيل إذ خرجوا إلى قتال جالوت فابتلاهم بنهر فابتلاكم بولاية علي 7 الفارق
فيها ناج والمقصّر فيها مذنب والتارك لها هالك ٣.

خبر أبي بصير عن أبي عبد الله 7 قال: إن أصحاب طالوت ابتلوا بالنهر الذي
قال الله تعالى (مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ) وإن أصحاب القائم 7 يبتلون بمثل ذلك ٤.
ورواها الشيخ الطوسي في الغيبة ٥.

خبر فضيل بن جعد عن مولى الأشر قال شكّا علي 7 إلى الأشر فرار الناس
إلى معاوية فقال الأشر يا أمير المؤمنين أنا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة
والرأي واحد وقد اختلفوا بعد وتعادوا وضعفت النية وقلّ العدد وأنت تأخذهم
بالعدل وتعمل فيهم بالحق وتنصف الوضيع من الشريف وليس للشريف عندك فضل
منزلة على الوضيع فضجت طائفة ممن معك من الحق إذا عُمّوا به واغتمّوا من العدل
إذ صاروا فيه وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف فتاقت أنفس الناس إلى
الدنيا وقل من الناس من ليس للدنيا بصاحب وأكثرهم من يجتوي الحق ويستمرئ

١. تفسير العياشي ١/٢٥٣، ح ٤٤٦.

٢. تفسير العياشي ١/٢٥٣، ح ٤٤٧.

٣. تفسير فرائد الكوفي ٦٩، ح ٣٩.

٤. الغيبة للنعماني ٣١٦، ح ١٣.

٥. الغيبة للطوسي ٢٨٢.

الباطل ويؤثر الدنيا فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الناس وتصف نصيحتهم وتستخلص ودهم صنع الله لك يا أمير المؤمنين وكبت عدوك وقصص جمعهم وأوهن كيدهم وشتت أمورهم (إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) ١.

فأجابه علي 7 فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فإن الله يقول (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) ٢ وأنا من أن أكون مقصرا فيما ذكرت أخوف. وأما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور ولم يدعوا إذ فارقونا إلى عدل ولم يلتمسوا إلا دنيا زائلة عنهم كأن قد فارقوها وليسالن يوم القيامة ألدنيا أرادوا أم الله عملوا؟

وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال، فإننا لا يسعنا أن نؤتي امرءا من الفياء أكثر من حقه، وقد قال الله وقوله الحق: (كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ).

و [قد] بعث [الله] محمدا 9 وحده فكثره بعد القلة، وأعزّ فتيته بعد الذلّة، وإن يرد الله [أن] يولينا هذا الأمر، يذلّل لنا صعبه ويسهّل لنا حزنه وأنا قابل من رأيك ما كان لله [فيه] رضا، وأنت من أعزّ أصحابي وأوثقهم في نفسي وأنصحهم عندي. ٣

خبر عمارة عن الصادق عن آبائه : قال في حديث أن يوشع بن نون قام بالأمر بعد موسى 7 صابرا من الطواغيت على اللأواء والضراء والجهد والبلاء حتى مضى منهم ثلاثة طواغيت فقوى بعدهم أمره فخرج عليه رجلا من منافقي قوم

١. سورة هود/ ١١.

٢. سورة فصلت/ ٤٦.

٣. الغارات ١/ ٤٦؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٣٤/ ١٦٣.

موسى بصفراء بنت شعيب امرأة موسى في مائة ألف رجل فقاتلوا يوشع بن نون فغلبهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم الباقين بإذن الله تعالى ذكره وأسر صفراء بنت شعيب وقال لها قد عفوت عنك في الدنيا إلى أن نلقى نبي الله موسى فاشكو ما لقيت منك ومن قومك فقالت صفراء وا ويلاه والله لو أبيحت لي الجنة لاستحييت أن أرى فيها رسول الله وقد هتكت حجابيه وخرجت على وصيه بعده فاستتر الأئمة بعد يوشع إلى زمان داود 7 أربعمئة سنة وكانوا أحد عشر وكان قوم كل واحد منهم يختلفون إليه في وقته ويأخذون عنه معالم دينهم حتى انتهى الأمر إلى آخرهم فغاب عنهم ثم ظهر فبشرهم بداود 7 وأخبرهم أن داود 7 هو الذي يطهر الأرض من جالوت وجنوده ويكون فرجه في ظهوره وكانوا ينتظرونه فلما كان زمان داود 7 كان له أربعة أخوة ولهم أب شيخ كبير وكان داود 7 من بينهم حامل الذكر وكان أصغر إخوته لا يعلمون أنه داود النبي المنتظر الذي يطهر الأرض من جالوت وجنوده وكانت الشيعة يعلمون أنه قد ولد وبلغ أشده وكانوا يرونه ويشاهدونه ولا يعلمون أنه هو فخرج داود 7 وإخوته وأبوه لما (فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ) وتحلف عنهم داود وقال ما يصنع في هذا الوجه واستهان به إخوته وأبوه وأقام في غنم أبيه يرعاها فاشتدت الحرب وأصاب الناس جهداً فرجع أبوه وقال لداود احمل إلى إخوتك طعاما يتقوون به على العدو وكان 7 رجلا قصيرا قليل الشعر طاهر القلب أخلاقه نقية فخرج والقوم متقاربون بعضهم من بعض قد رجع كل واحد منهم إلى مركزه فمر داود على حجر فقال الحجر له بئداء رفيع يا داود خذني فاقتل بي جالوت فإني إنما خلقت لقتله فأخذه ووضعته في مخلاته التي كانت يكون فيها حجارتها التي كان يرمي بها غنمه فلما دخل العسكر سمعهم يعظمون أمر جالوت فقال لهم ما تعظمون من أمره فوالله إن عايته لا قتلنه فتحدثوا بخبره حتى أدخل على طالوت فقال له يا فتى ما عندك من القوة وما جربت من نفسك قال قد كان الأسد يعدو على الشاة من غنمي

فأدركه وأخذ برأسه وأقلب لحييه عنها فأخذها من فيه وقد كان الله تبارك وتعالى أوحى إلى طالوت أنه لا يقتل جالوت إلا من لبس درعك فملأها فدعا بدرعه فلبسها داود فاستوت عليه فراع ذلك طالوت ومن حضره من بني إسرائيل فقال عسى الله أن يقتل جالوت به فلما أصبحوا والتقى الناس قال داود أروني جالوت فلما رآه أخذ الحجر فرماه به فصكّ به بين عينيه فدمغه وتنكس عن دابته فقال الناس قتل داود جالوت وملكه الناس حتى لم يكن يسمع لجالوت ذكر واجتمعت عليه بنو إسرائيل وأنزل الله تبارك وتعالى عليه الزبور وعلمه صنعة الحديد فليّنه له وأمر الجبال والطيور أن تسبح معه وأعطاه صوتاً لم يسمع بمثله حسناً وأعطاه قوة في العبادة وأقام في بني إسرائيل نبياً الحديث.^١

روا نحوها بالنسبة إلى داود العياشي في تفسيره.^٢

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه عن البراء بن عازب أنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: أنتم اليوم على عدد أصحاب طالوت حين عبّروا النهر وما جاز معه إلا مؤمن.^٣

رواها الثعلبي في تفسيره^٤ والكاشاني في منهج الصادقين^٥.

الرازي رفعه عن النبي ﷺ أنه قال: سيكون في أمتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقُدّة بالقُدّة.^٦

١. كمال الدين وتمام النعمة ١/ ١٥٤، ح ١٧.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٥٤، ح ٤٤٨.

٣. روض الجنان ٣/ ٣٧٠.

٤. تفسير الثعلبي ٢/ ٢١٦.

٥. منهج الصادقين ٢/ ٦٨.

٦. روض الجنان ٣/ ٣٧٢.

الرازي رفعه عن النبي ﷺ أنه قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجلٌ من ولدي يُواطئ اسمه اسمي وكنيتهُ كنيّتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.^١

في رواية الحسن بن محمّد بن عبد الله [الجعفري] من القرن الخامس من التفسير المنسوب إلى الصادق 7: قال رسول الله ﷺ: النهر هو الدنيا وابتلائاتها فمن شرب منها حرامها وشهواتها فليس من الله تعالى ومن رسوله ﷺ ومن اكتفى منها قوتاً عند الله فيها فهو من آل المصطفى ﷺ ومن أولياء الله.^٢

(وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) ﴿٢٥٠﴾

بيان دعاء طالوت وجنوده حين لقاء عدوهم وطلب الصبر من الله بحيث «لما ظهر طالوت وجنوده المؤمنون في ساحة الحرب والقتال مع أعدائهم جالوت وجنوده، لجأوا إلى الله تعالى يطلبون منه الصبر في الوغى»^٣، والثبات على الحق والجهاد، والعون والنصرة على القوم الكافرين، ولم يعتمدوا على أنفسهم مهما بلغوا في الإيمان والطاعة. وإنّما قدّموا الصبر على الثبات والنصرة، لأنّ بالصبر يتحقّق الثبات على الحق، وبه تتحقّق النصر على الأعداء، فيكون ترتب النصر على الإستقامة من قبيل ترتب المعلول على العلة، فهم راعوا الترتيب الطبيعي»^٤.

١. روض الجنان ٣/ ٣٧٥.

٢. تفسير القرآن المنسوب إلى الإمام الصادق 7 ١٥b.

٣. أي الحرب لما فيها من الجلبة واختلاط الأصوات.

٤. مواهب الرحمن ٤/ ١٥٤.

(و) عاطفة.

(لَمَّا) اسم شرط غير جازم بمعنى «حين» في محل نصب على الظرفية.

(بَرَزُوا) البروز: الظهور ومنه البراز وهو الظهور للحرب.

(لَجَأُوا) الملك الظالم.

(وَجُنُودِهِ) المسلحة والمجهزة والكثيرة، وهي الجموح التي تعد للقتال

واحدها جند.

(قَالُوا) طالوت وجنوده المؤمنين في مقام الدعاء. (رَبَّنَا) وإلهنا.

(أَفْرَغَ) الإفراغ: صب السيال في القلب على جهة الخلاء المكان منه، «والمراد

إفاضة الله سبحانه الصبر عليهم على قدر ظرفيتهم»^١. بل «إفاضة الصبر عليهم بتمامه»^٢.

(عَلَيْنَا) من المؤمنين القاتلين.

(صَبْرًا) تنكيره يدل على شمول أنواعه من الصبر على القتل والجرح والجوع

وفراق الأهل والأحبة وغير ذلك.

(و) عاطفة.

(ثَبَّتَ) الثبيت: تمكين الشيء من مكانه بلزومه إياه كناية عن الثبات وعدم

الفرار من العدو والاستقامة في مقابله، وأصل الباب: اللزوم.

(أَقْدَمْنَا) وأرجلنا. (و) عاطفة.

(أَنْصُرْنَا) «النصر: هو المعونة على العدو، ويكون ذلك بأشياء منها بزيادة

القوة، ومنها الرعب من الملاقاة، ومنها الإطلاع على العورة، ومنها تخيل الكثرة، ومنها

١. الميزان ٢/ ٢٩٣.

٢. مواهب الرحمن ٤/ ١٥٣.

إختلاف الكلمة التي تقع بلطف في إعطاء النصر، والفرق بين النصر، واللفظ: أن كل نصر من الله، فهو لطف، وليس كل لطف نصراً^١.

(عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) وهم جالوت وجنوده.

وفي الآية الشريفة مراعاة أدب الدعاء من استعمال لفظ «الرب» وطلبهم جميعاً الصبر والثبات والنصر والترتيب في الدعاء.

قال السبزواري ١: «وتدلّ على كل واحد من هذه الأمور السنة الشريفة»^٢.

وكما قال تعالى: (وَكَايْنِ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)^٣.

رواية

القمي قال: روي عن أبي عبدالله ٧ أنّه قال: القليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً فلما جاوزوا النهر ونظروا إلى جنود جالوت قال الذين شربوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وقال الذين لم يشربوا (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) فجاء داود ٧ فوقف بحذاء جالوت وكان جالوت على الفيل وعلى رأسه التاج وفي جبهته ياقوتة يلمع نورها وجنوده بين يديه فأخذ داود ٧ من تلك الأحجار حجراً فرمى به في ميمنة جالوت فمر في الهواء فوقهم فانهزموا وأخذ حجراً آخر فرمى به في ميسرة جالوت فوقهم فانهزموا ورمى جالوت بحجر فصكّت الياقوتة في جبهته ووصلت إلى دماغه

١. التبيان ٢/ ٢٩٩.

٢. مواهب الرحمن ٤/ ١٥٥.

٣. سورة آل عمران ١٤٦ و ١٤٧.

٥٦٢..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثاني

ووقع إلى الأرض ميتاً وهو قوله (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) (٢٠١)

(فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ
وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)

إستجاب بهم دعاؤهم وانتصر بني إسرائيل على عدوهم.
(ف) تفرعية، على البروز والدعاء والقتال.

(هَزَمُوهُمْ) أي دفعوهم، الهزم: الدفع، «هزم القوم في الحرب يهزم هزماً: إذا
دفعهم بالقتال هرباً منه»^٣.

(بِإِذْنِ اللَّهِ) أي بإرادته القاهرة الغالبة على كل شيء.
(وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ) ورمى داود جالوت بحجر مقلاع فوق بين عينيه
وقتله.

(وَءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) الظاهري والرياسة والسلطنة.
(وَالْحِكْمَةَ) والمراد بها الملك المعنوي من النبوة والمعارف الإلهية وكتابه الزبور
معروف بحكمه ومواعظه وأدعيته ومقالاته مع ربه.
(وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) من أمور الدين والدنيا والثاني منها: صنعة الدرع وعمل

١. سورة البقرة / ٢٥١.

٢. تفسير القمي ١/ ٨٣؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ١٣/ ٤٤١.

٣. التبيان ٢/ ٢٩٩.

السرد كما قاله ﷺ: (وَعَلَّمَنَّهُ صَنْعَةَ لُبُوسٍ لَّكُمْ لِتُخَصِّنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ)^١.
 (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) من أهل البغى والشر والظلم والفساد.
 (بِبَعْضٍ) بأهل الصلاح والإيمان.
 (لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) بفساد أهلها ولعمم الطغيان وفسد المجتمع الإنساني
 باستيلاء أهل الشرور والآثام وفساد النوع الإنساني يوجب فساد الأرض وما عليها
 بالتبع. كما أن صلاح الأرض إنما يكون بصلاح أهلها.
 (وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) وهذا الدفع تفضل من الله تعالى (عَلَى
 الْعَالَمِينَ) وهو ذو فضل على الخلق جميعاً لأن في ترك الدفع مفسدة عظيمة من فساد
 الأرض وأهلها ويوجب إخلال حكمة الله وإفشال المجتمع الإنساني بالفساد.

الروايات

خبر يونس بن زبيان عن أبي عبد الله 7 قال: إن الله ليدفع بمن يصلي من
 شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا ولو اجمعوا على ترك الصلاة لهلكوا وإن الله ليدفع
 بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي ولو اجمعوا على ترك الزكاة لهلكوا وإن الله ليدفع
 بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج ولو اجمعوا على ترك الحج لهلكوا وهو قول الله ﷻ
 (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
 الْعَالَمِينَ) فو الله ما نزلت إلا فيكم ولا عنى بها غيركم^٢.
 رواها علي بن إبراهيم القمي بسنده الصحيح في تفسيره^٣ والعياشي مرسلًا في تفسيره^٤

١. سورة الأنبياء / ٨٠.

٢. الكافي ٢/ ٤٥١، ح ١.

٣. تفسير القمي ١/ ٨٣.

٤. تفسير العياشي ١/ ٢٥٥، ح ٤٤٩.

والطبرسي في مجمع البيان^١ والكاشاني في منهج الصادقين^٢ وروا نحوها الرازي في روض الجنان^٣ والثعلبي في تفسيره^٤.

خبر هشام بن سالم عن ذكره عن أبي جعفر 7 قال: إنّ الله تبارك وتعالى لم يبعث الأنبياء ملوكاً في الأرض إلّا أربعة بعد نوح: ذو القرنين - واسمه عيّاش - وداود وسليمان ويوسف .: فأما عيّاش فملك ما بين المشرق والمغرب، وأما داود فملك ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر وكذلك كان ملك سليمان وأما يوسف فملك مصر وبراريها ولم يجاوزها إلى غيرها.

قال الصدوق في ذيل الحديث: جاء هذا الخبر هكذا، والصحيح الذي اعتقده في ذي القرنين أنّه لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً أحبّ الله فأحبّه الله ونصح الله فنصحه الله، قال أمير المؤمنين 7: وفيكم مثله وذو القرنين ملك مبعوث وليس برسول ولا نبيّ كما كان طالوت ملكاً قال الله ﷻ: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) ٥ وقد يجوز أن يذكر في جملة الأنبياء من ليس بنبيّ كما يجوز أن يذكر في جملة الملائكة من ليس بملك قال الله ﷻ: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) ٦.٧

الصدوق بإسناده عن أبي الحسن الأوّل 7 قال: قال رسول الله 6 في حديث: واختار من الأنبياء أربعة للسيف: إبراهيم وداود وموسى وأنا الحديث^٨.

١. مجمع البيان ٢/ ٣٥٧.

٢. منهج الصادقين ٢/ ٧٥.

٣. روض الجنان ٣/ ٣٨٥.

٤. تفسير الثعلبي ٢/ ٢٢٤.

٥. سورة البقرة / ٢٤٧.

٦. سورة الكهف / ٥٠.

٧. الخصال ١/ ٢٤٨، ح ١١٠.

٨. الخصال ١/ ٢٢٥، ح ٥٨.

المفيد قال: قال جابر [بن عبدالله الأنصاري] فيما شَبَّهْتُ قتل على عمراً [بن عبدود في غزوة الأحزاب (الخندي)] إِلَّا بِمَا قَصَّ اللَّهُ تعالى من قصة داود وجالوت حيث يقول: (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ).^١
رواها الكراجكي في كنز الفوائد^٢ وابن شهر آشوب في المناقب^٣ وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة^٤.

قال الشيخ الطوسي في قوله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) قيل في معناه ثلاثة أقوال: أحدها: يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك، هذا قول علي^٥ وهو المروي عن أبي جعفر محمد بن علي^٦ وبه قال مجاهد.^٥
رواها الطبرسي في مجمع البيان.^٦

الطبرسي رفعه عن النبي ﷺ^٦ أنه قال: لو لا عباد الله رُكع وصبيان رُضع وبهائم رُتع لَصُبَّ عليكم العذاب صَبًّا.^٧
رواها الكليفي في الكافي^٨ بسنده عن أبي الحسن^٧ والشيخ أبو الفتوح الرازي في روض الجنان^٩ والثعلبي في تفسيره^{١٠} والكاشاني في منهج الصادقين^{١١}.

١. الإرشاد ١/ ١٠٢.

٢. كنز الفوائد ١/ ٢٩٩.

٣. المناقب ٣/ ١٣٧.

٤. نهج البلاغة ١٩/ ٦١.

٥. التبيان ٢/ ٣٠١.

٦. مجمع البيان ٢/ ٣٥٧.

٧. مجمع البيان ٢/ ٣٥٧.

٨. الكافي ٢/ ٢٧٦، ح ٣١.

٩. روض الجنان ٣/ ٣٨٦.

١٠. تفسير الثعلبي ٢/ ٢٢٤.

١١. منهج الصادقين ٢/ ٧٤.

الطبرسي قال: روي جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: ٦: إِنَّ اللَّهَ يَصْلَحُ بِصَلَحِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ وَأَهْلَ دَوِيرَتِهِ وَدَوِيرَاتِ حَوْلِهِ وَلَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ اللَّهِ مَا دَامَ فِيهِمْ.^١

ورواها الثعلبي في تفسيره^٢ والكاشاني في منهج الصادقين^٣.

الثعلبي رفعه عن ابن عبد الرحمن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ٦: إِنَّ اللَّهَ لَيُدْفِعُ بِالْمُسْلِمِ الصَّالِحِ عَنْ مِائَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْبَلَاءَ، ثُمَّ قرأ ابن عمر: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ).^٤

روا نحوها الزمخشري في ربيع الأبرار^٥ إلا أن فيها: «مائة ألف بيت من جيرانه» كما نقل عنه السيد هاشم البحراني في البرهان^٦.

خبر حمران عن أبي جعفر ٧ قال: سألته عن قول الله ﷻ (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) الآية، فقال: كان قوم صالحون هم مهاجرون قوم سوء خوفاً أن يفسدوهم فيدفع الله بهم من الصالحين^٧ ولم يأجر أولئك بما يدفع بهم وفيما مثلهم^٨. وفي التفسير المنسوب إلى الصادق ٧: قوله تعالى (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ) قال ٦: من هزم جيوش المعاصي وقتل (جَالُوتَ): الميل إليها، أعطاه الله تعالى

١. مجمع البيان ٣٥٧/٢.

٢. تفسير الثعلبي ٢٢٤/٢.

٣. منهج الصادقين ٧٥/٢.

٤. تفسير الثعلبي ٢٢٤/٢.

٥. ربيع الأبرار ٨٠٤/١.

٦. البرهان ٥١٣/١، ح ٤.

٧. كذا في البحار وفي المصدر: «فيدفع الله أيديهم عن الصالحين» والظاهر أن الصحيح ما ذكره العلامة المجلسي في بحاره.

٨. تأويل الآيات الظاهرة ١/٣٤٠، ح ١٩؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢٤/٣٦١، ح ٨٥.

ثلاث ولاياته، الملكة مع الملوك على بساط الملك القدوس، وولاية الحكمة على بساط الفضل في مدينة السنة وولاية العلم في مدار العبودية، وفضله قائم بينهم، يرفع بعضهم عن بعض ويدعوهم إلى خدمة رب العالمين.^١

(تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) ﴿٢٥٢﴾

هذه الآية كاخاتمة لفصول قصة طالوت.

(تِلْكَ) الحوادث التي وقعت في القرون الماضية من قصص بني إسرائيل وغيرها.

(آيَاتُ اللَّهِ) لأنها يحكي «إماتة ألوف من الناس دفعة واحدة بخلاف ما جرت به العادة ثم أحياهم في مقدار ساعة، ومن تمليك طالوت وقد كان من الحاملين الذين لا تنقاد لهم النفوس بما جعله له من الآية علماً على تمليكه، ومن نصره أصحاب طالوت مع قلة عددهم، وضعفهم على جالوت وجنوده مع قوتهم وكثرة عددهم وشدة بطشهم حتى قهروهم واستعلوا عليهم، وكل ذلك مما لا يقدر عليه غير الله تعالى فهو دلالة عليه»^٢.

(نَتْلُوهَا) التلاوة: هي «القرأة المتتابعة فكل تلاوة قراءة ولا عكس»^٣.

(عَلَيْكَ) يا رسول الله محمد المصطفى^٤.

(بِالْحَقِّ) أي تلك التلاوة حق وصدق لأمرية فيها. (بِالْحَقِّ) بيان لـ (نَتْلُوهَا).

١. التفسير المنسوب إلى الإمام الصادق ١٥٦٧.

٢. التبيان ٢/٣٠٢.

٣. مواهب الرحمن ٤/١٥٩.

(و) استئنافية.

(إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) والجملة في مقام تعليل لجملة (تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ)، خطاب للرسول ﷺ تثبتاً لرسالته استناداً إلى تلاوة هذه الآيات، فالتلاوة ناش من الرسالة والرسالة تثبتها هذه التلاوة وبينهما ارتباط وطيد. والله سبحانه هو العالم بكتابه الخالد ونبيه محمد ﷺ وآله الأطهار المعصومين .:

روايتان

صحيحة محمد بن مسلم: قال أبو جعفر 7: لا دين لمن دان بطاعة من عصي الله، ولا دين لمن دان بفرية باطل على الله، ولا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله. ١.

المفيد رفعه عن رفاعه عن أبي عبد الله 7 قال: في التوراة أربع مكتوبات، وأربع إلى جانبهن: من أصبح على الدنيا حزيناً أصبح على ربه سائحاً، ومن شكى مصيبة نزلت به فإنما يكشفو ربه، ومن أتى غنياً فتضعضع له شيء يصيبه منه ذهب ثلثا دينه، ومن دخل من هذه الأمة النار ممن قرأ القرآن فهو ممن يتخذ (ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا) ٢، والأربعة إلى جانبهن: كما تدين تدان، ومن ملك استأثر، ومن لم يستشر يندم، والفقر هو الموت الأكبر. ٣.

ورواها الشيخ الطوسي بسنده الصحيح في أماليه ٤. استأثر بالشيء على الغير: استبد به وخص به نفسه.

١. الكافي ٢/ ٣٧٣، ح ٤.

٢. سورة البقرة / ٢٣١.

٣. الاختصاص / ٢٢٦.

٤. أمالي، المجلس الثامن، ح ٥٤ / ٢٢٩، رقم ٤٠٤.

إلى هنا تم التحرير الأول من الجزء الثاني من كتابي أجود البيان في تفسير القرآن
يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر صفر المظفر ١٤٢٦ وتم التحرير الثاني في يوم الجمعة
الرابع والعشرين من شهر صفر الخير ١٤٤٣ ببلدة إصبهان صانها الله تعالى عن
الحدثان على يد مؤلفه العبد هادي النجفي كان الله له ويكون ووفقه لإتمامه.
والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين المعصومين.

فهرس

الآية (١٤٢)..... ٣	الآية (١٤٩)..... ٤٨
الروايات ٤	الآية (١٥٠)..... ٥٠
الآية (١٤٣)..... ٨	الروايات..... ٥٢
الروايات ١١	الآية (١٥١)..... ٥٥
الآية (١٤٤)..... ١٩	الروايات..... ٥٧
الروايات ٢٢	الآية (١٥٢)..... ٥٩
الآية (١٤٥)..... ٢٦	الروايات..... ٦٠
روايتان..... ٢٨	الآية (١٥٣)..... ٦٣
الآية (١٤٦)..... ٢٩	الروايات..... ٦٤
الروايات ٣٠	الآية (١٥٤)..... ٦٦
الآية (١٤٧)..... ٣٦	الروايات..... ٦٧
الروايات ٣٦	الآية (١٥٥)..... ٧٠
الآية (١٤٨)..... ٣٧	الروايات..... ٧٢
الروايات ٣٨	الآية (١٥٦)..... ٧٥

الروايات ٧٦	الروايات ١٣١
الآية (١٥٧) ٨٣	الآية (١٦٨) ١٣٤
الروايات ٨٤	الروايات ١٣٦
الآية (١٥٨) ٨٧	الآية (١٦٩) ١٣٩
الروايات ٨٩	الروايات ١٤٠
الآية (١٥٩) ٩٥	الآية (١٧٠) ١٤٢
الروايات ٩٧	روايتان ١٤٤
الآية (١٦٠) ١٠١	الآية (١٧١) ١٤٥
الروايات ١٠٢	الروايات ١٤٦
الآية (١٦١) ١٠٤	الآية (١٧٢) ١٥٤
الروايات ١٠٤	الروايات ١٥٥
الآية (١٦٢) ١٠٩	الآية (١٧٣) ١٥٩
الروايات ١١٠	الروايات ١٦١
الآية (١٦٣) ١١١	الآية (١٧٤) ١٦٤
الروايات ١١٢	الروايات ١٦٥
الآية (١٦٤) ١١٥	الآية (١٧٥) ١٦٩
الروايات ١١٨	الروايات ١٧٠
الآية (١٦٥) ١٢٣	الآية (١٧٦) ١٧١
الروايات ١٢٥	رواية ١٧٢
الآية (١٦٦) ١٢٨	الآية (١٧٧) ١٧٣
رواية ١٢٩	الروايات ١٧٦
الآية (١٦٧) ١٣٠	الآية (١٧٨) ١٨٣

٢٥٢ الروايات	١٨٥ الروايات
٢٥٩ الآية (١٩٠)	١٨٩ الآية (١٧٩)
٢٦٠ الروايات	١٩٠ الروايات
٢٦٢ الآية (١٩٢)	١٩٢ الآية (١٨٠)
٢٦٣ الروايات	١٩٤ الروايات
٢٦٥ الآية (١٩٢)	١٩٩ الآية (١٨١)
٢٦٦ الآية (١٩٣)	٢٠٠ الروايات
٢٦٧ الروايات	٢٠٣ الآية (١٨٢)
٢٦٩ الآية (١٩٤)	٢٠٥ الروايات
٢٧١ الروايات	٢٠٧ الآية (١٨٣)
٢٧٨ الآية (١٩٥)	٢٠٨ الروايات
٢٧٩ الروايات	٢١١ الآية (١٨٤)
٢٨١ الآية (١٩٦)	٢١٣ الروايات
٢٨٦ الروايات	٢١٦ الآية (١٨٥)
٢٩١ الآية (١٩٧)	٢١٨ الروايات
٢٩٣ الروايات	٢٢٦ الآية (١٨٦)
٢٩٦ الآية (١٩٨)	٢٢٨ الروايات
٢٩٧ الروايات	٢٣٥ الآية (١٨٧)
٣٠٠ الآية (١٩٩)	٢٣٧ الروايات
٣٠١ الروايات	٢٤٥ الآية (١٨٨)
٣٠٦ الآية (٢٠٠)	٢٤٦ الروايات
٣٠٨ الروايات	٢٥٠ الآية (١٨٩)

الآية (٢٠١)..... ٣١٠	الآية (٢١٢)..... ٣٦٣
الروايات ٣١١	الروايات ٣٦٥
الآية (٢٠٢)..... ٣١٤	الآية (٢١٣)..... ٣٦٧
الروايات ٣١٥	الروايات ٣٦٩
الآية (٢٠٣)..... ٣١٦	الآية (٢١٤)..... ٣٧٢
الروايات ٣١٧	الروايات ٣٧٤
الآية (٢٠٤)..... ٣٢٣	الآية (٢١٥)..... ٣٧٧
الروايات ٣٢٤	الروايات ٣٧٩
الآية (٢٠٥)..... ٣٢٥	الآية (٢١٦)..... ٣٨١
الروايات ٣٢٧	الروايات ٣٨٣
الآية (٢٠٦)..... ٣٢٨	الآية (٢١٧)..... ٣٨٥
الروايات ٣٢٩	شأن نزولها ٣٨٦
الآية (٢٠٧)..... ٣٣٠	الإحباط ٣٨٩
الروايات ٣٣١	الروايات ٣٨٩
الآية (٢٠٨)..... ٣٤٩	الآية (٣١٨)..... ٣٩٢
الروايات ٣٥٠	شأن نزولها ٣٩٣
الآية (٢٠٩)..... ٣٥٣	الروايات ٣٩٤
رواية ٣٥٣	الآية (٢١٩)..... ٣٩٨
الآية (٢١٠)..... ٣٥٤	الروايات ٣٩٩
الروايات ٣٥٦	الآية (٢٢٠)..... ٤٠٢
الآية (٢١١)..... ٣٥٩	الروايات ٤٠٤
الروايات ٣٦١	الآية (٢٢١)..... ٤٠٧

٤٦٠ الآية (٢٣٢)	٤٠٩..... شأن نزولها
٤٦٢ الروايات	٤٠٩..... الروايات
٤٦٥ الآية (٢٣٣)	٤١١..... الآية (٢٢٢)
٤٦٧ الروايات	٤١٣..... الروايات
٤٧٤ الآية (٢٣٤)	٤١٩..... الآية (٢٢٣)
٤٧٦ الروايات	٤٢٠..... الروايات
٤٨٠ الآية (٢٣٥)	٤٢٣..... الآية (٢٢٤)
٤٨٢ الروايات	٤٢٤..... الروايات
٤٨٥ الآية (٢٣٦)	٤٢٦..... الآية (٢٢٥)
٤٨٦ الروايات	٤٢٨..... الروايات
٤٩١ الآية (٢٣٧)	٤٣٠..... الآية (٢٢٦)
٤٩٢ الروايات	٤٣١..... الروايات
٤٩٦ الآية (٢٣٨)	٤٣٥..... الآية (٢٢٧)
٤٩٨ الروايات	٤٣٥..... الروايات
٥٠٢ الآية (٢٣٩)	٤٣٧..... الآية (٢٢٨)
٥٠٣ الروايات	٤٣٨..... الروايات
٥٠٦ تنبيه	٤٤٣..... الآية (٢٢٩)
٥٠٧ الآية (٢٤٠)	٤٤٥..... الروايات
٥٠٨ رواية	٤٥٠..... الآية (٢٣٠)
٥٠٨ الآية (٢٤١)	٤٥٢..... الروايات
٥٠٩ الروايات	٤٥٦..... الآية (٢٣١)
٥١١ الآية (٢٤٢)	٤٥٨..... الروايات

٥٧٦ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الثاني

الروايات ٥١١	الآية (٢٤٨) ٥٤١
الآية (٢٤٣) ٥١٢	الروايات ٥٤٢
الروايات ٥١٥	الآية (٢٤٩) ٥٥٢
الآية (٢٤٤) ٥١٩	الروايات ٥٥٤
الروايات ٥٢٠	الآية (٢٥٠) ٥٥٩
الآية (٢٤٥) ٥٢١	رواية ٥٦١
الروايات ٥٢٢	الآية (٢٥١) ٥٦٢
الآية (٢٤٦) ٥٢٧	الروايات ٥٦٣
الروايات ٥٢٩	الآية (٢٥٢) ٥٦٧
الآية (٢٤٧) ٥٣٦	روايتان ٥٦٨
الروايات ٥٣٨	فهرس ٥٧١